

# المجلد

١٣١٥

قلم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان لاسلام صوى و د مناراء كنار الطريق

مصر ٢٩ ربيع الانور ١٣٣٣ ٢٥ الدلو (ش ٢) ١٢٩٣ هـ ١٤ فبراير ١٩١٥

فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، وجل  
ثناؤك ، ولا إله غيرك ، (٣٦:٣) قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء  
وتزعج الملك ممن تشاء ، وتجزئ من تشاء ، وتذكر من تشاء ، بيدك  
الخير إنك على كل شيء قدير

سبحانك اللهم وبحمدك ، ما عدل حكمك ، وما أجل حكمتك ،  
وما أوسع علمك ، وما أنفذ مشيئتك ، (قل اللهم فاطر السموات

وَالْأَرْضِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
يُخْتَلَفُونَ

سبحانك اللهم وبحمدك، لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على  
نفسك، أسبغت النعم ظاهرة وباطنة، وأفضت أنوار الكرم بارزة وكامنة،  
ووهبت العقول والمشاعر، وبينت السنن والشعائر، وأكملت هداية  
الدين، بيعثة محمد خاتم النبيين، فصل وسلم اللهم عليه وعلى آله الأئمة  
الطاهرين، وأصحابه الهادين المهديين

اللهم ان نعمك لا تحصى وقد كفرها الكافرون، وان صراطك  
المستقيم لا يخفى وقد تنكبه الضالون، وان حكمك هو الحق وان عمي  
عنه المبطلون، وان عدلك هو القسطاس وان جهله الظالمون، (٧: ٣٣)  
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا  
يَسْتَقْدِمُونَ \* ١٨ : ٦٥ حتى اذا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ  
يَجْأَرُونَ ٦٦ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ).

ربنا إنك آتيت أقواما الغنى فطغوا وفسقوا عن أمرك، وآتيتهم  
القوة فبغوا في أرضك، ربنا ليضلوا عن سبيلك، بما أعرضوا عن  
دليلك، (١٠: ٨٨) ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم، فلا  
يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم \* ١٧ : ٤٤ بل مَعْنَاهُ هُوَ لَا وَآبَاءَهُمْ حَتَّى  
طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ، أفلا يرون أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ؟  
أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ؟

يأتيها الناس لاحير في الحضارة المدنية، اذا اقيمت على قواعد

الأثرة والقوة المادية ، ولا خير في العلم ولا في العمران ، اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان ، أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وانه بعباده رؤف رحيم وإنما يرحم الراحمين ؟ وانه يأمر بالعدل والاحسان وخص بمحبته الحسينين ؟ ( ٤٠ : ٨٢ ) أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون \* ٢٩ : ٩ أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) \* ( ٣٨ : ٩ ) أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ١٠ أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليترقا في الاسباب ١١ جئنا ما هنالك مهزوم من الأحزاب )

( ٤ : ١ ) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ١٣ : ٤٩ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ) لا لتناكروا وتتخالفوا ، ( ٤٥ : ١٢ ) ونضر لكم ما في السموات وما في الارض ) لتشكروا لا لتكفروا ، ولتصاحوا لا لتفسدوا ، وليس الإصلاح في الاستعانة بقوى المواد وخواص الاشياء ، على إفساد أمر الناس الذين خلق الله لهم جميع الاشياء ، وإنما الإصلاح كل

(\*) لا يحول دون الاعتبار هاتين الآيتين هنا نزولهما في قوم كانوا أقل من قبلهم قوة وكسبا وعمرانا وآثارا في الارض وكونهما لا تنطبقان من بعض الوجوه على بعض الامم المغرورة بقوتها وعمرانها في هذا العصر - فالعبرة واحدة

الإصلاح ، أن تستعينوا بما آتاكم الله من العلم والرفاق ، وما هداكم  
إليه من تسخير القوى الكامنة في الأجسام ، على جعل منافعها شرعاً  
بين جميع الناس ، وجعل الغاية منها إيصال الشعوب كلها إلى ما يمكن  
من الكمال . وإن الإفساد كل الإفساد ، أن تحتكر الشعوب العالة  
منافع العلم ، وتجعله ذريعة لبني بعضها على بعض ، واستغلال الشعوب  
الضعيفة في الأرض ، وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الأعجم ، بل هم  
أشد اهانة لمن كرم الله وأكثر تذليلاً (١٧: ٧٠) ولقد كرّمنا بني آدم وجعلناهم  
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً \*  
- ١٦ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول  
فدمرناها تدميراً

يا أيها الإنسان، اتق الله في أمر أخيك الإنسان، ولا تستغل على من  
فضلك عليه بالعلم والمال، فقد خلت من قبلكم القرون والأيام، (١٤: ٤٤)  
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا  
لكم الأمثال - ٢٨: ٦٧ - إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ  
السَّكَنُوزِ مَالًا مِثْلَهُ مَتَّحِفَةً لَتَنُوهُ بِالْعُصْبَةِ الْوَلِيَّةِ؛ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٧) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا  
تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ  
الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٨) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى  
عِلْمٍ عِنْدِي، أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ  
هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا؟ وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ



(٧٩) فَمَجَّجْ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٨٠) وَقَالَ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ مَوَاقِبُ اللَّهِ خَسِرْتُمْ لَمَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقِيهَا  
إِلَّا الْأَصْطِرَادُونَ (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ  
يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨٢) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ  
تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذَّبُ اللَّهُ بِسُطِّ الرِّزْقِ لِمَن يَشَاءُ  
مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ، لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيَكَذَّبُ لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا  
لَا تُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٣) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا  
فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

يأياها المغرورون بالعلم والقوة ، قد عرفتكم القوى المادية ، فلا تنسوا  
القوة المعنوية ، يأياها المغرورون بمرفان السنن الكونية والاجتماعية ،  
لا تنكروا سنن العدالة الإلهية ، ( ٣ : ١٣٦ ) قد خلت من قبلكم سنن  
فسدوا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين \* ١١ : ١١٨  
وما كان ربك ليهلك القرى (١) بظلم وأهلها مصلحون ٠ - ٢٨ : ٥٩ وما  
كنّا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ٧ : ٩٩ ولم يهد للذين يريثون  
الأرض من بعدهم ، ن لو نشاء أصدناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم  
فهم لا يسمعون

واما أنتم يا معاشر المستضعفين والمظلومين ، فما زلتم شرا على أنفسكم

من الاقوياء العادين ؛ لا نعم الله شكرتم ، ولا دين الفطرة أقمت ؛ لا سنن  
 لله في السكون عرقتم ، ولا على سننه في ارتقاء البشر سرتتم ؛ لا بالقوى  
 لمادية انتفعتم ، ولا بالقوى المعنوية اعتصمتم ، فاطلمكم الله ولا الناس  
 لكن أنفسمك ظلمتم . طالبون ربكم بما وعد به المؤمنين ، ولا  
 طالبون أنفسمك بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، ( ٣ : ١٥٢ ) ولقد  
 صدقكم الله وعده اذ تحسبونهم اذنه حتى اذا فشيتم وتنازعتم في الأمر  
 مرمكم بخالفه كتابه وسننه في عباده ذلك النصر ، ( ٨ : ٤٧ ) واطيعوا  
 الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع  
 الصابرين ) ( ٣ : ١٣٨ ) وتلك الايام نداولها بين الناس \* ٢٧ : ٥ ونريد  
 أن نمنن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين  
 يا قوم اطلما أنذركم النار على رؤوس السنين والاحوال ، سوء عاقبة  
 ما أنتم عليه من التفريط والغرور والاهمال ، وطلما فصل لكم في أعقاب  
 الشهور ، ما تخرجون به من الظلمات الى النور ، مينا لكم بآيات القرآن ،  
 وأقيسة الميزان ، وسنن الله في سيرة الانسان ، أن الامر ليس بالأُماني  
 والاحلام ، ولا بمجرد الانتساب الى الاسلام ، وانما هو بالاخلاق  
 والاعمال ، والعدل والاعتدال ، التي بالايان تبلغ درجات الكمال ، وانما  
 خلافة في الارض بالصلاح والاصلاح ، والمؤمن المصلح يرجع للمصلح  
 لكافر بالايان ، ( ٢١ : ١٠٥ ) ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكر أن  
 لارض يرثها عبادي الصالحون \* ١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن  
 الظالمين ١٤ وَلَنَسِيكَتُكُمْ الْاَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ \* ٧ : ١٢٧ وعد الله الذين

آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ١٢٧:٧ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

نعم طالما حذرکم المنار وأنذرکم ، بل طالما ذکركم بنذر ربکم ، وبسننه في الذين معکم والذين خلوا من قبلكم ، قماريتم بالنذر ، وتعلمتم بالقضاء والقدر ، وانما يعتذر بالقدر من يبرئ نفسه ، ويهتم ربه ، على أنکم تدعون ربکم ان يبدل فيکم سنته ، ويبطل لأجلکم حکمته ، وينصرکم بالاستبداد الأنف ، وقطع أسباب القدر ، وقد تلوتم ما نزل في حنين وأخذ ، إذ نزل بخير سلفکم ما نزل ، جزاء العجب والخلاف والفشل ، وفيهم خاتم الانبياء والرسول ، أيا سلامکم خير من اسلامهم ، أم لکم براءة في الزبر ، ( كلا والقمر ، والليل إذا أذرب ، والصبح إذا أسفر ، إنها لإحدى الکبائر ، نذيراً للبشر ، لمن شاء منکم أن يتقدم أو يتأخر )

نعم ان لله في خلقه آيات ، وان لربکم في أيام دهرکم نفحات ، وان له تعالى رحمة خاصة لدنيّة ، تتخلل سننه الاجتماعية ، « وان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » <sup>(١)</sup> « وان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال مأم من أهله » <sup>(٢)</sup> ولكن الله تعالى لا يؤيد بخوارق الآيات ، من أعرض عن السنن وآيات القرآن ، ولا يمد بالنفحات والرحمة الخاصة ، من استحق الحرمان من معظم الرحمة العامة ، ألا وان تأييد الله الاسلام

(١) حديث رواه الطبراني عن عمرو بن النعمان بن مقرن وعلم عليه السيوطي

في جامعه بالصحة (٢) حديث رواه الطبراني عن عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

بغير اهله ، أكبر حجة على جميع من يُمدون من اهله ، ولا سيما إذا أُصروا على خذل أنفسهم بخذله ، أفلا يعلم من لا خير له في نفسه من نفسه ، أن لا خير يرجى له من غيره ؟ ( ٣٦ : ٥٣ م لم يُلبأ بما في صُحف موسى ٣٧ و ابراهيم الذي وفي ٣٨ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ٣٩ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى )

يجب علينا معاشر المسلمين أن نصف من أنفسنا ، قبل أن تنتصف أو نستنصف من الأجانب عنا - وأن نستجيب لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا ، قبل أن ندعوه أن يستجيب لنا ويؤتينا ما وعدنا - وأن نشكر نعم ربنا التي أعطى من غير استحقاق لها ، قبل أن نسأله حفظها أو المزيد منها بدون قيام بحقتها - وأن نعلم أن الله تعالى لا يستجيب الدعاء بلسان المقال ، الا اذا كان دعاء بلسان الاستعداد والحال ، ( ١٣ ١٢ ) إِنْ أَلَّاهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ )

إنني أذكر في فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار ، بما طالما فصلت فيه القول في السنين الخوال ، إنا نحن مسلمي هذا العصر ، لا نستحق على الله تعالى نصيباً من الملك ، ولا خلافة في شيء من الأرض ، لا بحسب سننه في خلقه ، ولا بمقتضى وعده في كتابه ، فاذا أعطى شيئاً أو أبقي ، فذلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعداً عليه حقاً ، وإن الله تعالى ليلو عباده بالحسنات ، كما يلوهم بالسيئات ، ليلوهم أيهم أحسن عملاً ، فيكون أحسن جزاء وخيراً أملاً ( ١٨ : ٥٥ ) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ٥٩ وَرَبُّكَ

الغفور ذو الرحمة ، لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعده لن يجدوا من دونه مؤثلاً

هذا وإن آية المؤمن أن يحمد الله في السراء والضراء ، ولا يياس من روح الله مهما اشتدت الأهوال والأرزاء ، ويعلم أن ما أصابه من حسنة فمن فضل ربه ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه وسوء كسبه ، فيحدث عند الحسنة شكرًا ، ويحدث عند السيئة توبة وذكرى ( ٢٢ : ١١ ) ومن الناس من يبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابه فتنة أنقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين )  
٢٢ : ٧ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ - ١٠ : ٨٥ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٨٦ وَتَجْعَلْ بَرَحِمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْخَافِينَ - ٢ : ٢٨٧ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا . . .

٢٠٠ : ٢ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ  
١٩٤ : ٣ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

٨٩ : ٧ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْبَاقِينَ  
٧٥ : ٣٩ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

## ﴿ الجهاد الديني في الاسلام ﴾

ان أحكام القتال في الاسلام أعدل وأرحم من احكام القوانين الاوربية فهي الإصلاح الاعظم لهذه المصيبة الاجتماعية . ويظن كثير من نصارى الشرق - تبعا لآرائهم في الغرب - ان الجهاد الديني في الاسلام عبارة عن تصدي المسلمين لقتل كل من يخالفهم في الدين . وقد يندنا خطأ هؤلاء وهمهم بالأدلة والآيات البينات . ويدهشنا ان ترى أجدر الناس بالفهم والحفظ والذكر لما كتبناه - كسحاب الجرائد - قد نسوه وظلوا على رأيهم الموروث بدليل ما كان من توقعهم قيام المسلمين في البلاد العثمانية بذبح إخوانهم في الجنس والوطن، واستغرابهم اتحاد الدولة العثمانية مع دولتين من غير دينها

أعانت الدولة العثمانية الجهاد الديني فكان المسلمون في بلادها السورية وغيرها أشد اتفاقا مع غير المسلمين منهم قبل هذا الجهاد . وما ينقل من تعدي الترك والاكراد على الأرمن قسبه - على فرض صحته - المنازعات الجنسية والسياسة ، والاتقام منهم لميلهم الى الدولة الروسية

وأما الجهاد العام في الاسلام فلا يكون الادفاعا ولا يجوز فيه قتال غير المقاتلين المعتدين (٢ : ١٤٠) وقالوا في سبيل الله الذين قاتلوا نكم ولا تعمدوا ان الله لا يحب المعتدين

## الدعوة الى انتقاد المنار

جرت عادتنا بأن نذكر قراء المنار في كل عام بما يجب من الانتقاد الذي هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساعدة على الدعوة الى الخير، وبث النصيحة ونشر العلم، فنحن نطالب كل من قرأ في المنار شيئاً يرى أنه خطأ أن يبين لنا ذلك قولاً أو كتابة مؤيداً لنقده بما عنده من الدليل، وأما من سمع الانكار على المنار من بعض الناس سماعاً فينبغي له ان يثبت ولا يجعل بموافقة المنكر ومجاراته، حتى يرى ذلك بعينه، أو يقرأه الثقة عليه، فإن من الناس من يقترى الكذب عمداً، ومنهم من يحرف ما يقرأ حسداً وضحفاً، ومنهم من يستنبط من الكلام لوازم لا تلزم، على ان لازم المذهب ليس بمذهب

وانا واثق بالله لا نرغب الى أهل العلم والفهم ان ينتقدوا ما نكتب غروراً منا بفسنا، وثقة بأن النقد ينكشف عن خطأ الناقد وصوابنا، بل نعلم اننا كفيئنا من البشر عرضة للخطأ والسيان، ولجهل الحقائق وضعف البيان، ولا نبرئ أنفسنا الا من سوء القصد، واتباع الهوى عن عمد، وان لنا في هذه الدعوة أربعة أغراض:

الاول التوسل بها لإصلاح خطأنا، وتقوم عوجنا

الثاني التعاون على البر والتقوى والإصلاح بضم رأي غيرنا الى رأينا والاستفادة

من علم أهل العلم

الثالث اقامة الحجة على المتكابين والكذابين الذين يقولون علينا ما لم نقل،

وينسبون الينا ما نحن براء منه، ويعيبون المنار بما ليس فيه

الرابع التوسل الى تصحيح خطأ المتقدم اذا كان هو المخطئ

هذا. ومن شاء ان ينشر ما يكتبه اليه من غير تصريح باسمه فله أن يأمرنا

بكتبان اسمه. ووضع ماشاء أو شئت من الاسماء والالقباب في مكانه

واننا نشترط على المتقدمين ما نشرطه لهم على أنفسنا من الادب في العبارة.

ونزيد التزام الموضوع وعدم الخروج عنه الى ما ليس منه، ومراعاة الاختصار بقدر

الحاجة

## التاريخ الهجري الشمسي

يُعلم القراء أننا شرعنا من بضع سنين بأحياء التاريخ الهجري الشمسي بذكر سنتيه في المنار بعد التاريخ الهجري القمري وقبل التاريخ الميلادي وقد كنا نكتفي أولاً بذكر السنة تابعة للشهور الأفرنجية الشمسية ، بدأنا بهذا في المجلد الثاني عشر (سنة ١٣٢٧) ثم ارتأينا في أول السنة الخامسة عشرة عشرة - سنة ١٣٣٠ - أن نذكر الشهور الشمسية الهجرية ونعتمد في تسميتها ما اختاره أحمد مختار باشا الغازي في تقويمه بين فيه ذلك . وذلك أن تسمى الشهور بأسماء الفصول مع الوصف بالعدد ، بأن يقال : الحريف الأول - الحريف الثاني الخ لأن حفظ هذه الشهور يسهل على العوام كلواضع ، ومن أسمائهم يعرفون مواقعها من السنة من أول العهد باستعمالها . وقد جربنا على هذا الحساب في جماعة الدعوة والأرشاد ومدرستها . وكنا نأتمرن على طبع تقويم خاص لسنة الهجرية الشمسية

ثم اتنا رأينا أن بعض أخواننا من الفارسيين والافغانين يستعملون التاريخ الهجري الشمسي ولكنهم يسمون شهور السنة بأسماء بروج الشمس ، فالشهر الأول من السنة هو شهر الميزان وهو أول فصل الحريف الذي وصل النبي (ص) في أول يوم منه إلى المدينة المنورة ، ولما نهبنا الناس إلى أحياء هذا التاريخ في مصر صار بعض أصحاب التقاويم المصرية يذكرونه في تقاويمهم ، وتبعوا الفرس والافغان في تسمية الشهور لأجل هذا رأينا الآن أن نجاري هؤلاء ، وأولئك في هذه التسمية ، وأن نكتفي بالإشارة إلى تسمية الشهور بأسماء الفصول بالحروف المقطعة من أولها ، وذلك بجمل حرف خ رمزاً للحريف وحرف ش للشتاء وحرف ر للربيع وحرف ص للصيف ، ونضيف إلى هذه الحروف الأرقام الدالة على الأول والثاني والثالث . فالتقارير يرى هذا الجزء مؤرخاً في ٢٥ من شهر الدلو (ش ٢) أي الشتاء الثاني .

﴿ سنة المنار الجديدة عشرة أشهر ﴾

بيننا في جزء آخر السنة الماضية أن ما أحدثته حرب المدينة الأوريسية من الضيق وقلة الورق اضطرتنا إلى جعل سنة المنار الجديدة عشرة أشهر كما كثر الحجلات المصرية ، مع إبقاء جزء كل شهر ثمانية صفحات . وإذا طالت الحرب وزاد هذا الضيق قربنا نضطر إلى تقليل عدد الأوراق أيضاً



## مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٣

(الهواء)

يفهم مما تقدم في الكلام على المطر ان الهواء يشتمل دائما على بخار الماء (الرطوبة) وهذا البخار يقل أو يكثر بحسب درجة حرارة الهواء، فإذا كان الهواء ساخنا كان أكثر رطوبة من الهواء البارد

وأهم ما يوجد فيه من الأجسام الأخرى فهو : —

النيتروجين	٧٩ و ٠٢
الأكسجين	٢٠ و ٩٤

غاز ثاني أكسيد الفسفور ٠ و ٠

وهي مختلطة بعضها ببعض وليست متحدة اتحادا كإيوا كما سبق : وفي الهواء غير ذلك آثار من عناصر أخرى ومركبات لا حاجة هنا لتفصيلها  
أما أنواع الهواء بحسب الامكنة فهي ما يأتي :

١—هواء البحار — وهو يشتمل على كثير من بخار الماء النقي ومن أكسجين كثيف يسمى (الأوزون)<sup>(١)</sup> وهو عبارة عن أكسجين خائر (مركز) تشتمل كل ذرة منه ثلاث جواهر فردة من الأكسجين . وهواء البحار البعيد عن البرخال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات والروائح الكريهة ويكون في الشتاء دافئا وفي الصيف باردا وذلك لأن الماء يبرد ببطء ولا يسخن بسرعة فيبقى أشد سخونة أو برودة من الأشياء المحيطة به فيعدل درجة حرارة الجو

(١) كلمة يونانية معناها « التفرح » لوجود رائحة له خاصة وهو يتولد من أكسجين الهواء بسبب الكهرباء وهو مما يطهر الهواء من العفونات

(التار: ج ١) (٥) (المجلد الثامن عشر)

فهواء البحار من أنفع الاهوية للصحة ومفيد لكثير من الامراض ولو انه يشتمل على رطوبة كثيرة فان ذلك لا يضر فيها

٢- هواء الصحاري - ورطوبته أقل كثيرا وهو أيضا خال من الميكروبات تقريباً ومن العفونات وغيرها، وأكسجينه يوجد فيه أيضاً النوع المسمى (أوزون) كماء البحار وأما درجة حرارته فهي عالية في الصيف منخفضة في الشتاء وهو أيضاً نافع للصحة ومفيد لبعض الامراض الاخرى

٣- هواء المدن - وهو يشتمل على كثير من الميكروبات<sup>(١)</sup> والغازات الضارة والعفونات وغيرها مما يخرج مع نفس الحيوان ومما يتصاعد من النيران وغيرها ، ويشتمل أيضاً على رطوبة كثيرة ولكنها ليست نقية بل مختلطة بكثير مما يتبخر من سطح الارض من القاذورات والروائح الكريهة المنبعثة من المراحيض ونحوها أو من المياه الراكدة الآسنة، ولذلك كان هواء المدن من أفدس الاهوية وأضرها بصحة الانسان

٤- هواء الحدائق والغيطان [الحقول] - ونحوها وهو من جهة الرطوبة بين هواء الصحاري وهواء البحار ، وميكروباته قليلة جداً، وفي النهار يقل منه غاز ثاني أوكسيد الفحم بسبب تنفس الاشجار فهي تستنشق منه غاز الفحم الضار وترك الأكسجين للانسان والحيوان . وفي الليل يكون هذا الهواء فاسداً لأن الاشجار والنباتات تنفس فيه تنفس الحيوان فان لم يكن المكان طلقاً أضر هذا الهواء الانسان ضرراً كبيراً واذا لم يتجدد الهواء ربما يقتله

### الانتشار والتخلل أو ( الاختراق )

علم مما تقدم أن ذرات المادة نحت موثرين عظيمين الاول قوة الانضمام والثاني قوة الاندفاع وهي المبرع عنها فيما سبق بالحرارة الكلمة

فاذا زادت قوة الانضمام عن قوة الاندفاع كان الجسم صلباً واذا تساوت القوتان

(١) تعبش في الهواء مدداً مختلفة بحسب ما تجده فيه من الغذاء فانها تعلق بذرات مخاطية أو خلايا بشرية أو نحو ذلك، وبحسب قوة مقاومتها للعوامل الطبيعية كنور الشمس وغير ذلك. وبعد المطر الشديد تقل كثيراً من الهواء لانه يفصله منها

كان سائلا واذا زادت قوة الاندفاع عن قوة الانضمام كان غازا  
ففي الغازات تميل ذراتها الى الانتشار في جميع الجهات بقوة الحرارة الكامنة  
فيها وهذا هو المسمى في علم الطبيعة بالانتشار، وتلك القوة تحدث ضغطا على الاجسام  
المحيطة بالغاز فهي أيضا من أسباب الضغط الجوي الذي تقدم ذكره ( راجع صفحة  
٧ من هذا الكتاب )<sup>(١)</sup>

وكما كان الغاز خفيفا كانت قوة الانتشار فيه أشد فالهيدروجين — وهو أخف  
من الأكسجين — ينتشر بسرعة أكثر من الأكسجين

واذا وجد في طريق الغاز منتشر غشاء مما له مسام نفذ الغاز من خلاله  
وقوة النفوذ هذه تسمى قوة التخلل أو الاختراق وتسمى بالافرنج (Osmosis)  
وكما أن الغازات تخترق بعض الأغشية كذلك من الاجسام الصلبة ما يحترقها  
أيضا اذا كان ذاتيا، والاجسام بالنسبة الى قوة الاختراق نوعان:

(الاول) أجسام تتشكل بشكل البلورات كالاملاح وهي سهلة النفاذ (الثاني)  
أجسام لا تتشكل كالواد الزلالية والغروية والصمغية وهي يتعسر نفاذها أو يتعذر  
فالأجسام الأولى اذا كانت ذاتية في سائل مع الاجسام الأخرى نفذت خلال  
الأغشية وحدها دون الاجسام الأخرى وبذلك يمكن فصل هذه عن تلك  
وأظهر فوائد سنة الانتشار والتخلل خمس الآتية :

(١) أنه بسبب قوة الانتشار يدرك الانسان جميع المذمومات  
(٢) التنفس لجميع الحيوانات البرية؛ والبحرية فالأكسجين المنتشر في الهواء  
والذائب في الماء يندفع بهذه القوة الى مجاري التنفس [ الرئة ] في الحيوانات البرية  
والى خياشيم الحيوانات البحرية فينقب أغشيتها حتى يصل الى الدم فيتحد به  
وكذلك الغاز الذي في الدم المسمى ( ثاني أكسيد الفحم ) يتركه ويندفع الى الخارج  
خلال أغشية الاعضاء التنفسية

والسبب في اتجاه الأكسجين الى الداخل هو كون ما يوجد منه في الهواء  
أكثر مما يوجد منه في الدم — والغازات تميل في انتشارها الى الموازنة والمساواة كما

(١) المراد ما يطبع منه على حدة

تميل السوائل الموجودة في مستويات مختلفة الى الموازنة أيضا كما سبق  
وكذلك اتجاه ثاني أكسيد الفحم الى الخارج يكون لهذا السبب بعينه. ويسمى  
الاندفاع الى الخارج Exosmose ويسمى الاندفاع الى الداخل Endosmose  
(٣) امتصاص الاغذية من القناة الهضمية في الحيوان وامتصاصها من جدر  
الرحم بالاجنة الحيوانية يحصل أيضا بقوة التخلل مع مساعدة الخلايا البشرية المبطنة  
للاغشية ولذلك تمتص الاملاح مع المواد الزلالية في مثل الجنين بسبب فعل هذه  
الخلايا ولولا ذلك لتعسر نفاذ غير الاملاح أو نفوذ  
(٤) تجدد الهواء وذلك أنه اذا قل الاكسجين في حجرة. اندفع أكسجين  
الهواء الخارجي الى هذه الحجرة من جميع المنافذ الممكنة حتى لا ينضو الهواء  
الداخلي من الاكسجين والاماتت الحيوانات فيه ولا تطفأت المصابيح  
(٥) فصل بعض المواد الكيميائية عن بعضها في العامل يكون أحيانا  
بطريقة التخلل

( مأخذ أسماء أشهر العناصر المذكورة آنفا ومعانيها )

- (١) النيتروجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناها (مولد النيتز) لأنه  
يدخل في تركيبه والنيتز (Nitre) اسم لنترات البوتاسيوم وهي ملح البارود  
المسمى أيضا (الملح الصخري) (Saltpetre) وكان النيتروجين يسمى قديما  
(أزوت) وهي يونانية أيضا معناها «عديم الحياة» لأن الحيوانات لا تعيش فيه
- (٢) الاكسجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناها «مولد الحامض» لأنهم  
كانوا يظنون أنه هو السبب الوحيد في الحموضة أو أنه داخل في تركيب جميع  
الحوامض ولكنهم علموا بعد ذلك خطأهم وبقي الاسم بدون تغيير الى الآن
- (٣) الهيدروجين : لفظ يوناني أيضا مركب من كلمتين معناها «مولد الماء»  
لأن كل ذرة من الماء مركبة من جوهريين فردين من الهيدروجين متحدتين مع جوهري  
واحد من الاكسجين. و بعبارة أخرى حجمان من الاول مع حجم واحد من الثاني

## الكهروباء

الكهروباء احدى قوى المادة العظيمة وهي عبارة عن حركة مخصوصة في ذراتها وكان أول الاهتداء اليها في حجر الكهرمان (ويسمى أيضا الكهروباء) فبدلكه تتولد هذه القوة فيه فيجذب اليه بعض الاجسام ولذلك سميت باسمه ، وأول من شاهد ذلك فيلسوف يوناني يسمى ثيلس (Thales) سنة ٦٠٠ ق م

وهي تولد بطرائق عديدة أهمها أربع : —

(١) الاحتكاك فإذا ذلك الزجاج بالحرير تولد فيه كهروباء من النوع المسمى «بالكهروباطية الزجاجية» وإذا ذلك الراتينج (وهو يتولد من الزيوت الطيارة بالتأكسد وبشبه الصمغ) بتماش الصوف المسمى (فلانلا) تولدت فيه قوة كهروباطية من نوع آخر تسمى بالكهروباطية الراتينجية

(٢) التفاعل الكيماوي فإذا وضع عهود من الزنك (الحارصين) وعهود آخر من النحاس في حامض الكهريتيك المخفف ووصل بينهما بسلك حصل التفاعل الكيماوي بين الحامض وبين الزنك وتولدت قوة كهروباطية تسري من النحاس الى السلك ومنه الى الزنك ومنه الى الحامض حتى تعود الى النحاس ثانية فكانها تجري في دائرة كاملة، ويسمى مجموع ذلك بالخلطية الكهروباطية

واجتماع عدة خلايا كهذه بحيث يتصل بعضها ببعض ويتكون منها دائرة تجري فيها الكهروباء، تسمى بالبطارية الكهروباطية

وكلمة بطارية مشتقة من كلمة (Battre) الفرنسية ومعناها الضرب أو القرع ، وعليه فيمكننا تسمية البطارية بالعربية (القارعة) ويشترط في كل الخلايا أن يوجد فيها عود لاينفعل بالحامض وعامود آخر ينفعل به. فن الأشياء التي لا تنفعل بالحامض النحاس — كما قلنا — والفحم والبلاتين (الذهب الأبيض) والجسم المتفاعل المعتاد هو الزنك

وجميع الاجسام تشتمل على نوعين من الكهروباء متميزين معا وهما الزجاجية والراتينجية ويسميان أيضا الموجبة والسالبة فإذا انما النوعان اتحدا ، ذاك اتحدا

اختلفا وتنافرا، ففي كل خلية يتولد كهرباء سالبة في أعلى الزنك وموجب في أسفله وفي النحاس يتولد موجب في اعلاه وسالب في أسفله فيتحد موجب النحاس مع سالب الزنك في السلك خارج الخلية، ويتحد موجب الزنك مع سالب النحاس داخل الحمض. ولكن للتسهيل اصطلاح العلماء على أن يقولوا إن التيار الكهربائي يسري من العمود غير المنفصل الى العمود المنفصل، ويسمى الاول عندهم بالقطب الموجب والثاني بالقطب السالب

(٣) التأثير، ومن ذلك انه إذا وضع قطب موجب بجوار جسم متعادل (أي فيه النوعان متزجان كجميع الاجسام) انفصل السالب واتحد مع القطب الموجب وتولدت شرارة كهربائية من اتحاد النوعين، وبقي في الجسم الذي كان متعادلا نوع واحد فقط وهو الموجب

ومثل هذا الاتحاد المولد للشرارة اتحاد كهربائية السحاب المختلفة النوع بعضها مع بعض أو مع كهربائية الارض السالبة فيتولد من اتحادها نار عظيمة (الصاعقة) وصوت مزعج (الرعد) بسبب تماوج الهواء، وضوء شديد (البرق) وتولد الكهرباء على سطح الارض بما يحصل عليه من الاحتكاك والتبخر والتكاثف والاحتراق ونمو النبات

#### المغناطيس الارضي

دوران هذه التيارات الكهربائية حول الارض يكسبها قوة المغناطيس (١) فيجذب قطباها قطبي قطع المغناطيس الاخرى المغايرين لها (كناموس الكهرباء السابق) فالقطب الشمالي يجذب الجنوبي والجنوبي يجذب الشمالي؛ وذلك هو سبب اتجاه (ابر الملاحين المغناطيسية) المسماة باللغة العربية «بيت الابر» وباللغة الفرنسية «بوصله» (Boussole)

وكذا ان الكهرباء تولد بالتفاعل الكيميائي كذلك تولد في الاجسام الحية (١) المغناطيس كلمة يونانية مأخوذة من اسم مغنيسيا Magnesيا في ليديا بأسية الصغرى حيث وجدت بكترة أول قطع من الحديد لها هذه القوة ولكنها وجدت فيما بعد كثيرا في الترونج والسويد وبعض بلاد امريكا وغيرها

من نبات وحيوان، فالعضلة العاملة المتحركة في جسم الانسان تكون سلبية بالنسبة للعضلة الساكنة

ويوجد من السمك ما فيه كهربائية عظيمة يحس بها الانسان بمجرد لمسه له كالسمك المسعى (بالزجاج)

(٤) تسخين قطب مصنوع من معدنين مختلفين كالبرموت والانتيمون يولدفه كهرباء . فهذه هي الطرائق التي بهمنا معرفتها

## النور

النور عرض معروف من أعراض المادة يتولد من حركة أجزائها الاثيرية حركة مخصوصة وهذه الحركة الاثيرية تنبعث من جميع جهات الجسم المضيء في خطوط مستقيمة، ولا يلزم لانتشار النور في الجو سوى هذه المادة الاثيرية بخلاف بعض الاعراض الاخرى كالصوت مثلاً فإنه يلزم له مادة محسوسة كالهواء لنقله ولذلك يصل النور الينا من الشمس والقمر والنجوم مع العلم بان هذه الاجرام مفصول بعضها عن بعض بمسافات شاسعة خالية من الهواء أو أي جسم آخر سوى الاثير

وسرعة النور في سبيله تساوي نحو ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر في الثانية (١٨٦ الف ميل)

مصادر النور قسبان:

(١) صناعي :-

(أ) الاحتراق كاحتراق الزيت والشمع وغيرها

(ب) الكهرباء

(٢) طبيعي كالشمس ، ومن هذا المصدر يتولد النور أيضا بالاحتراق وغيرها فالاجرام السماوية المضيئة بذاتها هي اجرام مشتعلة بالنيران، وأما المضيئة بغيرها كالقمر فتعكس عليها الأشعة من نور الشمس كما تنعكس في المرآة ولذلك قال تعالى ( فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ) وقد يتولد النور بتحريك ذرات

بعض الاجسام فيتأوج بها الاثير فيضيء

والنور الابيض مركب من سبعة ألوان وهي (١) البنفسجي (٢) والبنيلي (٣) والازرق (٤) والاخضر (٥) والاصفر (٦) والبرتقالي (٧) والاحمر

أما السواد فهو عدم النور مطلقا. وكل لون من هذا الالوان السبعة يتولد من حركة مخصوصة في الاثير أسرعها التي تولد البنفسجي وأبطؤها التي تولد الاحمر فاذا توالى سقوط هذه الحركات المختلفة على شبكة العين أدرك الانسان نورا أبيض، ومن ذلك يفهم أنه اذا أتى قرص مستدير وقسم الى سبعة أقسام ولون كل قسم منها بلون من هذه الالوان السبعة وأدير هذا القرص بسرعة شديدة رأينا لونه أبيض ويسمى هذا القرص في علم الطبيعة ( قرص نيوتن )

سنة الله في رؤية الاجسام

رؤية جميع الاجسام تحصل بسقوط أشعة النور عليها ثم انعكاسها عنها الى العين فيصيرها الانسان وان كان هو في مكان مظلم اذ شرط الرؤية أن يكون المرئي في مكان مضيء لا لارائي، فهو يراها وان كانت في مكان مظلم فلا يراها، ولو كان الابصار ناشئا عن نور يستط من العين نفسها لراى الانسان الأشياء التي في الأماكن المضيئة والمظلمة على حد سواء . هذا إذا لم يكن الجسم مما يولد النور بنفسه كالفسفور وكبريتيد الكليسيوم فانه يجمع أشعة الشمس في أثناء النهار ويحفظها الى الليل، وكذلك عنصر الراد يوم فأنه يولد نورا في الظلام وفي بعض حيوانات البر والبحر نور ينبعث منها في الظلام ومنها ذباب معروف يسمى « الجباب »

واذا انعكست جميع التأوجات التي في النور الابيض من الجسم الى العين رأيت لونه أبيض، ومن ذلك تفهم حكمة لبس الملابس البيضاء في الصيف فانها تعكس جميع أشعة النور والحرارة الى الخارج وأما الاجسام السوداء فهي تمتص جميع الاشعة ولا تنعكس منها شيئا

وأما الاجسام الاخرى كالزرقاء مثلا فهي تمتص جميع أمواج النور ماعدا التي تحدث اللون الازرق، وهكذا يقال في باقي الالوان الاخرى واذا سقط النور على أي سطح فان زاوية السقوط ( وهي الحاصلة من الشعاع



الساقط مع عمود وهمي على السطح العاكس) تساوي زاوية الانعكاس (وهي  
الحاصلة من الشعاع المنعكس مع العمود الوهمي المذكور)

وإذا كان الجسم الذي سقط عليه النور في الماء مثلاً انبعث منه الشعاع فخرج  
من الماء وانكسر ومال بعيداً عن الخط الوهمي المفروض  
وإذا كان الجسم للمضيء في الهواء انبعثت منه الأشعة ونفذت إلى الماء  
فينكسر الشعاع أيضاً ويميل إلى الخط الوهمي المفروض

فهذه سنن إلهية مطردة في انعكاس النور وانكساره، وبمقتضى سنة الانكسار  
ترى الأجسام الموضوعة في الماء في مكان أعلى من مكانها الحقيقي ومثل ذلك أيضاً  
روية القصبان كالصبي مثلاً موهجة إذا وضعت في الماء

وكذلك ترى أشياء على الأرض كأنها معلقة في السماء، فيشاهد في بعض الجهات  
أناس وخيل وحجر وغير ذلك ماثية في السماء بين السيوم، وأصلها أشياء موجودة  
على الأرض ولانكسار أشعة النور في طبقات الهواء المختلفة الكثافة تشاهد هذه  
المنظروهي كلها من خطأ الحس

ورؤية الأجسام في المرآة تحصل بانعكاس أشعة النور المنبعثة من الجسم عن  
المرآة فصل منها إلى العين

ومن السنن الإلهية في هذه المسئلة أن تكون المسافة بين الجسم الحقيقي  
والمرآة تساوي تماماً المسافة بين المرآة والجسم الموهوم خلفها

#### انكسار النور في المنشور والعدسات

بسبب انكسار الأشعة في الأجسام المختلفة الكثافة تنكسر الأشعة في المنشور  
(الزجاج المثلث السطوح) ويميل إلى قاعدته فإذا وضع منشوران قاعدة كل منهما  
على الأخرى انكسرت الأشعة أيضاً نحو القاعدة واجتمعت في نقطة معينة. ومثل  
المنشورات في جمع الأشعة العدسات فإنها تجمع الأشعة أيضاً نحو مركزها ولذلك  
تستعمل هذه العدسات في جمع أشعة الشمس الاحراق وتستعمل أيضاً في جمع أشعة

النور في التصو بر كما في الآلات الفتوغرافية (١)

علمنا مما سبق ان النور مركب من سبعة ألوان فاذا انكسر النور الأبيض في المنشور تحلل الى ألوانه الأصلية ويكون اللون البنفسجي أقربها الى القاعدة ويليهِ النبي فالأزرق فالأخضر فالأصفر فالبرتقالي فالأحمر . وأشد الألوان انكسارا البنفسجي وأقلها في ذلك الأحمر

فالمنشورات وان كانت تجمع أشعة النور كلها الا أنها مع ذلك تفرقها الى ألوانها الأصلية ، وبمقتضى هذه السنته تنكسر أشعة نور الشمس في نقط الماء الساقط من السحاب فينشأ من ذلك ما يسمى (قوس قزح) وهو مركب من ألوان النور السبعة

أما اذا مر النور خلال جسم ما وكان هذا الجسم مما يمتص بعض الأشعة فان لون هذا الجسم المدرك لنا هو ما يحصل من الأشعة الباقية . مثل ذلك الزجاج الأزرق اذا نفذ فيه النور امتصت (محت) جميع الألوان ما عدا اللون الأزرق وهكذا يقال في الألوان الأخرى

وأشهر العدسات اثنان (١) المحدبة من الجانبين (٢) والمقعرة من الجانبين أما العدسة الأولى فيمكن اعتبارها كأنها منشوران اجتماعا وكانت قاعدتهما نحو المركز وأما العدسة الثانية فيمكن اعتبارها كأنها منشوران اجتماعا ورأسهما نحو المركز

ومن ذلك يفهم ان العدسات المحدبة تجمع الأشعة نحو المركز (أي نحو قاعدتي المنشورين)

وأما العدسات المقعرة فانها تفرق الأشعة بعيدا عن المركز (أي تباعد فيها الأشعة نحو القاعدتين)

واذا مر نور أبيض من مصباح عادي خلال منشور رأينا هذه الألوان السبعة كما تقدم . واذا كان هذا النور المار في المنشور صادرا من احتراق عنصر واحد رأينا

(١) فتوكلمة يونانية معناها النور وغراف يونانية أيضا معناها الرسم فمعناها «رسم النور» أو التصوير الشمسي

لونا واحدا فقط كنور الصوديوم مثلا فإنه أصفر وإذا نفذ في المنشور لم يتغير وإذا مرت هذه الألوان السبعة خلال الصوديوم مثلا في حالته الغازية امتص منها اللون الأصفر وبقيت الألوان الأخرى ومن ذلك يفهم أن العناصر في حالتها الغازية تمتص من الألوان السبعة اللون الذي تولده هي. وعلى هذه القاعدة وضع المنظار القرحي ( Spectroscope )

فإذا نظرنا بهذا المنظار إلى نور الشمس رأينا الألوان السبعة ناقصة ونرى ما ينقصها من الأجزاء كأنها خطوط سوداء، وهي ناشئة من وجود عدة عناصر في الحالة الغازية تحيط بجرم الشمس وبسبب نفوذ الأشعة خلال هذه العناصر الغازية فقد بعضها والسبب في كون هذه العناصر غازية هو شدة حرارة نار الشمس

وبهذا المنظار أمكن العلماء معرفة تركيب الأجرام السماوية وعناصرها، ولم طريقة أخرى لمعرفة هذه العناصر وهي تحليل ما يستط منها إلى الأرض ( كالشهب والنيازك ) ولهذا المنظار فائدة أخرى عظيمة في المباحث الطبية الشرعية وغيرها ومن الأشعة الشمسية نوعان آخران سوى أشعة الزور وهما (١) أشعة الحرارة

(٢) أشعة الفعل الكيماوي وهما غير مدركين بالعين أما أشعة الحرارة فيوجد أشدها بعد اللون الأحمر وأما الأشعة الكيماوية فيوجد أشدها بعد اللون البنفسجي

وهذه الأشعة الكيماوية هي التي تحلل أملاح الفضة في ألواح الآلة الفوتوغرافية وتحدث عليها الصور

أما الآلة الفوتوغرافية فهي عبارة عن غرفة مظلمة تدخل الأشعة فيها من فتحة صغيرة في جدارها الأمامي وفي هذه الفتحة عدسة محدبة من الجانبين لجمع الأشعة حتى تكون الصور المرسومة داخلها على البدار الخلفي بلبية واضحة، فإذا وضع لوح من الزجاج مغطى بمواد فيها ملح من أملاح الفضة أمام هذا البدار الخلفي رسمت الصور عليه وأحدثت الأشعة تغييرا كيمياويا في المادة الموضوعة على هذا اللوح وبذلك أمكنهم أخذ صور المراتب ورسمها بهذه الطريقة

وهذه الآلة الفوتوغرافية تشبه العين الباصرة في تركيبها

## العين الباصرة

العين كرة مظلمة في داخلها ، ويصل إليها النور من فتحة صغيرة تسمى انسان العين وهذه الكرة ( المثلة ) موضوعة في تجويف من الوجه يسمى ( الحجاج ) ويفطئها في هذا التجويف الجفنان . وحكمة الاهداب أن تمنع التراب وغيره بقدر الامكان وتقلل من ضرر أشعة الشمس الشديدة

وتغسل العين بماء يسمى الدمع تفرزه غدة موضوعة في الجهة العليا الخارجية من الحجاج داخل الجفن الاعلى ويتصرف الدمع بعد غسل العين بقتاتين موضوعتين في الجفنين بقرب الانف متصلتين بكيس صغير في أعلى قسبة الانف يسمى الكيس الدمعي ومنه يجري الدمع بقعة تصب في أسفل الانف أما طبقات العين فهي من الامام الى الخلف كما يأتي : —

(١) الملتحمة وهي التي تبطن الجفون وتغطي المثلة من الامام وهي شفافة في جزئها المتوسط لدخول النور

(٢) القرنية وهي الجزء الشفاف المستدير الذي يرى كالسواد أو غيره

(٣) الصلبة وهي في مستوى واحد مع القرنية فكأنهما غشاء واحد كروي

الشكل تقريبا

(٤) القرزحية وهي التي تحيط بانسان العين من جميع الجهات

(٥) المشيمية وهي أيضا في مستوى واحد مع القرزحية ولونهما ومادتهما واحدة فيها أوعية كثيرة ومادة ملونة . وهذه الطبقة هي أعظم ما يجعل العين مظلمة من الداخل

(٦) الشبكية وهي تبطن نحو ثلثي العين من الداخل ، وهي الطبقة العصبية الحساسة المتصلة بالعصب البصري الواصل الى المخ وعليها ترسم صور المرئيات التي يدرها الانسان

ولجمع أشعة النور ورسم الصور عليها يوجد عدة أجسام كثيفة شفافة في العين لكسر أشعة النور وهي بعد القرنية ٦ المائبة وأكثرها بين القرنية والقرزحية ٧ ويلها البلورية وهي بعد القرزحية وشكلها كهدسة مستديرة ومحدبة من الجانبين ٨

ويليهما الزجاجية، وهي مادة هلامية (كالملودج) شفافة تماماً بطن العين بعد البورية ثم ان القرنية قد تتسع وتضيق بألياف عضلية فيها بحسب حاجة العين الى النور وبما تقدم يفهم أن أشعة النور تجتمع على الشبكية في العين الطبيعية ولكن من الناس من أعينهم صغيرة أو كبيرة عن الحجم المعتاد فتحتاج الاعين الصغيرة الى عدسات ( نظارات ) محدبة، وتحتاج الكبيرة الى عدسات مقعرة ، ولولا ذلك لما اجتمعت الاشعة في العين الصغيرة الا خلف الشبكية (هذا على فرض انه لا يحجبها شيء) وفي العين الكبيرة أمام الشبكية. وما دامت جميع أوساط العين التي يمر فيها النور شفافة فإن كان في إِبصار العين السليمة ضعف فالغالب ان يكون سببه صغر حجم العين أو كبرها فتصلح بالنظارات  
الرمد الصديدي والحبيبي

ومن أعظم أسباب عماتة بعض هذه الاوساط ( كالقرنية ) هو اصابة العين بالرمد الصديدي أو الرمد الحبيبي المنتشر في مصر  
ولاحتراس من هذين الرمدين يجب تنظيف العين نظافة تامة وعدم مسها بأي شيء فيه أقل وسخ

أما ميكروب الرمد الصديدي فهو ميكروب ( السيلان ) أيضا ويصل الى العين بالاصابع أو المناديل أو الملابس أو غير ذلك، وهو مرض فتاك بالعين لانه كثيرا ما يسبب قرحا في القرنية تؤول الى ظلمتها حتى لا ينفذ الدور منها فتصبح عمياء وتسمى هذه الظلمة بالنقط أو البياضات

وأما الرمد الحبيبي فيمكروبه ينتقل من شخص لاخر كما ينتقل ميكروب الرمد الصديدي فلذا يجب الاحتراس منه بالنظافة والبعد عن الارمد

وأبسط دواء بعد الماء لتنظيف عين كل شخص محلول حامض البوريك المشيع ويجب طرد كل حشرة تقترب من العين كالذباب وغيره فانه من أعظم الاسباب لنقل أنواع الرمد، ويجب اتقاء التراب اذا ثارت الريح بوضع نظارات لوقاية العين منه. وبما بقي الطفل شر الرمد الصديدي أن يفصل عيناه عقب الولادة مباشرة بمحلول السلجاني (١ في ٥٠٠) ويوضع فيها نقط من محلول نترات الفضة (٢ في ١٠٠)

## النبذة الثانية في التشريح ووظائف الأعضاء

وما يلزمها من اقوال الصالحة

التشريح نوعان نوع تدرك فيه جميع أعضاء الجسم بلعين المجردة ويسمى بالتشريح العادي ونوع نستعمل فيه الميكروسكوب ( المنظار الدقيق ) لادراك جميع دقائق الجسم ويسمى هذا النوع بالمستولوجيا ( التشريح الدقيق )

فلنبدا الآن بالكلام على النوع الاول

يتركب الجسم الانساني أولا من العظام فهي كالاساس الذي تبنى عليه جميع الاجزاء الرخوة والاحشاء ولذلك يسمى مجموع هذه العظام الهيكل الانساني

### العظام

العظام نوعان : ( النوع الاول ) العظام الصلبة كهظام الاطراف ، وصلابتها كصلابة العاج ، وهي جوفاء تمر في وسطها قناة ممتلئة بمادة كالدهن تسمى ( تقو العظام ) أو ( تقيه ) وأما النوع الثاني فيسمى بالاسفنجي ، كفقرات الظهر والضلوع ، وهو أيضا مغطى بطبقة رقيقة من العظام الصلب وبداخله تجاويف عديدة صغيرة غير منتظمة تشبه الاسفنج وهذه التجاويف ممتلئة أيضا ببقية يميل الى الحمرة ، وهو أعظم مكان تولد فيه كريات الدم الحمراء خصوصا التي تخرج من بقية الضلوع أما عظام الهيكل الاندائي فهي كثيرة واليك عددها : —

(١) المجموعة ( مجموعة عظام الرأس والوجه ) وهي مركبة من ٢٢ عظما منها ١٤

للوجه و٨ للرأس

(٢) — الفقرات — وهي المسماة بالصلب وعند العالمة سلسلة الظهر وهي مركبة

من ٣٣ قطعة كل منها تسمى فقررة وفقارة : منها سبع ٧ فقرات للعنق و١٢ للظهر و٥ للقطن و٥ للعجز و٤ للعصعص المسماة بعجب الذنب

(٣) الضلوع وهي عادة في الذكر <sup>(١)</sup> والاثني ١٢ في كل جانب وهي متصلة

(١) أما خالق حيوان من أحد أضلاع آدم فالظاهر أنها خرافة يهودية وان كان

لها مغزى عظيم

من الخلف بالفقرات ، ومن الامام بالقص ( عظم الصدر )

(٤) القص مركب من ثلاث قطع . وكيفية اتصال الضلوع به كما يأتي : —

سبع ضلوع متصل كل منها به بغضروف على حدة وتسمى بالضلوع الصادقة ، أما الثلاث التي بعدها فتصلة معا بغضاريف تتصل بغضروف الضلع السابعة وأما الاثنتان الباقيتان فهما غير متصلتين من الامام بشيء مطلقا ويسميان بالضلعين العائيتين ، وهذه الضلوع الخمس الاخيرة تسمى بالضلوع الكاذبة

(٥) عظام الاطراف العليا وتتركب كل طرف من عظم العضد ثم الساعد وهو مركب من عظمين : الكعبرة وهي العظم الخارجي ، والزند وهو العظم الداخلي ) ثم رسغ اليد وهو مركب من ثمانية عظام صغيرة ، ثم عظام المشط وهي خمسة لكل أصبع عظم يحملها ، ثم عظام الاصابع الخمس وهي ثلاث لكل أصبع ، ماعدا الإبهام فله عظامان

(٦) عظام الاطراف السفلى وكل منها مركب من عظم الفخذ ، ثم الساق وهو مركب أيضا من عظمين : الشظية من الخارج والقصبة من الداخل ، ثم عظام رسغ القدم وهي مركبة من سبعة عظام صغيرة أيضا ، ثم عظام المشط وهي خمس لكل أصبع واحدة تحملها ثم عظام الاصابع ، وهي ثلاث لكل منها ماعدا الإبهام القدم فله عظامان فقط

ومن العظام أيضا غير ما تقدم (١) التراقي وهما عظامان كل منهما يسمى ترقرة موضوعان في أعلى الصدر من الامام

(٢) اللوحان وهما عظامان عرضان موضوعان بأعلى الصدر من الخلف

(٣) الداغصتان وهما الموضوعتان أمام الركبتين ويسميها بعض اطباء

المحدثين بالرضفتين ولكن ما اخترناه هنا هو الاصح لغة

(٤) عظام الحوض وهما اثنتان يكونان مع العجز والعصعص تجويفا كالطاست يوجد فيه المستقيم والثانية في الذكر والرحم والمبيضان وغيرها في الانثى . ويوجد غير ذلك عظام أخرى صغيرة جدا كما بين بعض عظام الرأس وفي الاذن وعظام صغيرة توجد بقرب بعض المفاصل تسمى « السسمية » والعظم اللامي للعنق والاسنان

أما الاسنان فهي في الطفل عشرون في كل فك عشر ، ويبتدى ظهورها من الشهر السادس الى الرابع والعشرين ، ولذلك كانت مدة الرضاع الكاملة حولين كاملين ، وفي الكبير اثنتان وثلاثون سنا يبتدى ظهورها من السنة السادسة ويتم في الخامسة والعشرين على الاغلب بظهور أربعة أضراس في آخرها تسمى أضراس العقل لان بظهورها يتم بلوغ الانسان رشده وهي النواجذ أو أضراس الحلم

والفرق بين مندوج العظام وغيرها من الاجزاء الاخرى للجسم من الوجهة السكباوية إنما هو في وجود أملاح عديدة في الماد التي بين خلاياها مثل فوسفات الكالسيوم و كربونات الكالسيوم وفوسفات المغنسيوم وهذه الاملاح جميعا يوجد منها كمية كبيرة في العظام ، وهي السبب في يسسها فاذا أذيت من العظم ببعض الحوامض صار العظم رخوا طريا

#### المفاصل

وجميع هذه العظام متصل بعضها ببعض بالمفاصل ، والمفاصل ثلاثة انواع :  
(١) مفاصل متحركة حركة تامة كالكتف و (٢) مفاصل غير متحركة كما بين عظام الجمجمة و (٣) مفاصل بين بين أي ان حركتها متوسطة فلا هي معدومة بالمرة ولا هي متحركة حركة كبيرة وذلك كالمفاصل التي بين الفقرات

والفرق بين المفاصل المتحركة حركة كاملة ( وهي الاولى ) وبين غيرها أنها عبارة عن تجويف محاط بمندوج ليفي وبعض أربطة أخرى وهي مبطنة بغشاء أملس يفرز مادة مصفرة قليلا تشبه زلال البيض والغرض منها تسهيل الحركات فهي كالزيت للآلات الحديدية ( فسبحان الخالق الحكيم )

وجميع العظام مغطاة<sup>(١)</sup> بغشاء ملتصق بها التصاقا شديدا وفيه أوعية الدم ومنه تنفذ بحيث اذا أتلف هذا الغشاء أو أزيل بمرض أو غير مرض يموت العظم الذي تحته ، وهذا الغشاء يسمى بالسمحاق . وموت العظم يسمى النخر أو التآكل وهو المسمى عند العامة بالتسويس . والفرق بينهما أن الاول ( النخر ) تموت فيه قطع

(١) ما عدا أطرافها الفضروفية



كبيرة من العظم بمجملتها ، والثاني — التأكل — تموت فيه أجزاء صغيرة تنفصل عن باقي الجسم شيئا فشيئا

### العضلات

جميع حركات الجسم تكون بالعضلات، وهي المسماة باللحم وبعض هذه العضلات أبيض اللون، كما في بعض الحيوانات مثل السمك والارانب، وبعضها لونه أحمر، كما في الانسان وغيره من الحيوانات. والسبب في حرمتها اشتغالها على جزء في منسوجها من حمرة الدم المسماة بالهيموجلوبين ومن غيرها ولذلك كان اللحم الاحمر أكثر تغذية من اللحم الابيض ولكنه أعسر هضما

والعضلات تأتي عملها في تحريك الجسم بالانقباض، وهي ثلاثة أنواع :

( ١ ) العضلات الاختيارية، وهي الموجودة حول عظام الهيكل كله، وأكثرها يوصل بين عظمين فأكثر، وينتهي غالبا بما يسمى بالاوراق، وهي منسوجة ليفي أبيض اللون متين جدا يشبه الحبال ويدغم في العظام المتحركة، فإذا قصرت العضلة أو انقبضت انثنت العظام بعضها على بعض، وحركة هذه العضلات هي باختيار الحيوان، وهي التي قسمناها الى بيضاء وحمراء، والبيضاء أرقى شكلا وأسرع عملا

(٢) العضلات غير الاختيارية، وهي التي توجد في جدر الامعاء وأوعية الدم وغيرها كالحالب<sup>(١)</sup> ومختلف شكلها عن القسم الأول إذا نظرت بالمجهر الميكروسكوب، اختلافا كبيرا، وحركتها ليست بارادة الحيوان ولكن الاعصاب تأثيرا فيها مادامت مرتبطة بها فإذا انفصلت عنها استقلت بعملها كالامعاء بعد قطع جميع أعصابها فان الطعام كاف لتنبهها

وكل انقباض للعضلات اختيارية كانت أو غير اختيارية لا يحصل الا بمنبه. وأنواع المنبهات خمسة (١) المواد الكيميائية (٢) الحرارة (٣) الافعال الآلية (الميكانيكية) كالضرب على العضلات أو القرص (٤) الكهرباء (٥) التيار العصبي، فالاربعة الاولى ممكن حصولها خارج الجسم بعد ذبح الحيوان. أما المنبه العصبي فان كان

(١) مجري البول الواصل من الكلية الى المثانة

منشؤه من المخ كان فعلا اختياريا والا كان غير اختياري  
ومصدر التنبيه العصبي سواء أكان من المخ أم من النخاع هو من الخارج أيضا - كما يرى  
الآن جمهور الفسيولوجيين - ويرى بعض الناس أن المخ يمكنه أن يبدأ التنبيه من ذاته  
وإذا وصل التنبيه الخارجي إلى المراكز العصبية ومنها ارتد إلى الأعضاء أو  
المضلات فحركها سمي ذلك « بالفعل المنعكس »

( ٣ ) عضلة القلب، وهذه العضلة تختلف أيضا في شكلها الميكروسكوبي عن  
النوعين السابقين، وهي غير خاضعة للتنبيه العصبي إلا من حيث الكثرة أو القلة أو  
الضعف أو القوة أو نحو ذلك . وأما انقباضها فيحصل بقوة فيها خاصة بها ليست  
ناشئة عن منبه خارجي

وعليه فالفرق بين هذه الأنواع الثلاثة يلخص في الكلمات الآتية :-  
تقبض المضلات الاختيارية بعلم المخ وتأثيره؛ وغير الاختيارية بدون علمه،  
ولكنها خاضعة للاعصاب ما دامت في الجسم ولا بد من تنبيهها بشيء ولو غير عصبي  
والأما التي قبضت ، وأما القلب فيقبض بنفسه بدون سبب خارجي، وسواء اتصلت  
به أعصاب أم لم اتصل، وإنما يمكن للأعصاب أن تزيد في ضرباته أو تنقص منها  
أو نحو ذلك، أما منشأ الحركة فلا علاقة لها به ولا يعلمه إلا الله تعالى

### الاعصاب

مراكز الاحساس والحركة في الجسم الانساني محصورة في المخ والنخاع وحوله.  
فالخ عبارة عن جسم كبير موضوع في الجمجمة، وهو مركب من فصين عظيمين  
متصل أحدهما بالآخر من أسفلهما ، وفي كل فص من الفصين تجويف ممتلئ بمحز من  
سائل، ويسمى هذا التجويف بالبطين ، والمخ مغلف بثلاثة أغشية تسمى جميعها  
السحايا وكل منها يسمى الام

وجوهر المخ نوعان ( النوع الاول السنجابي ) وهو المغلف سطحه، وهو مركب  
من خلايا عصبية لها وظائف مختلفة. ويقسم سطح المخ إلى عدة أقسام. فنه جزء  
للإبصار، وهو في الخلف، وجزء للحركات الاختيارية، وهو في جانبه، وجزء للكلام  
وهو في الجهة اليسرى الجانبية، وجزء للسمع وغير ذلك. وكل جانب من المخ متصل

بالبناب الخائف له من الجسم، فحركت العضلات التي في الاطراف اليسرى متصلة بالجانب الايمن من المخ وبالعكس، ما عدا قوة الكلام فانها في الجانب الايسر في غالب الاشخاص. أما العُسر وهم الذين يعملون بشئائهم فيوجد مركز الكلام عندهم في الجهة اليمنى من المخ

( النوع الثاني الابيض ) ومكانه تحت القشرة السنجابية، وهو عبارة عن ألياف عصبية توصل أجزاء المخ بعضها مع بعض وتوصله بالنخاع

الخنيخ : موضعه مؤخر الجمجمة في أسفل المخ، وهو أيضا مركب من فصين صغيرين ليس بهما تجويف بخلاف فصي المخ، وبينهما جسم كاللدودة ير بطهما وهو أهم منهما. ووظيفته حفظ التوازن في الجسم

النخاع : يتدنى من الجمجمة الى الحافة السفلى للفقرة الاولى القطنية وذلك في الكهول، أما في الاجنة فانه يملأ القناة الفقرية كلها الى الشهر الثالث. وهو جسم اسطواني مغطى أيضا بثلاثة أغشية كاغشية المخ من كل وجه. ويتركب من جوهرين أيضا أبيض وسنجابي، ولكن الجوهر الابيض منه في الخارج والجوهر السنجابي في الداخل، والابيض عبارة عن ألياف عصبية كما في المخ، والسنجابي عبارة عن خلايا عصبية كما في المخ أيضا

والجزء السنجابي مركب من هلالين تحديدهما انسي وقرنا كل منهما الى الامام والخلف ويجمع بين الهلالين عند جزئهما المحذب، وفي مجموعهما قناة صغيرة دقيقة تمتد في طول النخاع كله وتتصل في أعلاها بتجاويف المخ ( البطينات )

يتصل بالمخ اثنا عشر زوجا من الاعصاب لها وظائف عديدة: فمنها ما يحرك بعض العضلات في الوجه وغيره، ومنها ما يحصل به الاحساس، ومنها ما هو خاص بنوع من الاحساس كالعصب البصري الذي يحصل به ادراك المرئيات، وكعصب السمع وغيرهما ويتصل بالنخاع ٣١ زوجا من الاعصاب: ٨ منها تخرج من بين فقرات

العنق، و١٢ من بين فقرات الظهر، و٥ من بين فقرات القطن، و٥ من بين فقرات العجز، و١ من العصص. وهذه الاعصاب يتركب كل فرد منها من قسمين: أماي وخلفي، فالأماي لحركة العضلات والخلفي للاحساس. أما الخلايا التي يصدر

منها الجزء الامامي فتوجد في القرون الامامية للمادة السنجابية في النخاع. وأما خلايا الجزء الخلفي فتوجد خارج النخاع ويتكون منها عقد صغيرة موضع أكثرها في القوب التي بين الفقرات ولكنها خارج سحايا النخاع. وبعد هذه العقد مباشرة يتحد الجزء الامامي المحرك مع الجزء الخلفي الحساس فيتكون منهما عصب واحد فيه الوظيفتان ثم ينقسم هذا العصب الى قسمين أيضا: قسم امامي للحس والحركة، وقسم خلفي لهما أيضا فالألياف الخاصة بالحركة في القسمين ( التي أصلها من القرون الامامية للنخاع ) تنتهي بالعضلات وهي التي تحدث فيها الحركة ( أي تسبب انقباضها ) والألياف الخاصة بالحس ( وهي الآتية من العقد التي خارج النخاع ) تنتهي بالجلد وغيره وهي التي يحصل بها الاحساس في الحيوان عند مس أي شيء. وجميع هذه الاعصاب ترى في الجسم الانساني عند تشريحه كحبال بيضاء منها الدقيق ومنها الغليظ ، وأغلظها عصب عظيم يوجد داخل الورك ويوزع على الساق كلها ، وهذا العصب اذا أصابه مرض ما حدث عنه ألم شديد في الفخذ يسمى بقرق النسا

ويوجد مجموعة أخرى من الاعصاب تسمى الاعصاب السمباتوية وهي مركبة من عقد وألياف أيضا وموزعة على جميع الاحشاء وعلى جميع أوعية الدم ، ومتصلة أيضا بالمجموعة الاولى المركبة من المخ والنخاع. والاعصاب السمباتوية وظيفة هامة جدا في عمل جميع الاحشاء وحركة عضلات جدر الشرايين في انقباضها وانبساطها الا أنها ليست مستقلة في وظيفتها عن المجموعة الأولى . ومعنى «سمباتيا» المشاركة في الشعور أو الاحساس، وهي لفظ يوناني، وسميت بذلك لان بها ترتبط الاحشاء بعضها مع بعض، ومع الأوعية الدموية فكان كلا منها يشعر بالأخر، وعليه فيمكننا تسميتها بلغتنا العربية « مجموعة الارتباط العصبي »



# التاريخ

## جعل مصر سلطنة تحت حمايت انكلترة

كان أول عواقب دخول الدولة العثمانية في الحرب الأوربية أن أعلنت انكلترة ازالة سيادتها الرسمية عن مصر وجعلها تحت الحماية البريطانية وتسميتها سلطنة وتسمية الامير حسين كامل باشا أرشد أسرة محمد علي باشا سلطانا عليها

في ١٩ ديسمبر الماضي ذهب المستر ملن شيتام متولي أعمال الوكالة البريطانية والمستر ستورس سكرتيرها الشرقي الى القصر الذي يقيم فيه الأمير حسين كامل باشا وقدا اليه بلاغ الحكومة البريطانية المؤذن بجعل القطر المصري تحت حمايتها وبجعله سلطانا من قبلها لمصر وهذه ترجمته بالعربية كآشرفي الجرائد :

### البلاغ البريطاني

يا صاحب السمو ! كلفني جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ان أخبر سموكم بالظروف التي سببت نشوب الحرب بين جلالاته وبين سلطان تركية وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

كان في الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح عن بآله ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الاصلاح في تركية ومقتنع بان الحرب التي دخل فيها جلالاته لآتمس مصالح تركيا في شيء ومرتاح لما صرح به جلالاته وحلفاؤه من ان هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لآفي مصر ولا في سواها . وأما الحزب الآخر فشرذمة جنديين افاقين لآضمر لهم أرادوا اثاره حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالاته معللين أنفسهم أنهم بذلك يتلافون ما جروه على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية . أما جلالاته وحلفاؤه فع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا الى آخر لحظة وهم يأملون أن

تغلب النصائح الرشيدة على هذا الخرب لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثلته حتى أرغوا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية وهاجمة الأسطول التركي بقيادة ضباط المانيين ثغورا روسية غير محصنة

ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق قد انضم انضماماً قطعياً الى أعداء جلالاته منذ أول نشوب الحرب مع المانية

وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديوي السابق على بلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت الى جلالاته

ولما كان قد سبق لحكومة جلالاته أنها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالاته في بلاد مصر أنها أخذت على عاتقها وحدها مسؤولية الدفاع عن القطر المصري في الحرب الخاضرة فقد أصبح من الضروري الآن وضع شكل للحكومة التي ستمحكم البلاد بعد تحريرها كما ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التي كانت تدعيها الحكومة العثمانية

فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي آلت اليها بالصفة المذكورة. وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سني الاصلاح الثلاثين الماضية. ولذا رأت حكومة جلالاته ان أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسؤولية التي عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية علاناً صريحاً وان تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد من أمرء العائلة الخديوية طبقاً لنظام ورأى يقرر فيما بعد

بناء عليه قد كلفني حكومة جلالة الملك ان أبلغ سموكم انه بالنظر ان سموكم وخبرتمكم قد رأي في سموكم أكثر الامراء من سلالة محمد علي أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب « سلطان مصر » واني مكلف بان أؤكد لسموكم صراحة عند عرضي على سموكم قبول عب هذا المنصب ان بريطانيا العظمى أخذت على عاتقها وحدها كل المسؤولية في دفع أي تعد على الاراضي التي تحت حكم سموكم مهما كان مصدره. وقد فوضت الى حكومة جلالاته ان أصرح بانه بعد اعلان الحماية

البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين ايضاً كانوا الحق في أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك

وبزوال السيادة العثمانية نزول أيضاً القيود التي كانت موضوعة بمقتضى القرارات العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذي لسموكم في الانعام بالرتب والنياشين

أما فيما يخص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالاته ان المسؤولية الحديثة التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعي أن تكون المخاطر منذ الآن بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالاته في مصر وقد سبق لحكومة جلالاته أنها صرحت مراراً بان المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الاجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقديم البلاد ولكن من رأي حكومة جلالاته أن يؤجل النظر في تعديل هذه المعاهدات الى ما بعد انتهاء الحرب

وفما يخص بإدارة البلاد الداخلية علي أن أذكر سموكم ان حكومة جلالاته طبقاً لتقاليد السياسة البريطانية قد دأبت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها في ضمان الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وأعمال مصادرة ثروة البلاد الطبيعية والتدرج في اشرار المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الامة من الرقي السياسي . وفي عزم حكومة جلالاته المحافظة على هذه التقاليد بل انها موافقة بان تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديداً صريحاً يؤدي الى سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي

وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالاته على اختلاف مذاهبهم . ولا أرى لزوماً لأن أؤكد لسموكم ان تحرير حكومة جلالاته لمصر من رتبة أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجاً عن أي عداوة للخلافة، فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على ان اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لاعلاقة له البتة بالروابط السياسية التي بين مصر والاستانة، وان تأييد الهيئات المنظمة الاسلامية في مصر واسيرها في سبيل

التقدم هو بالطبع من الامور التي تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام، وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة، ولسموكم أن تعتمدوا في اجراء مايلزم لذلك من الاصلاحات على كل انعطاف وتأيد من جانب الحكومة البريطانية. وعلي أن أزيد على ما تقدم ان حكومة جلالة الملك تعمل بكل اطمئنان على اخلاص المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالته المكلف بحفظ الامن في داخل البلاد ومنع كل عون للعدو. واني انتبه هذه الفرصة فاقدم لسموكم أجل تعظيماني

ملن شيتهام

تحريرا في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

### ( الاحتفال بنصب الامير حسين كامل سلطانا لمصر )

جرى هذا الاحتفال في يوم الاحد ثالث شهر صفر الماضي الموافق ٢٠ ديسمبر وكانت معداته مهيئة قبل ذلك بأيام أو أسابيع، ورقاع الدعوة اليه قدوزعت في جميع أرجاء القطر. وهذا مقدمة نص البلاغ الرسمي الصادر من قصر عابدين في ذلك: «برح صاحب العظمة مولانا السلطان في منتصف الساعة العاشرة في يوم الاحد ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٤ سراي دولة الامير كمال الدين باشا في موكب فخيم محفوقا بحراسه ومن ورائه أصحاب السعادة الوزراء تقلهم مركبتان من مركبات المعية السنية فأطلقت مدافع القلعة واحدا وعشرين مدفعا ايذانا وأدت طلبة المدرسة الحربية والجند التحية. وكان الشعب يهتف لعظمته طول الطريق هتافا منوacula. ولما أقبل عظمته على ميدان عابدين ضج له جماهير المدعوين الموجودين بالصيوان المنصوب أمام السراي وهم مندوبو المديرية وكبار موظفي الحكومة وحضرات العلماء والرؤساء الروحانيين وكبار ضباط الجيش الانكليزي والمصري. ولما وصلت المركبة السلطانية الى باب السراي استقبله كل من أصحاب الدولة امراء العائلة السلطانية وصاحبي



الفضيلة شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية وحضرات رئيس ووكيل الجمعية التشريعية والمشارين ووكلاء الوزارات ورئيسي محكمة الاستئناف الاهلية والمختلطة والتامين العموميين لدى المحاكم الاهلية والمختلطة ومحافظ وكبار رجال المية « وتلى ذلك بيان كيفية المقابلات ، وما تخللها من الخطب والمحادثات

## ترجمة برقيات التهاني بين لندرة ومصر

البرقية الاولى من ملك الانكليز — تهته

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة

في الوقت الذي ترتقي فيه عظمتكم السلطانية منصبها السامي ارضب أن أقدم الى عظمتكم السلطانية عواطف الوداد المنبعة عن أكل اخلاص مع تأكيدي لكم بأنني لا أنفك عن تأييدكم في سبيل المحافظة على كيان مصر وضمان رفاهيتها في المستقبل وسعادتها. ولقد دعيت عظمتكم السلطانية الى تحمل مسؤولية منصبكم السامي إبان أزمة خطيرة في الحياة الاهلية بمصر. واني على يقين انه بمعاونة وزرائكم وبمهاية بريطانيا العظمى يتسنى لكم التغلب على كل المؤثرات التي يراد بها العبث باستقلال مصر ورفاهة أهاليها وحريةهم وسعادتهم.

جورج

ملك وامبراطور

البرقية الثانية من سلطان مصر — شكر

أقدم لجلالتكم فائق الامتنان على ما تفضلتم به من شعائر الوداد التي شرفتموني بها وعلى ما أكدتموه لي من نفيس التعضيد للمحافظة على كيان مصر واستقلالها. ولما كنت على علم تام بأهمية التي أخذتها على عاتقي وقد عقدت النية على تخصيص كل مافي وسمي لتقدم أمتي وسعادتها سالكام مع الحماية في ذلك سبيل

( المجلد الثامن عشر )

( ٨ )

( المار: ج ١ )

الوئام فانتى أعتبر من حسن حظي أن يتاح الى الاعتماد في القيام بهذا العبء على  
جميل عواطف جلالتهكم وعلى معاونة حكومتها  
حسين كامل

### البرقية الثالثة من لورد كتشنر — تهنية

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة  
أنشرف بتقديم أجل مراسم التهاني والاحترام الى مقام عظمتكم السلطانية  
بمناسبة ارتقاؤكم عرش سلطنة مصر وأسأله تعالى أن يوفق مصر في ظل عظمتكم  
السلطانية وبمعاونة ونصائح أصدقائها الى جعل مستقبلها مقرونا بالطمأنينة والسعادة  
كتشنر

### البرقية الرابعة من سلطان مصر — شكر

الى لورد كتشنر  
لندن  
كان تهانئكم الودية بمناسبة ارتقاؤكم عرش السلطنة أجمل وقع في قوادي  
فأشكركم شكرا جزيل على ما أبديتموه من العواطف والاماني نحو بلادى . وان  
ما أعلمه من عظم اهتمامكم بمصر يجعلني على يقين بأنه يتسنى لها الاعتماد عليكم كما  
تعتمد على خير أصدقائها  
حسين كامل

### البرقية الخامسة . امنية

من اللورد كتشنر الى رئيس الوزارة حسين رشدي باشا  
أبادر ببلاغ عطوفتكم أمانى المنبثقة من أكمل عواطف الاخلاص والوداد  
نحو مستقبل النظام الذي انفتح عصره في هذا الصباح وان تثقي بحكمة عطوفتكم  
وبوطنيتكم تجعل لي الامل الوطيد باستمرار مصر في طريق السعادة والتقدم

### البرقية السادسة من رئيس الوزارة — شكر واعتباط

أشكر جنابكم على جميل تفرافكم . وأنا على يقين مثلكم بأن مصر في عهد  
نظامها الجديد ستتابع خطاها في طريق النظام والارتقاء  
واني لمراتح الى ما عندي من الامل بإمكانى الاعتماد على مودتكم الثنية أثناء  
قيامى بأعباء وظيفتي ما

## تهاني الشعراء

نظم أشهر شعراء مصر القصائد في التهاني السلطانية . وفي مقدمتهم اسماعيل باشا صبري واحد شوقي بك ومحمد حافظ بك ابراهيم . وامازت قصيدة شوقي بأنها لم تكن مدحا وثناء مجردا كغيرها بل تمثيلا لشعوره ووجدانه الخاص من حيث هو ربيب بيت الخديو اسماعيل باشا وغرس نعمته ، ووجدانه العام من حيث هو مسلم مصري ، ويشاركه في هذا جمهور المصريين . فاذا أثبتناها بنصها أثرا تاريخيا لا نخرج عن سنة المنار في عدم نشر المدائح الشخصية . وها هي ذه :

الملك فيكم آل اسماعيل	لا زال بيتكمو يظل النيل
لطف القضاء فلم يعل لوليكم	ركن ولم يشف المسود غليلا
هذى أصولكمو وتلك فروعكم	جاء الصميم من الصميم بدिला
الملك بين قصوركم في داره	من ذا يريد عن الديار رحيل <sup>(١)</sup>
(عابدين) شرف يا ابن رافع ركنه	عزاً على التجم الرفيع وطولا
مادام مقناكم <sup>(٢)</sup> فليس بسائل	أحوى فروعا أم أقل أصولا
أتم بنو المجد المؤئل والندى	لكمو السيادة صبية وكهولا
النيل إن أحصى لكم حسناتكم	ملا الزمان محاسنا ولجلا
أحيا أبوكم شاطئيه وأبنى	مجدا لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا	وامتد ظلا للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام بياتهم	وحى الى البيت الحرام سيلا

\*\*\*

حفظ الآله على (الكنانة) عرشها	وأدام منكم لللال كفيلا
بنيان (عمرو) أمته عناية	من أن يززع ركنه وبمبلا
وتدارك الباري لواء محمد	فرعى له غررا وهان حجولا

(١) قيل انه أشار الى نبي ما اشيع من خبر تقييه من مصر  
(٢) أي مادام قصر عابدين مقاما لكم يا آل اسماعيل

في برهة يذر الاسرة نحسها      مثل النجوم طوالها وأفولا  
الله أدركه بكم وبأمة      كالمسلمين الاولين عقولا  
حلفاؤنا الاحرار الا أنهم      أرقى الشعوب عواطفا وميولا  
أعلى من الرومان ذكرا في الورى      وأعز سلطانا وأمنع غيلا  
لما خلا وجه البلاد لسيفهم      ساروا سماحا في البلاد عدولا  
وأوتوا بكبرها وشيخ ملوكها      ملكا عليها صالحا مأولا  
تاجان زانهما المشيب بثالث      وجد الهدى والحق فيه مقيلا

\*\*\*

سبحان من لاعز الا عزه      يبقى ولم يك ملكه ليزولا  
لا تستطيع النفس في ملكوته      إلا رضى بقضائه وقبولا  
الخير فيما اختاره لعباده      لا يظلم الله العباد قتيلا  
يا ليت شعري هل يحطم سيفه      للبغي سيفا في الورى مسلولا  
سلب البرية سلمها وهناءها      ورمى النفوس بألف عزائلا  
زال الشباب عن الديار وخلفوا      للباقيات الشكل والترميدا  
طاحوا فطاح العلم تحت لوأهم      وغدا التفوق والنبوغ قتيلا  
الله يشهد ما كفرت صنعة      في ذا المقام ولا جحدت جميلا  
وهو العليم بأن قلبي موجه      وجما كداء اثا كلات دخيلا  
مما أصاب الخلق في أبنائهم      ودهى الهلال بمالكها وقيلا  
أنخون اسماعيل في أبنائه      ولقد ولدت ياب اسماعيلا  
ولبست نعمته ونعمة بيتيه      فلبست جزلا وارادتت جميلا  
ووجدت آباي على صدق الهوى      وكفى بأباء الرجال دليلا  
رؤيا (علي) يا (حسين) تأولت      ما أصدق الاحلام والتأويلا  
واذا بُناة المجد راموا خطة      جعلوا الزمان محققا ومنيلا  
القوم حين دها القضاء عقولهم      كسروا بأيديهم لمصر غلولا  
هدموا بنوادي النيل ركن سيادة      لهمو كركن العنكبوت ضئيلا

أرقه<sup>(١)</sup> سرير أليك والبس تاجه  
مرت أوقات عليه موحشا  
ليست معالي الامر شيئا غائبا  
كم سستموه في الشبية مضلعا  
وحيمتمو زرع البلاد وضرعها  
يا أكرم الاعمام حسبك أن ترى  
من غرة ابن أخيك تبكي رحمة  
ولو استطعت اقالة لغاره

وأكرم على (القصر المشيد) نزيلا  
كالرمس لا خلوا ولا مأهولا  
عنكم وليس مكانكم مجهولا  
وحلتموه في المشيب ثقيلا  
وهزتمو للمكرمات بخيلا  
للعبرتين بوجنتيك مسيلا  
ومن الخشوع لمن حباك جزيلا  
من صدمة الاقدار كنت مقيلا

\*\*\*

يا أهل مصر كلوا الامور اربكم  
جرت الامور مع القضاء لغاية  
أخذت عنا منه غير عناها  
هل كان ذلك العهد الا موقفا  
يعتز كل ذليل أقوام به  
دفعت بنا فيه الحوادث واتقضت  
وانفض ملعبها وشاهده على  
فأدشمو الشحاء فيما بينكم  
كل يؤيد حز به وفريقه  
حتى انطوت تلك السنون كلعب  
واذا أراد الله أمرا لم تجد

فأله خير موثلا ووكيلا  
وأقرها من يملك التحويلا  
سبحانه متصرفا ومديلا  
للسلاطين وللبلاد وبيلا  
وعزيز كم يلقي القياذ ذليلا  
الا نتائج بعدها وذويلا  
أن الرواية لم تتم فصولا  
ولبثتمو في المضحكات طويلا  
ويرى وجود الآخرين فضولا  
وفرغتمو من أهلها تمثيلا  
لقضائه ردًا ولا تبديلا

(١) كسب الكلمة في بعض الجرائد « أرقاً » وهو غلط لانه امر رقي الناقص لارقاً المهموز ، ولعل سببه كتابتها في الاصل بالالف فجعلوها همزة . والمقام هنا مقام وصل الفعل بهاء السكت كما فعلنا

## آثاره تاريخية

من مقدمات الحرب المدنية الاوربية

وهي البرقيات التي تبودلت بين العاهلين العظيمين

قيصر الألمان وقصر الروس (١)

١

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولان

٢٨ يوليو ١٩١٤ ( الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ مساءً )

لقد علمت بمزيد القلق خبر الوقوع الذي وقع زحف الجنود النمساوية على سرية في امبراطوريتكم . ان التحريض العظيم الذي توالى في سرية منذ سنوات أفضى الى جناية فظيعة اغتيل فيها الارشودوق فرنس فردينند ، فالروح الذي حل السريين على اغتيال ملكهم وقرينته لا يزال سائدا تلك البلاد ، ولا ريب في انكم توافقوني اننا - أي أنت وأنا - بكسائر الملوك لنا مصلحة مشتركة في الاصرار على معاقبة مرتكبي جناية القتل هذه العقاب الذي يستحقونه

على انني أعلم أيضا انه يصعب جدا عليكم وعلى حكومتكم مقاومة مظاهرات الرأي العام ، فانا نذكركم بالصدقة القليلة التي بيني وبينكم منذ زمان طويل أبذل كل نفوذي في اقناع النمسة بالاتفاق مع سرية ، واني أعتد على تأييدكم في مساعي لزالة جميع الصعوبات التي يحتمل ان تنشأ صديقكم المخلص وابن عمكم ولهم

٢

من الامبراطور تقولان الى الامبراطور ولهم

قصر برهوف في ٢٩ يوليو ١٩١٤ ( الساعة واحدة بعد الظهر )

سرني خبر عودتكم الى ألمانيا واني أطلب مساعدتكم في هذه الآونة الحرجة

(١) نقلت من ملحقات الكتاب الاصفر الفرنسي الرسمي

قد أعلنت حرب معية على أمة ضعيفة وأنا أشاطر روسية سحقها العظيم  
واني أرى اتني سأعجز قريباً عن دفع الضغط الواقع علي وأضطر الى اتخاذ  
تدابير تؤدي الى الحرب  
فاجتنباً لنكبة حرب أوربية أرجو منكم باسم صداقتنا القديمة ان تفرغوا كل  
جهدكم في منع حليقتكم من الافراط في الخطة التي سارت عليها نقولا

٣

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٢٩ يوليو ١٩١٤ ( الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ مساء )

تلقيت برقيتكم وأنا أشاطركم الرغبة في حفظ السلام  
ولكن لأرى ان زحف النمسة على سرية حرب معية كما قلت في تلغرافي  
الاول، فقد علمت النمسة بالاختبار انه يستحيل تصديق مواعيد سرية مادامت  
محصورة في الكتابة على الورق

وعندي انه ينبغي النظر الى ما فعله النمسة كأنه سعي للحصول على الضامن  
الكافي بأن سرية تقوم بمواعيدها ، وقد تأيد اعتقادي بما صرحت به النمسة من  
انها لا تبغي الاستيلاء على شيء من أملاك سرية  
ولذلك أرى ان روسية تستطيع أن تقف موقف المتفرج فلا تنجر أوربة الى  
أعظم حرب رآها العالم

وأعتقد أن الاتفاق بين حكومتكم وفينة مستطاع ومرغوب فيه لاسيما وان  
حكومتي باذلة الجهد للتوصل الى هذا الاتفاق كما أخبرتكم في تلغرافي السابق  
ولا يخفى ان اتخاذ روسية لتدابير حرية تمدها النمسة تهديدا لها يجعل وقوع  
النكبة التي نحاول كلانا اجتنابها ويحول دون قيامي بمهمة الوسيط التي قبلتها بلا  
تردد لما استجرت بصدائقي ومعاونتي ولهم

٤

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٣٠ يوليو ١٩١٤ ( الساعة ١ صباحاً )

صدرت التعليقات الى سفيرى أن يوجه نظر حكومتكم الى الاخطار والعواقب  
الوخيمة التي تنشأ عن تعبئة الجيش وهذا الذي قلته لكم في تلغرافي الاخير  
ان النمسة عبات جيشها ضد سرية فقط ولم تعبى سوى جانب من جيشها  
فاذا عبات روسية جيشها ضد النمسة كما يتضح من بريقسكم و بلاغ حكومتكم تعذر  
عليّ القيام بمهمة الوسيط بل استحال وهي المهمة التي نطموحها في بروج المودة وقبلتها  
بناء على طلبكم المعجل  
فعبء البت في الامر واقع على عاتقكم وأنتم تتحملون عبء تبعه الحرب أو  
السلام

٥

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم  
قصر بترهوف في ٣٠ يوليو ١٩١٤ ( الساعة ١ والدقيقة ٢٠ بعد الظهر )  
أشكركم من صميم القواد على جوابكم السريع واني مرسل تاتيشف اليوم  
م. مزودا بالتعليمات. أما التدابير الحربية التي تتخذ الآن فقد قررنا عليها منذ  
خمسة أيام لمقابلة استعداد النمسة  
وأي أنمخى من صميم القواد ان لا تؤثر هذه التدابير في قيامكم بمهمة الوسيط  
وهي المهمة التي اقدرها حق قدرها فاننا نحتاج الى توسطكم بالحزم مع النمسة لحلها  
على الاتفاق معنا  
نقولا

٦

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم  
٣١ يوليو ١٩١٤  
أشكركم من صميم القواد على ما تبدونه من النية التي تدل على وجود بارقة  
أمل بان الامور تنتهي على مايرام . اما توقف استعدادنا الحربي فغير مستطاع  
فنيا وقد اضطررنا تعبئة النمسة الى هذا الاستعداد  
اننا أبعد الناس عن الرغبة في الحرب وما دامت المفاوضات في موضوع



سرية دائمة مع النمسة فجندني لاتقدم على عمل ما من أعمال التحرش وأؤكد لكم ذلك بشرفي  
اني موقن تمام الايقان بنعمة الله واثق بأن توسطكم في فينا يكمل بالنجاح  
لخير بلادينا وسلم أوربة  
تقولا

٧

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

٣١ يوليو ١٩١٤ ( الساعة ٢ بعد الظهر )

لا استجرتكم بصدافتي وطلبتم معونتي قبلت أن أتوسط بين حكومتكم وحكومة النمسة  
وبينما كنت قائما بهذا العمل عبأتكم جيوشكم ضد حليفتي النمسة فأحبطتم  
الرجاء بنجاح توسطي ومع ذلك فاني ظلت متابعا له

وقد تلقيت الساعة علما من مصدر جدير بالثقة بأنكم شرعتم تتخذون تدابير  
جربية عظيمة على حدودي الشرقية، ولما كنت مسؤولا عن سلامة امبراطوريتي  
فاني مضطر ان اتخذ تدابير مماثلة دفاعا عنها

ولقد بدأت أقصى ما يستطيع سعيًا لحفظ السلم فاذا وقعت النكبة الهائلة التي  
تهدد عالم المدنية بأسره فان تبعثها لاتقع علي

ولا يزال منع وقوع النكبة في يديكم اذ لا أحد يهدد شرف روسية وقوتها  
وكان في طاقة روسية ان تنتظر نتيجة توسطي . ان صداقتي لكم ولا امبراطوريتكم  
التي أورثنيها جدي على فراش الموت ظلت مقدسة عندي، وقد كنت آمينا لروسية  
في محنها ولا سيما في الحرب الاخيرة . فسلم أوربة محفوظ حتى الآن اذا قرر قرار  
روسية على الكف عن التدابير الجربية التي تهديد بها ألمانيا والنمسة. ولهم

٨

من الامبراطور تقولا الى الامبراطور ولهم

١ اغسطس ١٩١٤ ( الساعة ٢ بعد الظهر )

جاءتني برقياتكم وإني أعلم انكم مضطرون الى التبعة، ولكنني أطلب منكم  
( المئارج ١ ) ( ٩ ) ( المجلد الثامن عشر )

الضمان الذي أعطيتكم إياه وهو ان هذه التدابير لا تنذر بوقوع الحرب وأنا نفل متابعين مفاوضاتنا لخير البلدين ومصلحة السلم العام العزيز على قلوبنا ان صداقتنا القديمة العهد والوطيدة الاركان يجب بمساعدة الله أن تفوز بمنع إراقة الدم فانا انتظر جوابكم بلاء الثقة .  
تقولا

٩

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

برلين في ١ اغسطس ١٩١٤

أشكركم على برقيتكم وقد دلت حكومتكم أمس على الطريق الوحيد لاجتناب الحرب

ومع أني طلبت أن يأتيني الجواب الظهر فلم يأتيني حتى الساعة برقية من سفيري تتضمن جواب حكومتكم لذلك اضطرت الى تعبئة جيشي

فالطريق الوحيد لمنع وقوع نكبة لا توصف هي ورود جواب صريح جلي من حكومتكم. ولا يسعني أن أهتم بموضوع تلغرافكم قبل أن يأتيني هذا الجواب، واني مضطر أن أطلب بالاختصار أن تصدروا أوامركم الى جنودكم بلا ابطاء بان لا يهجم أقل هجوم على حدودنا  
ولهم

## فصل الاحصاء من باب التاريخ

(مساحة المملكة العثمانية وعدد سكانها)

أصدرت الحكومة العثمانية في العام الماضي احصاء لاملأ كما وعدد سكانها نشرته جريدة «الاهرام» قائلة انها أخذته عن خريطة أركان الحرب العثمانية وهو كما ترى في الجدول الآتي :

الاسم الولاية	كيلومتر	نفس
استامبول	٧٠٠٠	١١٣٦٠٠٠
خطاوندكار	٧٣٨٠٠	١٦٦٦٩٠٠

نفس	كيلو متر	اسم الولاية
١٣٩٦٥٠٠	٥٤٠٠٠	آيدين
١٠٨٨٠٠٠	١٠٣٨٠٠	قونية
٤٠٣٤٠٠	٣٧٢٠٠	اطنة
٨٩٢٩٠٠	٦٧٥٠٠	اقره
١٠١٨٩٠٠	٤٩٧٠٠	تسطموني
١٠٨٦٥٠٠	٦٢٨٠٠	سيواس
١٠٤٧٧٠٠	٣٠٧٠٠	طرابزون
٥٩٧٠٠٠	٥١٠٠٠	ارضروم
٥٧٥٣٠٠	٣٤٣٠٠	معمورة العزيز
٣٩٨٦٠٠	٢٦٨٠٠	بتليس
٤٧١٥٠٠	٣٥٠٠٠	ديار بكر
٤٣٠٠٠٠	٤٠٢٠٠	وان
٩٩٥٨٠٠	٧٨٦٠٠	حلب
٥٣٣٨٠٠	٣٠٠٠٠	بغروت
٩٥٥٠٧٠٠	٦١٠٧٠٠	سوريا
٨٥٠٠٠٠٠	١٤١٢٠٠	بغداد
٧٠٠٣٠٠	٧٥٧٠٠	الموصل
٣٠٠٠٠٠	٤٢٧٠٠	البصرة
٣٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	الحجاز
٧٥٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	اليمن
٣٢٥٩٠٠	٧١٠٨	جزائر البحر الأبيض
٢٢٢٨٠٠	١١٢٠٠	ازميد
١٢٩٤٠٠	٦٨٠٠	بيغا
١٠٠٠٠٠٠	٨٥٠١٠٠	الزمر

لبنان	٦٥٠٠	٣٩٩٥٠٠
القدس	٢١٣٠٠	٣٣٣٠٠٠
سيسام	٤٦٨	٥٢٨٠٠
قبرص	٩٦٠٠	٢٢١٨٠٠
المجموع	١٧٠١٧٧٧	١٩٣٤٠٠٠

(قالت الاهرام) فعدد الاهالي العثمانيين اذن هو ١٨ مليون و ٨٣٩ الف و ٨٠٠ نفس يخرج منهم أهالي قبرص وهم حسب الاحصاء ٢٢١٨٠٠ وسيسام وهم ٥٢٨٠٠ ولبنان وهم ٣٩٩٥٠٠ والحجاز وهم ٣٠٠ الف واليمن وهم ٧٥٠ الفا وجزر البحر الايض وهم ٣٢٥٩٠٠ لان هذه البلاد اما انها لا تكلف بالتجنيد واما انها غير خاضعة لحكم الدولة كالجزر وعدد أهاليها مليونان ٧٤١ الف فيكون الباقي ١٦٧١٥٧٠٠ فاذا أخرجنا منهم البكرد والبزيرية والطوائف التي تدفع البذل والتي تعفى يكون الاهالي الذين يمجدون نحو ١٤ مليوناً على الاكثر فاذا حسبنا ان الذين يمجدون هم ٦ بالمائة يكون عدد الجيش الممكن جمعه من الامة العثمانية ٨٤٠ الف مقاتل في وقت الحرب اه

#### احصاء جزيرة العرب والولايات العربية

[المناظر] كنا رأينا هذا الاحصاء في الاهرام ثم قلناه عن جريدة أخرى نقلته عنها ولكن رأينا الجمع غير صحيح فأرسلنا الجدول الى رئيس تحرير الاهرام فصححه فلم يكن الجمع بعد تصحيحه صحيحاً أيضاً بل بلغ عدد النفوس ١٩ مليوناً و ٣٤٠ الف نفس ان الدولة لم تحصى سكان بلادها إحصاء دقيقاً الى اليوم ، وهي تعفى بهذا الاحصاء أهالي البلاد الحضرية الخاضعين لقوانينها كلها أو بعضها الا ما يستثنى كقبرص. أي ما تيسر لهما معرفة عدده منهم، ولذلك لم تذكر بلاد نجد مع انها تعدها تحت سيادتها. وجمعت أهل اليمن ثلاثة ارباع المليون على أن بعض وزرائها الذين تولوا اليمن كحسين حلمي باشا كانوا يقولون ان أهلها ستة ملايين أو يزيدون .

ورأيت بعض أهل اليمن يعتقدون ان سكان بلادهم وبلاد حضرموت أكثر من سكان القطر المصري

هذا وان سكان الولايات والمتصرفيات العربية وهي ١٢ ولاية ومتصرفية بلغوا بحسب هذا الاحصاء ... ٦٩٢ ر ٦ فاذا كان في ديار بكر والموصل وحلب زهاء مئتي الف من غير العرب كالترك والكرد والارمن يكون مجموع العرب الحاضرين للدولة فعلاً نحو من ستة ملايين ونصف أو أقل . وهذا العدد أقل من ثلث مجموع العرب في جزيرتهم وحدها دع ملحقاتها من العراق وما بين النهرين وسورية وفلسطين . ويمكن أن يعيش في هذه البلاد أكثر من مئة ألف الف بالسعة ، فن مساحتها أوسع من مساحة الهند الانكليزية التي يعيش فيها أكثر من ثلاث مئة ألف ألف . بل مساحة جزيرة العرب وحدها تقرب من مساحة الهند إذ كل منهما تزيد على ثلاثة ملايين كيلو متر

وقد قدر صاحب ( النخبة الازهرية في تخطيط السكة الارضية ) سكان جزيرة العرب وحدها باثني عشر مليون نفس ، وهو انما يعتمد على كتب التتويج الاوربية القديمة التي تعتمد على قاعدة البناء على الاقل ، وحسبك نموذجاً من ذلك انه يقول ان سكان دمشق الشام ستون ألفاً والمشهور انهم أكثر من مئتي الف ، وان سكان طرابلس ١٣ ألفاً وهم أكثر من تسعة وعشرين

ويمكننا ان نقول ان عرب الولايات والمتصرفيات العربية ماعدا اليمن والحجاز لا تقل عن خمسة ملايين ونصف بحسب احصاء الدولة . واذا قيل ان عدد الاعاجم فيها أكثر مما قدرنا بنصف مليون قلنا ان البدو فيها لا يقلون عما نفرضه من زيادة هؤلاء . فاذا أضفنا الى البدو المكتومين من الخضر زاد عدد العرب في تلك الولايات على ستة ملايين . وقد نشر في عدد الاهرام الذي صدر في ٣ نوفمبر احصاء آخر لحد المحررين فيها ( ا.س.ن ) عد فيه أهل ولاية بيروت ٧٠٠٤٠٠ وبغداد ٩٥٠٠٠٠ والبصرة ٣٥٠٠٠٠ والقدس ٥٥٠٠٠٠ ولبنان ٥٥٠٠٠ وهذه زيادة تبلغ زهاء نصف مليون . فاذا فرضنا بعد ذلك ان سكان الجزيرة ١٢ مليوناً فقط كما يقول صاحب النخبة الازهرية

على سبيل التقريب كان عدد العرب وحدهم في هذه البلاد كلها كعدد سكان المملكة  
العثمانية من جميع الاجناس كما رأيت في الجدول  
ويقدر كثير من العارفين عدد العرب في تلك البلاد بمئتين مليوناً ولكنهم  
يستثنون من ذلك أهل حضرموت ومجند وعمان

### إحصاء شعوب الهند الانكليزية

نشرت الحكومة الانكليزية خلاصة احصاء شعوب الهند في عام ١٩١٤  
ويؤخذ من هذا الاحصاء ان عدد أهالي الهند الانكليزية ٣٩٦,٣٥٦,٣١٥  
وهم ٧٨,٥ بالمئة من الهنود و ٥,٢٢٢ من رعايا الامارات الهندية  
ومساحة بلاد الهند تعادل مساحة أوربة كلها ما عدا روسيا ولكن عدد أهالي الهند  
يزيد على أهالي أوربة ما عدا روسيا وهو يعادل ثلاثة أضعاف أهالي الولايات المتحدة  
وهند ٣٩ سنة الى اليوم زاد عدد أهالي الهند ٥٠ مليوناً أما الذين يدينون  
بدين الهند الاصليين (٢) فعدهم ٢٨٩٢,٥٨٦,٢١٧ وعدد المسيحيين ٢٠٤,٧٨٨,٢٧٨  
بناقون من المسلمين

(المنار) نشرت هذا الإحصاء جريدة الاهرام في أثناء السنة الماضية وتلأ  
عبرها نقلاها بنصها ، وإذا نحن طرحنا عدد الوثنيين والنصارى من المجموع بقي  
٣٠٠,٢٦٩,٩٤٠ وهو عدد المسلمين . وقد كنا سمعنا من بعض كبراء الهند في أثناء  
سياحتنا فيها عام ١٣٣٠ ( ١٩١٣ م ) ان عدد المسلمين فيها تسعون مليوناً ونصف .  
ولكنهم لا يزال السمع الناس يقولون ويكتبون ان عددهم سبعون مليوناً ، حتى ان  
مثل هذا القول ينقل عن بعض رجال السياسة من الانكليز أنفسهم . ولما جاء هذا  
الاحصاء : لما سمعنا من أهل المعرفة في الهند ترجع عندنا ان هذه الاقوال  
المنسوبة على إحصاء قديم علق بأذهان أولئك القائلين ، ولما ان الانكليز منهم  
يستثنون بعض الامارات المستقلة عند ذكر رعاياهم من مسلمي الهند وغيرهم  
بقدهم في أقرانهم

## البدء والخرافات وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

خرافات وأهام في قصور الملوك \*

يعتقد القراء أن الخرافات والاهام التي تتخوف منها الطبقة العامة في سورية وغيرها من بلدان الممالك المتعدنة (?) كوجود الجان وظهور الارواح والاشباح لا أثر لها في عقول الطبقة المتعدنة من الشعب الاوربي والحقيقة ان هذه الاهام التي لا يسلم بها من العلماء غير شيعة الروحانيين (مناجاة الارواح) واتباعهم مائة قصور الملوك ولها في كل رأس من رؤوس سكان القصور ثغرة واسعة، وهانحن (أولاً) موردون شيئاً عن الاعتقادات الشائعة بالجان والارواح في قصور ملوك أوربة

تعتقد عائلة « هوهنزولرن » المالككة في ألمانيا ان لها جنتين إحداهما بيضاء والثانية سوداء واليهما تشير الراية الألمانية، بمعنى ان البيضاء هي جنية الشر، والسوداء جنية الخير

ففي عام ١٨٠٦ « على ماتفيد الكتب والاوراق القديمة » ظهرت الجنية البيضاء في إحدى نوافذ القصر الملكي ، وما كادت تختفي حتى ورد الى الامبراطور نبأ يفيد انكسار الجيش الألماني « في « اورستاد »

وقد ظهرت أيضاً عام ١٨٨٤ قبل وقوع تلك الحوادث المشؤومة في ألمانيا - في حديقة القصر الملكي في برلين

وظهرت أيضاً ثلاث مرات في « انتردلين » وفي كل مرة كانوا يحاولون اغتيال غليوم الاول

ولمات الامبراطور الشيخ شعبانا من الصين وكان قد بلغ من المجد حظاً كبيراً ظهرت الجنية البيضاء في احد اروق القصر الملكي ، وما كادت تختفي حتى جاءت الانباء مفيدة ما قاساه فردريك الثالث من انواع العذاب وأصناف البلايا والحن (\*) منقول من جريدة الزمان العربية التي تصدر في بونس ايرس (الأرجنتين)

وبعد ثلاثة أشهر وقفت في القصر الملكي مكشوفة اليدين وأبانت عن موت فردريك الثالث ابن غليوم الاول في «شار نوتبورغ» بعد تولية الحكم بثلاثة أشهر وأما الجنية السوداء فقد ظهرت للإمبراطور احمالي في «برانبورغ» في أيام غليوم الاول وقالت له «ستكون مبراطورا قبل ان تتم اثلاثين ربيعا» وهكذا كان. وفي قصر انكلترا الملكي جنية بيضاء وظيفتها نقل أخبار الموت فقط «ناعية» ففي عام ١٩٠١ عند ما ماتت الملكة فكتوريا الشهيرة أخذت (الجنية) نصيح - بشهادة بعض أشخاص موثوق بصدقهم - في داخل القصر الملكي

ويوجد مثل هذه الارواح والجنيات في القصور التاريخية القديمة، وكثيرا ما امتنع الملوك والأمراء والأشراف عن سكناها خوفا من تلك الارواح الخبيثة الهائلة ففي قصر «باري يوهانوي» توجد هذه الارواح بكثرة وطالما أعلنت المصائب قبل وقوعها. وعدد كبير من سكان هذا القصر أنبأهم هذه الارواح عن انقضاء آجالهم

وبهذه المناسبة نذكر الحادثة التالية التي جرت في القصر المذكور من مضي مئة سنة كان الدكتور «ولتر» طبيب زوجة مدير القصر، وفي أحد الايام سأل المدير المذكور عن تلك المرأة الجميلة المسنة الملبسة التي تلوح على محياها اثار الحزن، والتي رأفنا عند دخوله الى القصر، فبغت الرجل وماسح لالا. لا أريد ان نموت امرأتي. فعجب الدكتور من برأيه واستوضحه عن العلاقة بين المرأة وموت زوجة المدير المذكور، فأشابهه على حقيقة هذه السيدة البيضاء الغريبة ومع انه لم يكن يرى في مرض زوجة مدير القصر خيرا على حياتها، فقد ماتت في ذلك اليوم

هذا ما رأينا ان نقله تفكيرا للقرء. ولا يمكننا في هذه الحوادث وغيرها ما نطالعه يوميا عن استحضار الارواح وافعال الارواح، ولا تصديقه، لان بين المعتقدين جماعة من العلماء الاعلام كالمستر سيد وغيره، وبين المسكذبين العلماء الطبيعويون على الاطلاق وغيرهم من المشاهير، ولا تزال بيان العلماء والفلاسفة في امبركة ولندن وباريس وغيرها تبحث بحثا دقيقا متواصلا متوصلا للحقيقة.



## باب امر اسئلة والمناظرة

### الاسلام في انكلترة

فضيلة .....<sup>(١)</sup> صاحب « المنار » الاغر

يسرني جدا أن أبلغ سيادتكم ان مساعي اخواننا المسلمين المبشرين في انكلترا سائرة في طريق النجاح بدرجة فوق المأمول . واقد تعود معظمنا اغفال الدعوة الى الدين الخفيف بل أهملنا حتى في مقاومة دعاة المسيحية في نفس بلادنا حتى أني أتخيل ان ذكر وجود مبشرين مسلمين في انكلترا كاف وحده لدهشة غير قليل من القراء . ولاشك في أنه يدهشهم (دهشا) أكثر أن يعلموا أن هؤلاء المبشرين على قلة عددهم قد نجحوا في نشر نور الاسلام بين عدد ليس بالضئيل من خيرة السيدات والرجال الانكليز .

يوجد في ( ووكنج woKing ) احدى ضواحي مدينة لندن جامع صغير يمثل المركز الرئيسي للجالية الاسلامية في بريطانيا العظمى ، ويصدر امام ذلك الجامع مجلة شهرية تدعى « المجلة الاسلامية والهند المسلمة » - ومع أني لست ممن يرتاحون الى هذه المجلة نظرا لخلطها في كثير من الاحايين الدين بالسياسة ، فانه لايسعني الا الاعتراف بالخدمة الاسلامية الجليلة التي قامت بها في زمن لا يتجاوز ثلاث سنوات . والفضل كل الفضل يرجع الى حضرة رئيس مجريها امام الجامع المشار اليه والى اعوانه .

ولقد تلقيت العدد الاخير منها ( عدد يناير سنة ١٩١٥ ) فوجدت فيه الخبر المفرح الآتي :

(١) حذفنا من مكان النقطة لقب « الاستاذ الامام » الذي صار كالمعلم لشيخنا رحمه الله تعالى وان كنا جرينا على نشر الرسائل والاسئلة بنصها لاسباب تاريخية وغير تاريخية

( المجلد الثامن عشر )

(١٠)

( المنار - ج ١ )

« في يوم الأحد الماضي ٢٠ ديسمبر ١٩١٤ عقدت الجمعية الاسلامية البريطانية اجتماعا خطب فيه رئيسها سيف الرحمن اللورد هدي وقد اعتنقت الاسلام سيدة أخرى وهي السيدة إينور أني سا كسبي ، ومنذ الاسبوع الماضي قد أضفنا الى قائمة الاخوة الاسلامية النامية باستمرار اسماء ثلاثة أشخاص من الانكليز . » وفي ( هذا ) العدد نفسه كتابان عن اعتناق الدين الاسلامي أحدهما من سيدة انكليزية تدعى أ. بامفورد ، والآخر من أحد افاضل الانكليز وهو المستر إرنست أوتن ، وكلاهما ممتلىء بعبارات تستحق التأمل والدرس وخصوصا من سادتنا المتفرجين الذين ينسون تعاليم دينهم العالية بمجرد امتزاجهم بالافرنج . ونظرا لضيق نطاق « المنار » الاغر ولعدم سعة وقتي الكافي بترجمة كتاب السيدة المشار اليها . وهذا تعرييه :

« سيدي محرر صحيفة المجلة الاسلامية والهند المسلمة .

لقد صرت في العهد الاخير بفضل مودة صديق مسلم اقرأ بانتظام أهم المؤلفات الاسلامية وأذكر بينها الكتب الشائعة التي وضعها السيد أمير علي وخصوصا نشرته عن حقوق النساء في الاسلام فإنها ذات قيمة كبيرة عندي .

ومما يستحق الذكر من المؤلفات الاخرى الممتعة التي شاقني كثيرا كتاب « الهلال والصليب » تأليف خليل بك خالد ، وكتاب « أسرار مصر والاسلام الخفية » تأليف المستر ليدر ، وكذلك فصل « البطل كسبي » <sup>(١)</sup> من قلم كارليل . فكانت صفوة ونتيجة دراستي الدقيقة هذه أني امتلأت اعجابا بمحمد (ص) باعتباره نبيا ومصلحا عظيما وبدياته الديمقراطية السمحة التي يهينني ويرينحي الآن اعتاقها

هذا وأنني اعترف بأن الديانة المسيحية المهذبة ديانة جلييلة ، الا اني مع ذلك لا يمكنني بأية حال أن أعجأه ان الاسلام لا يعلم الناس أسس مبادئ المسيحية فقط بل هو يمتاز أيضا بدون أدنى شك بمزايا عظيمة لا توجد في المسيحية ،

(١) المراد من هذه العبارة : البطل النبي ، أو البطل بصفة النبي أو من حيث هو نبي .

وذلك في مراميه الفلسفية ومبادئه النفسية العالية وفي القواعد الموضوعية لنظام اجتماعي أدق وأصح .

لقد خطر في بالي أن أبث بهذا الكتاب الى جنابكم عسى أن لا يخلو علمكم وعلم قراء مجابكم الغراء بذلك من الفائدة .

وختاماً أشرف بالامضاء باسمي الاسلامي

أمنية

( « الآنة » أ. بامغورلا )

كم كانت تكون هذه النتيجة السارة مضاعفة ياسيدي الاستاذ لو تم مشروع الجامع الكبير المتوي بناؤه في عاصمة الامبراطورية الانكليزية التي تضم تحت رايها الملايين من المسلمين في عدة من أنحاء العالم ، ولست أدري لاي سبب ضعفت هم المسلمين في مصر والهند وغيرها من الاقطار الاسلامية عن مواصلة التبرع لهذا المشروع الجليل حتى يمكن تحقيقه في المستقبل العاجل .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا وجد بين سرائنا من يعضد « دار الدعوة والارشاد » المتضيد اللاتق بكلفة عظيمة المقصد كهذه حتى يتيسر لكم ارسال الدعاء الى هذه البلاد . وبفضل علمهم ومعرفتهم بالانكليزية يرجى لهم حينئذ نجاح كبير هنا ، وخصوصاً اذا تيسر لهم انشاء مجلة بالانكليزية تشمل صفوة ترجمة ما يصدر في كل عدد من « المنار » الزاهر .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا هزت الارباحية الدينية أحد امراء أو أغنياء المسلمين فوهب نحواً من خمسمائة جنيه أو أكثر في سبيل نقل « تفسير المنار » الى الانكليزية ، فانه مما يؤسف له جداً أن تنتشر بهذه اللغة المؤلفات العديدة ضد الاسلام ولا ينقل اليها كتاب جليل هو دائرة معارف اسلامية مثل « تفسير المنار » وما هذا بعزيز على امراء المسلمين الذين نراهم من أجل الحرب الحاضرة بمجودون بمئات الآف من الجنيتات ، أفلا يوجد بينهم من يجود بجزء من مائة من ذلك في سبيل نشر نور السلم والاسلام ؟

ان من المغالطة أن يقال ان الانكليز مثلاً يمنعون امراء الهند من عمل كهذا ، فان انكلترا معروفة بمنحها الحرية الدينية الكاملة لجميع رعاياها ، وهذا ما لا ينكره

نفس أعدائها ، بل كان هذا من جملة أسباب ولاء مسلمي الهند لها ، فلا يعقل ان يتدخل رجال السلطة من الانكليز في الهند في شأن ديني محض كهذا ، أو يمنعوا أميرا هنديا مسلما من التبرع إذا شاء لما فيه صالح دينه .  
وكذلك لا يعقل أن يفعلوا ذلك في مصر أو في غيرها من الممالك الاسلامية التي لا تكتلر علاقة بها . وعلمنا وخبرتنا الماضية تؤكد ذلك .

أني أوافق فضيلتكم على أن تعلم العربية واجب على كل مسلم ، وأن من الحكمة جعل تعليمها إجباريا في جميع المدارس والكتليات والجامعات الاسلامية في كل قطر ، حتى يتيسر لكل مسلم أن يعرف دينه من منبعه الأصلي ، بغض النظر عن العلم بآداب اللغة العربية الشريفة التي هي لغة القرآن الكريم ، ولكن اذا تأملنا في المسألة من وجهة التبشير فاننا نجد أن من الضروري أن ينقل الى اللغات الاجنبية خبرة المؤلفات الاسلامية وخصوصا تفاسير القرآن الجليلة المشهود بسعة العلم والدقة فيها ، فان هذا عماد المبشر المسلم في نشر دينه بين الافرنج . ومن العبث ان يقول المبشر الذي يريد اجتذاب القوم اليه : تعلموا يا قوم العربية أولا وبعدها اطلعكم على القرآن وأذكر لكم أصول الدين الاسلامي ...

أما نقل القرآن الشريف الى الانكليزية أو غيرها من اللغات الاوربية فاني أعده جرمًا من حيث ان ذلك يؤدي الى اخفاء ما في لغة القرآن الشائقة من اعجاز البيان ، فضلا عن ان الترجمة تظهر بشكل مشوه غريب يجعل الأوربي الذي لا يعرف آداب العربية يعجب من كوننا نعتقد ان القرآن هو كلام الله جل شأنه !!!  
وان أي مسلم يطالع على ترجمة القرآن لا يسمعه الا الضحك مع الاسف على الوقت الذي أفق هباء في هذه الترجمة التي لا تؤدي الى شيء ، ما من مرامي القرآن العالمة بالحكمة ...  
أني اعتقد أن الرجل المحسن الذي يهب مبلغا كافيا لترجمة تفسير عصري مثل تفسير « المنار » — ويعلم الله أني لا أقول هذا مجاملة لكم فاني لست من يخطط الخصوصيات بالعموميات — الذي هو خلاصة كل علم راجح من دماغي امامين كبيرين ، انما يؤدي خدمة اسلامية و انسانية فوق كل تقدير . ويعلم ان

هذا أمر حيوي مأس كل ذي علم بالمجتمع الاوربي ، وكل من عنده خبرة على نشر الدين القويم الداعي الى المساواة والاصلاح واسمى المبادئ الانسانية .  
واني أعد من الاعتراضات الغريبة أن يقول قائل ان نتيجة التبشير الاسلامي ليست بنتيجة مرضية ، لان كثيرين ممن يعتقدون الاسلام لا يعتقدون بالصلاة أو اليه يوم مثلاً ، وهما من فرائض الاسلام ، ويفوت المعترض ان ذلك الاجنبي الذي اعتنق الاسلام قد يجبل العربية ، وربما لا يجد من يعاذه تعاليم دينه تفصيلياً ، وقد يكون اسلامه مبنياً على نتيجة مطاعته وبحجه كما هو الغالب ، أو قد يكون الباعث له على التهاون في أداء فريضة الصلاة أو الصوم هو نفس الباعث للمسلم الاصلي على اغفال ذلك . على ان بياني هذا ليس معناه أي أبرر ذلك التهاون

هذا واني على كل حال أعتقد أن الايمان بمبادئ الاسلام - وان تهاون المؤمن في بعض الفرائض - ليس بخسارة للاسلام<sup>(١)</sup> وبعبارة أخرى اننا اذا استطعنا اغراء الاجانب بالاقناع والدليل ( وحملهم ) على اعتناق الدين الاسلامي ووجدنا منهم ايماناً كلياً بمبادئه وسيراً على فرائضه ورأينا منهم بعد ذلك اهمالاً في أداء بعض الفرائض كما نرى من كثيرين من المسلمين الاصليين أنفسهم فلنستمع مع ذلك الارباحين فلا ينبغي أن يحملنا هذا على الاستياء المشاهي لدرجة أن يقول قائل ان نتيجة كهذه للتبشير الاسلامي غير مرضية أولاً فائدة منها ...!

ان رجال الاصلاح كثيرون وفضيلتهم في مقدمتهم ، وقد بسطت لكم فيما تقدم بعض آراء لا أشك في أنه يشاركني فيها جميع أعضاء الجالية الاسلامية في انكسارها ، ولكن إنفاذكم وانفاذ غيركم من المصلحين لها يحتاج الى « المال » ، فهل نعيش نحن المسلمين الى الابد نعلل انفسنا بالنجاح والخير حينما نكتشف باباً جديداً لذلك ثم نفشل لاننا لانجد مفتاحه وهو خبرة وكرم امرائنا ومسرانا ?? ....

لقد صحت المحكمة القائلة : « ان الله لا يساعد الذين لا يساعدون أنفسهم »  
ولو وضعها كل مسلم نصب عينيه وعمل بها اسكان لنا من المنعة والعز ما لمحمد عليه ،

(١) يريد الكاتب ان ترك المهتدي الى الاسلام لبعض العبادات وان كانت فرائض ليس بخسارة اذا كان تحييج الايمان بمبادئ الاسلام واصوله

ولعل كلمتي هذه تصادف آذاناً واعية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما

لندن في ١٥ يناير سنة ١٩١٥ « مسلم غير متفرج »

[ المنار ] نشكر للكاتب غيرته على دينه وحسن ظنه بنا ، ونواقفه على آرائه في جعلتها ولكن مسألة الايمان والعمل تحتاج الى تفصيل وتمحيص ، وأرى ان مسلمي الهند أرجى لخدمة الاسلام من مسلمي مصر ، وان كان يظن بعض الناس ان الاسلام في مصر أقوى منه في الهند علماً وعملاً . فسلمو الهند يعملون لنشر الدين وخدمته ، ويتعاون العلماء والأغنياء منهم على ذلك على ضعف فيه يرجي ان يقوى مع الزمان . ولم يوجد في مصر غني بذل مالا لخدمة دينية محضة ، ولا وجد عالم تصدى لخدمة دينية محضة جديدة الا شيخنا الاستاذ الامام في تصديده لاصلاح التعليم في الازهر وملحقاته — الى ان قام من قام بتأسيس الدعوة والارشاد . وقد لقي هذا المشروع العظيم في مصر أشد المقاومة . وكانت مصلحة الاوقاف الاسلامية قد نفخته بإعانة قليلة ٥٥٠ جنيتها في السنة مع الوعد بمضاعفتها ولكن وزارة الاوقاف الجديدة قد قطعت هذه الاعانة في هذا العام بعد ان منعت نصف ما كان مقرراً للعام الماضي . ويظن كثير من المسلمين ان هذا بايعاز من الانكليز وأنا لا أظن هذا ، بل أنا على رأيي القديم في الانكليز وهو أن المسلم يستطيع ان يخدم دينه في بلادهم ومستعمراتهم بحرية قلما يجد مثلها عند غيرهم . وما آفة الاسلام الا منافقوا أهله وجبنائهم . وسيفصح مانكتبه في تاريخ مشروع الدعوة والارشاد كثيرا من هؤلاء المنافقين ، ومنهم الذين لا يزالون يكيدون في الخفاء ليحولوا دون مساعدة القصر له . وسيرى مسلمو العالم وغيرهم في هذا التاريخ الذي هو تاريخ الاصلاح الاسلامي في هذا العصر مقارنة غريبة بين باشوات الستانة وباشوات مصر

أما اقتراحكم ترجمة تفسير المنار بالانكليزية فيقل في المسلمين من يبذل المال له لأن أكثر أغنياء المسلمين أغنياء أخساء ، وأما يبذل بعضهم المال في المشروعات العامة لاجل الجاه عند الحكام والامراء ولا يكاد هؤلاء يلتسبون في مثل هذا العمل جاهاً . والافراد العقلاء النبهاء منهم كثرت عليهم طرق البذل في هذا العصر ، ولعل هذا المشروع ينفذ في الهند يوماً ما . واني أكاد أجزم بأن

هذا الاقتراح لو عرض على مثل الامير الجواد الشير التواب محمد علي راجا محمود آباد ممن يثق هو بقوله في بيان مكانة التفسير لانفذه حالا ، وكيف لا وهو يهب المدارس بالآلوف من الجنيئات . أما أنا فلا أسعى الى هذا الاقتراح لان التفسير لي ولو كان لغيري لسميت

ولا أذهب بك بعيدا فهذا مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية قد تبرع بمئة مجلد من كل جزء من هذا التفسير لتوزع على المساجد في البلاد العربية فاذا اعان الله على آتمام التفسير وانفاذ تبرعه كانت قيمة مايدفمه زهاء ما اقترحت للترجمة . والله الموفق ويده ملكوت كل شيء

## مصاب الهند والعالم الاسلامي

بالشيخ شبلي النعماني

نعمي الينابر يد الهند اشهر علمائها وأبعدهم شهرة وصيتا صديقا الشيخ شبلي النعماني الملقب بشمس العلماء ، صاحب المصنفات النافعة واليد البيضاء في الاصلاح ، ختم الله تعالى حياته السعيدة في خاتمة العام الماضي ( ٢٨ ذي الحجة ) وله من العمر ٥٨ سنة ، على ما يؤخذ من ترجمته في بعض الجرائد ، فان صبح هذا فقد مات في مثل سن الاستاذ الامام التي مات فيها ، الا انه كان لتخافة بدنه وشيئته يظن انه من أبناء السبعين ، ولم يكن يظهر على الاستاذ الامام مثل هذا الكبر وان عاجله الشيب في سن الشباب ، ولعل رائيه كان يظن انه لم يتجاوز الخمسين ، على ان كلا من الشيخين اللذين تساوا يافي العمر مات وهو شاب في علو الهمة وقوة العزيمة والنشاط في السعي الى الاصلاح .

كان الشيخ شبلي عالما مستقلا لا عالما رسميا مقفدا ، وكان كأكثر العلماء المستقلين ، والحكماء المصلحين ، استاذ نفسه ، وتلميذ همته ، تلقى قليلا عن الاساتذة ولكنه بجده واجتهاده صار أشهر نوابغ علماء الهند في هذا العصر . نعم ان فيهم من يعدون أوسع منه علما واطلاعا في علوم الحديث والفقه والأصول ، ولكن قلما يوجد من

تأثله أو يقر به في القدرة على تقع الناس بتعليم هذه العلوم أو التأليف فيها . ولا نعرف له ثم ضرباً في إتقان اللغة العربية وطول الباع وحسن الذوق في فهم متورها ومنظومها والقدرة على الكتابة في الموضوعات المختلفة فيها . فأكثر علماء الهند وغيرهم من الاعاظم المتأخرين لا يقدرون على الكتابة العربية الفصيحة الا قليلاً . وانا قصارى ما يأتي منهم ان يكتبوا شرحاً أو حاشية لبعض الكتب المشهورة أو يؤلفوا رسالة أو كتاباً جديداً في بعض العلوم التي يكثر ون مدارستها كالتقفة والاصول والمنطق والحديث ، بحيث يكون جل ما يكتبونه منقولاً بنصه من الكتب المؤلفة في ذلك . ومن تجاوز ذلك منهم الى منظوم أو منثور كثر غلطه وتكلفه وجاء الغث الذي لا يكاد يفهم . وأما الشيخ شلي فقد كان من نوادر المجيدين منهم : كان قادراً على الكتابة العربية السليمة من كثرة العجمة في العلوم والفنون والادب والتاريخ ، كما يعلم من تقدم تاريخ التمدن الاسلامي وغيره

كان رحمه الله تعالى أمة وسطاً بين أولى التفريط الجامدين على التقاليد القديمة ، وبين أهل الافراط من المفتونين بالتقاليد الحديثة ، اذ كان صاحب مشاركة صالحة في العلوم الاسلامية تمكنه من التدريس والتأليف فيها بطريقة استقلالية اذا شاء ، وصاحب مشاركة في العلوم السكونية من رياضية وطبيعية واجتماعية عرف بها حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه ، وقد اتقن علم التاريخ اتقاناً لعله لا يوجد في العالم الاسلامي كله من يساويه فيه الان . وقد دخل في أعمال الحكومة ثم تركها ، واشتغل بالتعليم في مدرسة العلوم السكية في عليكده على عهد مؤسسها السيد احمد خان الشهير وكان من أصدقائه ، واشتغل بأمر الجمعيات العلمية ، وساح في الممالك والاقطار ، فكان بعلومه وأعماله ، وسعة تجاربه واختباره ، وبما أوتيته قبل ذلك من ذكاء الذهن وعلو الهمة ومضاء العزيمة جديراً بان يكون من زعماء الاصلاح . وأن يقوم في وجهه من الخصوم من يتنزه بلقب الافساد ، ويرميه بالكفر والاحاد . كما هي سنة الله تعالى في العباد . وسيعرف أهل وطنه من قيمته بعد وفاته ، ما لم يعرفوه له أو يعترفوا به في حال حياته . وسندكر في الجزء الثاني ما وصل اليينا من ترجمته وما يعن لنا من البحث فيها والاعتبار بها ، رحمه الله تعالى واحسن عزاء البلاد الهندية والامة الاسلامية عنه



# المسحاة

١٣١٥

توفي خيرا تيمرا وباليصكر لا أولو الأبرار  
توفي الحكمة من إنشاء ومن يؤمن الحكمة فقد

توفي عبادي ثمن استغفر في القول فينبون أحسن  
أولئك الذين عدلوا ثمة وأولئك هم أولو الأبرار

قل عليه الصلاة والسلام : من أسلم سمى وه سيرا (أشار الطريق) -

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٣ ٢٥ الحوت (٣ -) ١٢٩٣ هـ ش ١٦ مارس ١٩١٥

## كلام الصوفية في الوقت

من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين . قال :

ومنها الوقت . قال صاحب المنازل ( باب الوقت )

﴿ قال الله تعالى ( ثم جئت على قدر ياموسى ) الوقت اسم لظرف الكون ، وهو اسم في هذا الباب لثلاثة معان على ثلاث درجات <sup>(١)</sup> : المعنى الاول <sup>(٢)</sup> حين وجد <sup>(٣)</sup> صادق لا يناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء ، أو <sup>(٤)</sup> لعصمة جذبه صديق خوف ، أو لتهلب شوق جذبه اشتعال محبة ﴾ وجه استشهاده بالآية ان الله سبحانه قدر مجي موسى أحوج ما كان الوقت اليه ، فان العرب تقول : جاء فلان على قدر . اذا جاء وقت الحاجة اليه ، قال جرير :

نال الخلافة اذ كانت على قدر كما أتى ربه موسى على قدر

وقال مجاهد : على موعد . وهذا فيه نظر لأنه لم يسبق بين الله سبحانه وبين موسى موعد للمجيء حتى يقال انه أتى على ذلك الموعد ، ولكن وجه هذا ان المعنى جئت على الموعد الذي وعدناه أن ننجزه ، والقدر الذي قدرناه أن يكون في وقته . وهذا كقوله تعالى ( ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ، ويقولون : سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ) لان الله سبحانه وتعالى وعد بارسال نبي في آخر الزمان يملأ الأرض نورا وهدي ، فلما سمعوا القرآن علموا ان الله أنجز ذلك الوعد الذي وعد به . واستشهاده بهذه الآية يدل على محله من العلم ، لأن الشيء اذا وقع في وقته الذي هو أليق الاوقات بوقوعه فيه كان أحسن وأنفع وأجدر ، كما اذا وقع الغيث في أحوج الاوقات اليه ، وكما اذا وقع الفرج في وقته الذي يليق به

(١) قال في المتن « وهو على ثلاث درجات » ( ٢ ) وقال فيه : الدرجة الاولى

( ٣ ) وفيه « وجد وجه » الخ ( ٤ ) سقطت هذه الجملة من نسخة المتن

ومن تأمل أقدار الرب تعالى وجريانها في الخلق علم انها واقعة في ألبق الاوقات بها ، فبعث الله سبحانه موسى أحوج ما كان الناس الى بعثته ، وبعث عيسى كذلك ، وبعث محمدا صلى الله عليه وآله عليهم أجمعين أحوج ما كان أهل الارض الى إرساله ، فهكذا وقت العبد مع الله يعمره بانفع الاشياء له أحوج ما كان الى عمارته

قوله « الوقت ظرف السكون » الوقت عبارة عن مقارنة حادث لحادث عند المتكلمين ، فهو نسبة بين حادثين ، فقوله ظرف السكون أي وعاء التكوين فهو الوعاء الزماني الذي يقع فيه التكوين ، كما ان ظرف المكان هو الوعاء المكاني الذي يحصل فيه الجسم ، ولكن الوقت في اصطلاح التوم أخص من ذلك . قال أبو علي الدقاق : الوقت ما أنت فيه ، فان كنت في الدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعجب فوقتك العجب ، وان كنت بالسرور ، فوقتك سرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن . يريد أن الوقت ما كان الغالب على الانسان من حاله ، وقد يريد أن الوقت ما بين الزمانين الماضي والمستقبل ، وهو اصطلاح أكثر الطائفة ، ولهذا يقولون : الصوفي والفقير ابن وقته . يريدون أن همته لا تمتدى وظيفة عمارته بما هو أولى الاشياء به وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالب به في الحين والساعة والراحة ، فهو لا يهتم بماضي وقته وآتیه ، بل بوقته الذي هو فيه ، فان الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيق الحاضر ، وكلما حضر وقت اشتغل عنه بالطرفين فتصير أوقاته كلها فوات .

قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين : سمعتم يقولون الوقت سيف فان قطعتة والا قطعك ، ونفست ان لم تشغلها بالحق ولا شغلتك بالباطل

قلت : يا لها كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائليها ويقظته ! ويكفي هذا تناء من الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم

وقد يريدون بالوقت ما هو أخص من هذا كله ، وهو ما يصادفهم في تعريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم . ويقولون : فلان بحكم الوقت . أي مستسلم

لما يأتي من عند الله من غير اختيار ، وهذا يحسن في حال ويحرم في حال وينقص صاحبه في حال ، فيحسن في كل موضع ليس لله على العبد فيه أمر ولا نهي ، بل في موضع جريان الحكم السكوني الذي لا يتعلق به أمر ولا نهي كالقفر والمرض والغربة والنجوع والألم وآخر والبرد ونحو ذلك ، ويحرم في الحال التي يجري عليه فيها الأمر والنهي والقيام بحقوق الشرع ، فإن التضييع لذلك والاستسلام والاسترسال مع تقدر السراح من الدين بالكفاية ، وينقص صاحبه في حال تقتضي قياما بالتواقل وأنواع الخير والطاعة ، وإذا أراد الله بالعبد خيرا أعانته بالوقت وجعل وقته مساعداً له ، وإذا أراد به شرا جعل وقته عليه وناكده وقته فكلما أراد التأهب للمسير لم يساعده<sup>(١)</sup> الوقت ، والاول كلما همت نفسه بالعودة أقامه الوقت وساعده وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق ، وأصحاب العواقب ، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق ، قل :

(فما أصحاب السوابق) فتلوهم أبدا فيما سبق لهم من الله ، لعلمهم ان الحكم الازلي لا يتغير باكتساب العبد ، ويقولون : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل . ففكرهم في هذا أبدا ، ومع ذلك فهم يجدون في القيام بالاولم واجتناب النواهي والتقرب الى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ولا ملتفتين اليها ، يقول قائلهم :

من أين أرضيك إلا أن توفقني هيهات هيهات ما التوفيق من قبلي  
ان لم يكن لي في المقدور سابقة فليس ينفع ما قدمت من علي  
وأما (أصحاب العواقب) فهم متذكرون فيما يحتم به أمرهم ، فان الامور بأواخرها والاعمال بنحواتها . والعاقبة مستورة كما قيل :

لا يعرفك صفا الاوقات فان تحتها<sup>(٢)</sup> غوامض الآفات  
فكف من ربيع نورت أشجاره . وظهرت أزهاره ، وزهت ثماره ، لم يلبث ان

(١) مخط من قوله « وإذا أراد به شرا » الى هنا \_ فتنازه من ب

(٢) لعل الاصل ، ففتحها ، فيه يستقيم الوزن ، أو ان كلمة صفاء ممدودة وورما كانت العبارة سجدة ، ولكنها كتبت في ب كما يكتب الشعر

أصابته حاجة سهاوية فصار كما قال الله عز وجل ( حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وأزجيت وطن أهلها انهم قد درون عليها - الى قوله ) يتنكرون ) فكمن من ريد كتابه جواد عزمه [ فخر صريه للدين والتم ] وقبل لبعضهم وقد شوهده منه خلاف ما كان ينفذ عليه : ما الذي أصابك : فقال حجاب وقع ، وأنشد

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسألتك الليالي فاعتبرت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ليس العجب ممن هلك كيف هلك انما العجب ممن نجا كيف نجا

[ تمجيين من سقمي صحبي هي العجب ] التاكسون على أعقابهم  
أضعاف أضعاف من اقتحم العقبة :

خذ من الالف واحدا واطرح الكل بعده

وأما ( أصحاب الوقت ) فلم يشغلوا<sup>(١)</sup> في السوايق ولا في المواقب بل اشتغلوا بمراجعة الوقت وما يلزمهم من أحكامه ، وقالوا : العارف ابن وقته<sup>(٢)</sup> لا ماضي له ولا مستقبل ، ورأى بعضهم الصديق رضي الله عنه في منامه فقال أوصني ، فقال له : كن ابن وقتك

وأما ( أصحاب الحق ) فهم مع صاحب نوب زمان وملكهم مديبرها ، مأخوذون بشهوده عن مشاهدة الأوقات : ولا يتفرغون لمراجعة وقت زمان كما قيل :

لست أدري أظال ليلى أم لا كيف يدري بذلك من يتقلب

لو تفرغت لاستطالة ليلى وزرع النجوم كنت محلي

ان العاشقين عن قصر الليل وعن نوبه من انما لو نجا

قال الخليل : دخلت على السري يوم فقلت له : كيف أصبح ؟ فقال يقول :

مافي النهار ولا في الليل لي فرح فلا ليلى أنا في الليل

ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار . يشير لي انه غير مطمئن له لا وقت ، بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار

(١) قال في باب الفكر في السوايق ٢ وفيها : انما لا يصح له الخ

## فصل

قال صاحب المنازل « الوقت اسم في هذا الباب ثلاث معان : المعنى الاول حين وجد صادق « أي وقت وجد صادق . أي زمن من وجد يقوم بقلبه وهو صادق فيه غير متكلف له ولا متعل في تحصيله « يكون متعلقه ايناس ضياء فضل « أي رؤية ذلك ، ولايناس الرؤية قال الله تعالى ( فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا ) وليس هو مجرد الرؤية ، بل رؤية ما يأنس به القلب ويسكن اليه ، ولا يقال لمن رأى عدوه أو مخوفا « آنسه » ومقصوده ان هذا الوقت وقت وجد صاحبه صادق فيه لرؤية ضياء فضل الله ومنه عليه ، والفضل هو العطاء الذي لا يستحقه المعطى أو يعطى فوق استحقاقه ، فاذا آنس هذا الفضل وطالعه بقلبه أثار ذلك <sup>(١)</sup> فيه وجدا آخر باعثا على محبة صاحب الفضل والشوق الى لثائه ، فان النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها . ودخلت يوما على بعض أصحابنا وقد حصل له وجد أبكاه فأسأته عنه فقال : ذكرت مامن الله به على من السنة ومعرفتها والتخلص من شبه القوم وقواعدهم الباطلة وموافقة العقل الصريح والغطرة السلبية لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسرتني ذلك حتى أبكاني . فهذا الوجد أثاره ايناس فضل الله ومنه

قوله « جذبه صفاء رجاء » أي جذب <sup>(٢)</sup> ذلك الوجد أو الايناس أو الفضل رجاء صاف غير مكدر ، والرجاء الصافي هو الذي لا كدر يشوبه <sup>(٣)</sup> بوجه معاوضة منك ؛ وان عمالك هو الذي يبعثك على الرجاء ، فصفاء الرجاء يخرج <sup>(٤)</sup> من ذلك بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئ بالنعم من غير استحقاق ، والفضل كله له ومنه . وفي يده أسبابه وغاياته ووسائله وشروطه وصرف موانعه . كل بيد الله لا يستطيع العبد أن ينال منه شيئا بدون توقيفه وإذنه ومشيئته

(١) في ب « بذلك » ٢ وفيها « جذبه » (٣) كانت العبارة عندنا ناقصة فصححت على ب (٤) في ب « بخلصه »

ويلخص ذلك ان الوقت في هذه الدرجة الاولى عبارة عن وجد صادق سببه رؤية فضل الله على عبده ، لان رجاءه كان صافيا من الاكدار قوله « أولعصمة جذبها صدق خوف » الام في قوله « أولعصمة معطوف على الام في قوله « أولابناس ضياء فضل » أي وجد لعصمة جذبها صدق خوف ، فالام ليست للتعليل بل هي على حدها في تولك : ذوق لكذا ، ورؤية لكذا . فتعلق الوجد بعصمة ، وهي معة وحفظ ظاهر وباطن جذبها صدق خوف من لرب سبحانه ، والفرق بين الوجد في هذه الدرجة والتي قبلها ان الوجد في الاولى جذبه صدق الرجاء وفي الثانية جذبه صدق الخوف ، وفي الثالثة التي تذكر جذبه صدق الحب ، فهو معنى قوله « أولانهاب شوق جذبه شتمال محبة » وخدمته التورية في الالهي والاشتمال ، والمحبة متى قويت اشتملت ناهيا في القلب لحدث عم لليب لاشتيق الى لقاء الحبيب ، وهذه الثلاثة التي تضمنتها هذه الدرجة وهي الحب والخوف والرجاء هي التي تبعث على عبارة الوقت بما هو الاول ، بعد والانفعالية ، وهي أساس السلوك والسير الى الله ، وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله ( أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة - أي هم اقرب - ويرجون عونه ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا ) وهذه الثلاثة هي قطب رحى العبودية ولها دارت رحى الاسمال والله اعلم

### مكمل

قال ( والمعنى الثاني <sup>(١)</sup> اسم الطريق الى الله تعالى من سكن وتلون ، سكنه الى التمكن ما هو بسلك الخلق ، وابتعد عن العلم به على ما ينبغي في حين ، والحال بحمله في حين . فبالايم بغيره لربه شوقا ، وبكبره وسيرة طوره ، وبزيه غيرة تفرق طوره ) هذا المعنى هو الذي من له في الدار من معاني الوقت عنده ، قوله « اسم الطريق سلك » هو سلكي لانا فذا في الطريق عبدا سلك ، قوله

(١) في المتن « الدرجة الثانية » (٢) في ب « يستعمله »

( المنار : ج ٢ ) ( ١٥ ) ( المجلد الثامن عشر )





يشاء منهما

قوله « فالعلم يشغله في حين » أي يشغله عن السلوك الى تمكن الحال ، لان العلم متنوع التعلقات فهو يفرق ، والحال مجتمع ، فانه يدعو الى الفناء وهناك سلطان الحال ؛ قوله « والحال يحمله في حين » أي يغلب عليه احوال تارة فيصير محمولا بقوة احوال وسلطانها على السلوك فيشتد <sup>(١)</sup> سيره بحكم الحال ، يعني واذا غلبه العلم يشغله عن السلوك ، وهذا هو المعبود من طريقة المتأخرين [ ان العلم يشغل عن السلوك ] ولهذا يعدون السالك من سلك على الحال ملتفتا الى العلم ، وأما على ماقررناه من أن العلم يعين على السلوك ويحمل عليه ويكون صاحبه سالكا به وفيه فلا يشغله العلم عن سلوكه وان أضعف سيره على درب الفناء ، فلا ريب ان العلم لا يجمع الفناء ، فالفناء ليس هو غاية السالكين الى الله بل ولا هو لازم من لوازم الطريق وان كان عارضا من عوارضها يعرض لغبر الكل — كما تقدم تقرير ذلك — فبينما ان الفناء الكامل الذي هو الغاية المطلوبة للفناء عن محبة ماسوى لله واداته فيفنى بمحبة الله عن محبة ماسواه . وبارادته ورجائه والخوف منه والتوكل عليه والالتابة اليه عن ارادة ماسواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، وهذا الفناء لا ينافي العلم بحال ، ولا يشغل عن العلم ولا يحول بين العبد وبينه ، بل قد يكون في أغلب الاحوال من أعظم أعوانه ، وهذا أمر غفل عنه أكثر المتأخرين بحيث لم يعرفوه ولم يسلكوه ، ولكن لم يخل الله الارض من قائم به داع اليه

قوله « فبلاؤه بينهما » أي عذابه وآله بين داعي الحال وداعي العلم ، قائمانه يحمله على اجابة داعي العلم ، ووارده يحمله على اجابة داعي الحال ، فيصير كالغريم بين مطالبين ، كل منهما يطالبه بمحبة وليس بيده الا ما يقضي أحدهما ، وقد عرفت ان هذا من الضيق والا فاع السعة يوفي كلا منهما حقه .

قوله « يذيقه شهوداً طوراً » أي ذلك البلاء الحاصل بين الداعيين بذيقه شهوده طوراً ، وهو الطور الذي يكون الحاكم عليه فيه هو العلم قوله « ويكسوه عبرة طوراً » الظاهر انه عبرة بالبلاء الموحدة والعين ، أي اعتبارا

بأفعاله واستدلالا عليه بها ، فإنه سبحانه دل على نفسه بأفعاله ، فالعلم يكسو صاحبه اعتبارا واستدلالا على الرب بأفعاله

وبصريح أن يكون غيرة بالغين المعجمة <sup>(١)</sup> وأبناء المشاة من تحت ومعتاه ان العلم يكسوه غيرة <sup>(٢)</sup> من حجابيه عن مقام صاحب اسأل ، فيعار من <sup>(٣)</sup> احتجابه عن اسأل بالعلم وعن العيان بالاستدلال وعن الشهود الذي هو مقام الاحسان بالايمنان الذي هو ايمان بالغيب

قوله « ويريه غيرة تفرق طوراً » هذا بالغين المعجمة ليس الا ، أي ويريه العلم غيرة تفرقة في أوديته فيفرق بين أحكام المال وأحكام العلم وهو حال صحو وتميز . وكأن الشيخ رحمه الله يشير الى ان صاحب هذا المقام يفرق تفرقة <sup>(٤)</sup> من جمعيتها على الله . فففسه تفر من الجمعية على الله الى تفرق العلم ، فإنه لا أشق على النفوس من جمعيتها على الله ، فهي تهرب من الله الى الخال تارة والى العمل تارة والى العلم تارة ، هذه نفوس السالكين الصادقين ، وأما من ليس من أهل هذا الشأن فنفوسهم تفر من الله الى الشهوات والراحات ، فأشق ما على النفوس جمعيتها على الله وهي تناشد صاحبها أن لا يوصلها اليه وان يشغلها بما دونه ، فان حبس النفس على الله شديد وأشد منه حبسها على أوامره وحبسها عن نواهيها ، فهي دائماً ترضيك بالعلم عن العمل والعمل عن الخال والخال عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر لا يعرفه الا من شد منزر سيره الى الله وعلم ان كل ما سواه فهو قاطع عنه

وقد تضمن كلامه في هذه الدرجة ثلاث درجات - كما أشار اليه - : درجة الخال ، ودرجة العلم ، ودرجة التفرقة بين الخال والعلم ، وهذه الثلاث درجات <sup>(٥)</sup> هي المختصة بالمعنى الثاني من معاني الوقت والله أعلم

(١) في ب زيادة « بالغين المعجمة » (٢) وفيها « غيرة » (٣) وفيها « فيعار » حجابها احتجابه « الخ (٤) وفيها « تفرقة » (٥) كان الظاهر أن يقال : الثلاث الدرجات

## فصل

قال ﴿ والمعنى الثالث <sup>(١)</sup> قالوا : الوقت الحق . أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي لكنه اسم <sup>(٢)</sup> في هذا المعنى الثالث حين يتلشى فيه الرسوم كشفا لوجودا محضا . وهو فوق البرق والوجد ، وهو يفارق <sup>(٣)</sup> مقام الجمع لودام وبقي ، ولا يبلغ وادي الوجود لكنه يلقي <sup>(٤)</sup> مؤنة المعاملة ، ويصفي عين المسامرة ، ويشم روائح الوجود ﴿ هذا المعنى الثالث من معاني الوقت أخص مما قبله وأصعب تصورا وحصولا ، فإن الأول وقت سلوك يتلون ، وهذا وقت كشف يتمكن ، ولذلك أطلقوا عليه اسم الحق لعلية حكمه على قلب صاحبه ، فلا يحس برسم الوقت بل يتلشى ذكر وقته من قلبه لما قهره من نور الكشف

ف قوله « قالوا الوقت هو الحق » يعني ان بعضهم أطلق اسم الحق على الوقت ، ثم فسر مرادهم بذلك وانهم عنوانا به استغراق رسم الوقت في وجود آخر ، ومعنى هذا ان السالك بهذا المعنى الثالث اذا شهد استغراق وقته في وجود الحق يتلشى عنه وقته بالكلية ، وتقريب هذا الى الفهم انه اذا شهد استغراق وقته الحاضر في ماهية الزمان فقد استغرق الزمان رسم الوقت الى ما هو جزء يسير جدا من أجزائه ، وانغم فيه كما تنغم القطرة في البحر ، ثم ان الزمان المحدود الطرفين يستغرق رسمه في وجود الدهر وهو ما بين الأزل والابد ، ثم ان الدهر يستغرق رسمه في دوام الرب جل جلاله ، وذلك الدوام هو صفة الرب ، فهناك يضمحل الدهر والزمان والوقت ولا يبقى له نسبة الى دوام الرب جل جلاله البتة ، فاضمحل الزمان والدهر والوقت في الدوام الإلهي كما تضمحل الانوار المخلوقة في نوره ، وكما يضمحل علم الخلق في عليه وقدرهم في قدرته وجمالهم في جماله وكلامهم في كلامه <sup>(٥)</sup> بحيث لا يبقى للمخلوق

(١) وفي المتن « الدرجة الثالثة » (٢) وفيه « لكنه هو اسم » (٣) وفيه وفي ب وفيه « يشارف » وهو الصواب (٤) وفيها وفيه « يكفي » (٥) لعل الاصل : وكلامهم في كماله

نسبة ما الى صفات الرب جل جلاله

واقوم اذا أطلق أهل الاستقامة منهم [ مافي الوجود الا الله ] أو [ ما ثم موجود على الحقيقة الا الله ] أو [ هناك يقنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ] ونحو ذلك من العبارات ، فهذا مرادهم لاسيما اذا حصل هذا الاستغراق في الشهود كما هو في الوجود ، وغلب سلطانه على سلطان العلم ، وكان العلم <sup>(١)</sup> مغمورا بوارده ، وفي قوة التمييز ضعف وقد توارى العلم بالشهود وحكم الخال ، فهناك ثبت الله الذين آمنوا بأقول الثابت ، وتزل أقدام كثيرة الى الخفيض الأدنى ، ولا ريب ان وجود الحق سبحانه ودوامه يستغرق وجود كل ماسواه ووقته وزمانه ، بحيث يصير كانه لا وجود له ، ومن هنا غلط القائلون بوحدة الوجود وظنوا انه ليس لغيره وجود البتة ، وغرم كلمات مشتبهات جرت على السنة أهل الاستقامة من الطائفة فجعلوها عمدة لكفرهم وضلالهم ، وظنوا أن السالكين سيرجعون اليهم وتصير طريقة الناس لوحدة ( وبأي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون )

قوله « وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي » يريد ان الحق سابق <sup>(٢)</sup> على الاسم <sup>(٣)</sup> الذي هو الوقت ، أي هو منزعه عن أن يسى بالوقت فلا ينبغي إطلاقه عليه ، لأن الأوقات حادثة

قوله « لكنه اسم في هذا المعنى الثالث حين تتلاشى فيه الرسوم كتما لا وجودا محضاً » تلاشي الرسوم اضمحلالها وفنائها ، والرسوم عندهم ماسوى الله ، وقد صرح الشيخ انها إنما تتلاشى في الكشف لاني الوجود العيني الخارجي ، فان تلاشيها في الوجود خلاف الحس والعيان ، وإنما تتلاشى في وجود العبد الكشفي بحيث لا يبقى فيه سمة الاحساس بها لما استغرقت من الكشف ، فهذه عقيدة أهل الاستقامة من القوم

وأما الملاحدة أهل وحدة الوجود فمندم انها لم تزل متلاشية في عين وجود الحق ، بل وجودها هو نفس وجوته ، وإنما كان الحس يفرق بين الوجودين فلما

(١) في ب « وكان القلب » (٢) وفيها « سبحانه » بدل « سابق » وهو غلط

(٣) وفيها « هذا اسم » الخ

غاب عن حسه بكشفه تين ان وجودها هو عين وجود الحق ، ولكن الشيخ  
 كأنه عبر بالكشف والوجود عن المقامين اللذين ذكرهما في كتابه ، والكشف  
 هو دون الوجود عنده ، فان الكشف يكون مع بقاء بعض رسوم صاحبه فليس  
 معه استغراق في الفناء ، والوجود لا يكون معه رسم باق ، ولذلك قال « لا وجودا  
 محضا » فان الوجود المحض عنده يفتي الرسوم ، وبكل حال فهو يفتيها <sup>(١)</sup> من  
 وجود الواجد لا يفتيها في الخارج

وسر المسئلة ان الواصل الى هذا المقام يصير له وجود آخر غير وجوده الطبيعي  
 المشترك بين الموجودات ، ويصير له نشأة أخرى قلبه وروحه نسبة النشأة الحيوانية  
 اليها كنسبة النشأة في بطن الام الى هذه النشأة المشاهدة في العالم ، وكنسبة هذه  
 النشأة الى النشأة الأخرى

فلعمد أربع نشآت : نشأة في الرحم حيث لا بصير يدركه ولا يد تاله ، ونشأة  
 في الدنيا ، ونشأة في البرزخ ، ونشأة في المعاد الثاني ، <sup>(٢)</sup> وكل نشأة أعظم من التي  
 قبلها ، وهذه النشأة للروح والقلب أصلا ، وللبدن تبعاً ، فالروح في هذا العالم  
 نشأتان ( احدهما ) النشأة الطبيعية لمشاركة ( والثانية ) نشأة قلبية روحانية يولد لها  
 قلبه وينفصل من مشيمة طبعه ، كما ولد بدنه وانفصل من مشيمة البطن ، ومن لم  
 يصدق بهذا فليضرب عن هذا صفحا وليشتغل بغيره . وفي كتاب الزهد للإمام  
 أحمد ان المسيح عليه السلام قال للحواريين : إنكم لن تلجوا ملكوت السماء حتي  
 تولدوا مرتين . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : هي ولادة  
 الارواح والقلوب من الابدان وخروجها من عالم الطبيعة كما ولدت الابدان من  
 البدن وخرجت منه ، والولادة الأخرى هي الولادة المعروفة والله أعلم

قوله « وهو فوق البرق والوجد » يعني ان هذا الكشف الذي تلاشت فيه  
 الرسوم فوق منزلتي البرق والوجد ، فانه أثبت وأدوم ، والوجود فوقه لانه يشعر  
 بالدوام ، قوله « وهو يشارف مقام الجمع لو دام » أي لو دام هذا الوقت لشارف  
 مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق سبحانه وتعالى شغلا به عن غيره فهو

(١) وفيها « ينشئها » وهو غلط (٢) كلمة الثاني من زيادة ب

١٢٠ المسامرة هي المناجاة . استفتاء ادباء العصر في بيت من الشعر [ المنار : ج ٢ م ١٨ ]

جميع في الشهود . وعند الملاحظة هو جمع في الوجود ، ومقصوده انه لو دام الوقت بهذا المعنى الثالث لشارف حضرة الجمع لكنه لا يدوم .

قوله « ولا يبلغ وادي الوجود » يعني ان الوقت المذكور لا يبلغ السالك فيه وادي الوجود حتى يقطعه ، ووادي الوجود هو حضرة الجمع ، قوله « لكنه يلقي مؤنة المعاملة » يعني ان الوقت المذكور وهو الكشف المشارف لحضرة الجمع يخفف عن العامل اثقال المعاملة مع قيامه بها اتم القيام بحيث يصير هي الحاملة ، فانه كان يعمل على ان يخرق فصار يعمل على العيان ، هذا مراد الشيخ . وعند الملحد انه يقني عن المعاملات الجسمانية ، ويرد صاحبه الى المعاملات القلبية ، وقد تقدم اشباع هذا المعنى قوله « ويصفي عن المسامرة » المسامرة عند القوم هي الخطاب القلبي الروحي بين العبد وربه ، وقد تقدم ان تسميتها بالمناجاة أولى ، فهذا الكشف يخلص عن المسامرة من ذكر غير الحق سبحانه ومناجاته

قوله « ويشم رائحة الوجود » أي صاحب مقام هذا الوقت الخاص يشم رائحة الوجود وهو حضرة الجمع فاهم يسمونها بالجمع والوجود ، ويعنون بذلك ظهور وجود الحق سبحانه وفناء وجود ماسواه . وقد عرفت ان فناء وجود ماسواه باحد اعتبارين : إما فناؤه من شهود العبد فلا يشهده ، وإما اضمحلاله وتلاشيته بالنسبة الى وجود الرب ، ولا تلقت الى غير هذين المعنيين فهو إلحاد وكفر والله المستعان ؟

استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر

ذهب ذاهب بل كتب كاتب يقول في البيت المشهور الجامع اميـوب  
الخطيب في أول كتاب البيان والتبيين للجاحظ

جديرٌ بِمُهْرٍ والتفاتٍ وسَعْلَةٍ ومسحةٌ عُشُونٍ وفتل الاصابع  
: إن ضبط التفات وما عطف عليه بالجر غلط صوابه الرفع فيها كلها على ان  
« التفات » مبتدأ حذف خبره وما بعده معطوف عليه . فان كان يوجد أحد يميز  
فهمه وذوقه لآفة هذا الضبط فليفضل ببيان ذلك لنا ؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

والحق أن الاعصاب كلها ترتبط أجزاء الجسم بعضها ببعض كما ترتبط أسلاك  
التلغراف بعض الممالك ببعض الآخر

٤

﴿ تذييل لما تقدم ﴾

في الارادة والروح والقوى العقلية

قلنا إن سبب حركة القلب لا يعلمه أحد إلا الله تعالى ، فهي من الخواص  
التي وهبها له ، وكذلك وهب مثل هذه الحركة الذاتية للخلايا ذات الاهداب  
المبطنة لبعض الأغشية كالشعب الرئوية ، وللخلايا المتحركة ككريات الدم البيضاء  
وغيرها ، ولكن هناك فرقا بين حركة هذه وتلك ، فإن حركة الكريات لانظام  
لها بخلاف حركة الاهداب فإنها في غاية النظام ، وسريعة جدا ، وهي في انتظامها تشبه  
انتظام ضربات القلب . فكل هذه الخلايا تتحرك حركة ذاتية لا يعلم لها سبب  
مطلقا ، وإن كان للبيئة تأثير فيها يمثل الزيادة أو النقصان ، ولكن نفس الحركة كأنها  
بارادة هذه الخلايا اقية . وإحقق أنها من أعظم مظاهر إرادتها وحياتها ، وهي عامة  
في كل الخلايا ، نباتية كانت أو حيوانية ، ولكنها تكون أظهر في بعضها من البعض  
الأخر أو تكون كامنة فيه ، وهي أدل على إرادة بعضها من بعضها

ومعنى كون هذه الحركة بارادة الخلية أنها من عملها الذاتي الذي لا يظهر أن  
للبينة تأثيرا في إيجاده وإنشائه ، فمثلا تشاهد الكريات البيضاء أو بعض الميكروبات  
تتحرك في المسائل الواحد ثم تسكن ثم تتحرك بدون أي سبب خارجي وأحيانا

تتجه الى جهة ثم تعدل عنها الى غيرها وهكذا ، أي إن عملها يختلف في البيئة الواحدة ، ولا معنى للارادة سوى هذا

وكذلك المخ قد يبدأ العمل ثم يتركه بدون أي سبب خارجي لا في الحال ولا في الماضي بحسب ما نعلم ، بل بمحض الارادة والاختيار وان عارض ذلك كثير من الفسيولوجيين

فالخلق أن الارادة وحرية العمل هي أكبر خواص الاحياء وهي أعظم ما يميزها عن الجداد ، وأما زعم بعضهم أن الاعمال كلها ليست إلا أفعالا منعكسة فهو لا يمكن اثباته ، وما هذا الزعم إلا أثر من آثار التعاليم المادية في نفوسهم

هذا ولما كانت حياة الجسم كله متوقفة على حياة القلب فلا يبعد أن تكون الروح شيئا مستقرا فيه ، ولا يبعد أن تكون من عالم الاثير ، وموت القلب تنفصل عنه . ولا تقول ان الخلايا الاخرى حية بغير شيء كذا ، بل تقول ان حياة القلب أروحه هي أكبرها وأعظمها ، ولذلك قلنا ان روحه هي روح الانسان لأن عليها مدار حياته ، فهي الروح الرئيسة وغيرها تابع لها

واعلم ان القشرة السنجابية للمخ هي مركز الشعور العام والارادة والتعقل وان كان لكل الخلايا الحية مثل هذه الصفات إلا أنها فيها في الحالة الانثوية ، كما أن الانقباض هو من خواص الخلايا الحية كلها ولكنه في خلايا العضلات أظهر منه في غيرها ، وهكذا يقال في سائر الخواص الاخرى للحياة

وهناك علاقة كبرى بين قوة المخ فيما ذكر وبين حجمه ، وإذا قارنا وزنه بوزن الجسم كله وجدنا أن مخ الانسان أكبرها بالنسبة الى جسمه . أما أكبر الانحاء على الاطلاق فهو مخ النمل والخوت

ثم إنك تجد أن مخ الذكي أثقل من مخ البليد والابله ، ومخ الرجل أثقل من مخ المرأة ، وكل مثل ذلك في الراقي في العلم والادب مع المنحطه الاما يستثنى من ذلك وكذلك كثرة التلافيف في القشرة السنجابية وتعدد تعاريجها وعمق الميازيب التي بينها كلها أشياء تختلف باختلاف القوى العقلية فهي تكثر في الانسان وتقل أو تنعدم في الحيوانات التي هي دونه رقيقا . وعند ولادة الطفل يكاد المخ يكون غلامها





ومن البطين الايمن يخرج شريان كبير يحمل الدم الى الرئتين  
وفي جذر الاذين الايسر أربع فتحات لأربعة أوردة: اثنان منها آتيان من  
الرئة اليمنى، واثنان من الرئة اليسرى

ومن البطين الايسر يخرج شريان عظيم يسمى بالافرنجية Aorta  
(أورطى) وبالغربية الأبهري وهو أكبر شريان في الجسم يحمل الدم في فروعه  
الى جميع أجزاء الجسم

وبين الاذنين الايمن والبطين الايمن فتحة لها صمام (غطاء) يسمح  
بمرور الدم من الاولى الى الثانية ولا يسمح بالعكس  
وبين الاذنين الايسر والبطين الايسر فتحة لها صمام أيضا ولكنها أصغر من  
الفتحة المتقدمة ووظيفتها كوظيفة تلك

وكل من الشريان الرئوي والابهري له ثلاث صمامات تسمح بمرور الدم من  
القلب الى الشريان ولا تسمح بالعكس

وأعظم أمراض القلب هي التي ينشأ عنها تلف هذه الفتحات بحيث تضيق  
عن المعتاد أو تسمح برجوع الدم الى عكس المجرى الطبيعي  
والقلب ينقبض من أعلى الى أسفل فينقبض أولا الاذنان فيندفع الدم منهما  
الى البطينين . ثم ينقبض البطينان فيندفع الدم منهما الى الشريان الرئوي من الجهة  
اليمنى للقلب ويندفع الدم الى الأبهري من الجهة اليسرى للقلب

وإذا اجتمع الدم الفاسد في الاوردة سار الى الاجوف الاعلى والاجوف  
الاسفل وانصب في الاذنين الايمن ومنه الى البطين الايمن ومنه الى الشريان  
الرئوي فالرئتين لينصلح هنالك ( يخرج ثاني أكسيد النخمس منه ودخول  
أكسجين فيه من الهواء ) ثم يعود الدم من الرئتين في الاوردة الاربعة التي تصب  
في الاذنين الايسر ومن الاذنين الايسر يندفع الدم الى البطين الايسر ومنه الى  
الابهري (الأورطى) ومن الابهري يوزع على جميع أجزاء الجسم كافة فيحمل اليها  
دما صالحا. وتنتهي جميع فروع الابهري بعروق دقيقة جدا يتصل بعضها ببعض كشبكة  
وهذه العروق هي المسماة بالشعرية تشبها لها بالشعر وينشأ منها أوردة صغيرة

( وهي العروق التي يتجمع فيها الدم الفاسد بعد مروره على جميع أجزاء الجسم ولونه أسود ) وهذه الاوردة الصغيرة يجتمع بعضها ببعض فيتألف منها أوردة أكبر فأكثر حتى تنتهي الى الاجوف الاعلى والاجوف الاسفل وهما أعظم ويريد في الجسم ومن ذلك يعلم أن الشريان هو العرق الحامل للدم الصالح ، والموريد هو العرق الحامل للدم الفاسد . وهذه التسمية صحيحة في الجسم كله ماعدا الشريان الرئوي فإنه يحمل دما فاسداً ، وماعدا الاوردة الاربعة الرئوية فإنها تحمل دما صالحا ، ولذا رأى المشرحون تعريفا آخر أصح ، وهو أن الشريان هو كل عرق يحمل الدم الخارج من القلب ، والموريد كل عرق يحمل الدم الذاهب الى القلب بقطع النظر عن صلاحه أو فساده

وبما تقدم يعلم أن الدم في دورته في الجسم كله لا يخرج مطلقا عن العروق ( الشرايين والاوعية الشعرية والاوردة ) الا اذا أصابها حادث تمزقت بسببه فيخرج اذا منها وينسكب حولها ويسمى ذلك بالرض أو الكدم <sup>(١)</sup> وهو الزرقه التي تشاهد في الجسم عند ضربه أو اصطدامه بجسم صلب ويستثنى من ذلك موضعان ليس فيهما أوعية شعرية فيسير الدم من الشرايين الى تجاويف فيهما ومنها الى الاوردة وهذا الذكر والطحال ، وانصباب الدم في هذه التحوييف بكثرة في الذكر نحدث اتصاله

أما الاشياء الصالحة التي في الدم فتخرج مع مائة اندم من خلال جدر الاوعية الشعرية لتغذية جميع خلايا الجسم وأما الكريات الدموية فهي التي تبقى دائما في داخل العروق الا في الاحوال الاستثنائية . والمواد المائية الخارجة من الاوعية الشعرية تفعل ذلك بطريقة الاسموز الذي سبق بيانه في علم الطبيعة

عدد ضربات القلب والنبض

انقباض قلب الانسان تبلغ في الدقيقة اثنى عشرة نحو ٧٠ أو ٧٢ مرة في الذكر ، <sup>(١)</sup> الرض لغة الدق والكدم العض ، وفي اصطلاح أطباء هذا العصر يطلق الاول على النزف تحت الجلد من الاوعية الكبيرة والثاني عليه من الاوعية الصغيرة

و ٨٠ في لانس ، وهي في الاجنة والامفال اكبر منها في غيرها ، وتقل في الشيوخ ، وقد تزيد هذه الانقباضات في كثير من الاحوال كما في الخوف الشديد وفي الحيات وغير ذلك ، وقد تكون هذه الانقباضات أو انقباضات قليلة في بعض الاشخاص بدون مرض ، وهي تضعف في بعض الامراض وخصوصا قبيل الموت . والدورة الدموية تم في أقل من نصف دقيقة

وكذا انقباض القلب يدفع الدم منه الى شرايين فيحدث فيها امتلاء فجائيا وهو يسمى بالنقبض وهو الذي يحسه الطبيب فوق الرسغ وغيره لمعرفة حالة ضربات القلب ، والنقبض لا يشعر به عادة في الاوردة لأن قوة الضغط اذا وصلت الى الاوعية الشعرية التي بين الشرايين والاوردة تكون قد قلت حتى لا يشعر الانسان في الاوردة بضغط جديد متكرر كما في الشرايين . وعدد مرات النبض في الشرايين تدل تمام ، مرات ضربات القلب وتحدث بعدها مباشرة الا انها في الشرايين البعيدة تتأخر فترة قصيرة جدا عن ضربات القلب

### الدم

يوجد في جسم الانسان عادة ١٢ من وزن جسمه دما ، فيكون التقدير الذي في جسم الكبار ٨٠ من داني ، ثلث من الدم . وهو سائل أحمر اللون غليظ يركب بتركيبه من فصين : الاول كريات ، والثاني ماء الدم وهو المسمى بالالبزجة ( Plasma )

والكريات فهي نوعان : كريات حمراء وهي عبارة عن غشاء رقيق متلي مادة حمراء اللون ، وفي جسم من الثدييات تسمى « الهيموجلوبين » ويختلف شكل هذه الكريات الحمراء . مختلف الحيوانات : ففي ذوات الثدي تكون أقراصا مستديرة مسطحة ، وفي الحيتان ولائحة لسان ، وعند الجمال فإن كراتها محدبة من الجانبين وهو الفرق الوحيد بينها وبين الحيوانات الاخرى الثديية

أما في الطيور والزواحف والاسماك وذوات الحياتين وهي التي تعيش في الهواء والماء (١) « تسمى بالبروتانية وغيرها Amphibia ومعنى Amphibi « كلنا » Bios « حياة » وهي تعيش في البر والبحر

كالضفادع فكرياتها جميعا يضاوية الشكل محببة من الجانبين ولها نواة. وحجم هذه الكريات كلها يختلف باختلاف الحيوانات. وأعظم منشأ للكريات الحمراء هو النخاع الاسبنجية كما سبق وخصوصا عظام الضلوع وهي أهم مصدر لها وأما الكريات البيضاء فهي خلايا حيوية ولها نواة واحدة أو أكثر وحركة ذاتية بحيث يمكن أن تنتقل من مكان إلى مكان بنفسها، وهي تنشأ من الغدد اللمفاوية ونحوها كالطحال. وأعظم وظيفة لها أنها تقتل الميكروبات وتأكلها فتقتل الدم منها فإذا أصاب جزء من الجسم عارض أحدث فيه التهابا ودخل فيه بعض الميكروبات أسرع هذه الكريات البيضاء إليها فالتصقتها وقتلتها فإن تقلبت الميكروبات مرض الجسم وإن نجحت الكريات في قتلها وقت الجسم من شر هذه الميكروبات، وما يموت منها في أثناء هذا القتال يتجمع في موضع الالتهاب مغلطا بغيره ويسمى بالمدة أو الصديد، فأكثر كريات المدة عبارة عن شهداء هذي الحرب أي كرات بيضاء ميتة أما عدد الكريات الحمراء في الجسم فهو ملايين كرية في كل مليمتر مكعب من الدم تقريبا، وأما البيضاء فهي من سبعة آلاف إلى عشرة. وسيأتي في فصل التنفس الكلام على وظيفة الكريات الحمراء.

وإذا خرج الدم من العروق تجمد، وتجمد يحصل هكذا: -  
ينفصل من مائة الدم مادة تسمى الفبرين أو الليفين لأنها خيوط الليف فتخييط هذه الألياف بالكريات البيضاء والحمراء وتنقبض عليها وتكون الجزء المتجمد الذي يسمى بالعريّة المعلقة<sup>(١)</sup> (Clot) وما بقي من ماء الدم يسمى المصل وفي الدم مواد زلالية وسكر (جلوكوز) وأملاح عديدة ومواد دهنية وماء وغير ذلك، أما مائة الدم إذا خفت بماء أكثر أو قلّ زلالتها تسمى اللب

ومما تقدم يعلم أن الدم في دورته يعمل معه جميع المواد المغذية التي يحتاجها الجسم وكذلك يأخذ معه من الجسم المواد النافعة التي تخلصت عن الاحتراق الجفائي ليوزعها على الأعضاء المختصة بإخراجها من الجسم كالجلد والكليتين. وأهم هذه

«١» يسمى أول طور من أطوار الجنين أيضا بالمعلقة لأنه مركب من عدة خلايا «كريات» ناشئة من انقسام البويضة وتكون قطعة جامدة كعلقة الدم

المواد الثالثة البولينا وحامض البوليك والكرياتينين وغير ذلك

### حكم تحريم شرب الدم في الشرائع الالهية

(أولها) أن الدم عسر الهضم جدا حتى انه اذا انصب جزء منه في المعدة تقاياه الانسان أو يخرج مع البراز بدون هضم على صورة مادة لزجة سوداء والسبب في عسر هضمه هذا هو وجود المادة الحراء الحديدية التي فيه . وفي أثناء مرور الدم في القناة الهضمية يتحلل ويتعفن وبذلك يضر الجسم أيضا . ومسئلة عسر هضمه المذكورة هنا مشاهدة كثيرا كلما انصب دم في المعدة بسبب جرح أو غيره

(ثانيها) أن الدم - كما سبق - يحمل كثيرا من المواد المتخلفة عن الجسم وهي فضلات له فلا يصح اعادتها اليه مع أن الطبيعة اقتضت خروجها منه ، نعم قيل أن البولينا نافعة في السل الرئوي ولكن ذلك لم يثبت الى الآن وهي ليست موجودة وحدها بل معها أشياء أخرى ضارة

[ ولعله اذا ثبت ان البولينا نافعة يكون ذلك احد أسباب شرب العرب بول الابل وهو يختلف بعض الاختلاف عن بول الحيوانات آكلة اللحم فلهذا ربما كان نافعا في بعض الامراض كما ورد في بعض الاخبار النبوية

وأعظم اختلاف بين هذا البول وبين الابول الاخرى أنه هو وغيره من أبوال آكلات النباتات قلوي التأثير مشتمل على كثير من الكربونات وهي لاشك نافعة للمعدة وغيرها ، مدرة للبول ]

(ثالثها) انه في كثير من الامراض العفنة المعدية يوجد في الدم ميكروبات ضارة جدا وكذا سمومها القتالة فانها تدور في الدم . فان قيل لم لا يطبخ الدم ويؤكل بعد قتل هذه الميكروبات بالغلي ؟ قلت ( ١ ) إن الغلي يجمد جميع المواد الزلالية التي في الدم وبذلك تصير أشد عسرا مما كانت ( ٢ ) إن من هذه السموم ما لا يتغير بالغلي تغيرا يجعلها صالحة للجسم ( ٣ ) إن بعض الميكروبات اذا تجمدت احولها من المواد الزلالية التي في الدم وقتها من فعل النار لانها موصلة رديئة للحرارة ، وأيضا فان حبيبات ( أي بزور ) الميكروبات تقاوم درجة الغليان بضع دقائق فاذا لم تمت نمت في جسم آكل الدم وأمرضته

أما حقن دم الحيوان في وريد الانسان ففيه أنه قد ينقل المرض اليه، أو يجمد الدم في عروقه، فإن اتقينا هذا وذلك بالطرق العلمية انحلت كريات الدم الحمراء باختلاف كثافة الدمين ولغير ذلك ونزلت حمرة الدم في البول وذلك ضياع له . ولذلك لا يحقن الاطباء الآن الدم ويحقنون عادة محلول ملح الطعام . على أن حقن الدم خارج عن موضوع التحريم

### الأمف والاعوية المفاوية

إذا خرجت مائة الدم من الاعوية الى أنسجة الجسم عادت الى الدم ثانية بطريق الاعوية المفاوية وهذه الأعوية عبارة عن قنوات دقيقة شعرية منتشرة في جميع أجزاء الجسم وفيها صمامات عديدة فتحمل جميع مائة الدم التي خرجت منه وتعيدها اليه

أما هذه المائة المخففة<sup>(١)</sup> والمائة لجميع أجزاء الجسم فهي المسماة (بالمادة المفاوية) و«لما» كلمة لاتينية معناها الماء

وجميع الاعوية المفاوية التي في الذراع الايمن ونصف الصدر الايمن وما حوى ونصف الرأس والعنق الايمن وأعلى سطح الكبد كلها تلتصق وتصب في قناة واحدة تسمى «القناة المفاوية اليمنى» وهذه تصب في أحد الاوردة التي في داخل الصدر من أعلى الجانب الايمن

أما الاعوية المفاوية الباقية فتصب في قناة أخرى عظيمة تسمى «القناة الصدرية» وهي أيضا تصب في أحد الاوردة في أعلى الصدر من الجهة اليسرى ويوجد في طريق جميع هذه الاعوية المفاوية غدد من مادة مخصوصة تسمى «الغدد المفاوية» ووظيفتها تكوين كريات بيضاء للدم وتصفية جميع المادة المفاوية المارة بها من كل ما فيها من الميكروبات وغيرها ، فإذا أصاب أحد أصابع اليد جرح مثلا فسد بسبب وجود ميكروبات فيه أحس الانسان بانتفاخ وألم في يبطه ،

(١) نظرا لعسر مرور المواد الزلالية خلال الأغشية بطريق الاسموز - كما سبق بيانه - كانت هذه المائة مخففة لقلة الزلال فيها لذلك السبب

وذلك ناشئ من كبر حجم هذه الغدد وانفعالها انفعالا شديدا لقتل الميكروبات الواصلة اليها ، فان تغلبت عليها والآن تحولت الى خراج بسبب موت كثير من الكريات البيضاء التي فيها من عراكها مع الميكروبات كما سبق

وهذه المادة اللصافية تندفع نحو القلب بسبب ضغط المواد اللصافية المنسجمة خلفها ، وبسبب حركات العضلات ، وأيضا بسبب انقباض بعض هذه الاوعية اللصافية على ما فيها وبغير ذلك . ويمنع رجوع هذه المادة الى الانسجة ما في هذه الاوعية من الصمامات العديدة

ويوجد في بعض الحيوانات التي تحت رتبة الانسان ( وهي الواثنية ) كالضفادع مثلا قلوب لتحريك هذه المادة اللصافية كقلب الدم الموجود في الانسان وغيره

### دم الحيض

ينشأ دم الحيض من تمزق في أوعية الدم الموجودة في الغشاء المخاطي المبطن للرحم في كل شهر قري مرة على الغالب ويختلط هذا الدم في أثناء نزوله بمواد مخاطية وأحماض وغير ذلك من مفرزات الرحم وغيره . ولا يعلم سبب هذا التمزق الشهري الى الآن . ومن ذلك يفهم انه ليس دما صافيا تماما بل مختلطا بمفرزات الرحم والمبيضين وغيرهما . وتأثيره في ورق عباد الشمس يدل على حموضته

وانما حرم الجماع في زمن الحيض للأسباب الآتية : —

(١) إن تهييج أعضاء الاثنى بالجماع في هذا الوقت قد يحدث احتقاناً فالتهايات وحمة أو مبيضة أو حوضية تضر بصحتها ضراراً بليغا . وربما نشأ عن هذا الالتهاب تلف في المبيضين أو مجاري البیضة يؤدي الى العقم . وأيضاً فان تعريض الاثنى للهواء في هذا الوقت يضر بأعضائها الداخلية وقد يحدث فيها التهابا

(٢) إن دخول مواد الحيض في مجرى قضيب الرجل قد يحدث فيه التهابا صديديا في بعض الاحيان ، وهذا الالتهاب يشبه السيلان ، وقد يمتد الى الخصيتين فيؤذيها وربما نشأ عن ذلك أيضا عقم الرجل

فجملة القول ان الجماع في الحيض قد يحدث عفا في الذكر والاثنى ويؤدي الى



التهاب أعضائهما الذي يفسد محتتهما . وكفى بذلك ضررا . ولذلك تجدد أطباء العالم المتشدن الآن ينهون عن الجماع في ذلك الوقت كما نهى القرآن عنه فإنه لاشك أذى للرجل والآن

### النزف والنزيف

النزف معناه خروج الدم من أوعيته ( الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة) والنزيف هو الدم المنزوف . والنزف ثلاثة أنواع : —

( ١ ) نزف الى خارج الجسم كأن ينصب الدم على الارض مثلا  
( ٢ ) نزف في تجاويف الجسم كأن ينصب في البطن  
( ٣ ) نزف في داخل الانسجة كأن ينصب تحت الجلد أو في العضلات  
وهذا النوع الاخير هو المسمى بالرض أو السكدم كما سبق  
وسبب النزف هو تمزق العروق بسبب ما كحادث يقطع العرق أو مرض  
يفجره كالدرن أو الزهري أو مرض القلب

أما النزيف الذي يكون خارج الجسم أو في تجويف من تجاويفه فالغالب أنه ينتهي بالموت اذا كان غزيرا بشرط أن لا يعوقه عائق يسد العرق الذي يخرج منه الدم ، ففي هذه الحالة لا يموت الشخص وإنما يصاب بدوار شديد واصفرار . وبعد ذلك تعود اليه صحته شيئا فشيئا كلما تجدد دم بدل الجزء المفقود

وأما النوع الثالث وهو الذي ينسكب في أنسجة الجسم فهذا في الغالب لا يورث ضررا كبيرا لان كمية الدم تكون عادة قليلة بسبب ممانعة أنسجة الجسم للنزيف ، وقد يحدث في مكان الدم خراج

أما في الحالة الاولى والثانية فاذا تقدم كثير من الجسم اشتد الدوار والاصفرار كما قلنا ، ويصاب الانسان بما يسمى في علم الطب بالهبوط ( أو الهمود ) فيغنى عليه ويضعف نبضه ، ويصاب الجسم بعرق بارد ، وتبرد الاطراف ، وبعد ذلك يموت الشخص ، وقد يتشجع جسمه قبيل الموت

وأما في النزف داخل الانسجة فيزرق الجلد إذا كان الدم المنسكب قريبا منه ، وبعد بضعة أيام تأخذ هذه الزرقة في التلاشي تدريجيا حتى يعود الجسم كما

كان، وذلك بأن يمتص الدم المتسكب شيئا فشيئا حتى يعود الى العروق وان كان منجلا الا أنه يترك مرة أخرى في البنية فون عناصره لم تقعد

### المعالجة

إذا قطع عرق انكمش بسبب مرونته وانقبض فيه بسبب الالياف العضلية الموجودة في جداره ، فيمتنع بذلك النزف اذا كان العرق المقطوع صغيرا ، أما اذا كان عظيما فلا بد من عمل الانسان لايقاف النزيف والا هلك الشخص

ويوجد عدة طرق لايقاف النزيف بعضها مؤقتة وبعضها دائمة  
أما المؤقتة فتتحصر في الضغط على المكان الذي يخرج منه الدم، أو ربط العضو ربطا شديدا ، مثال ذلك أنا اذا رأيت رجلا طعن بسكين في ذراعه وشاهدنا دما كثيرا ينزف منه وجب علينا في الحال أن نبحت في الجرح عن مكان خروج هذا الدم ونضغط عليه ضغطا شديدا باصابعنا أو يدينا أو نربط الذراع فوق الجرح ولا يترك الضغط أو الربط حتى يحضر الطبيب لايقاف النزيف بالطرق العلمية ، ولا ضرر اذا استمر الضغط بضع ساعات فإن العضو لا يموت من الضغط الا اذا امتنع عنه الدم فوق أربع أو ست ساعات

وأما الطرق العلمية لايقاف النزيف فأعظمها ، وأهمها ما يأتي : —

(١) أن يمسك العرق المفتوح بجفت مخصوص لذلك (أي مقبض) (١)

ويربط العرق بخيط من حرير أو نحوه مطهرا تطهيرا تاما بالغلي في الماء

(٢) أن يمسك العرق بالجفت ثم يلوى الجفت عدة مرات حتى ينقطع

العرق وبهذه الوسيلة يقف النزيف ما لم يكن الشريان عظيما فيفضل ربطه

(٣) أن يمسك العرق إن كان صغيرا بالجفت ويترك عليه بضع دقائق ثم

يرفع الجفت فيقف أيضا النزيف

(٤) وما يستعمل في الاوعية الشعرية أو الصغيرة جدا هو أن يوضع على مكان

النزف قطعة من الثلج أو شيء آخر بارد فتتكمش الانسجة والعروق فيسطل النزيف

(٥) أن يوضع على مكان النزف ماء حميم (شديد الحرارة) أو يكوى بشي ممحي

«١» أرى أن الاحسن تسمية مثل هذا المقبض بالحاسم لانه يقطع الدم

بالنار ، وقد كان القدماء يوقفون النزيف في الاعضاء المتبورة بوضعها في الزيت  
حيثما يغلي ، ولكنها طريقة وحشية

(٦) أن يحشي المكان الذي ينبعث منه الدم حشوا جيدا بقطن أو قماش  
ويربط ربطا شديدا وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في إيقاف النزفة من الاعضاء  
العائرة التي لا يمكن ربط عروقها كالرحم مثلا

(٧) أن يوضع على الجرح مواد قابضة ، اما مسحوقة أو محلولة بالماء أو  
بغيره ، كالشب والقرص ومغلي الشاي ومغلي قشر الرمان والعفص وماء الجير  
وأملح المعادن كالحديد والنحاس وغير هذا كثير . وهذه الطريقة قل أن تستعمل  
الآن الا في الاوعية الصغيرة أو الشعرية

(٨) إذا كان النزف من داخل الاحشاء كالرئة أو المعدة يجب أن يستلقي  
المريض على ظهره ويمتنع عن كل حركة حتى الكلام ويوضع الثلج على البضو  
الذي ينزف منه الدم ، ثم يستدعى الطبيب في الحال

وأحسن ما يعطيه الطبيب في مثل هذه الاحوال هو مركبات الافيون  
والجويدار ( وهو مادة فطرية تسقية تنمو على نوع من الشجر يسمى الشيلم )  
وكلوريد الكلسيوم وغيرها ، وهذه الادوية توقف النزيف إما باضفاف ضربات  
القلب ، أو قبض أوعية الدم ، أو يجعل الدم أقرب الى التجمد مما كان

أما النزف في داخل تجاويف الجسم كالبدن مثلا اذا تمزق عضو فيه فيعرف  
ذلك بحصول هبوط شديد عقب الاصابة مباشرة أو بعدها بقليل ، واصفرار زائد في  
جميع الجسم وصفر في النبض ، ومعنى ذلك أن يشعر الانسان المتورن بأن الأوعية  
الدوية ليست بممتلئة بالدم كالعتاد ، وإذا جس البطن في مكان الاصابة وجد  
فيه انتفاخا وألما وأصية يعرفها الطبيب عند التقرع . وإذا كانت المعدة أو الامعاء  
هي المصابة تقايا الشخص دما أو وجد في برازه . وإذا كانت الاصابة في الكلية وما  
يتبعها بال الشخص دما

فهذه العلامات وأمثالها تدلنا على النزيف الداخلي . فالاسعاف الواجب  
في مثل هذه الحالة أن يلقي الشخص على الارض وترفع كل الوسائد من تحت

رأسه وتدفع أطرافه السفلى ويؤمر بالامتناع عن كل حركة حتى الكلام ولا بأس من وضع شيء بارد على البطن اذا كانت الاصابة فيه

ثم يستدعى الطبيب في الحال . ولا حيلة للطبيب في مثل هذه الحالة الا عمل عملية عظمى بأسرع ما يمكن وفيها يفتح البطن وتربط الأوعية النازقة ونحاط جميع الجروح وينظف البطن من الدم الذي انسكب فيه

أما علاج النزف تحت الجلد أو في العضلات فيكون بوضع أشياء مبردة على موضع الاصابة فانها تقبض الاوعية وتعوق النزف أو تمنعه ، واذا لم توجد هذه الاشياء المبردة فالاحسن ربط العضو فان ذلك أيضا يوقف النزف بسبب الضغط ويجب اراحة العضو المرضوض كمال الراحة

ومن الخطأ وضع الاشياء الدافئة على المكان المرضوض والدلك في أول الامر فان ذلك مما يزيد في النزف . ولا بأس من وضع الاشياء الدافئة بعد مضي عدة أيام لمساعدة امتصاص الدم المنسكب

أما علاج البنية بعد ايقاف النزف فيكون كما يأتي : —

يوضع الشخص بحيث يكون الرأس منخفضا عن باقي الجسم ، ويدفأ تدفئة تامة وتذلك أطرافه ، ويستحسن أن تلف بلفائف من أسفل الى أعلى ، والغرض من ذلك كله دفع الدم الى الدماغ فان أعظم أسباب الاعماء بل الموت هو نقصان توارد الدم الى الدماغ ، ثم يعطى كميات كبيرة من المرق أو اللبن أو الماء ليشربه وتعطى له أيضا بعض المنعشات وأحسنها الخمر والقهوة والشاي أو محلول النوشادر الخفف ( من ١٠ الى ٢٠ نقطة ) أو الاثير ( من ١٠ الى ٣٠ نقطة ) ويحتس من تصاعد الاثير في الهواء فانه اذا وصلت اليه النار أحدثت قرعة عظيمة خطرة وكذلك اذا استنشقه شخص بمقدار عظيم تحصل له غيبوبة تامة

والطبيب في هذه الحالة أن يحقن المصاب تحت الجلد بمادة الاستركين ( بمقدار مليجرام الى ثلاثة ) أو بسترات القهوين أو البنين ( بمقدار ربع أو نصف جرام ) ويحقن أيضا بمحلول ملح الطعام بنسبة سبعة جرامات ونصف في كل لتر ( أي قدر ملعقتين صغيرتين في رطلين من الماء تقريبا ) ويحقن برطلين الى ثلاثة فاكثر من

هذا المحلول تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة . والفرض من هذا الحقن ملء أوعية الدم بسائل بدل الدم المتزوف ليستمر القلب في عمله وليتغذى الدماغ بما بقي من الدم في الجسم ، ويسمى ذلك المحلول بمحلول الملح الطبيعي أو بالمصل الصناعي ويجب الاحتراس من عمل هذه الادوية المنعشة والحقن المائلة للمروق قبل إيقاف النزيف بالطرق العلمية السابقة والآ فان النزف يعود ثانية اذا امتلأت المروق بالسوائل واتسش القلب، ويكون في هذه الحالة أشد خطرا على الشخص

\*

ويقسم النزف باعتبار وقت حصوله الى ثلاثة أقسام : —

( ١ ) ابتدائي وهو الذي يحصل من الإصابة نفسها

و ( ٢ ) اتعاشي وهو الذي يحدث بعد اتعاش الجسم اذا لم تربط الاوعية

و ( ٣ ) ثانوي وهو الذي يحصل بعد مضي ٢٤ ساعة من حصول الإصابة بسبب أن الطرق التي أجريت لإيقاف النزيف لم تكن محكمة أو كانت عفنة أو كان الشخص مصابا بالزهري أو غيره، فيفك الخيط الذي ربط به الشريان أو يسقط، أو يتفترق الشريان المربوط بسبب عدم تطهير الخيط، أو يحدث غير ذلك أما النزف من الاوردة فانه في الاطراف يكون صادرا من أسفله الى أعلاه غالبا ، ولا يتدفق تدفق النزف الشرياني ولون الدمين مختلف فالشرياني أحمر والوريدي يميل الى السواد . ويعالج قبل حضور الطبيب بربط العضو من أسفل الجرح لامن أعلاه ، وباقي العلاج هو كما في النزف الشرياني

### الرعاف

الرعاف نزف يحصل من باطن الانف وأسبابه عديدة تنحصر في نوعين : —

( ١ ) أسباب عارضية وهي التي تحدث من إصابة الانف بصدمة أو غيرها

فنجرحها أو تكسر عظامها

( ٢ ) أسباب مرضية وهي أيضا نوعان :

( أ ) موضعية وهي إصابة الانف نفسه بمرض كالزهري أو الدرن أو

التهاب غشائها المخاطي التهابا حادا شديدا ( وهو المسمى بالزكام )

و (ب) عومية وهي كثيرة منها أمراض الدم كالسكر بوط<sup>(١)</sup> والارجوانية (الفرفورة)<sup>(٢)</sup> والصفار «الانيميا» وبعض الحيات العفنة (مثل الحى الراجعة) وكامراض القلب والكبد والكلى

وقد يحصل الرعاف في الاطفال والفتيات ولا يعلم له سبب سوى رقة أنسجة أجسامهم فكثيرا ما تشاهد بعض البنات في سن البلوغ يحصل لها رعاف كثير ويتكرر ذلك عدة سنين حتى اذا كبرت زال من نفسه

وفي جميع تلك الاحوال السابقة سواء أكانت موضعية أم عامة يحصل النزف بتعرق شريان أو وريد صغير في غشاء الانف المبطن له. ويكثر تمزق عرق صغير يشاهد في الجزء الامامي الأسفل الحاجز بين المنخرين

المعالجة: تختلف باختلاف سبب النزيف — ففي الرعاف العادي للاطفال والشبان يجلس الشخص وترفع ذراعه حتى تكون أعلى من رأسه ويوضع الثلج على قفاه، ويستشق الماء البارد أو أي محلول قابض كالشب أو مغلي الشاي باردا وغير ذلك كثير، فإن تعاض الرعاف بعد ذلك يحقن الرعاف بشي قليل من خلاصة الجوידار تحت الجلد أو يحشى الانف حشوا جيدا بالموصل (النشاش) المغموس في شي قابض كالدريمترول<sup>(٣)</sup> أو الشب وغيره واذا لم يوجد شي من ذلك وكان النزف من جزء قريب أمكن إيقافه بالضغط على الانف نفسه أو بادخال قطعة من القطن بجفت أو نحوه والضغط بها على العرق النازف

(١) السكر بوط مرض يحصل من عدم أكل النباتات والخضروات أو أكل الاشياء المتعفنة واعراضه ضعف عام وتقرح في اللثة ونزف من أجزاء كثيرة من الجسم وفي منسوجها

(٢) مرض يشبه السكر بوط ويختلف عنه بعدم تقرح اللثة وقلة فساد الصحة وسببه غير ذلك

(٣) مادة مطهرة قابضة صفراء، وهي تحت غفصيات الزموت. والكلمة يونانية معناها الجلد لتنع هذه المادة في بعض أمراضه

## جهاز التنفس

الغرض من التنفس دخول هواء صالح الى الرئتين ليتحد أوكسجينه بالدم فيها فينصلح بذلك ويخرج بعض أشياء ضارة منه أهمها غاز ثاني أوكسيد الفحم فاذا دار الدم في الجسم حمل إليه هذا الاكسجين فانه ضروري جدا للاحتراق اللازم لحياة الجسم

ومجري الهواء هي الأنف ثم الحلق ثم الخنجرة ثم القصبة الهوائية ثم الشعبتين ثم الشعب الكبيرة ثم الشعب الصغيرة ثم التجاويف القمعية فالحلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية

وانما بدأنا بالأنف لانه هو المسلك الطبيعي للتنفس لا الفم، وذلك لان في الأنف شعرا يقي الهواء من بعض قاذوراته وميكروباته، وفيه أيضا أجزاء مخصوصة ممتلئة بالدم فتسخن الهواء قبل وصوله الى الرئتين، أما إذا كان التنفس من الفم فان الهواء يكون حاملا لكثير من الميكروبات والقاذورات الضارة بالرئتين وبالجسم كله، ولا يسخن الهواء بمروره من الفم كسخوته اذا مر بالأنف فيكون أبرد فيحدث سعالا اذا وصل الى الرئتين أو التهابا في الخنجرة أو الشعب الرئوية

ولذلك يجب حتما تعويد الناس عدم التنفس إلا من الأنف خصوصا وقت نومهم في الليل

أما الحلق أو الحلقوم فهو تجويف متصل بالأنف والفم والخنجرة والمريء (البلعوم) وموضعه خلف تجويف الفم ويمر به الطعام والشراب وهواء التنفس

وأما الخنجرة فهي جهاز الصوت وموضعها في أسفل الحلقوم وفي الجزء الامامي من العنق، وهي محاطة بغضاريف تحمل جليلين يسميان «الجلين الصوتيين» وهما أقصر في النساء منها في الرجال، وبينهما فتحة ضيقة لمرور الهواء منها، وفي أعلاها قطعة كاللسان تشبه الغطاء تسمى «لسان المزمار» تساعد على منع دخول أي شيء في الخنجرة أثناء البلع

والجللان المذكوران هما اللذان يحدثان الصوت بسبب اهتزازهما اذا اندفع الهواء من بينهما ويتنوع الصوت بمروره في تجويف الحلق والقم والأنف. والكلام عبارة عن تقطيع هذا الصوت المتولد من اهتزازهما فيقطع بالشفتين واللسان وغيرها. وهذا الاهتزاز يحدث تماوجا في الهواء<sup>(١)</sup> يتصل الى طلبة الاذن فيسمعه الانسان وتجد في أسفل الخنجره القصبة الهوائية وهي منفصلة عن المريء انفصالا تاما وتمتد من الفقرة الخامسة العنقية الى نقطة امام الفقرة الثالثة الطهرية وهناك تنقسم الى قسمين لكل رئة قسم ، وهما الشعبتان

وكل شعبة منها تمتد الى الرئة وتنقسم الى عدة أقسام وكل قسم الى أقسام أخرى كالشجرة، الى أن تنتهي بشعب صغيرة جدا وهذه الشعب الصغيرة تنتهي بتجاويف صغيرة قمعية الشكل ، وهي المسماة بالتجاويف القمعية، وفي حيطان هذه التجاويف أبواب للخلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية ، ومن هذه الابواب ما يوصل الى خلية واحدة ، ومنها ما يوصل الى عدة خلايا مجتمعة معا وهو الاكثر وجميع المجاري التنفسية مبطنة بغشاء مخاطي ، لخلاياه السطحية أهداب ( ماعدا الحويصلات والتجاويف القمعية ) تتحرك من أسفل الى أعلا ، ووظيفتها طرد ذرات التراب وغيره الى الخارج. ومن التجاويف القمعية تتكون فصيصات الرئة

#### وصف الرئتين

الرئة اليسرى مكونة من جزئين عظيمين يسميان الفصين ، واليمنى مكونة من ثلاثة فصوص كبيرة ، وهذه الفصوص مركبة من الفصيصات المذكورة وكل رئة مغطاة بغشاء مصلي يسمى « البليورا » كأنه كيس مخنوم من جميع جهاته انبعج بدخول الرئة فيه، ولذلك ينفط سطحها بطبقة منه والطبقة الأخرى تغطي الضلوع . والبليورا كلمة يونانية معناها الخبز أما الدم فيصل الى الرئتين بواسطة الشريان الرئوي الذي سبق ذكره وهناك

(١) لا بدلاتقال الصوت من وسط مادي غير الاثير يجري فيه ، ولذلك لا يسمع الصوت في الفراغ فلا ينتقل من كوكب الى كوكب كالنور ، وهو أسرع سيرا في الجامد منه في السائل وفي السائل منه في الغاز



ينقسم الشريان الى عدة فروع حتى تصير شعرية وهذه الاوعية الشعرية منتشرة في حيطان جميع الحويصلات الرئوية والتجاويف القمية وليست متصلة بالهواء وإنما يصل إليها الاكسجين ويخرج منها غاز ثاني أكسيد الفحم وغيرهما بطريقة الاندوسموز والأكسوسموز وقد سبق تفصيلهما (في صفحة ٢٤ من هذا الكتاب) (\*) فإذا انقطع ما بين الدم الذي في هذه الأوعية الشعرية والهواء حدث نزف رئوي واعلم أن الرئتين في الصدر كأنهما في صندوق مغلق من جميع جهاته ما عدا فتحة واحدة وهي الخنجرة المتصلة بالفم والأنف. وليان كيفية حصول التنفس تقول: إذا فرض أن هذا الصندوق كان ككيس من جلد أو نحوه وشدت جوانب هذا الكيس حتى اتسع تجويفه دخل الهواء بقوة الضغط الجوي لينبسط هذا التجويف المستجد، فإذا حال بينه وبين أمام غرضه شيء آخر تمدد أمام الهواء والا انفجر وهذا هو عين ما يحصل في الصدر فإنه يتسع فيدخل الهواء إلى الرئتين فيمددهما في أثناء الزفير (وهو جذب الهواء إلى الصدر) فإذا انتهت حركة الزفير عادت الرئة إلى حجمها الأصلي بسبب مرونتها فخرج الهواء منها ويسمى خروجه منها بالشهيق

كيفية تمدد الصدر واتساعه

اعلم أن الضلوع متصلة بالعمود الفقري من الخلف ومتجه كل منها إلى الامام والاسفل فإذا انقبض ما بينها من العضلات ارتفعت هي والقص فاتسع بذلك تجويف الصدر من جميع جوانبه

وهناك عضلة شهيرة تفصل الصدر عن البطن تسمى «الحجاب الحاجز» وهي مقعرة من أسفلها ومحدبة من أعلاها كالقبة

فإذا انقبضت هذه العضلة تحول قعرها إلى مسطح ونزلت إلى البطن فضغطت على الاحشاء كالكبك والطحال والمعدة، وبذلك يتسع الصدر في قطره الرأسي وما تقدم يفهم أن الصدر في التنفس يتسع من جميع جهاته بارتفاع الضلوع وبانخفاض الحجاب الحاجز فيضغط الهواء - كما قلنا - على الرئتين فيتسعان أمامه قزى من هذا أن الرئتين لا تتسعان بنفسهما بل بحركة الصدر، فإذا فرض

(\*) أي ما يطبع منه على حدة

أن الصدر اخترق من أحد الجانبين مثلاً بطل عمل رئة هذه الجهة لدخول الهواء من الخرق . فإذا اخترق الجانبان مات الشخص في الحال بانطبق الرئتين وبطلان التنفس وحركة التنفس هذه وإن كانت تابعة للإرادة إلا أن لها أعصاباً تفعّلها بدون إرادة الإنسان أو علمه ، ومركز هذه الاعصاب في « البصلة أو النخاع المستطيل » وهي الجزء الذي بين النخاع الشوكي والمخ ويسمى هذا المركز بمركز الحياة. وتنبعث إليه منبهات من أجزاء كثيرة من الجسم كالجلد والرئتين نفسيهما وغير ذلك، وتنعكس جميع هذه المنبهات في هذا المركز فتجري في الأعصاب المحركة لعضلات الصدر. ولذلك نرى أنه إذا صب الماء البارد على الجسم اشتدت حركة التنفس وكذلك إذا مس الهواء جسم الطفل المولود ابتداءً بنفسه

أما الذي يحمل مركز التنفس على العمل الدائم في الحالة الطبيعية فأمران :-  
(١) حالة الدم، فإذا كثراً كسجّبه استراح المركز من العمل، وإذا زاد في الدم غاز ثاني أكسيد الفحم تهيج المركز للعمل. وقيل إن الذي يهيجه هو نقص الأكسجين من الدم. وهذا القول الأخير هو الراجح الآن عند علماء الفسيولوجيا  
(٢) تمدد الرئتين بالهواء يحمل هذا المركز على إيقاف عمله فترخي العضلات ، وارتخاء العضلات الذي يتبعه هبوط الرئتين يحمل المركز على العمل فتنبض عضلات التنفس وهلهجراً  
وهذا وما قبله هو السبب في حصول التنفس ولو كان الإنسان نائمًا أو مخدراً بالكلوروفورم أو غيره

ومما تقدم يفهم معنى الحديث القائل «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا فثلاث لطماته وثلاث لشرا به وثلاث لنفسه »

فإن امتلاء المعدة يموق نزول الحجاب الحاجز ويضغط عليه وعلى القلب وبذلك يحصل عسر في التنفس وضيق في الصدر وخفقان في القلب  
أما عدد مرات التنفس في الدقيقة الواحدة فيختلف من ١٤ إلى ١٨ مرة في الشبان ، وحركة التنفس تختلف في الأطفال عنها في الرجال وفي النساء ، ففي الأطفال

يحصل تنفسهم على الأكثر بنزول الحجاب الحاجز فيضغط على الأحشاء وبذلك يرتفع البطن ويسمى هذا الضرب من التنفس « بالتنفس البطني » أما في الرجال فأكثر حركة التنفس تشاهد في الجزء الأسفل من الصدر مع بروز البطن أيضاً وفي النساء تشاهد الحركة على الأكثر في الجزء العلوي من صدورهن ويختلف أيضاً عدد مرات التنفس باختلاف الأعمار وبالراحة والتعب وبالصحة والمرض، فيكون في الصغار وفي الحيات وغيرها أكثر، وكذا بعد التعب الجسماني أو الانفعال النفساني (يتبع)

## الحق والقوة \*

وبحث فلسفي عنهما بمناسبة الحرب الحاضرة

أودرس ضروري لنا نحن السوريين  
خصوصاً والشرقيين عموماً

الجنرال فون برنهاردي قائد مجرب له مكانة سامية في الجيش الألماني كما أنه عالم طبيعي شهير له مصنفات شتى في علم الأحياء (بيولوجيا) يرجع إليها ويستقى منها. وقد أصدر هذا الجنرال كتاباً في سنة ١٩١٣ دعاه « المنطق والمبادئ في الحروب » ضمنه آراءه في الحرب ووجوب الالتجاء إليها عدا أياها فضيلة، فكان هذا المؤلف موضوع الأحاديث في الندوة العلمية والسياسية في العالم بأسره وزادت أهميته بعد إعلان الحرب الكبرى الحاضرة لأن كثيراً من الأعمال الألمانية فيها أتت مصداقاً لما ورد في ذلك الكتاب — كأن أركان حرب ألمانية كلهم هم الذين انشأوه لا فرداً واحداً من قوادهم

ولما كثرت المجالات العلمية والسياسية من البحث في هذا الكتاب وتعاليمه تصدت مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة لنقده ف نشرت مقالة بليغة مسببة في عددها الأخير عنوانها « الحق والقوة » أردنا تعريبها والتعليق عليها لأننا نحن الشرقيين صرنا أحوج أم الأرض إلى تعاليم الجنرال فون برنهاردي وأشدهم افتقاراً إلى من (\* قل عن جريدة الأفكار التي تصدر في البرازيل (٩٠٣ ددع)

يذهبنا بينما بعد ان شبعنا من التعاليم الاكليريكية والمبادئ الخيالية التي اذنا  
وغير عز ، واقهرتنا وغيرنا اغنى ، واضمقنا وغيرنا قوي وأفلق .

قالت مجلة القرن التاسع عشر :

اشتهر كتاب الجنرال فون برنهاردي الاخير لانه لم يتضمن ابحاثا سياسية فقه  
بل تضمن ايضا ابحاثا فلسفية وعمرانية واجتماعية تشهد له بالجرأة وطول الباع . واثنا  
في نقدنا فلسفة الاجتماع ومبادئها الواردة في ذلك الكتاب نحصر كلامنا فيما له  
علاقة بالحرب الحاضرة من تلك المبادئ . وايضا لما نحن بصدد الان نشر أولا  
أهم تلك التعاليم التي نرى برنهاردي يبشرها وهي مقتطفات من كتابه الآنف الذكر :

١ - تنازع البقاء

قال ان التنازع لاجل البقاء هو الناموس الاول الذي لا مفر منه ، لاني  
المجتمع الانساني فقط بل في العالم الحيواني بأسره . وبموجب هذا الناموس لا يمكن  
حراز النجاح والارتقاء من دون استئصال العضو الضعيف من المجتمع . فالضعيف  
اذن يجب ان يهلك ويقتل . بيد ان المجتمع البشري يختلف عن غيره من المجتمعات  
الحيوانية في ان الانسان له حياة فردية وحياة عمومية معا وهذه الاخيرة مرتبطة  
بالوطن الذي ينتمي الفرد اليه ولذلك كان ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب لا ينطبق  
تمام الانطباق على الانسان كما ينطبق على الحيوان ، لان الواحد من الحيوان لا ينظر  
الا الى مصلحته الخاصة فقط ، أما الفرد البشري المرتبط بمجموع الامة المتسمي هو  
اليها فعليه نوع من المسؤولية نحو تلك الامة من حيث هي مجموع متظم . والامم وهي  
مجموع أفراد - لاحياة لها الا بالتنازع أيضا ولكنها في هذا الجهاد يجب ان تلجئ  
الى نظام موافق أو شريعة عادلة تسري على الكل من دون تمييز حتى اذا تعارضت  
مصلحة الفرد ومصلحة الامة كان على الفرد ان يضحي بمصلحته الخاصة اذا اقتضت  
المصلحة العمومية تضحيتها <sup>(١)</sup> أي ان المنفعة الشخصية يجب ان تضحي على مذبح

(١) الافكار: كما نمتنا مرة ان يطبع خطاب روزفلت في «الاخلاق» ويوزع  
منه مليون نسخة في سورية والاستانة كذلك نتمنى الان ان يترجم كتاب برنهاردي  
هذا ويوزع على جميع المثانيين وعموم الشرقيين لان الشرق كله بحاجة ماسة الى  
مبادئ هذا الكتاب العملية دون المبادئ النظرية التي كانت علة المحاطة

المنفعة العمومية عند الحاجة وفي الهيئات الراقية المنظمة

٢ — القوة المحسوسة واجبة لحفظ المجتمع

هذا من النظرة الشخصية الفردية ، أما من النظرة العمومية فالمسألة فيها نظر لان الامة الواحدة في أثناء معاملاتها مع سائر الالام لا يجوز لها ان تسير بموجب المبدأ الآتف الذ كرأي مبدأ تضحية الواحد لاجل الخير العام عند الحاجة الى ذلك ، بل يجب على الامة كمجموع منظم ان تفسر الحق والعدالة تفسيراً آخر يلائم مصلحتها كما ستري

لا يمكن تنظيم أمة ما لم يجتمع عدد كبير من افراد تلك الامة تحت لواء المصلحة المشتركة بينهم ، ومن البعث اجتماع البشر كاهم في أمة واحدة تحت نظام واحد لان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها . وتأليف أم صغيرة ضعيفة غير مستحيل غير ان حالة مثل هذه الالام الصغيرة تستوجب الشفقة لان وجودها يخالف للناموس الطبيعي أي ان ليس لها حق الوجودي ، ودونك البرهان الحسي العملي المعقول : المقدمة المنطقية الاولى : ان البشر مضطرون بحكم نمو عددهم للمضطرذ الى تأليف جماعات طبقا لناموس التعاون ولكن هذه الجماعات تكون متباينة لا في الكمية فقط بل في الكيفية أيضا

المقدمة المنطقية الثانية : ان اختلاف العناصر وعوامل الاقليم والمناخ وجدت منذ الازل وسوف تبقى بحكم الطبع الى الابد

النتيجة المنطقية الثابتة : لذلك وجب تباين الالام بمددها وأنواعها بسبب تباين الاجناس والالوان والاخلاق والعوامل الطبيعية من جيوغرافية وغيرها من العوامل الخارجية أي انه وجب وجود أم ضعيفة بين أم قوية بحكم الطبع . ولما كان ناموس تنازع البقاء — وهو ناموس طبيعي ثابت — يجهز الالام على حفظ كيانها وعلى قهوة ذلك الكيان على حساب الضعيف من جيرانها<sup>(١)</sup> كان من الضروري وجود ذلك التنازع بين الالام الضعيفة والالام القوية . لذلك قلت ان الالام الضعيفة

(١) المنار : يعني ان سنة تنازع البقاء تدفع الالام بما يشبه الاجبار الى حفظ وجودها الالامي وتنميته مما تسلبه من الالام الضعيفة المجاورة لها

تستوجب الشفقة لانه لاحق لها بالوجود — ومن المستحيل دوام وجودها وهي عرضة لخطر الاضمحلال في كل حين بسبب التنازع الطبيعي بينها وبين القوي من جيرانها . ولا بد للقوي من استعمال قوته وهذا الاستعمال هو الحرب بأبسط معانيه . وأقول بعبارة أوضح: ان كل أمة يجب ان تعتمد على القوة، على القوة وحدها، في اثناء معاملاتها العمومية مع سائر الأمم والا كانت أمة ضعيفة عرضة للفناء في كل حين اتقند الفيلسوف التلياني ماسيا فيلي مثل هذا التعليم بحجة انه يرمي الى اعتبار القوة غاية الوجود لا واسطته . ولكن غاية الوجود « هي حماية مصالح الفرد وترقيتها حتى يصل الى الدرجة المطلوبة من السعادة والكمال » وهذه لا يمكن الحصول عليها من دون مساعدة الأمة، والأمة لا يمكن أن تقوم بالحماية والترقية مالم تكن قوية، وقوتها لا تأتي إلا من حصر محبة بنينا لها وحدها أولاء، والا فإتقي لأفهم كيف ان زيدا يجب خبر العالم أجمع وهو لا يجب خبر أمته ووطنه وجنسه وعائلته أولا . فالواجب الانساني إذن يقضي على المرء بمحبة جنسه أولا

إذن أرى أن الناموس المسيحي القائل بالمحبة والاحسان والغيرية هو أشرف ناموس في الكون لكنه وضع لاجل العلاقات الفردية في الأمة الواحدة فقط، ولا يمكن تعميمه على الانسان والانسانية، لان التعميم يخالف للنواميس الطبيعية الثابتة ، والتخصيص أولى، إذن الذي لا يجب لأخاه القريب، لا يقدر على أن يحب البعيد الغريب وعلى هذا الرسول بولس ذاته فيلسوف الكنيسة المسيحية وواضع أهم تعاليمها

٣ — فلسفة العدالة في المعاهدات والحروب

أيسر الحرب مقتصرة على اقتتال الجيوش فقط بل الحرب اصطلاح سياسي يعني وجود أمة تنازع أمة أخرى سواء كان باستخدام السلاح أو باستخدام السياسة . والحروب السياسية تعني مضايقة فريق لفريق آخر بواسطة المعاهدات التجارية أو المعاملات الاقتصادية من صناعة وتجارية وزراعية وما أشبه . وإذا لم يذعن أحد الفريقين للآخر بحرب السياسية يصير الاتجاه الى السلاح أمرا لازما، غير ان مسؤولية رجال الحكومة في أثناء الحروب السياسية تقضي عليهم بالحفاظة على مصالح الشعب وإنماء ثروته . هذه هي الغاية الاولى لهم . أما

الواسطة تخاضعة لحكم الظروف. فإذا كانت الظروف توجههم الى اطراح المبادئ النظرية الادبية جانباً فلم ذلك لانهم بهذا الانحراف يخدمون المصلحة العمومية لا المصلحة الفردية . واذا رأوا الخطر محققاً بالشعب فعليهم مباغثة العدو والغدر به قبل أن يتم معداته حتى يقضوا على قواه الهجومية والدفاعية ويأمّنوا شرّ تنازعه اياهم منافع البلاد وتعمار أراضيها ومعاملها وهذا لا يأتي إلا بأبناء القوة المحسوسة وازديادها . ولذلك كانت القوة مظهراً من مظاهر العدالة لان الحروب عدل وبها وحدها تثبت العدالة على أساس متين . وبرهاناً لذلك أقول :

لتفرض ان أمة إبان ضعفها خضعت بحكم السيف الى جوارها القوي وسلمت معه بشروط مكتوبة على ورق سموها معاهدة ، وتفرض أن تلك الامة الصغيرة صارت قوية على عمادي السنين فرأت أن تلك الشروط التي كانت قد رضيت بها أولاً في أيام ضعفها صارت ثميلة عليها تضر بمصالح الشعب في أيام قوتها . فالشعب في هذه الحالة الاخيرة صار يرى ذاته مغدوراً مغبوناً . واذا هب الى تمزيق المعاهدة الاولى المجحفة بحقوقه فعمله هذا هو العدل بعينه . ولا يمكن ان رضى العدالة المجردة بغير شعب كامل وغدره . ليس ذلك فقط بل اتنا لا نقدر أن ندعو الاذعان لشروط مجحفة عدالة وفضيلة . بل ان العدالة تقضي بتمزيق المعاهدة المضرة الجائرة بواسطة المفاوضات السياسية أولاً التي ادعوها حرباً بطيئة كائنة ، فاذا نجحت فيه والا فاستعمال السيف والمدفع يصبح أمراً واجباً — ولا يمكن أن يوجد الحق ويثبت ما لم يكن مؤيداً بالسيف ومدعوماً بالمدفع وقوة الساعد ولذلك كانت الحرب فضيلة . أي ان الحرب أمر ضروري للمجتمع الانساني لانه رمز العدالة ومنشئ الشجاعة والجرأة في الامة ورفيق الحق والمطالبين به . واذا تركت الحرب تجهن الامة عن المطالبة بحقوقها فتنقى مغبونة مقبورة ذليلة ومثلها لا يثبت في ميدان تنازع البقاء لان ناموس بقاء الانسب يقضي عليها إن عاجلاً أو آجلاً والانسب هو الاقوى في كل حال

هذه هي زبدة تعاليم الجنرال فون برنهاردي المدونة في كتابه الجديد « المنطق (المجلد الثامن عشر) (١٩) (المناظر — ج ٢)

والمبادئ في الحروب» ودونك مجمل الانتقاد العلمي الفلسفي البديع الذي نشرته مجلة القرن التاسع عشر الطائفة الصيت في عددها الاخير قالت :

تعليق مجلة القرن ١٩١١ على الكتاب الالاماني

ليس الجنرال فون برنهاردي وحده القائل هذا القول ولا هو من وضع هذه الفلسفة أي فلسفة القوة والاعتماد عليها وحدها لاجل تثبيت الحق والعدالة . بل اننا اذا آمننا النظر نرى أن معظم علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا بهذا الرأي ونشروا مثل هذه التعاليم من ارنست هكل العالم الطبيعي المعروف زميل شارلس دارون الى نياتش المادي الشهير وغيرهما كثير . وليس من العدل والانصاف ان تنقل من أهمية هذه التعاليم لمجرد انها صادرة عن أعدائنا فإن « العلم مشاع بين جميع الامم وليس لوطنه حدود » فلندرس إذًا مبادئ الجنرال برنهاردي وتعاليمه بكل نزاهة ولمنحصها في بوتقة التحري بقطع النظر عن قائلها

قال ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم : ان الفضيلة هي الوسط بين متضادين . أي ان الشجاعة مثلاً هي فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور . فالجبن رذيلة لانه دليل الذل وصغر النفس ، والتهور رذيلة أيضاً لانه دليل الحماقة والكبرياء — وكل هذه العيوب الاخلاقية تدل على وجود مرض يعقل المصابين بها وخصوصاً الغرور والكبرياء <sup>(١)</sup> وقس على ذلك الصدق والكذب والحق والباطل وما أشبه ذلك من المتضادات

(١) الافكار : اتفق ونحن نقرأ هذه المقالة البديعة ان وصلتنا الصفاء الغراء فوجدنا فيها ما يأتي :- قال أحدهم : المتكبر أجدر الناس بالشفقة لان الكبرياء مرض في العقل . أي ان صاحب الصفاء يلم من كثرة ما يرى من المتكبرين حوله . وقد نذكرنا خطبة مطبوعة باللغة الانكليزية عندما للدكتور دانيال بلس رئيسنا العلامة الكبير قالها امام صف المنهين مرة فراجعتها واذا في احدي صفحاتها ما يأتي :

« واني أوصيكم بالاعتدال في كل شيء . لان الاعتدال من أهم الاخلاق التي يحتاج اليها الشرق . ومن أعظم المصاعب أمام عملتنا نحن المربين والمهذبين في هذه البلاد اننا نرى أفراداً بين السوريين هم متهذبون بكل معنى الكلمة تمام التهذيب — وبالأصل gentleman ، وافراداً غيرهم على غاية من التأخر والانحطاط والحلقة لوسطى بينهم تكاد تكون مفقودة . وينا نرى الكرم لحد التبذير في البعض نرى =



وكم ضل أفطن من الرجال سواء السبيل لانهم اتخذوا التطرف ديدناً لهم فكانوا باهالهم الصدق مثلاً يكذبون، وهم لا يدرون، وبتطرفهم بالتمسك بالحق حسب اعتقادهم يخدمون الباطل وهم لا يقصدون . والحقيقة أن تعاليم الجنرال برنهاردي مطابقة تمام المطابقة لتعاليم ارسطوطاليس كبير الفلاسفة لولا ما بها من تجسيم يبلغ حد الغلو أحياناً فضلاً عن خلوها من رابط متين يربط الحق بالقوة كما سرى

## ٢

ان الاساس الذي نبى عليه الجنرال برنهاردي كتابه هو التعليم القديم القائل ان « الحق للقوة » والدعامة التي دعم بها ذلك الاساس هي تعليمه القائل بأن كل الآراء المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية تكون آراء مضرّة اذا تجاهلت كون الحق للقوة لانها أي الآراء ليست في هذا التجاهل سوى رياء وتضليل

وبموجب تعاليم برنهاردي يكون الاشتراكيون مرأثين ويكون الراديكاليون المتطرفون أكثر رياء وخداعاً ، ليس ذلك فقط بل ان كل الفلاسفة الذين يخالفون مذهب دارون القائل ببقاء الانسب بعد التنازع لاجل البقاء قد اضرروا الهيئة الاجتماعية لانهم دلّوها على التواكل والاستسلام وعلّموها الخيلة والرياء وأبعدوها عن القوة - وهي الفضيلة المقدسة التي هي أساس كل الفضائل

وللجنرال برنهاردي فضل عظيم في انه شرح هذه التعاليم العملية وحاول تطبيقها على حالة أوروبا السياسية الحاضرة . ولا شك في انه صادق فيما يقول عن القوة وتقديسها - تلك القوة التي صار الشعب الانكليزي ( تذكر ان الكاتب عالم انكليزي ) يستخف بها وينسبها الى قبائل الزولوس المتوحشة حتى انه أصبح في الآونة الاخيرة يبالغ في تحقيرها وتحقير كل أمة تعتمد عليها . ولكن لما نشبت الحرب الحاضرة أدرك الشعب خطأه وعلم ان من دون الاعتماد على القوة خطر الغزوة

== أيضاً البخل لحد الشح في البعض الآخر . وكذلك بينما نرى الذل والجبن في طبقة نرى الغرور فاشياً والكبرياء لحد الادعاء المفقوت في طبقة ثانية . واذا قدرت هذه المدرسة « أي المدرسة الكلية » على إيجاد حلقة وسطى توجد الاعتدال في مشارب السوربين وأخلاقهم نكون قد عملنا عملاً تهذيبياً عظيماً »

الالمانية وبالتالي خطر فناء انكلترة من العائلة السياسية الكبرى ولا جدال في ان القوي تغلب يوما على الضعيف جاره واحتفظ به مركزه المتفوق بالقوة الوحشية وهذا ينطبق على الامم كما على الافراد . ولا جدال أيضا في ان كل حكومة راقية تضمن لابنائها المتفردين بالقوة أفضل المراكز ولو على حساب المجموع لان مجموع الامة يستفيد منهم . وكما ان الام يجب ان تكون قوية جدا حتى تتمكن من الاعتناء بطفلها الضعيف كذلك يجب على رجلها ان يضمن لها التقوية محافظة عليها وعلى صغيرها . هذا الشطر الاول من كتاب برنهاردي واظن ان الاندية العلمية والسياسية عندنا سلمت بصحته فورا

أما الشطر الثاني الذي أقام العلماء وأقدمهم فهو كلام ذلك الجنرال الالماني عن علاقة الامة الواحدة بغيرها من الامم الاخرى فان ذلك الكلام يقرر ان أفراد الامة الواحدة يجب عليهم التضامن والتكاتف وتبادل الصدق والولاء والعطف والمحبة بعضهم مع بعض فقط حسبما ورد في مثل الزوج والزوجة ومسؤوليتها نحو طفلها الضعيف . أما في علاقة الشعب بغيره من الشعوب القريبة للجنرال برنهاردي يقول بصراحة ان لا رحمة ولا شفقة ، بل ويل للضعيف في تنازع البقاء ، لان القوة وحدها هي الحكم الاخير في العلاقات العمومية ، وبقاء الانسب يقضي بانقراض الضعيف ان لم يكن اليوم فغدا

وبجملة أوضح أقول ان أركان حرب ألمانية يقولون بالحق والعدالة والرحمة بين أبناء العائلة السياسية الواحدة ، ولكن يقولون بمعاملة الغريب على قاعدة بقاء الانسب - أي على قاعدة الحق للقوة . وعند درس هذا المذهب بنزاهة وانصاف نرى انه ليس مذهبا جديدا ولا مخالفا لما نراه جاريا في الكون ، سواء اردنا ذلك أم لم نرده . إذن لا أرى ان الذين خطأوا برنهاردي هم من القوم المصنفين المنصفين<sup>(١)</sup>

نعم ان عندنا شرائع تضمن العائلة وتجبر الحكومة على اجرائها حفظا لحقوق «١» الافكار: ان قائل هذا الكلام هو مستر ما لوك من علماء الانكليز اعداء الالمان الالاء وكلام الخصم حجة

الضعيف من جاره القوي ، ولكن هذه الشرائع وتلك العدالة تسري على أبناء الامة الواحدة فقط أما على غيرنا من الامم والحكومات فن ينكر اننا لانعاملهم بما يعامل به بعضنا بعضا ، ان نكران هذا الامر هو الرياء بعينه ، وهذا هو مبدأ برهاردتي أيضا ، وهالك نص احدى عباراته حرفيا بهذا الصدد قال :

« لا يوجد في الكون حكومة تجري على غيرها من الحكومات ذات القوانين وذات النوع من العدالة الذي تجريه على افرادها هي . كذلك ليس من الواجب على أي حكومة ان تعني بالغريب وتعطف عليه وتساعد ، ولكن من أوجب الواجب عليها الاعتناء بأولادها وتقوية الضعفاء . منهم فقط واجراء العدالة بتمام النزاهة والتدقيق بين المتخاصمين منهم وحدهم . واذا قلنا ان محكمة دولية عمومية يجب ان تنشأ لاجل فض الخلافات بين الدول على مبدأ الحق والعدالة المجردة نعود ونرجع الى القوة الوحشية المحسوسة لاجل تأييدها ، واليك البرهان :

« هب ان خلافاً نشب بين أمتين أو أكثر ورفع أمره الى تلك المحكمة الدولية العمومية العليا (الموهومة) وهذه بموجب الحق والعدالة المجردة أصدرت حكما ضد الامة القوية المتعدية ، ورفضت تلك الامة القوية ان تخضع لحكم المحكمة العادل فاذا علينا ان نفعل ؟ علينا أن نلتجئ الى جيش قوي جدا يرغم تلك الامة القوية على قبول حكم المحكمة العليا وتنفيذه . والا كانت العدالة والحق والحكم حبرا على ورق من الوجهة العملية . ولما لم يكن تنظيم جيش عمومي ممكننا كان من المستحيل إذن اجراء الحق بين الامم المتباينة في العدد والقوة اجراء فعليا كما يجري في الامة الواحدة التي لها من قوة جندها ما يجعل الحق نافذا والعدالة المجردة ممكنة — ولكن بين أفرادها فقط . ومجمل القول ان الناموس الطبيعي المعقول هكذا يأمر أي ان العدالة المجردة يجب ان تجري ولكن بين أبناء الامة الواحدة فقط لان ذلك ضروري لحفظ كيانها ولتقويتها أما مع الامم الاخرى فالحق للقوة في كل حال وويل للضعيف والمستضعف<sup>(١)</sup> »

(١) المنار : حقا انه لم توجد شريعة تأمر بالمساواة والعدل العام غير الاسلام ولكن كانت الدول الاوربية تراعي العدل فيما بينها في الجملة حتى جاءت هذه الفلسفة الجديدة بهذه الحرب العامة التي لا بد ان تعود عليها بالنقض ولو بعد حين

## الاستعمار

## تنازع ألمانية وانكلترا بسببه

وبعد هذا يوضح الجنرال برنهاردي مسألة الاستعمار بقوله: ان كل أمة قوية لابد لها يوما من طلب التوسع في املاكها لان أفرادها المتزايد عددهم يحتاجون أولا الى المواد الغذائية وثانيا الى المواد الاصلية في الصناعة حاجة تزيد بالنسبة الى عددهم المتكاثر ، وهذه لا يجدونها الا في الخارج . واذا زادت مصنوعاتهم تزام يضطرون الى ايجاد أسواق جديدة لاجل تصريفها - أي الى ايجاد مستعمرات، فالمستعمرات إذن من لوازم الامم الراقية

والاستعمار يتم بطرق ثلاث : ( ١ ) المهاجرة واختلاط المهاجرين تدريجيا مع السكان الاصليين والامتزاج بهم امتزاجا سليا حتى يتقبلوا عليهم بفضل حقوقهم على الوطنيين بالقوى البدنية والعقلية والاخلاقية ، ( ٢ ) بانشاء مستعمرات منظمة في بلاد أهلها من نصف المتمدنين أو من غير المتمدنين وامتلاك مثل هذه المستعمرات غير صعب ألبتة ، ( ٣ ) بالحرب واغتصاب المستعمرات من أيدي أهلها عنوة إذا كان أولئك الاهلون على جانب من المنعة والتمدن . وهذه الطرق الثلاث تدعى المهاجرة والاستعمار والاغتصاب وهي لا تتم إلا باستعمال القوة في احدى مظاهرها وبمعاملة سكان البلاد الاصليين حسب ناموس تنازع البقاء لاحسب الحق والعدالة .

والحق كل الحق مع الجنرال برنهاردي في هذا التصريح ، لان كل أمة قوية استمكت بلادها وبلاد غيرها بقوة السيف يوما لم تعامل الاهلين الاصليين قط بالمساواة والعدالة كما يدعون . وليس في هذه التعاليم شي جديد كما قلت آنفا ولكن الذي زادها أهمية هو اشتباك ألمانيا منفذة هذه المبادئ بحرب كبرى مع غيرها من الامم ووجود حزب قوي عندنا ( أي في انكلترا ) شعاره « السلم مهما كلفه الامر » ومذهبه هو أن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . وسها عن بال هذا الحزب المتخشب ان الذي لاسيف عنده يكون أول من يسقط بسيف الغير ، وخصوصا في هذه الايام أيام المنازعات والمناظرات والمسابقات الهائلة

ولا أصدق من كلام الجنرال برنهاردي عن السوسيا ليست والرايكالين (الاشتراكيين والمتطرفين) الذين يزعمون أن الحكومة ليست سوى شركة ضمانتها عملها توزيع المنافع والمرافق بالسواء - ان هذه الآراء لا يمكن العمل بموجبها أبدا لأنها آراء نظرية بحتة وكل أمة تسير بموجبها تضعف فتتخط وتفتق على عمادي الاجيال . والشواهد العديدة التي اقتبسها برنهاردي من دارون وكنت وهكل وفشت وشر وغوث تؤيد هذا المذهب، وهذا لو أنه ذكر اسم كروب ومدافعه أيضا حتى يصير الاقتباس تاما، لان كروب واختراعاته لا تقل أهمية عن تعاليم أولئك الفلاسفة

#### فضائل الحرب - قد برنهاردي

اني من المعجبين بتصريح برنهاردي القائل ان للحرب فضيلتين هما الشجاعة والعدالة ، فالشجاعة فضيلة لانها رائدة الاستقلال ، والعدالة فضيلة لانها رائدة الصدق والصدق رفيق القوي دائما ، ولكن العدالة والصدق يجب أن ينحصرا في الامة الواحدة وافرادها فقط دون غيرهم حسب تعليم برنهاردي، أما في العلاقات مع الغرباء وبين الامم الاخرى فللقوة المركز الاول دائما ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع

الى هنا انتهى اعجابي بالتعاليم العملية التي دونها الجنرال برنهاردي في كتابه الاخير، ولكن موضوعا اجتماعيا فلسفيا كهذا لا يخلو من التعقيد والصعوبة لذلك لألوم برنهاردي إذا رأته يناقض نفسه في بعض الاحايين ، ويخطئ في تدوين المبادئ وشرحا في البعض الآخر

فمن جملة المتناقضات في تعاليمه عدم شقيقته على الامم الضعيفة حالة كونه لم يضمن لنا طريقة ثابتة بها تبقى الامة القوية قوية الى ما شاء الله - وهذا من أهم الاعتراضات أيضا على مذهب دارون القائل ببقاء الانسب . ومن جملة مواضع الخلط والخطب في شرح مبادئه عدم جمعه بين العدالة والقوة جمعا علميا ترتاح النفس اليه ، بل أراه أبقى هوة عميقة بين القوة الوحشية التي عبر عنها بالحرب وبين العدالة المجردة التي لا يجوز لها أن تخضع للقوة

ليس ذلك فقط بل ان الجنرال برنهاردي اعتمد على علم الاحياء ( بيولوجيا ) في مصنفه الاخير وهو مولع بهذا العلم لكنه تجاهل وجود ناموس التعاون والتضامن في النوع الواحد ونسي أو تناسى ان الانسان مهما تعددت أممه وأجناسه وعناصره وأوانه لم يخرج عن كونه نوعاً واحداً من أنواع الاحياء هو نوع الانسان يتطلب كيانهُ ناموس التعاون والتضامن ولو باحد أشكاله البسيطة

وبحسبي الوقت والمجال لأبين أن العلاقة بين الحق والقوة هي علاقة شديدة موجودة فعلاً وهي مثل الارتباط المتين الموجود بين الحرية والمسؤولية وبين الحق والواجب، فكما أن الحرية توجد المسؤولية والحق يوجد الواجب والعكس بالعكس كذلك أرى أن ناموس « الحق للقوة » الذي ينادي به الجنرال برنهاردي وأركان حزب الماناعوموا يقتضي وجود علاقة متينة بين الحق والقوة لم يشر اليها برنهاردي ولا عرضاً في سياق كلامه. لذلك نرى ان المانيا في هذه الحرب مغمضة عين الحق في بعض تصرفاتها المخالفة وبجسمة فضيلة القوة الوحشية المحسوسة في سائر اجزا آتتها مما جعلها عرضة للنقد العادل

أما ما خلا هذه النقط القليلة القابلة للانتقاد فكلام الجنرال برنهاردي صحيح لا غبار عليه، ويجدر بالحزب السلمي في انكلترا أن يدرسه بمزيد التدقيق والتروي عليه يقلع عن تعاليمه النظرية الضارة ويساعد القائلين منا بوجود تنظيم جيش قوي دائم وتعويد الامة على تربية رجال أشداء أقوياء البدن وعلى غاية من النشاط والبسالة اهـ

[ المآر ] نقلنا ما تقدم عن جريدة الافكار البرازيلية بنصه مع تصحيح لفظي قليل والقارئ يرى ان غرض صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من تلخيص ملخصه من الكتاب الألماني هو إقناع قومه بأن يحذو حذو الألمان في شدة العناية بالقوة الحربية ومنه جعل الخدمة العسكرية اجبارية، والظاهر ان شر عاقبة لهذه الحرب هو زيادة عناية الامم الاوربية كلها بالاستعداد للحرب وان كان بعض الناس يظنون انها سترجع الى رشدتها بما تقاسي من خسارة الانفس والاموال

## بين روسيا والمانيا\*)

(وفيه وصية غليوم الأول لحفيده غليوم الثاني)

يذكر قراء «الافكار» ما عرّبناه من مودة من تأثراف الامبراطور غليوم الى القيصر نقولا إذ قال له يومئذ انه موصى على فراش موت جده بالمحافظة على صداقة روسيا . وقد قرأنا مؤخرًا تلك الوصية المشهورة التي أوصى بها الامبراطور غليوم الاول حفيده امبراطور المانيا الحالي في الساعات الاخيرة من حياته إذ استدعاه وزوّده بنصائح ووصاياه وما يفرض عليه عمله والسياسة التي يجب عليه اتباعها إذا تبوأ العرش . وهذا ملخص نص الوصية :

«إذا كتب لك الحق سبحانه وتعالى أن عمالك على عرش أجدادك القيصرية فاعتنق الحق والعدل وبثها في الرعية . واعتن بالمش مريد العناية . واجهد في اكتساب ميل العامة وحب الشعب الالماني بأسره . واسع في تقرير السلام العسكري والسياسي في داخل المملكة وخارجها مع مراعاة قوانينها وشرائعها . وساعد الضعيف ، واعضد العاجز ، وسأو كليهما بالقوي ، حتى لا يكون امتياز ولا حيف ، (حتى) تكون حرية مطلقة في جميع الاديان والمذاهب . تودد الى الامم الغربية على اختلاف نزعاتها ، وحافظ على الاتحاد أوسنريا والمجر حليفة جرمانيا الائمة ، لان في هذا الاتحاد موازنة للسياسة الاوربية ورابطًا بين الدولتين من قديم التاريخ . ولا تحرم البلاد من فوائد السلم ونعماره الطيبة المذاق إذا لم تكن الحرب أمرا واجبا فيما لو تعدت على المانيا دولة ورامت مهاجمتها أو مهاجمة حليفها . ولا تستخدم قوة ألمانيا لإثارة حرب عداية تكون أنت البادئ فيها ، فان المانيا ليست في حاجة الى مجد عسكري جديد ولا الى افتتاح حديث . حاذر الحرب قدر استطاعتك وإياك ، ودولة الشمال . ثابر على اتباع خطة المودة الوطنية نحو قيصر روسيا اسكندر الثالث ودع المانيا ان تسير على خطة السلام والوفاق الحبي مع روسيا ، وبذل كل نفيس

(\*) منقولة عن جريدة الافكار البرازيلية

في سبيل مرضاتها واستاة ردها اليك ، وايد الصلات السامية التي كانت لنا في مدة المائة سنة الماضية في مملكة روسيا جارتنا . فهذه كانت حاساتي (?) الشخصية التي تنطبق على مصالح المانيا » انتهى

هذا بعض ماوقفنا عليه من وصايا الامبراطور غليوم الاول الى حفيده الامبراطور غليوم الثاني الذي بذل جهده في اتباع وتحقيق أماني جده من توثيق عرى الصلات مع جارته والممالك المتحالفة معه حتى تبقى العلائق الودية على سابق حالها غير واهية ولا منغصبة

وقد عرف العالم أجمع ماكان لروسيا من الشأن المهم في حربي عام ١٨٦٦ مع النمسا وعام ١٨٧٠ مع فرنسا ، والخدمة الجلى التي قام بها اسكندر الثاني قيصر روسيا في تسهيل الوحدة الالمانية ، وقد عرف ذلك غليوم الاول كما عرفه وزيره البرنس بسمارك . ولهذا أوصى حفيده غليوم الثاني بتحسين صلاته مع روسيا . ولا يزال العالم يذكر تلعراف غليوم الاول الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٠ إذ قال له « أعترف بأن جل الفضل في فوزي ونجاحي عائد اليك » فضلا عما كان من أعمال بسمارك في حياة غليوم الاول وفردريك الثالث في تسهيل التقرب الى روسيا بالرغم من التحالف الثلاثي ومن مبادئ أوستريا وسياستها البلقانية . وقد كان بسمارك لا يطيّب له عيش الا يوم يأمن نفوذ روسيا . والامبراطور غليوم الثاني ذاته بعد قبضه على صولجان الامبراطورية زار القيصر الروسي قبل أن يزور حليفه النمسا وايطاليا ، كما زار جده غليوم الاول قيصر روسيا يوم تبوأ عرش أجداده ، وعمل على تأييد التحالف الشمالي واهتم في زيادة التقرب من روسيا لتحسين صلات الدولتين ، إذ لم يشأ ان يتعد عنها لما بين الاسرتين المالكيتين في روسيا والمانيا من صلة القربى ، فضلا عن ضرورة الاحترام للوصية السابقة المذكورة

ولكن دلكاسه الداهية وزير خارجية فرنسا حالاً مشهور بعداوته لالمانيا فممن منذ سنة ونصف سفيراً لدولته في بطرسبرج واستطاع بدهائه الغريب أن يفهم روسيا أن النمسا ليست بالعدوة الزاهية لو لم تكن تعضدها المانيا وان خير طريقة لكسر شوكة النمسا هي اضعاف المانيا ، وساعدته الظروف والحكمة



السياسية، فابان لروسيا مطامع المانيا وما صنعته مع روسيا في معاهدة برلين وغيرها. وقد نجح دللكسه في سياسته نجاحاً باهراً إذ أضاف الى الحقد الكامن في قلوب الشعب حقد الحكومة الروسية، قترخت الملائق بين الحكومتين وسعى القيصر للتملص من ربة نفوذ امبراطور المانيا عليه، وخصصت حكومته عشرة مليارات ليرة لنظارة الحرية لسنة ١٩١٣ واشترت بتسعة وعشرين مليوناً من الليرات أوتوموبيلات حرية، وأضافت عددا عظيماً الى جيشها الهائل، وجعلت الخدمة العسكرية في بعض الفرق أربع سنوات، وأرادت تغيير المعاهدة التجارية بينها وبين المانيا، وضربت رسماً باهظاً على القمح الوارد من المانيا الى فنلندا، وأطلقت سراح الصحافة فاثارت على حكومة برلين عواطف السلافيين، ومكنت الحقد بين الشعبين. وكان المسيو دللكسه العامل في كل ذلك الذي وصل الى هذه النتيجة

وكانت الامة الروسية قد رأت خيلاء الامة الالمانية فهاها أمرها لاسيما وهي تنظر اليها نظرة جار يود ضرر الآخر تجارة وصناعة وسياسة. أضف اليه الحقد المتولد في قلوب السلافيين ضد الجرمانيين وتصرف بسمارك نحو روسيا في معاهدة برلين كما قلنا بعد ان كان حليفها سنة ١٨٧٨ وقلنا ترى الآن في روسيا من يجب المانيا حتى من أولئك الذين يجري في عروقهم الدم الالمانى أو النمساوي كالبولونيين في بوزين وفسوفيا والتشك في برات والصرب والكروات في اغرام وبلغراد حتى في طيات قلوب البلغاريين في صوفيا. وهذا الحقد المنفجر في جميع جوارح السلافيين أرغم حكومة بطرسبرج على الانتصار للصربيين وشهر الحرب على النمسا. وقد أرادت حكومة القيصر أولاً أن تتخذ من السلافيين حقدهم لرشق نباله في صدور النمساويين فقط، وذلك لان المانيا قد لعبت دوراً مهماً في بلاط روسيا لوجود عدد عظيم من الدوقات الالمانيات في القصر الامبراطوري — كماريا بافلوفا قرينة الفرانديوك فالديمير والبرابنت فيودوروفنا شقيقة القيصر ورئيسة دير كبير الراهبات ودوقات أولدنبرغ وليستنبيرغ والامبراطورة الكسندرا — وعدد عظيم من القواد والضباط وولاة الامور الالمانية الاصل الذين يشغلون بمجميع قوائم لزيادة متانة العلاقات بين روسيا والمانيا، عدا عن الملائق الوطيدة الشخصية

بين القيصر والامبراطور ولان . حرباً عواناً تقع بين المانيا وروسيا لاتفيد الثانية كثيراً .

أما حقد حكومة القيصر على النمسا فكان ولا يزال هائلاً جداً لان فيها الأقل من ١٦ مليوناً من السلافيين تابعين لحسة عشر مليوناً من الجرمانيين . لذلك ليس من الصعب على حكومة بطرسبورج الضرب على وتر نصرتهم الجنسية فضلاً عن ان النمسا مازالت تعرقل سياسة روسيا في البلقان ، وكانت الحرب بينها بين روسيا أمراً طبعياً لا مفر منه اهـ

## ترجمة الشيخ شبلي النعماني

﴿ بقلم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ﴾

مترجمة من جريدة ( عليكنده إنستيتوت غازت ) بقلم عبد الرزق من تلاميذ دار الدعوة والارشاد

اتهمت السنة الثانية والثلاثون الهجرية على حادثة خائية ستذكري تاريخي زمن بعيد : أذيع خبر وفاة الشيخ شمس العلماء شبلي النعماني في صبيحة ٢٨ ذي الحجة أي في الوقت الذي تنير فيه الشمس العالم ، ولكن وأسفاه غربت فيه شمس العلم وأظلم العالم العلمي .

( ثم بين الكاتب مجد المسلمين القدماء وكثرة وجود العلماء والتابعين فيهم الذين كانوا يخلقون السلف ، وانحطاط المسلمين الآن وفقدان الرجال الذين يحلون محل موانهم . وقال )

ان في سيرة الشيخ عبداً ودروساً للطبقتين طبقة النابتة الحديثة وطبقة العلماء ، فلو كتب تاريخه لكان نافعاً للمسلمين . وتوخياً للفائدة نلجأ الى تاريخه فنقول :  
الشيخ شبلي النعماني من بلدة أعظم كدة الشهيرة وهو من أسرة كبيرة وابن رجل عظيم . لا أعلم سنة ولادته ولكنني قرأت ما كتب في الجرائد من انه ولد سنة ١٨٥٧ أي سنة الثورة . وكان من أسباب تقدمه العلمي ذهنه الثاقب وطبعه السليم وحرص والده على تثقيفه وتربيته ، ووجود أستاذ كامل له كـ محمد الفاروق الذي كان ماهراً في العلوم العربية والاداب الهندية . أخذ الشيخ شبلي علم الحديث عن العلامة أحمد علي الشهير ، وبعد فراغه من التحصيل دخل خدمة

الحكومة ولكنه لم يلبث أن تركها من تلقاء نفسه . ثم قرر معلما للغة العربية في كلية علي كره فالتحق له بيتا بجوار السيد أحمد خان رئيس الكلية . وكان السيد يبحث في العلوم المختلفة فاقبض منه ومن المعلم أرند الاستاذ في الكلية معلومات في الفلسفة والعلوم الحديثة ، وهو الذي علم الاستاذ المذكور عليه كثيرا من العلوم الاسلامية واللغة العربية ، لهذا كان في تأليف كتاب « الدعوة الاسلامية » Preaching of Islam . للاستاذ أرند يد كبيرة للشيخ .

وخرج من الكلية سنة ١٨٩٨ بعد أن توفي السيد أحمد وذهب الى حيدرآباد وهناك كانت قد أسست الجمعية العلمية المسماة « السلسلة الاصفية » فتوظف فيها راتب ٢٠٠ روبية في الشهر ( والآن قد زيد فيها مائة فصارت ٣٠٠ روبية ) وألف بضعة كتب باسمها ثم رتب مشروع كلية حيدرآباد .

ولما رجع من حيدرآباد طلبه محسن الملك رئيس الكلية لها ولكنه لم يقبل ورجع ندوة العلماء عليها ، وأقام في مدينة الكهنو فكان فيها عضوا كبيرا عاملا . وفهم مقاصدها حق الفهم وأراد أن يثمرها فظم شؤونها وأصدر مجلة كبيرة باسمها كانت من أبر المجلات الهندية وأرقاها . وهي لا تزال خرا في اللغة الهندية . ولكنه لما انتخب رئيسا للجمعية بعد اعتزال رئيسها الشيخ محمد علي لم يقدر على استخدام الاعضاء كلهم كما استخدمهم سلفه ، لانه اشتر ببحرية الرأي والاجتهاد في كل شيء ، فخافه العلماء وظنوا به الظنون ، حتى قال بعضهم أنه دهري ويريد افساد الجمعية . فلم يتجح في عمله هذا كما ينبغي ، ولكنه استطاع تنفيذ كثير من مقاصدها .

وساح في البلاد الاسلامية في زمن اقامته في الكلية للاستعانة على تأليف تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمطالعة الكتب التي لا توجد في الهند فكان الكتاب من أحسن الكتب التاريخية على طريقة حديثة وسيكون خرا له الى الابد . وبعد رجوعه من السفر ذهب الى رستميد قرض هناك مرضا شديدا ذهب بصحته الجيدة فلم تعد الى الموت .

ومن الحوادث المؤلمة في حياته اصابة رجله بالرصاص . وسبب ذلك انه كان جالسا في حرمه والبندقية في يد زوجة ابنة فسقطت على الارض فصابت ناقه . وآخر حياته مملوءة بخائفة العلماء له في الندوة ولكنه مع هذا كله مازال مشغولا بتأليف تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم . وأرسل الي خطابا قبل وفاته قليل وصف فيه تاثير موت أخيه في نفسه ثم قال : أريد تأسيس دار للمصنفين ودار لتكامل العلوم أدرس فيها بنفسي التفسير والحديث ويدرس فيها غيري من العلماء

الآخرون لم يلبى أحج في هذا بعد العجز عن العمل في الندوة التي أضعمت وقتي فيها . ولكن جاءت المنية قبل تحقق رجائه . جزاه الله خير الجزاء لأعماله النافعة للمسلمين

### ترجمة الشيخ شبلي النعماني

بقلم عبد الرزاق أحد طلبة دار الدعوة والارشاد  
كان الشيخ شبلي النعماني من أكبر علماء الهند قدرا وأوسمهم علما وأشدهم  
غيرة على الدين والأمة . خدم المسلمين زمنا طويلا بدون تعب ولا نصب ولا  
مبالاة بمجاذب الدهر . ومن مزاياه الكثيرة انه كان نابعا في علوم عديدة . مجتهدا  
في الدين والعلوم العقلية . ماهرا في تاريخ الشرق والغرب . أدبيا بارعا في اللغة العربية  
والفارسية ، ينفذ الشعر بالفارسية مثل أعظم شعراء العجم . وهو يعد من أئمة اللغة  
الهندية وأفصح كتابها . له كتب كثيرة جدا في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين  
الفارسية والهندية وفي علوم شتى . وآخر كتاب كان يعني بتأليفه هو « سيرة النبي صلى  
الله عليه وسلم » ولم يكمل يتم جزءا منه حتى عاجلته منيته وهو ابن خمس وستين  
سنة تقريبا . هذا الكتاب ليس مثل سائر الكتب التاريخية بل أراد رحمه الله  
أن يكتب باستقصاء لا يفاذر صغيرة ولا كبيرة من آثار النبي وأقوال المتخرسين (?) إلا  
أحصاها ويبحث فيها بحثا تاريخيا فلسفيا ليس من ورائه بحث . وكان من اهتمامه  
بالكتاب المذكور أنه قبل الاشتغال فيه أعلن في الجرائد الهندية انه يحتاج الى  
خمسين ألف روية ( ٣٣٢٥٠ جنيا ) لیسافر الى الممالك الإسلامية والأفريقية  
ويطالع في مكاتبها الكتب المؤلفة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتسأل عن  
يساعده بذلك ؟ فأجاب طلبه « أميرة بهو بال » التي اشتهرت بالأعمال الخيرية والعلمية ،  
غير انها لم تأذنه بالسفر لسكبر سنه وما أصابه من العرج بل وعدت بان تطلب له  
جميع الكتب المحتاج اليها وتعطي ٢٠٠ روية شهريا لترجمي الكتب الأفريقية منها  
( لأن الشيخ لم يكن عالما بلغات الغرب ) فاشتغل الشيخ بالكتاب ثلاث سنوات  
وأكمل منه جزءا واحدا كما ذكر آنفا .

وكان يتنزه الفرص لينفع المسلمين . ومن مآثره أنه نجح في مسألة الوقف على  
الاولاد عند الحكومة فجازته بعد ان كانت أبطلته .

ربما يظن ظان أن هذا الشيخ الجليل كان من مخرجي المدارس العالية ومن  
أصحاب الشهادات العليا . وليس الامر كذلك . فانه لم يتعلم في مدرسة ما قط بل  
كان يتلقن بعض العلوم المتروكة القديمة في بيوت بعض العلماء . ولم يكن يعلم شيئا

من أحوال العالم المدني ولكن علامات الذكاء كانت تنطق على سباه بظلم مستقبله. ولما كمل دروسه غير المنظمة انتظم في سلك المعلمين في كنيسة على صخرة الشهيرة وهناك ظهر له أنه يوجد عالم غير عالمه وعلوم غير الفقه والكلام والفلسفة اليونانية فاختار بطالع العلوم حتى عد من أكبر علماء الهند . وفي هذا الاثناء ساح في البلاد الاسلامية كلها ليعرف داء المسلمين ودوايه . وبعد رجوعه الى وطنه ابتداء دوره الذهبي ، لانه ترك الوظيفة ولم يعمل شيئاً بعد إلا لأصلاح المسلمين . ولهذا الغرض أخذ على عاتقه مشروع ندوة العلماء ، وهي لم تكن شيئاً يذكر قبله وبهمته العالية ترقى في مدة قصيرة حتى سمع صوته في العالم المدني وتخرج فيها العلماء والمربون . وكانت له أمانى كثيرة حالت منيته دونها اذ واقفه بعد ان مرض نصف شهر فسقطت بذلك حلقة كبيرة من سلسلة المصلحين ، وانطلقاً مصباح الهند ، فليحزن على فقده المصلحون والمهندوس المسلمون ، انا لله وانا اليه راجعون

( المنار ) فقدنا الاستاذ النعماني في عهد هذه الحرب التي حرمتنا رؤيته ماعدا جريدة عليكده من جرائد الهند فلم نقف على شيء من تأييدها وترجمتها له . والشيخ حبيب الرحمن الذي كتب تلك التبعة الوجيزة في جريدة عليكده من أهل العلم والدين ، وحزب المصلحين المعتدلين ، ولكنه أوجز واختصر حتى انه لم يذكر لنا مصنفات الشيخ : ولعل أهل مصر وغيرها من البلاد العربية لا يعرفون منها إلا رده الوجيز على كتاب تاريخ الهند الاسلامي ، وما هو الا عجالة جعلها نموذجاً لبيان ما أنكره من ذلك الكتاب ولم يرد به الاستقصاء . وكنت رأيت له رسالة في الجزية نشرت بعضها في المجلد الاول من المنار وهي تدل على اجتهاده في التاريخ وعلوم الدين . ومن سوء حظ المسلمين أن يقوم حزب الجود في وجوه هؤلاء الأفراد من المصلحين كالشيخ النعماني ويحولوا بينهم وبين خدمتهم لملتهم وأمتهم . ويضعف أنصار الاصلاح عن احباط أعمالهم ، ومما يذكر بالاعجاب في ترجمته أنه لم يوجد في أمراء الهند وعظمائها رجل عرف قيمة هذا الاستاذ الكبير المصلح كما عرفت أميرة بهوبال فضلى نساء تلك الاقطار وأقباؤها

وسنشر في الجزء التالي كلمة وجيزة من صلة المودة بيننا وبين الفقيه وكتابه منه يعلم منه شيء من صلته العلمية الدينية بصاحبة بهوبال أدام الله النفع بها .

السر محمد سلطان آغا خان

زار مصر في أوائل هذه السنة السر محمد سلطان آغا خان زعيم طائفة الاسماعيلية أقدم طوائف الباطنية بل إمامهم ومعبودهم . جاءها عائداً من لندرة عاصمة انكلترا

حيث يقم معظم سنته — الى وطنه بجي أول تغور الهند حيث يقم مدة فصل الشتاء عادة . وقد نزل ضيفا على الجنرال غراثيل مكسويل القائد العام للجيش البريطاني بمصر فلقني من الحفاوة والاكرام من الحكومة المصرية وكبراء الانكليز ما يليق بمقامه ومكانه من ثقة الدولة البريطانية به وإخلاصه في خدمته لها

وقد اجتمعت به في دار (مستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية الانكليزية) وتحدثنا أكثر من ساعة في الشؤون المصرية وأحوال المسلمين في مصر وفي غيرها من الاقطار . وكان أكثر الحديث أسئلة منه وأجوبة مني ، وكنت أحب أن أسأله عن أمور فلم يتسع الوقت لذلك ، وتحدثنا بعمي اجتماع آخر فلم يتيسر ولعل من أسباب ذلك كثرة تنقله في البلاد المصرية وعدم لبثه في القاهرة بعد ذلك الا قليلا

وقد كان أول حديثه الشكوى من قلة عناية المسلمين بالعلم وسألني عن سبب ذلك فشرحت له رأيي فيه ، وعمما ذكرته له في ذلك أن العلم لا يرتقي وترتقي الامم به الا بالعمل ، ولا سيما العلوم الطبيعية والآلية (الميكانيكية) التي يشعر عقلاء المسلمين بشدة حاجاتهم اليها ، وتوقف مجاراتهم للأفنج عليها ، وان أسبابا سياسية واجتماعية حالت دون السير في هذه العلوم على الطريقة العملية التي تتوقف على إيجاد المعامل ودور الصناعة في البلاد ، وان الحكومات هي ذات الشأن الأول في إيجاد ذلك وأكثر حكام المسلمين ليسوا منهم . وأما الحكومات الاسلامية المستقلة فقد كانت الدولة العثمانية والامارة المصرية — وهما أقربهن الى الحضارة — شرعنا في اقتباس العلوم والفنون الأوروبية منذ مئة سنة أو أكثر ، أي قبل شروع اليابان في ذلك ، ولكن حال استمرارهما على الطريقة العملية مالا سعة في الوقت لشرحه فزال المعامل ودور الصناعة التي شرع فيها محمد علي باشا كما اضمحل ما أنشئ من ذلك في الاستانة مع كون الحاجة اليها أشد والقدرة عليها أتم ، واكتفى الترك والمصريون باقتباس المبادي الناقصة من هذه العلوم والفنون ، وعمما يتوسع قليل منهم بما هم أقل حاجة اليه من غيره كالقوانين وتاريخ الامم الأوروبية ولغاتها ، مع جهلهم بشريعتهم وتاريخ ملتهم وأدائها ، ولأجل هذا كان ضررا أكثر المتعلمين أكبر من نفعه . ولما كان الطب لا يكون إلا عمليا كان هو أرفع ما اقتبسناه من العلم الحديث ، ففي مصر والبلاد العثمانية كثير من الاطباء الذين يخدمون البلاد أجل خدمة . وكذلك الهندسة فانها قد أفادت بقدر الحاجة اليها في الاعمال كالري وسكك الحديد فالهندسون المصريون لا يقصرون عن الأوربيين الذين يعملون معهم في هذه البلاد أما حديثنا عن حالة مصر ومسألة الحماية الانكليزية الجديدة فلا يجوز نشره الآن

# المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين استمعوا لي القول فأتبعوني آخس  
وأولئك الذين هداهم الله فأتبعهم فلو لا ألبار

أوتى خبرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألبار  
يقضي الحكمة من بناء ومن يؤت الحكمة فقد

قل عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و منارا كمنار الطريق

مصر ٢٩ جمادى الاولى ١٣٣٣ ٢٣ الحل ( ١ ) ١٢٩٣ هـ ١٤ ابريل ١٩١٥

## فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

افتتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة. وينبغي للسائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثل هذا ، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(صدق به وصدق له)

(س ١) من صاحب الامضاء مدير مجلة الأديان في بنجاب بالهند

سيدي العزيز !

كتبت في أحد أعداد المنار (كأسمت) أن هناك فرقا بين قولنا «صدق له»

« وصدق به » وقلت أن الأخير يفيد معنى التحقق والامضاء ، والاول يفيد معنى

الإتمام (أي تحقق مضمون الشيء) وما استعمله القرآن بالنسبة الى التوراة

والانجيل هو التعبير الاول . وهذا التفسير هو الجدير بالاعتبار ويحل الاشكال الذي

بين المسلمين والنصارى في مسألة شهادة القرآن لكتبهم . واني أعد لكم فضلا كبيرا



علي اذا أقمتم لي الدليل على صحة هذا الفرق بين العبارتين حتى يتيسر للانسان ان يقتبسه كلما قام جدال بيننا وبينهم في هذه المسألة وأملئ ان تبادلوا بالجواب  
عبدكم (?) المحلص

شرالي

مدير مجلة الاديان

(ج) إن ما أشرتم اليه من التفرقة بين صدق به وصدق له وقع في رسالة الدكتور محمد توفيق صدقي لا في كلام المنار. وما ينشر في المنار لغبرنا لا يصح أن نطالب بالدليل عليه بل نشتل عن رأينا فيه. والذي يؤخذ من استعمال القرآن لكلمة التصديق وما اشتق منها ومن استعمال العرب هو ان «صدق» فعل يتعدى بنفسه كما قال تعالى (٣٧:٣٧) بل جاء بالحق وصدق المرسلين) وأن التصديق يكون بالقول كقولك: صدق فلان فيما أخبر به. ويكون بالفعل، ومثاله أن تقول: ان فلانا سيفعل كذا، او يقول كيت وكيت - فيفعل ذلك الفعل او يقول ذلك القول، فهذا يسمى تصديقا لما قلته عنه، سواء أراد به ذلك أم لا، كل جائز في اللغة مستعمل فيها. فتصديق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم للمرسلين عليهم السلام ولكتبهم يصح فيه الوجهان - يصح أن يراد به إخباره بصدقهم فيما بلغوه عن الله تعالى، وان يراد به ان بعثته وصفاته وأفعاله دلت على صدقهم في البشارة به، وبكل من القولين قال أهل التفسير المأثور والمعقول، والقرائن ترجح أحدهما على الآخر في المواضع المختلفة ولم يرد صدق متعديا باللام فيما نعلم. اما مثل قوله تعالى (٢: ١٠) وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم) وقوله (٢: ٩١) وهو الحق مصدقا لما معهم) فاللام فيه للتقوية لا للتعدية، وهو بمعنى قوله (٦: ٩٢) وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) ومعنى ذلك أنه دال على صدق تلك الكتب فيما بشرت به من بعثة النبي (ص) او ناطق بصدق أولئك المرسلين فيما جاؤا به عن الله تعالى. فان أريد بالتصديق القولي منه فهو لا ينافي ما أثبتته في آيات أخرى من تحريف القوم لبعض تلك الكتب الصادقة ونسيانهم حطامها. ومثاله ان يقول قائل لقوم ان فلانا المؤرخ صادق وان ما كتبه لكم من تاريخكم أو تاريخ كذا صحيح، ولكنكم نسيت بعض ما جاءكم

به فلم تحفظوه ، وحرقتكم بعض كلمه فلم تبينوه ولم تستبينوه . هذا هو التحقيق في تفسير الآيات الواردة في هذه المسألة . وقد فصلنا القول فيها في مواضعها من التفسير وأيدناه بالدليل

وأما قولهم : صدق بكذا أو بفلان ، — فهو ليس من التصديق الذي معناه مجرد إثبات الصدق بالقول أو الفعل ، فإن التصديق بمعنى إثبات الصدق يتعلق بالاقوال لا بالأشخاص والأشياء ، فإذا اسند إلى الأشخاص فأما يسند إليهم باعتبار مضاف محذوف ، « فعنى صدق المسلمين » صدق أقوالهم . فإذا عدي التصديق بالباء كان متضمنا لمعنى الايمان فكان تصديق اعتقاد بحله القلب ، فالتصديق بالنبي هو الايمان بنبوته لا قولك بلسانك إنه صادق ؛ ولا فعلك فعلا يدل على صدق كلامه . وأما تصديقه فيشمل هذا وذاك . والمصدق باللسان قد يكون غير مصدق بالقلب . وحقيقة معنى تضمين فعل معنى آخر هو أن تضم معناه إلى معنى الفعل الأصلي بتعديته إلى ما يتعدى إليه لكي يدل على معناه أولا وبالذات . وتبقى دلالة على معناه الأصلي مرادة ولو على سبيل اللزوم والا كمال . كقوله تعالى (ولأنك كلوا أموالكم إلى أموالكم) أي لا تأكلوها بضمها إلى أموالكم لتكون ربحا لكم ككسبكم . وهذا لا ينافي الأكل منها بمخالطة النيم وإشراكه مع الوصي في المعيشة مع اتقاء الوصي قصد الربح منه ، كما أنه لا ينافي ضمها إلى أمواله لحفظها معها للقيم لا لنفسه وقد استعمل التصديق في القرآن متعديا بالباء في أربعة مواضع — ١ — قوله تعالى حكاية لبشارة الملائكة لزيار (٣ : ٣٩) أن الله يبشرك يصحب مصدقا بكلمة من الله) — ٢ — قوله تعالى (٣٩ : ٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) — ٣ — قوله (٦٦ : ١٢) وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي السيدة مريم عليها السلام — ٤ — قوله (٩٢ : ٥) وصدق بالحسن) فكل موضع من هذه المواضع يراد بالتصديق فيه الايمان المستلزم للتصديق اللساني . والحسن صفة محذوف قيل هو كلمة التوحيد ، واختار شيخنا أنه الشريعة والملة

والايمان يتعدى بنفسه بالباء وإذا تعدى باللام كان متضمنا لمعنى الاتباع كما لا يخفى على من استقرأ استعماله في الكتاب العزيز وكلام فصحاء العرب والله أعلم

## أول الخلق وكونه نور النبي (ص) (تأخر كثيرا)

(س ٢) من صاحب الامضاء في الجامع الازهر  
فضيلة الاستاذ ! بعد تقديم الالاف بمقامكم أعرض على حضرتكم مسألة  
طالما تكررت على مسامعنا ولم نقتنع لها معنى وسألت عنها بعض مشايخي بالازهر  
فأجابوا بأنها من مواقف العقول فأرجو من فضيلتكم الشرح عنها  
سعدنا أن الاشياء خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم ، وأنه موجود قبل  
الكائنات. فما معنى النور الذي خلقت منه الكائنات، وكيف يقبل القسمة مع أنه  
من الكيفيات؟ وكيف يكون النبي أولا وآخرا؟ أجيئوا لازلتم للدين منارا  
كاتبه احمد مصطفى النسي

(ج) مايفد كرفي الموالد وبعض الكتب من كون أول الخلق نور النبي (ص)  
لا يصح منه شيء، فما ينبغي عليه من الاشكال ساقط يصدق عليه ماقلناه في الامر الثاني  
من جواب السؤال عن عدد صفات الله تعالى وعلمه بها (في ص ٧٣٩ م ١٧) .  
ونجدون البحث في مسألتكم مفصلا في (ص ٨٦٥ - ٨٦٩) من مجلد المنار الثامن

﴿ كتاب الجفر . وحديث الاستعاذة من الحور بعد الكور ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في جهة أبي كبير « الشرقية »

حضرة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير  
السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فخرجوا ولا التكرم بافادتنا عن كتاب الجفر  
النسب الامام علي كرم الله وجهه هل هو صحيح أو باطل وما هي أدلة المثبتين  
وما هي أدلة النافين وما هو رأيكم الخاص

ثانيا ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من الحور بعد الكور »  
هذا وتنازلوا بقبول فائق احترامي  
« ج » أما كتاب الجفر فلا يعرف له سند الى أمير المؤمنين وليس على النافي  
دليل وانما يطالب الدليل من مدعي الشيء ولا دليل لمدعي هذا الجفر

ولما معنى الحديث فقد قال ابن الاثير في النهاية : « نعوذ بالله من الحور بعد  
الكور » اي من التقصان بعد الزيادة، وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل  
من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنّا منهم. وأصله من نقص العبادة بعد لها . اه  
وفي لسان العرب : يقال كار عمامته على راسه اذا لها ، وجار عمامته اذا تقصها.

## حرب المدنية الاوربية

والمقارنة بينها وبين المدنية الاسلامية ، والفتوحات العربية

لقد أرتنا هذه الحرب من ضروب العبر ، ما لم يكن يخطر قبلها على قلب بشر ، وهتكت لنا من أستار الرياء ، ما أرفانا كثيرا من حقائق الاشياء ، التي لم يكن يلحمها الا أفراد الحكماء ، فظهر للذكي والبليد ، والغوي والرشيد ، ان هذه المدنية المادية ، مدنية قوة وحشية ، وشهوات بهيمية ، كانت تخدع الابصار وتفتن البصائر ، بما يدعيه أهلها في زمن السلم من حب الحق والتحلي بلباس الفضائل ، واقامة ميزان العدل ، وثل عروش أئمة الجور والظلم ، جبا في سعادة الناس ، ورغبة في المساواة بين الافراد والاجناس

وقد كان من مقدمات هذه الحرب بين الدول الكبرى حربان في البلقان ، اقترف فيهما البلقانيون من ضروب القسوة وفظائع العدوان ، وقتيل الشيوخ والولدان ، وهتك الاعراض ونهب الاموال ، ما لم يعرف التاريخ أقبح منه منظرا ، ولا أسوأ عاقبة وأثرا ، ولم يكن يخطر في بال أحد أن هذه الموبقات يمكن ان يقع مثلها من دولة من الدول الكبرى ، دول العلم والفنون والمدنية الرائعة في هذا العصر الذي يفضّلونه على جميع العصور ، ويسمونه عصر الحضارة والنور ، نعم ان أنواره المادية يكاد شعاعها يذهب بالابصار ، ويمكن ان يفضل بها الليل على النهار ، ولكن يتمثل لك في هذا الضوء عالم المدنية ، هيكلا من هياكل الوثنية ، قد نصب في محرابه تمثال القوة الحربية ، واضعا إحدى قدميه على الحق والاخرى على الفضيلة ، رافعا يمينه راية القهر والسلطة ، وبشمالها راية الشهوة واللذة ، والناس ما بين راحه له وساجد ، ومحرق للبخور ومقدم للذبايح

فلما كان أحد من الناس يظن ان دول العلم والحضارة تقترب مثل ذلك الظلم والعدوان ، وتجترح تلك السيئات التي اجتريحتها شعوب البلقان ، فجاءت هذه الحرب مكذبة لظن الخير فيها ، وأحققت من القضاء بالقسوة والفضاعة عليها شر ما أحقت على من قبلها ، اذ كانت أقدر على التشكيل والتدمير من البلقانيين الذين

م حالة عليها ، بقدر ما آتاه العلم من أسبابها وآلاتها ، فقد جعلت العلم الجدير بأن يكون مصدر العدل والرحمة والسعادة ، مصدرا للظلم والقسوة والشقاوة ، فهذه دولة ألمانية المتنازعة بسعة العلوم واتقان الفنون ، قد امتازت بما اخترعته من آلات التخریب وأسباب المنون ، وينقل لنا عنها محاربوها ما تقشعر منه الجلود ، ويتصدع من هولها الحجر الجلود ، من مدافع تدرك الحصون والمعقل ، وغواصات تنسف البوارج والبواخر ، وغازات سامة يتكون منها دخان أخضر ، يقتفي آثاره الموت الأحمر ، فهو مصداق قول الله تعالى ( فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين \* يغشى الناس هذا عذاب اليم )

وضعوا للحرب قوانين لتخفيف نكباتها ومصائبها مستمدة محاسنها من الشريعة الإسلامية شريعة العدل والرحمة ، ولكن ثبت أنهم مارعوها حق رعايتها ، وإنما يعملون بها في بعض الامور الظاهرة المشتركة بين كل من المتقاتلين كعاملية الاسرى ، ومن آمن منهم ان يعاقب بمثل عاقب به لعجز خصمه أو لا مكانه إخفاء جنايته ، لم يلتزم أحكام قوانين الحرب وحقوق الدول ولا معاهداتها احترامالها ، أو حبا في الحق والعدل اللذين توضع القوانين والعهد لاجلها .

فأين حرب هذه الامم والدول التي خلع الناس كلهم حتى المسلمون بها ، وصاروا يهاون بفضائلها ، وارتقاؤها في معارج المدنية الانسانية بعلومها وفنونها ، — من حرب الصحابة الذين كان أكثرهم أميين ؟ تلك الحرب التي لم يعرف التاريخ البشري مثلبا في رعاية الحق والعدل والورع ، واستعمال الرأفة والرحمة في السر والعلن ، بل شهد فيلسوف التاريخ والاجتماع (غوستاف لوبون) للعرب كلهم بذلك فقال : ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب . فبذلك العصر النوراني فليفاخر المفارقون ، لا بعصر الوحشية المنظمة التي جاء بها القرن العشرون

هل قتل ناقل أو قال قاتل ان أحدا من الصحابة عليهم الرضوان أو من حارب معهم من التابعين انتهك عرضا ، أو قتل شيخا أو امرأة أو غلاما ، أو سلب لأحد من أعدائه مالا ، أو هدم كنيسة أو ديراء أو قتل راهبا أو قسيسا ؟ أو مثل يقتل ،

أو أجهز على جريح ؟ كيف وقد كان الرسول ( ص ) يوصيهم بمثل قوله « انطلقوا باسم الله وبالله (ص) ولا تقتلوا شيخا فانيا<sup>(١)</sup> ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تغلوا وضمو غنائمكم ، ( واحسنوا ان الله يحب المحسنين ) » رواه أبو داود من حديث انس بن مالك - وروى احمد من حديث ابن عباس قال كان رسول الله ( ص ) اذا بعث جيوشه قال « اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لاتفقدروا ولا تغلوا ولا تملوا<sup>(٢)</sup> ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع »

ومن وصايا الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) المقتبسة من مشكاة النبوة مارواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد ان ابا بكر بعث جيوشا الى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان - وكان يزيد أمير ربع من تلك الارباع - فقال اني موصيك بعشر خلال : لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هراما ، ولا تقطع شجرا مشروا ، ولا تخرب عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لما كله ، ولا تعقرن خلا ولا تحرقه ، ولا تغال ولا تخجن<sup>(٣)</sup>

نعم قد كان يقع قليل من الشذوذ يقابل بالانكاره الا اذا دفع اليه الاضطراء ، والناذر لا حكم له . روى الشيخان وأصحاب السنن ما عدا النسائي وغيرهم عن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي (ص) فنهى رسول الله (ص) عن قتل النساء والصبيان .

وروى احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن رباح بن ربيع انه خرج مع رسول الله ( ص ) في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمر رباح وأصحاب رسول الله ( ص ) على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة فوقوا ينظرون اليها

(١) المراد بالشيخ الفاني من لا يقاتل وقد كان الناس كلهم مقاتلة الا هؤلاء الذين نهى الحديث عنهم والقاعدة الاسلامية العامة انه لا يقاتل الا من يقاتل (٢) الغلول الخيانة والغنائم . والتمثيل تشويه الأعضاء بنحو قلع العين وجذع الانف وصلم الاذن . وقد حرم الاسلام بالتمثيل بالقتلى فضلا عن الاحياء ، وقد ثبت وقوع التمثيل في حرب المدينة الاورية وفي الحرب البلقانية قبلها

(٣) أخذن الرجل خبأ في خبنة ثوبه أو سراويله شيئا . واخبنة بالضم طية الثوب وثنيته . وفي نسخ الموطأ المطبوعة أكثر الكتب التي نقلت عنه : ولا تخجن بالجيم

حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته فأفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله (ص) وقال : ما كانت هذه لتقاتل — وقال لأحدهم — الحق خالدا قتل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا <sup>(٢)</sup> وروى أبو داود في مراسيله عن عكرمة ان النبي (ص) مر بامرأة مقتولة يوم حنين فقال « من قتل هذه ؟ فأخبره رجل انه كان غنما فلما رأت الهزيمة أهوت الى قائم سيفه لقتله به قتلها قبل ان تقتله . ولا أتدكر قتل امرأة في مغازي النبي (ص) غير هاتين الا تلك المرأة اليهودية التي أمرها زوجها ان تلقي الرمح على بعض المسلمين في غزوة بني النضير ليقتلوها فلا تعيش بعده اذ كان موطننا نفسه على ان يقاتل حتى يقتل ففعلت

وقد كان رفيق النبي (ص) بالنساء أعظم من ذلك فقد روى ابن اسحق ان بلالاً مر بصفية وابنة عم لها على قتلى يهود بعد سقوط حصن بني أبي الحقيق فلما رأت المرأة القتلى صكت وجهها وصاحت وحشت التراب على وجهها فقال النبي (ص) لبلال « أتزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما ؟

ومن ضروب العبرة في حرب المدينة الاوربية ككرة مايتقاضونه من البلاد التي يفتحونها من الغزوات ، وما يفرضونه عليها من الأتاوات ، وقد كان المسلمون الاولون يكلفون أهل البلاد ضيافة ثلاثة أيام ، لضرورة الحاجة الى القوت وعدم تفسير أسبابه بالطرق النظامية المتبعة في هذه الايام ، وأما الجزية والخراج اللذان يفرضونها على أهل البلاد فهما أقل مما تفرضه كل حكومة من حكومات الارض على أبناء جنسها في بلادها ، دع ما تفرضه الحكومات الاوربية في مستعمراتها فهو يستغرق معظم غلات أرضها فلا يبقى لأكثر أهلها منها الا مايسد الرمح ، ويستعين به على مداومة العمل ، وقد قرأنا في الصحف ما فرضه الألمان على أهل بلجيكة من الغزوات وما حملوهم من الاثقال ، بعد ما حل بهم ما حل من الخزي والنعكال ، فاذا هو مما تعجز عن حملة الجبال لالجال ، ولا غرو فان كل حظ أهل هذه المدينة المادية

من الحياة والدافع لها الى القتال ، إنما هو الاستكثار من جمع الاموال ، والتعج باللفة والعظمة والسلطة والجاه ، ولو ظفر البلجيكيون بالامان ، لأنزلوا بهم الخزي والهولن ، وعاملوهم كما عاملوا أهل الكونغو منذ أعوام ، فأين هذا من عفة المسلمين ولا سيما الصحابة الكرام .

روى البلاذري في فتوح البلدان عن سعيد بن عبد العزيز قال : بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ المسلمين اقبالهم عليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم . فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : كولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والنشيم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان تغلب ونجهد . فأغلقوا الابواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا ان ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه ، والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة ( يعني الروم أي الرومانين ) وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلتين وأدوا الخراج . اهـ

وفي رواية احفظها ولا أتدكر موضعها الآن أن الصحابة لما ردوا ما كانوا أخذوا من الجزية قالوا انا كنا أخذنا هاجزاً حمايتكم والدفاع عنكم وقد عجزنا الآن عن ذلك ، خلف الاهالي ان أبناء دينهم ما كانوا ليرجعوا مالا أخذوه الخ

فهل عهد من فاتح في الاولين والآخرين ان يرد الخراج الى أهل البلاد التي يفتحها ، بناء على ان الخراج لا يباح أخذه الا لأجل حفظ البلاد والدفع عنها ، وان المجز عن ذلك وان كان في سبيل الدفاع عن تلك البلاد يوجب رد الاموال الى أصحابها ؟ لا لا ، ان هذا العدل والورع لم يعرفه البشر الا من الصحابة رضي الله عنهم ، فان كان من وليهم من خلفاء العرب وامرائهم دونهم ، فهم يفضلون سائر الامم في رقتهم وقناعتهم

كان بنو أمية أحرص العرب على نعيم الملك وسعة العيش ، فخرجوا في كثير من أمر السلطة والتصرف في بيت المال عن السنة المتبعة وسيرة الخلفاء الراشدين



وانما استقام عليها منهم عمر بن عبد العزيز . أما سيرتهم في الغزو والقضاء بين الناس وإدارة البلاد فكانوا يتحرون فيها العدل والرحمة ، وكذلك كانت سيرة العباسيين في الشرق ، والامويين في الغرب ( أي الاندلس ) ومن شذ عن ذلك لغير سبب حفظ الملك كان مذموما وعرضة للعقاب ، وقد تضاعفت ثروة الممالك واستبحر عمرانها بعد أن انتزعوها من الروم والفرس . بما كانوا يسوسونها به من الرحمة والعدل ، ولم يفتن لهذا بعض الكتاب الذي انبرى في هذه الايام الى ذم ولاية العرب بكونهم لم يكن لهم هم إلا جباية الخراج ، وقوله في أفراد منهم انهم لم يفعلوا شيئا للبلاد ، أو لم يقل فلان المؤرخ انهم فعلوا شيئا — وهو يعلم علما ضروريا ان عدم القول لا يستلزم عدم الفعل ، وان ماسكت عنه زيد يجوز ان لا يسكت عنه عمرو ، ويعلم علما تقليا أن مزية الفاتحين الاولين من العرب هي العدل والرحمة لا الصنعة التي امتاز بها مؤسسو الاهرام وأمثالهم ، وكانت ولا تزال شاهدة على استبدادهم وظلمهم كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو اليه قلة دخل بيت المال بمصر بكثرة دخول الناس في الاسلام ، ويستأذنه في ضرب جزية على المسلمين . فكتب اليه عمر هذه الكلمة العالية « ان محمدا (ص) بُعث هاديا ، ولم يبعث جاييا »

وكتب اليه عدي بن أرطاة : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين فان قبلي أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما لست أرجو استخراجه ( وفي رواية : لست أقدر على استخراجه ) من أيديهم الا أن أمسهم بشيء من العذاب . فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك فعل « فأجابه بقوله :

« أما بعد فالعجب كل العجب من استئذائك إياي في عذاب بشره ، كأنني لك جنة من عذاب الله . وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه ينة عدول فخذة بما قامت عليه به البيتة ، ومن أقر لك بشيء فخذة بما أقر به ، ومن أنكرفاستحلفه بالله العظيم ونخل سيبله . وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم ، أحب الي من ألقى الله بدمائهم . والسلام »

وروي عن يحيى النسائي أنه قال : لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقا وقبعا ، فكتبت الى عمر أعلمه حال البلد وأسأله :

أخذ الناس بالظنة ، وأضر بهم على التهمة ، أم آخذهم بالينة ، وما جرت عليه السنة ؟ فكتب الي أن خذ الناس بالينة وما جرت عليه السنة ، فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . قال يحيى فضلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا وقبا .

ومن ضر وب العبرة في هذه الحرب ماتراه في كلام كثير من الكتاب من بنائها على قاعدة من قواعد المدنية الحديثة قررها الألمان وتوسعو في فلسفتها وألفوا فيها الكتب ، وواقهم عليها من واقهم بالقول والفعل أو بالفعل دون القول - وهي قاعدة « الحق القوة » - وقد نشرنا في الجزء الذي قبل هذا مقالا في شأن الكتاب الذي ألفه أحد قواد الألمان وعلمائهم ( الجنرال فون برنهاردي ) في ذلك وسماه ( المنطق والمبادئ في الحروب ) وفي نقد مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية له ، ومنه تعلم أنهم جعلوا الأثرة وتفضيل الأقوياء على الضعفاء حتى في الحقوق المدنية مما تقتضيه الفضيلة والحكمة بل زعموا أنه من أصول الديانة المسيحية وأحكامها وان مساواة الشعب الغالب للشعب المغلوب لا يجوز في نظر العلم والفلسفة ولا في حكم الدين

ندع لملأ اللاهوت ورجال الكنيسة حكمهم فيما عراه الجنرال الألماني وغيره الى الديانة المسيحية مع اعتقادنا أن من آداب دين المسيح عليه السلام المبالغة في الأثار ( الذي يعبر عنه القوم بإنكار الذات ) وهو ضد الأثرة التي يدعيها هذا الفيلسوف الألماني وغيره ، فهو ينافي طلب السلطة وانتزاع ملك الناس وملكهم بالقوة ، لاجل التمتع بالجاء والثروة ، لأن من قواعد الإنجيل أن يعطي المؤمن ماله لغيره ، فكيف يتفق هذا مع انتزاعه من غيره ما يملكه ؟ وأما الاسلام فهو وسط بين هذه المدنية المادية ، وبين زهد المسيحية ، فهو دين سيادة وسلطة مدنية ، وفضيلة أدبية روحية ، فلا يثار فيه فضيلة مندوبة ، وهو في المسيحية فريضة مطلوبة ، قال الله تعالى في وصف المؤمنين ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) . وأما قاعدة الاسلام في الاحكام فهي العدل والمساواة في الحقوق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والقريب والبعيد ، والحبيب والبغيب ، قال تعالى ( ٥ : ٨ ) ولا يحجر منكم شعبان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ) والآيات في هذا

المعنى كثيرة أوردنا طائفة منها في الرد على الكاتب الأمريكي الذي زعم - فجا كنهه بمثلثة إلغاء الدولة العثمانية الامتيازات الاجنبية - ان الشريعة الاسلامية جاءت بعدم المساواة بين المسلم وغيره ، وبيننا هنالك انه لا تعرف شريعة في الارض قررت هذه المساواة غير الشريعة الاسلامية . وقد جرى على ذلك الخلفاء الراشدون على وجه الكمال ، وكان هو الاصل والقاعدة عند الامويين والعباسيين في القضاء . وانما وقع الشذوذ والخروج عنه في بعض الاحكام السياسية والعسكرية

واقعة مساواة عمر بن الخطاب بن علي صهر الرسول وابن عمه وبين رجل من عامة اليهود ، وظل عمر في تسمية اليهودي وتكنية علي ، واستيا علي منه لتفضيله اياه على خصمه بالتكنية ، واعترافه هو بأن ذلك خطأ - واقعة مشهورة معروفة . وقد جرى لعمر بن عبد العزيز ما يقرب منها :

قال الحكم بن عمر الرعيني : شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاضع اهل دير اسحق عند عمر بن عبد العزيز بالتاعورة ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصاؤك بين يدي . ولكن وكل بخصومتك من شئت والا فإني <sup>(١)</sup> القوم بين يدي . فوكل مولى له بخصومته فقصى عمر عليه بالتاعورة . ذكره الحافظ ابن الجوزي في سيرته

قلت ان هذه الواقعة تشبه واقعة علي مع اليهود . وأعني بالتشبيه المساواة في التكريم والاحترام بين الرفيع وان كان بيت النبوة أو الملك وبين سائر الناس حتى من غير المسلمين ، فلي كان سيد آل بيت الرسول وعمادهم ، ومسلمة كان من بيت الملك فهو ابن عبد الملك بن مروان ، وناهيك بما كان لبني عبد الملك من العز والسultan .

أما المساواة في الحقوق نفسها فكانت هي الاصل الذي يجري عليه كل الحكام الا من شذ لاسباب عارضة أو لفساد في خلق الشخص ووقائعها في عهد عمر بن عبد العزيز لا تحصى . وقد كان أول مظلمة رفعت اليه يوم توليته مظلمة

«١» اي اجلس بازائهم جاثيا على ركبتيك مثلهم افلا تخير في الخصومة بين ابناء الخلفاء والامراء وبين دهباء الناس كاهل الدير وغيرهم

ذمي من أهل حصص ادعى ان العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبه أرضه ، قال عمر : يا عباس ما تقول ؟ قال أقطعنيها — أي الارض — أمير المؤمنين الوليد بن الملك وكتب لي بها سجلا . فقال : ما تقول يا ذمي ؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق ان يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، اردد عليه يا عباس ضيعته . فردها عليه

وقد كان أهل بيت الملك من بني أمية تأثروا بضيعات ومزارع كثيرة من بيت المال ، وكان لبعض الناس في بعضها حق أو مقال ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها ، وكان أول ما بدأ به رد ما كان له ولولده من ذلك

وروى انه استشار مولاه مزاحما في ذلك فقال : يا مزاحم ان هؤلاء القوم اعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطونا اياها وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار الي ليس عليّ فيه دون الله محاسب . فقال له مزاحم يا أمير المؤمنين هل تعرفي كم ولدك ؟ اتهم كذا وكذا . قال فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويقول : أكلهم الى الله تعالى . ثم ذهب مزاحم وذ كر ذلك لعبد الملك بن عمر عسى ان يكف أباه عن ذلك . فقال له عبد الملك : بنس وزير الدين أنت يا مزاحم . ثم وثب فانطلق الى بيت أبيه عمر فاستأذن عليه فقال له الاذن : ان أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال استأذن لي . قال : أما ترجمونه ليس له من الليل والنهار الا هذه الوقعة . قال عبد الملك : استأذن لي لا أم لك . فسمع عمر الكلام فقال : من هذا ؟ قال هذا عبد الملك . قال ائذن له . فدخل عليه وقد اضطجع للقائلة فقال : ما حاجتك يا بني في هذه الساعة . قال : حديث حدثني مزاحم . قال فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال وقع رأيي على انفاذه . قال فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني . نعم يا بني ، أصلي الظهر ثم أصدع المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : ومن لك بالظهر يا أمير المؤمنين ! ومن لك ان بقيت الى الظهر ان تسلم لك نيتك الى الظهر ! فقال قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة . فقال عبد الملك تأمر مناديك يذاذي : الصلاة جامعة . فيجتمع الناس ( قال اسماعيل بن أبي حكيم الراوي لهذه الواقعة وهو من رجال صحيح مسلم ) فنادى المنادي : الصلاة

جامعة. فخرجت فأثيت المسجد فجاء عمر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا والله ما كان لهم أن يعطوناها ،  
وما كان لنا أن نقبلها ، وإن ذلك قد صار اليّ ليس عليّ فيه دون الله محاسب . ألا  
واني قد رددتها وبدأت نفسي وأهل بيتي . اقرأ يا مزاحم .

قال الراوي : وقد جيء بسفط قبل ذلك - أو قال جونة - فيها تلك الكتب .  
فقرأ مزاحم كتابا منها فلما فرغ من قراءته ناوله عمر - وهو قاعد على المنبر ويده  
جلم ( أي مقص ) فجعل يقصه بالجلم ، واستأنف مزاحم كتابا آخر فجعل يقرأه فلما فرغ  
منه دفعه الى عمر فقصه ، ثم استأنف كتابا آخر ، فما زال حتى نودي بصلاة الظهر  
هذه هي أحكام الاسلام فن خالفها كان خارجا عن هديه ، استعملوا القوة في  
اقامة العدل مع الرحمة ، وبذلك ساد من ساد من خلفائهم ودولهم ، فقامت لهم  
« القوة للحق » وقاعدة المدينة الحديثة « الحق للقوة » وأما المتأخرون منا فهم  
مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وما رأيت أصدق في وصف  
القوم ووصفهم من قول شاعر بني العنبر أول شعراء الحامسة :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي	بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن	عند الحفيظة ان ذو لومة لانا
قوم اذ الشر أبدى ناجذيه لهم	طاروا اليه زرقات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم	في النسائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوي عدد	ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة	ومن اساءة أهل السوء احسانا
كان ربك لم يخلق لخشيته	سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا	شنو الاغارة فرسانا وركبانا

ومن ضر وب العبرة في هذه الحرب ما نراه في أخبارها من الكذب والتناقض  
والتعاض والتهاثر والتمويه والتدليس وسوء التحريف وفساد التأويل ، يشترك في

ذلك أصحاب الشركات البرقية . والجرائد السياسية ، حتى سرى الى المجالات التاريخية والعلمية ، بل لم يعد أحد من الناس يثق كل الثقة بالتقارير والبلاغات الرسمية لانهم يرون كل خصم يكذب خصمه في أخباره الرسمية . ولو سئل أصحاب الجرائد في كل قطر من الاقطار عن سبب ما ينكر عليهم مما ذكر — لا جابوا : ان سببه الاول تضيق حكوماتنا علينا ، وإلزامها إيانا عرض كل ما نكتبه على رقبائنا الذين سلبوا حرية الكتابة منا ، مع اجتهدنا في جعل ما نكتبه موافقا لمصلحتنا ، وتجنبنا من لقاء أنفسنا كل ما نرى ان نشره يخالف سياستها .

هنا عذر عارض ، والمشهور بين الناس ان الجرائد لا تتحرى الصدق فيما تنشره لافي أيام السلم وعهد الحرية ، ولا في أيام الحرب وعهد المراقبة ، وانها تعتمد الكذب والتلويح اذا كان لها في ذلك منفعة . والحق انها توارى في الصادق والكاذب ؛ والحق والباطل ، تجمع بين الدرة والبعرة ، وتأتي بالذرة واذن الجرة ؛ وانني لا أشهد ليريدة من الجرائد التي أعرفها في الشرق انها تمثل حال البلاد التي تصدر فيها والامة التي تتكلم عنها تمثيلا صحيحا كما يعرفه المختبر للبلاد وللامة . ولو كانت هذه الجرائد في عصر رجال الجرح والتعديل من المحدثين ، لجعلوا أصحابها في عداد الوضاعين ، ولم يرتقوا بهم الى درجة الضعفاء أو المدلسين . كيف وقد ضعف بعضهم القاضي الواقدي وبعضهم قال انه كذاب وانه كان يضع الحديث . وهو من اكبر الحفاظ واشهر المؤلفين ، كتب عنه سليمان الشاذكوني كتابا ثم اتاه فسأله عما كتبه عنه قبل ان يخرج به ، فاذا هو لم يغير حرفا منه

لم تُعن أمة من أم العلم مثل ما عني به المسلمون من ضبط الرواية في القرون الاولى . فان كانوا دونوا في توارى بينهم كل ما قيل ماصح منه وما لم يصح لاجل الجمع والاحصاء ، فالعمدة عندهم على الاسانيد ، فما كان محل الشبهة منها أمكن تمحيص الرواية فيه بالبحث عن رجال سنده . فاذا انفرد بعض الرواة أو المؤرخين بظن في العلويين أو الامويين أو العرب — مثلا — يمكننا بالنظر في السند أن نعرف هل فيه أحد المتعصبين غير الثقات من النواصب أو الروافض أو الشوعية فنتهمه بوضعه أم لا ؟ وتحرير هذه المسألة لا يمكن الا بمقال طويل ، وعلى الله قصد السبيل .

## فَلَا تَسْتَقِمْ إِلَّا بِالدَّعْوَةِ وَالْإِشْرَافِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٥

### الفرق بين الهواء الداخل الى الرئتين والخارج منها

الهواء الداخل الى الرئتين تركيبه عين تركيب هواء الجو أعني هكذا: —

أكسجين ٢٠.٩٦ في المائة (١)

» » ٧٩

غاز حامض الكربوليك (وهو غاز ثاني أكسيد الفحم) ٠.٠٤ » »

بخار الماء كميته مختلفة

وحاررة هذا الهواء تختلف باختلاف الجهات والأوقات وغير ذلك

أما الهواء الخارج من الرئتين فتركيبه كما يأتي: —

أكسجين ١٦.٠٣ في المائة

» » ٧٩

غاز ثاني أكسيد الفحم ٤.٠٤ » »

بخار الماء الهواء مشبع به

الحاررة كحاررة الجسم

فيهم من ذلك أن النتروجين لا تتغير كميته لعدم حاجة الجسم اليه من طريق التنفس فيذوب في الدم كما يذوب في الماء ولا عمل له في الجسم مطلقاً. وفائدة النتروجين في الهواء تخفيف مقدار الأكسجين فيه، فإنا إذا استنشقتنا أكسجين

(١) هذه المقادير بالجسم لا بالوزن

(المجلد الثامن عشر)

(٢٥)

(المنار - ج ٣)

خالصا احترق جسمنا بسرعة كبيرة ونحف واحتجنا الى مقادير عظيمة من الطعام لتعويض هذا النقص الكبير فلذا اقتضت الحكمة الالهية تخفيفه بالنيروجين نعم ان النيروجين ضروري لتكوين جميع الخلايا الحية ولكنه يصل الى الجسم في الطعام وفي الشراب (كالكافيين) لا بطريق التنفس — كما قلنا —

أما الأكسجين الداخل مع الهواء فكميته أكثر من كمية الخارج معه ، لانه يتحد مع هيموجلوبين الكريات الحراء ويدور مع الدم فاذا وصل الى أنسجة الجسم جذبه اليها واتحدت به وهذا ما يسمى « بالاحتراق الداخلي » أو « التنفس الداخلي » اللازم لحياة الجسم

وإذا اتحد الأكسجين مع أجزاء الجسم تولدت مواد أخرى بقاءها ضار بالجسم ، فتدور مع الدم لتفرزها الاعضاء المختصة بذلك كالكلىتين والجلد في البول والعرق

ومن هذه المواد الناشئة من الاحتراق الداخلي غاز ثاني أكسيد الفحم والماء وهذا هو السبب في زيادة غاز ثاني أكسيد الفحم والماء في الهواء الخارج من الرئتين وقد وجد علماء الفسيولوجيا أن الهواء الخارج من الصدر يشمل أيضا على بعض مواد نيروجينية عضوية ولكنهم لم يكتنبوا الى الان ماهيتها ولا تركيبها وهي السبب في ردة رائحة هواء الغرف المسكونة واذا تنفسها الانسان مرة أخرى أضرت بصحته ضررا بليغا يفوق ضرر استنشاق القليل من غاز ثاني أكسيد الفحم ، فان هذا الغاز لا يفسد تركيب أي جزء من أجزاء الجسم ، ولكنه اذا ملأ الجو مات الانسان اختناقاً لعدم وجود الأكسجين فيه

#### المواد المختلطة بالهواء

ويوجد في الاهوية المفسدة غير ذلك أيضا مواد أخرى غازية ضارة بالانسان ضررا بليغا ومن أهمها الهيدروجين المكبريت وهو الذي يتولد من المراحيض وغيرها ، وهذا الغاز يفسد الدم ويضر بالجسم أيضا

وكذلك أول أكسيد الفحم فانه سام جدا وهو يتولد من الاحتراق الناقص للفحم ويوجد في الهواء أيضا ميكروبات وذرات مختلفة من التراب والمعادن والفحم



وغير ذلك، فالميكروبات تحدث أمراضا عديدة في جسم الانساني، وتلك الذرات تحدث أيضا نزلات شبيهة والتهابات رئوية مزمنة  
لهذا كله يجب أن يكون الهواء المستنشق نظيا من كل ما تقدم فلا يكون فيه أكسيد الفحم الناشئ من أنفاس الحيوانات والنباتات لئلا ومن اشتعال النيران، ويجب أن يكون هواء الامكنة المسكونة بعيدا عن المراحيض، دائم التجدد، معرضا للشمس فانها تقتل كثيرا من ميكروباته، بعيدا عن الأتربة والمصانع التي تثير غبارا من المعادن وغيرها  
سنة الله في الأكسجين والسكريون

ولا يتوهم القارئ مما سبق أن كمية الأكسجين في الهواء آخذة في النقص شيئا فشيئا بسبب التنفس وبسبب النيران، فإن الله تعالى وضع لذلك سنة حكيمة بها يبقى الأكسجين في الهواء الى ما شاء الله، وذلك بأن جعل الورق الاخضر لجميع النبات يحال ( بتأثير أشعة الشمس فيه ) غاز ثاني أكسيد الفحم فيمتص منه الفحم ويخرج الأكسجين. وهذا الفحم بالتحاده مع عناصر أخرى تتركب منه أخشابها وما فيها من صمغ وسكر وزيت وغير ذلك. فكان الفحم الخارج من الانسان وغيره من الحيوانات ضروري للأشجار فاذا أكل الانسان شيئا من هذه الأشجار عاد الى جسمه ثم يحترق فيه فيخرج في الهواء فيعود الى الشجرة، وهكذا كالدائرة

وبحركة الرياح ( وهي ناشئة من اختلاف درجة حرارة الهواء ) وتماوج ذراته وانتشارها توجد حركة دائمة في هواء الارض فتبخر الأكسجين وتشره في جميع الجهات، ولولا ذلك لامت الحيوانات التي في البقاع الحالية من الأشجار ومن الخطأ العظيم تغطية الوجه أثناء النوم وكذلك غلق منافذ العرفات مع وجود أشخاص فيها أو مصاييح وغيرها فإن ذلك قد يقتل الانسان  
أما ثاني أكسيد الفحم المتكون من الاحتراق الداخلي فانه يوجد في الدم لا ذاتيا فيه بل متحدا مع عنصر الصوديوم بصورة كربونات الصوديوم أو بيكر بونات الصوديوم، فاذا وصل هذان الملحان الى الرئتين خرج من البيكر بونات ثاني أكسيد الفحم

بطريق الاكوسوسموز، ومما يساعده في خروجه الخلايا المبطنة للحويصلات الرئوية فنفرته. وسبب حصول الاكوسوسموز هو نقصان كمية ثاني أكسيد الفحم في الهواء، كما أن السبب في دخول الاكسجين من الهواء في الدم هو أيضا قلة الاكسجين في الدم عنها في الهواء. وقبل دخول الاكسجين للدم يذوب في الرطوبة التي تغطي جدران الحويصلات الرئوية ومنها يدخل للدم. ويجب أن لا يتوهم القارئ أن كل الهواء الذي في الحويصلات الرئوية يخرج منها أثناء الشيق، فالواقع أنه يخرج جزء منه ويبقى جزء آخر، وبطريقة الانتشار يسرع أكسجين الهواء الى الداخل لكثرتة وغاز ثاني أكسيد الفحم الى الخارج لكثرتة أيضا — كما سبق بيانه —

ثقل غازات الهواء

من تأمل في تركيب الهواء والفرق بين درجات ثقل غازاته وجد أن النيتروجين من أخفها، وغاز ثاني أكسيد الفحم من أثقلها، فلذا يتكاثر هذا الغاز الاخير بقرب سطح الارض وفي الحفر وكلما ارتفع الانسان نقصت كمية هذا الغاز وزادت كمية النيتروجين، ولذا كثيرا ما سمعنا بموت أشخاص هبطوا الى اماكن منخفضة كالآبار وغيرها

أما الأكسجين فلكونه أثقل من النيتروجين يكثر في الهواء المجاور للأرض ويقل في جو السماء، يشعر بذلك من تَوَقَّل [صعد] في جبل عال أو حلَّق في الجو بطيارة وأعظم علو أمكن للانسان أن يصل اليه في القباب الطيارة أو الماطيد أو الجبال هو ٨٨٣٨ مترا. أما الصعود بعد ذلك فيؤدي الى هلاك الانسان إما بنقص الأكسجين أو لانفكاك غازات الدم منه فتحدث أعراض خطيرة. ويتعسر التنفس أو يتعذر بسبب نقص كمية الأكسجين نقصا عظيما فلا يحدث الاندوسموز. زد على ذلك أنه اذا عاش الانسان بضع دقائق في ذلك المكان المرتفع حصل له نزف من الأنف أو الرئتين أو غيرهما لقلّة ضغط الهواء الجوي على جسم الانسان. وتعلم أن الصعود الى نحو ٥٠٠ مترا لا يوافق جمهور الناس حتى المعتادين لذلك من سكان الجبال

أما ارتفاع هواء الجو فلا يقل عن ٣٠٠ كيلو مترا

التنفس الصناعي

إذا بطل تنفس الإنسان بسبب ما كاستنشاق الكلور وفورم أو الفرق في الماء أو استنشاق غازات الاحتراق أو غير ذلك مما يطل التنفس أمكن إعادة الحياة إلى المصاب بطريقة « التنفس الصناعي » واستعمال المنعشات ونحوها بشرط أن لا تكون المدة قد طالت ، وأن لا تكون أنسجة الجسم قد بدأ فيها أقل شيء من الفساد

أما طريقة التنفس الصناعي فهي أن تزيل كل ما أمكنك إزالته مما قد يوجد في مجاري التنفس كالماء في الفريق مثلاً بأن قلب المصاب على وجهه وترفع رجله إلى أعلاه ثم تضعه على مكان عال لتتمكن منه وتخفض رأسه وتخرج أسانه بشده بمقبض (جفت) أو نحوه ثم تمسك بعضديه وتجذبهما إلى أعلا رأسه ثم تخفضهما إلى جنبيه وتضغط بهما على صدره ، ويستحسن أن يساعدك شخص آخر في ذلك الوقت بأن يضغط على بطنه أيضاً ليرفع الحجاب الحاجز فيحصل الشهيق بسبب ذلك ، أما الزفير فإن الذي يحدته هو جذب الذراعين المذكور هنا . ويتكرر هذا العمل في الدقيقة الواحدة نحو خمس عشرة مرة ، ولا يصح اليأس من عودة الحياة إلا بعد مضي نحو ساعة على الأقل . وفي أثناء هذا العمل توضع خرق مبتلة بالماء الحار على القلب أو بينه الحجاب الحاجز بالضرب بمثل المشقة على قسم المعدة وينشق المصاب ( كبسول الأمل نيزيت ) ويحقن بالاستركنين أو الأثير أو غيرها تحت الجلد ويحقن بمحز من الخمر أو الكحول في الثرج إلى غير ذلك . فإذا فعلت جميع هذه الأشياء باستمرار عادت الحياة غالباً خصوصاً إذا كانت ضربات القلب موجودة . ومن أحسن المنشقات في ذلك الوقت غاز الأكسجين إن وجد

جهاز الهضممقدمة في الغدة

قبل البدء في الكلام على هذا الجهاز ينبغي أن نبدأ بتعريف كلمة « الغدة » لشدة الاحتياج إليها فيما سيأتي

تطلق هذه الكلمة على ثلاثة أنواع من أجزاء الجسم : —

( ١ ) الغدة اللعابية وهي عبارة عن شيء كعقدة مركبة من عدة كريات تشبه كريات الدم البيضاء ، يمسك بعضها بجانب بعض مادة تسمى بالمنسوج الضام ، ووظيفتها تنقية المواد اللعابية من الميكروبات وغيرها ، ولذلك نجد كثيرا منها موضوعا في طريق الأوعية اللعابية بحيث تصب فيها ثم تخرج منها — كما سبق —

( ٢ ) غدة الافراز وهي التي تخرج مواد كثيرة من الجسم بعضها له منفعة خاصة والبعض الآخر لا نفع له وإنما تخرجه لضرر بقاءه في الجسم . مثال الاول اللعاب والابن ومثال الثاني البول والعرق ، وقد يكون الشيء الخارج له نفع في الجسم ويضر بقاءه فيه كأمرة وهي المادة الصفراء التي يفرزها الكبد

وتتركب الغدد الافرازية من غشاء مجهري [ ميكروسكوبي ] يوجد على سطحه خلايا الافراز وتكون طبقة واحدة في الغالب ، وتوجد عدة طبقات منها في مكان شبيه بالجسم وهو الخصية ، وعلى الجانب الاخر من هذا الغشاء المذكور توجد أوعية الدم ومنها تخرج المواد بطريق الاكسوسموز فتصرف فيها الخلايا وتخرج منها مواد كيميائية عجيبة التركيب

أما أشكال هذه الغدد فمنها الكيسي وذلك بأن ينبعج الغشاء الى جهة الأوعية الدموية فيتكون كيس صغير مبطن بالخلايا وله فوهة يخرج منها الافراز ومنها الأنبوبي وهي التي يكون لها تجويف كالأنبوبة لا كالكيس ، ومنها الأنبوبي المتفرع ، ومنها عقودي الشكل ، ومنها المتنوي

ويلاحظ أن في هذا النوع من الغدد قناة في داخل الغدة الافرازية وفيها تجري مفرزاتها كالابن والعرق وغيرها

أما الضرب الاول من الغدد فلا قناة لها

وأما الضرب الثالث فهو أيضا لا قناة له وهو يشمل عدة أعضاء في الجسم كالطحال ( وهو نوع من الغدد اللعابية ) والغدة الدرقية والغدة السعترية في صدر الاطفال ، وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه في فصل خاص والذي يهمنا في الكلام على الهضم هو الضرب الثاني

تشرح الجهاز الهضمي ووظيفته

يتبدى هذا الجهاز بالغم ثم المرئ ثم المعدة ثم الامعاء الصغيرة والكبيرة وينتهي بالذرة. ويصنف فيه عدة افرات من عدد متنوعة لهضم الطعام ولغير ذلك، وتتم فيه الاغذية والاشربة في مدة تختلف من يوم الى يوم ونصف وقد تكون أقل من ذلك بكثير كاحوال الاسهال وقد تكون أكثر من ذلك في أحوال الامساك

أما الغم ففيه اللسان والاسنان وغدد اللعاب وفي نهايته توجد اللوزتان ووظيفة اللسان هي تحريك الطعام ليمتزج باللعاب ويمكن مضغه وبلعه، ومن وظائفه أيضا الكلام كما سبق، وأدراك طعوم الاشياء وليمه. ودار معرفة ما ينفع الانسان وما يضره من الماء كولات والمشروبات. وأدراك الطعوم الماذيذة بحركشهوة الطعام فيجيد هضمها

أما الاسنان فهي عادة نوعان: الاسنان اللبنية أو المؤقتة، والاسنان الدائمة، وقد ينبت للشيوخ أسنان مرة ثالثة ولكنها مسئلة نادرة الحصول

أما الاسنان اللبنية فهي ٢٠ والاسنان الاخرى ٣٢ منها ١٦ في الفك الأعلى و ١٦ في الفك الاسفل

وعلى الاسنان مدار جودة هضم الطعام لأنها تهشمه وتسحقه الى قطع صغيرة لتتمكن الأعصرة الهاضمة من الوصول الى جميع أجزائه، فمن ازدرد طعامه بالامضغ أضر بجهاز الهضم خصوصا والجسم عموما، فيجب إطالة المضغ وإتقانه. ويجب علينا أيضا المحافظة على الاسنان وإلا أصابها العطب وقد ناهها فنخسر جزءا عظيما من أجزاء جهاز الهضم. وأعظم شيء للمحافمة عليها هو تنظيفها جيدا وعدم استعمال شيء بارد على شيء ساخن في الغم أو بالعكس فإن ذلك من أعظم ما يفسدها وأشهر أمراض الاسنان نوعان: -

(١) النوع الاول ان يصيبها الخفر (التسويس) وهو عبارة عن ثقت جز من عظم السن وانكشاف له والتهاب هذا اللب فيحصل بسبب ذلك ألم شديد يحرم الانسان لذة النوم والطعام وتموت السن انفساد أوعبة الدم المغذية لها التي في داخل اللب. والميكروب المسبب لذلك يسمى (Fungus Buccalis) اي

«الشعرة الدقيقة الفمية» ويوجد في هذا المرض أيضا الامبيا<sup>(١)</sup> الفمية [Amocba] وعلاجه يكون باعدام العصب الذي في داخل اللب بمادة كاوية كحامض الفنيك أو الكريوزوت، وذلك يظهر اللب ويسكن الألم. والاولى أن يعدم اللب بأ كسيد الزرنيخوز - كما هي العادة - ثم يحشا التجويف بالذهب أو بمواد أخرى يعرفها أطباء الاسنان كالخزف، وهو أحسن من غيره

(٢) النوع الثاني داء ريج (Rigg) وهو مرض كثير الانتشار بين الناس يبدأ بالتهاب حول جذر السن في سمحاق العظم فتسكون مواد صديدية وبضغطها على جذر السن يرتفع شيئا فشيئا حتى تسقط ، وهذا الداء هو سبب سقوط أسنان كثير من الناس ، وسببه دخول ميكروب خاص الى جذر السن من أي قرح صغير في اللثة وهذا الميكروب يسمى ( الاستربتوكوك<sup>(٢)</sup> ) (اللجائي) [Streptococcus] وهو يوجد عادة في أفواه جميع الناس، لأنه في بعض أحوال مخصوصة كضعف البنية بسبب ما - يتمكن من ايداء الانسان فيدخل الى جذور الاسنان وهناك يفعل فعله الشنعاء

ولا علاج ناجما لهذا الداء سوى الحقن بميكروب المرض<sup>(٣)</sup> المأخوذ من نفس المريض كما سيأتي توضيحه والا فالمبادرة الى قلع ما يصاب به من الاسنان والاستعاضة عنها بأسنان صناعية واستعمال المطهرات المتنوعة والنظافة التامة للفم مع تقوية البنية بالاغذية الجيدة والهواء النقي وغير ذلك. وبما يسكن الألم في هذا المرض استعمال مضمضة من الخل، وهي فائدة شائعة بين العامة

وأحسن طريقة لنظافة الاسنان هي استعمال السواك خصوصا بعد كل طعام. وهو يؤخذ من شجرة الاراك، وفيه مواد عطرية مطهرة بعض التطهير للفم ومعطرة

(١) اسم يوناني معناه « المتغير » يطلق على حيويين دقيق ذوقية واحدة ، وهو دائم التغير لشكله ، وله حركة ذاتية

(٢) أي البرور السلسلية لوجودها بهيئة سلاسل حينما يراها الانسان بالمجهر. والكلمة يونانية

(٣) ذلك يشبه ان يكون مصداقا لقول الشاعر « وداوني بالتي كانت هي الداء »

له وتساعد على الهضم أيضا وهو يشد اللثة لقبض فيه . ويسمي الاراك بعض الافرنج ( شجرة محمد ) لحث الشريعة الاسلامية على استعمال السواك كما هو معلوم ، ولا يعني عنه الا استعمال المسفرة ( الفرشة ) مع بعض أدوية عطرية مطهرة قابضة ، ويجب عليها بعد كل استعمال والا تكاثرت فيها الميكروبات الضارة بالاسنان ، وكذلك يجب تجديد طرف السواك بعد كل استيائك

أسماء الأسنان ووقت ظهورها

أما أسماؤها فهي : — ثنيتان في الوسط وبجانبيهما رابعيتان ثم نابان ثم ضاحكتان ثم ست أرحاء ، ثلاث في كل جانب ، ثم ثجذان ، واحد في اليمين وآخر في اليسار وهما آخر الأضراس . وذلك في كل من الفكين الأعلى والأسفل

وقت ظهور الأسنان

الإنسان اللبنية تظهر في الطفل من الشهر السادس الى الرابع والعشرين على هذا الترتيب : —

الثنيتان السفليتان	٦ - ٩ أشهر
الثنيتان العلويتان والرابعيتان العلويتان	٨ - ١٠ أشهر
الرابعيتان السفليتان والضواحك	١٥ - ٢١ شهرا
النابان	١٦ - ٢٠ شهرا
الأرحاء	٢٠ - ٢٤ شهرا

وليس للطفل سوى أربع أرحاء في فمه ، وأسنانه كلها عشرون فقط وهذه المدد تقريبية فانها تختلف كثيرا بحسب بنية الاطفال واختلاف أمزجتهم وبنيتهم ، فمنهم من يولد وفيه اثنايا ظاهرة ، ومنهم من يتأخر ظهور أسنانه الى نهاية السنة الثانية أو الى عدة سنين بعدها

وفي وقت ظهور الأسنان تصاب الاطفال عادة ببعض اعراض مرضية كالاسهال والقيء والحش والضعف . ومتى كملت أسنان الطفل العشرون يمكث بها الى السنة السادسة أو السابعة ثم يظهر خرس ( رجي ) خلفها في السنة السادسة أو السابعة وتسقط ( المناج ج ٣ ) ( ٢٦ ) ( المجلد الثامن عشر )

بأقبي الأسنان واحدة بعد الأخرى ويظهر مكانها غيرها على هذا الترتيب : —

في السنة	السادسة :	الأرجاء الثانية
» »	السابعة :	الثانية
» »	الثامنة :	الرابعيات
» »	التاسعة :	الضواحك
» »	العاشر :	الأرجاء الأولى
» »	١١ — ١٢ :	الأنياب
» »	١٢ — ١٣ :	الأرجاء الثالثة
» »	١٧ — ٢٥ :	النواجذ

فترى من هذا أن الأسنان التي تظهر في السنة ١٢ أو ١٣ يمكث الشاب بها إلى السنة ١٧ ، فيظهر ضرس العقل أو الحلم وهو الناجذ إما في هذه السنة أو فيما بعدها إلى ٢٥ أو ٣٠ وفي النادر أن يتأخر عن ذلك

أما أسنان الشيوخ — ان ظهرت — فيكون ظهورها بين السنة ٦٣ و ٨١  
وجوب أكل الإنسان اللحم والنبات

بالتأمل في أسنان الحيوانات المختلفة نرى أن آكلة اللحوم أسنانها حادة جدا ، أما أسنان الحيوانات الآكلة للنباتات ونحوها فهي كيلة ، وأسنان الإنسان متوسطة في حدتها بين الطرفين . وكذلك إذا نظرنا في مقياس أمعاء الحيوانات المختلفة نجد أن أمعاء آكلة اللحوم قصيرة وآكلة الخضروات ونحوها طويلة وأمعاء الإنسان وسط بينهما ، وذلك يدلنا على أن الإنسان بطبيعته يجب أن يأكل اللحوم والخضروات جميعا وفي ذلك اعظم دليل على خطأ مذهب النباتيين فانه مخالف للطبيعة البشرية ، هذا وقد وجد أن الفيران البيضاء وهي التي لا يؤثر فيها ميكروب الجرعة الخبيثة تتأثر به اذا غذيت بالنباتات فقط . فلا يبعد أن يكون الإنسان كذلك بمعنى أنه يصير عرضة لبعض الامراض إذا اقتصر على الخضروات ( راجع صفحة

١٧٩ من كتاب Manual Of Bacteriology تأليف Hewlett )



## اللعب

يتولد اللعب من عدد مخصصة وهي ثلاث: الغدة النكفية وموضعها تحت الأذن وأمامها، وتسمى أيضا الأذنية، ولها قناة تمتد منها الى الفم تسمى قناة ستنسون (Stenson) وفتحها بقرب الرحي الثالثة للفك الاعلا والغدة الثانية تحت الفك الأسفل ولها قناة تسمى قناة هوارتون (Wharton)

تصب بجانب قيد اللسان، وفتحها مرتفعة قليلا كحلمة صغيرة والغدة الثالثة تسمى « الغدة التي تحت اللسان » لأنها تحت الغشاء المخاطي المتكون منه قبد، ولها عدة قنوات بعضها يفتح في الفم مباشرة وهو الأكثر والبعض الآخر تتكون منه قناة أكبر تصب في قناة هوارتون المذكورة

واللعب مركب من ماء وزلال وأملاح متعددة ومادة مخصصة تسمى « اللعابن » وهي أهم مافيه « واللعابن » <sup>(١)</sup> من الحائز التي سيأتي توضيحها في الفصل التالي. وفي لعاب الانسان أيضا آثار من مادة سامة جدا لا تعرف فائدتها الآن، وربما كانت مما يقتل الميكروبات. ووظيفة اللعاب أن يرطب الطعام حتى يسهل مضغه وازدراده ويذيب بعض مواد ليدرك طعمها وهو ضروري للنطق الفصيح ويهضم المواد النشوية التي في الطعام فيحولها الى سكر يسمى المالتوز (أوسكر الشعير) <sup>(٢)</sup> ويسمى تأثير اللعاب في المواد النشوية حتى بعد وصولها الى المعدة بنحور ربع أو نصف ساعة حتى يفسد عصير المعدة الحضي مادة اللعابن فيبطل تأثيرها في النشا. واللعبن لا يهضم النشا غير المطبوخ لانه لا يؤثر في مادة « المالتوز » المحيطة بدوائه، وهي مادة الخشب أيضا

(١) في اصطلاح علم الكيمياء كثيرا ما يتركب اسم المادة الفعالة في الشيء بإضافة (ن) إليه مثلا (البنين) هو اسم المادة الفعالة في البن أو القهوة ولذلك يسمى أيضا (الفهوين) وهكذا. فاللعابن مادة اللعاب الفعالة في الهضم وقد جاربنا هذا الأفرغ في هذا الاصطلاح كما جاربناهم في غيره مما سبق بيانه لسبقهم لنا في العلم والاختراع والاكتشاف

(٢) سمي بذلك لانه يتولد في الشعير النابت (Malt) وغيره لتغيرات كيميائية تحصل في نشائه اذا ابتل بالماء

اللوزتان

أما اللوزتان فهما غدتان لمفاويتان موضعهما على جانبي الحلق في متبى الفم يخرج منهما كريات بيضاء تمتاز بالاعاب أو تسير في الدم . وفائدتهما قتل بعض الميكروبات بهذه السكريات البيضاء وقتل ما يقف عليها من الميكروبات أيضا أو يدخل فيهما ، فهما كحضنين يقتلان ما اقرب منهما ويبعثان بجنودهما في اللعاب لقتل بعض الاعداء التي تحل في أجزاء الفم المتنوعة . وهذان الجسمان كثيرا ما يحصل فيهما التهاب تحدث عنه الحى ويعرض الجسم بسببها ، وعلة حصول هذا الالتهاب ضعف البنية ودخول ميكروبات كثيرة فيهما فيزداد حجمهما وتكثر كرياتهما ليتغلبا على هذه الميكروبات ، فإن نجحنا حفظا الجسم من خطر عظيم - وإن كان الانسان يعرض بضعة أيام اثناء هذه الحرب - وإن غلبا تكون فيهما خراجات أو أفلت بعض الميكروبات منهما الى الدم فتنشأ عن ذلك أمراض متنوعة كالروماتزم (الروثة) وآفات القلب وغير ذلك . ويقل التهابهما في الأقوياء لأن كرياتهم البيضاء تكون قوية فتقتل الميكروبات بسهولة بدون حاجة الى إثارة حرب عامة

كلمة في الخائز

يحصل تخمر الأشياء بسبب وجود ميكروبات مخصوصة ، ومن أشهر أنواع هذه الميكروبات ما يحول السكر الى غول (كحول) <sup>(١)</sup> وغاز ثاني اكسيد الفحم ، ولهذا التخمر سميت الخمر خمر في أحد الأقوال . وهو السبب في فورانها وحرارة طعمها ومن الميكروبات ما يحول بعض أنواع السكر (سكر اللبن) الى حامض اللبنيك ، وهو السبب في حموضة اللبن فإذا امكثنا منع الميكروبات من الوصول

(١) يسمى الكحول بالفرنسية (Alcool) وهو روح الخمر أو المادة الفعالة فيها وهي سبب جميع ضرورها ومضارها ، ويقول الافرنج لانهم أخذوا هذه الكلمة عن اللغة العربية ، فلظاها أنها مأخوذة من كلمة « غول » الواردة في وصف خمر الجنة في قوله تعالى ( لا فيها غول ) وهو ما يعتال العقول ويفسد الصحة (ولاهم عنها ينزفون) أي لا يسكرون منها لعدم وجود تلك المادة الضارة في خمر الآخرة وعليه فسنستعمل في كتابنا هذا كلمة ( غول ) بدل كلمة كحول أو (Alcool) والمراد بها ما يسمونه (السيرتو) (Spirit)

إلى الأشياء أو قتلناها فيها بطل كل تخمر أو تعفن ، فإذا أردنا حفظ اللبن مثلا من أن يفسد وجب أن نغليه غليا جيدا ونضعه في زجاجات معقمة ( مطهرة ) بحيث لا يصل إليه أي ميكروب ، فيبقى سليما من الفساد طول الدهر ، وهذه الطريقة مستعملة في جاب الألبان إلينا من البلاد الأجنبية كسويسرة وغيرها

ومن هذا يتضح أن السبب في الفساد والتعفن هو هذه الميكروبات ، وتسمى بالخائثر أما فعل هذه الميكروبات فهو إفراز مواد مخصوصة لها تأثير كيميائي في الأجسام ، وهذه المواد المفردة يسمونها أيضا بالخائثر . وعلى ذلك فالخائثر نوعان : الميكروبات نفسها ومفرزاتها ، وكما أن إفراز هذه الميكروبات سمي بالخائثر كذلك يسمى بعض افرازات الجسم بالخائثر أيضا لأنها تؤثر في الأجسام تأثيرا كيميائيا فتحدث فيها تغييرا بالتركيب والانهلال كتأثير إفراز الميكروبات ، وذلك مثل اللعاب الذي سبق ذكره في ألعاب . وسيأتي ذكر غيره في بحث مفرزات (عصارات) المعدة والأمعاء . وهذه الخائثر كلها تقريبا مواد آزوتية ، إما زلالية أو قلبية من الزلالية — بحسب ما نعلم الآن — ما عدا السيبين فيقال أنه لا يتروجين فيه

ومن الغرائب أن إفراز الميكروبات إذا كثرت يقتل نفس الميكروبات التي تولده كما في الخمر مثلا فإن غولها يقتل ميكروباتها وغيرها ، وإذا غلب الشيء الذي فيه هذه الخائثر بنوعها ماتت الميكروبات وفسدت الخائثر فيبطل عملها . ومن الخائثر المشهورة مادة تستخرج من غشاء المعدة الرابعة للحيوانات المجترة كالعجول تسمى بالأنفحة ، وفائدتها تحويل اللبن إلى جبن

والميكروبات هي نباتات مجهرية ، بعضها يحتاج لأكسجين مطلق <sup>(١)</sup> يعيش فيه ، والبعض الآخر يعيش بغير أكسجين مطلق

بقية الكلام على جهاز الهضم

يبتلع الطعام بعد الفم إلى الملقوم ، وهو تجويف ينفتح فيه تجويفا الأنف والفم ثم الحنجرة ، وفي أسفله المريء . وفي جدران الملقوم غدد لمفاوية تشبه في منسوجها اللوزتين ، ووظيفتها

كوظيفتهما أي أنها تقتل الميكروبات كما سبق  
أما المري - فهو أنبوبة لحية تمتد من الحلقوم الى المعدة وطولها من ٩ الى ١٠  
بوصات ، ويدخل في تركيب جدرانها ألياف عضلية تكون في نحو ثلثه الأعلى اختيارية  
وفي الباقي غير اختيارية ، وهو مبطن بغشاء مخاطي كاللمتاد ، وفي المري يمر الطعام  
الى المعدة

وأما المعدة فهي ككيس كئري الشكل تحت الحجاب الحاجز في البطن ،  
ولها قسمتان : الأولى منهما متصلة بالمري - وتسمى « بالفؤاد » لقربها من القلب ،  
والفتحة الثانية تسمى « بالبواب » والمعدة مركبة من ألياف عضلية ومبطنة بغشاء مخاطي  
وسطحها الخارجي مغطى بغشاء مصلي وهو جزء من البريتون (١)

وفي الغشاء المخاطي عدة غدد لإفراز العصير المعدي . وتتحرك المعدة حركة  
غير اختيارية بما فيها من الألياف العضلية وهذه الحركة تشبه مخض اللبن ويراد بها  
مزج الطعام بالعصير المعدي حتى ينضجهم الهضم الأول

أما العصير المعدي فأهم ما فيه من المواد هو حامض الهيدروكلوريك (٢)  
(نسبة ٢ في الألف) ومادة يسميها الأفرنج (Pepsin) ونسبها بالعربية  
« الماضوم » وهي خيرة تفرزها الغدد المعدية ، ويقال إنها خالية من النيتروجين  
— كما سبق — وعلى ذلك فهي ليست من المواد الزلالية . ووظيفتها تحويل  
المواد الزلالية الى مادة أخرى تسمى بالأفرنجية (Peptone) (أي الماضوم) وذلك  
بضم عناصر الماء الى ذرات المواد الزلالية ثم انقسامها فتحدث هذه المادة البيبتونية ،  
وهي سهلة الذوبان سهلة الامتصاص تكون ذراتها أصغر من ذرات الزلال

وأما الطعام فإنه يمكث في المعدة نحو أربع ساعات فيها يحصل هذا الهضم  
المدكور في المواد الزلالية ، ويتحول سكر القصب الى مادة أخرى سكرية ، وتقتل  
جميع الميكروبات تقريباً بما في هذا العصير المعدي من الحامض فيصير الطعام  
طاهراً سكيناً يضر بالجسم ، فإذا حدث للمعدة ما يقلل إفراز هذا الحامض أو يمنع

(١) هو الغشاء المعشي للأحشاء البطنية ، ومنه جزء كالتدليل يسمى بالرب ، ويمكننا  
أن نسمي البريتون بالعربية ( الغشاء المحيط ) (٢) مركب من هيدروجين وكالورين

أمكن دخول ميكروبات أو ديدان الى الامعاء ، أو الى الجسم نفسه  
هذا كله هو وظيفة المعدة ، ولا تأثير لها في المواد النشوية ولا في المواد الدهنية  
الا باسالتها وبهضم ما أحاط بها من الغلف الزلالية . والعصارة المعدية لا تنفرز الا  
وقت الطعام

وأول افتتاح للبواب يحصل بعد نحو ٢٠ دقيقة من نزول الطعام في المعدة  
فيمر الى الامعاء جزئيا في المعدة ، ثم ينغلق البواب ، ثم يتتابع هذا الفتح  
والانغلاق في البواب وتأخذ مدة انغلاقه في القصر ومدة افتتاحه في الطول حتى يمر  
الطعام الذي في المعدة شيئا فشيئا الى الامعاء بحيث يمر كله في نهاية الساعة  
الرابعة تقريبا

وبعد المعدة توجد الامعاء الصغيرة أو الدقيقة ثم الامعاء الكبيرة أو الغليظة  
أما الامعاء الصغيرة فطولها نحو ٢٠ قدما ، وتقسم الى ثلاثة أقسام :  
(١) الاثنا عشري ، وطوله ١٢ أصبعا أو ١٠ بوصات وفيه يحصل الهضم الأعظم  
للطعام كما سيأتي تفصيله (٢) الصائم ، سمي بذلك لوجوده فارغا بعد الوجبة عند  
تشرح الجثة ، يبلغ طوله خمسي الامعاء الصغيرة الباقية بعد الاثني عشري (٣)  
الفائف ، وهي الثلاثة الأخماس الباقية من الامعاء الصغيرة

وأما الامعاء الكبرى فتبتدى من الحفرة الحرقفية اليمنى بما يسمى (بالاعور)  
وفي أسفله مصير صغير كاللدودة يسمى بالزائدة الدودية ، وفيها يحصل مرض  
مشهور هو التهابها الذي قد يكون سببا في وفاة الشخص ان لم يتداركه الاطباء بالعلاج  
الفعال . وهذه الزائدة هي أحد الاعضاء الاثرية الشهيرة في جسم الانسان التي  
لما ينبت الناس الى حل لمعانها أحسن مما ذهب اليه دارون <sup>(١)</sup> وقيل ان لها افرازا

(١) هو العلامة الانكليزي (تشارلس دارون) عاش بين سنة ١٨٠٩ و ١٨٨٢ ميلادية . وقد ذهب الى أن الانواع الحية ليست ثابتة ، ولم يخلق كل منها مستقلا  
عن غيره بل نشأ بعضها عن بعض بالتغير التدريجي البطيء مع طول الزمان لعوامل  
طبيعية بينها بيانا شافيا . وقد توسع العلماء في هذا المذهب حتى طبقوه على كل  
شيء في هذا الوجود فصارت الجبال والامور المعنوية كالأفكار واللغات =

يحدث لنا فَنُطْرَد المواد البرازية وترتفع في القولون مضادة للجذب الأرضي في الحيوانات المنتصبة القائمة ( القرد والاسنان ) ولذلك لا توجد في الحيوانات الأخرى، وإذا استصلت حدث امساك متعاص مستديم يؤدي الى ضعف الجسم ومرضه كما دلت عليه تجاربهم على ما قالوا

وبعد الاعور يوجد القولون <sup>(١)</sup> وهو أربعة أقسام القولون الصاعد والقولون المستعرض والقولون النازل والتعرج السيني

ثم المستقيم الذي ينتهي بالشرح وهو فتحة الدبر

وطول الامعاء الكبيرة يختلف من ٥ الى ٦ اقدام

والامعاء مركبة من الطبقات الآتية (١) طبقة مصلية وهي من البريتون الذي سبق ذكره (٢) طبقة عضلية مركبة من طبقتين : مستطيلة وحلقية ، والمستطيلة في الخارج والحلقية في الداخل (٣) الغشاء المخاطي ويفصله عن الطبقة العضلية (٤) طبقة رابعة فيها تفرغ أوعية عديدة دموية ولفاوية وأعصاب دقيقة . وفي الطبقة المخاطية غدد كثيرة لافراز العصير المعوي ، منها نوع في الاثني عشري يسمى بغدد ( برُونز ) <sup>(٢)</sup> ونوع آخر في الامعاء كلها يسمى بغدد ( ليركهن ) وهي من الشكل الانبوبي البسيط . ويوجد غير ذلك في الغشاء المخاطي وتحتة منسوج لفاوي ، بعضه يتكون منه غدد صغيرة تسمى ( بالغدد المنزلة أو الوحيدة ) والبعض الآخر يتجمع على شكل بيضاوي يحدث بقعا في طول جدران المصران تسمى بقع باير ( Peyer ) <sup>(٣)</sup> وهي توجد بكثرة في اللثائف

وفي هذه الغدد اللفاوية بنوعها يحصل التهاب بسبب ميكروب مخصوص فتحدث

== والمعتقدات والشرائع وغير ذلك . فمحصل هذا المذهب أن الكون بما فيه لم يخلق دفعة واحدة بل خلق أطوارا طبقا لسنة التدرج والترقي . فالمذهب في الجملة صحيح لاشك فيه ، ويكفي في إثباته قوله تعالى ( وقد خلقكم أطوارا ) وأما النزاع في بعض تفاصيله ، وسنعود الى بيان ذلك في فرصة أخرى ان شاء الله تعالى

(١) القولون اسم هذه الامعاء الغليظة باليونانية ، والكلمة من تعريب المتقدمين

(٢) نسبة لعالم ألماني يدعى « فون برون »

(٣) مشرح سويسري عاش بين سنة ١٦٥٣ و ١٧١٢

عنه الحى المعروفة بالتيفودية أو الحى المعوية وهذه البقع المنسوبة لبابير لا توجد في الامعاء الغليظة وإنما توجد فيها الغدد المنعزلة فقط — وهي التي تكثر جدا في الأغور والزائدة الدودية —

وبالتهاب هذه الغدد التي في الامعاء الغليظة مع الأغشية المخاطية وتقرحها يحصل المرض المسمى بالدوسنطاريا (الزحار) سمي بذلك في العربية لأنه يحدث منه زحير شديد متكرر، ومن أعراضه أيضا المغص الشديد والحى والإسهال مع نزول مواد مخاطية دموية صديدية متكررة بمقادير صغيرة في كل دفعة وفي الغشاء المخاطي للامعاء الصغيرة ما يسمى بالخمامل وهو كالأهداب لهذا الغشاء، وهو أعظم آلات امتصاص المواد الغذائية . وفيه أيضا غير ذلك ما يسمى بالصمامات الملالية لكركنج (Kerkring) وهي عبارة عن ارتفاعات تتكون من ثنيات الغشاء المخاطي على نفسه، وفائدتها أن تعوق سير الطعام حتى يهضم وأن تكبر سطح الغشاء المخاطي للامعاء ليكثر إفرازه وامتصاصه للمواد المهضومة، ولذلك يتبدى وجودها بعد البواب بأصبعين أو ثلاثة وتكثر شيئا فشيئا خصوصا في الاثني عشري والصائم وكذلك تكبر تدريجا، ثم تأخذ في القلة والصغر حتى تنتهي في منتصف الفائف . ولا وجود لها في الخلل وفي الامعاء الكبيرة لقلة الامتصاص وعدم الهضم فيها

والحكمة في وجود الغدد المفاوية المذكورة آنفا هي حفظ الجسم من دخول الميكروبات فيه ولذلك تكثر في الفائف وفي الامعاء الغليظة حيث يكثر التعفن والفساد لخلو هذه الاجزاء من العصارات المطهرة، بخلاف المعدة فإن عصيرها مطهر كالمسحوق، والصفراء في الاثني عشري من وظائفها أيضا تقليل تعفن الطعام

ويصب في الامعاء الصغيرة قناتان عظيمتان: إحداهما من عضوي يسمى باليونانية (البكرياس) ويمكننا أن نسميه بالعربية (الغدة الجسدية) والاخرى هي قناة الكبد تحمل المرة (الصفراء) الى الأمعاء، وهاتان القناتان يجتمعان معا عند نهايتهما وتصبان بفتحة واحدة غالبا في الجزء النازل من الاثني عشري في الجهة الانسية منه

أما البنكرياس ( الغدة الجسدية ) فهي أهم غدة في الجهاز الهضمي كله ، طولها نحو ٦ الى ٨ بوصات ، وموضعها خلف المعدة وموضعها مستعرض بالنسبة للجسم امام الفقرة القطنية الاولى . وتفرز عصيرا فيه خائثر أربع هامة جدا كل منها يهضم جزءا مخصوصا من الطعام (احداها) الهاضوم الزلالي<sup>(١)</sup> لهضم جميع المواد الزلالية كاللحم والبيض فيحولها الى المادة المسماة ( بيتون ) وهو أقوى من هاضوم المعدة المسمى بيسين بكثير ( الثانية ) الهاضوم النشوي وهو الذي يحول المواد النشوية الى سكر الشعير وهو أيضا أقوى بكثير من [العاين] حتى انه يؤثر في النشاء غير المطبوخ . ولا يوجد هذا الهاضوم في أمعاء الاطفال الرضع قبل الشهر السادس ولذلك كان من الخطر عليهم أن يطعموا أي مادة نشوية كالبطاطس والخبز ؛ فان ذلك يفسد جهازهم الهضمي ويضعف صحتهم فيصابون كثيرا بالاسهال وغيره وبداء الكساح ( Rickets ) ( الثالثة ) الهاضوم الشحمي ووظيفته أن يحدث مستحلبا مع المواد الشحمية أو الدهنية ويحللها أيضا الى جلسرين<sup>(٢)</sup> وحوامض شحمية ، وكلاهما سهل الامتصاص . وقد يتحد بعض هذه الحوامض مع البوتاسيوم أو الصوديوم فيتكون من ذلك الصابون ، والصابون أيضا سهل الامتصاص ؛ فاذا امتصت هذه الاشياء عادت الى شحم كما كانت (الرابعة) خيرة تشبه الأنفحة وظيفتها تحويل اللبن الى جبن ، وهذه أقل الخائثر المذكورة تأثيرا في الهضم

والعصير البنكرياسي قروي التأثير بخلاف العصير المعدي فانه حمضي  
أما الكبد فهي أكبر عضو في الجسم ، وموضعها الجهة اليمنى من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة . ولها وظائف عديدة فهي تفرز المرّة (الصفراء) وتخزن فيها أكثر المواد السكرية وبعض الزلالية بعد ان تتحول الى النشاء الحيواني (جليكوجين) لحين الحاجة اليها فتحولها ثانية الى سكر يخرج منها مع الدم ليحترق في الجسم خصوصا في عضلاته ، وهذه الوظيفة هي من أكبر وظائفها ، وتكون أيضا حامض البولييك والبولينا لتفرزهما الكلى ولولا ذلك لتراكت بعض المواد الضارة بالجسم

(١) اذا أطلقنا هذه الكلمة أردنا بها الهاضوم المعدي المسمى باليوانية بيسين

(٢) كلمة يونانية معناها حلو



ومن وظائفها أيضا أنها تصفي المواد التي انهضت في الأمعاء وتنقيها من  
الميكروبات ومن بعض السموم وذلك أثناء مرورها فيها ولذلك اقتضت  
الحكمة الإلهية أن تجتمع جميع الأوردة الآتية من القناة الهضمية ويتكوّن منها  
وريد واحد هو الوريد الذي يسمى ( الباب <sup>(١)</sup> ) الذي يجتمع فيه ما انهضم من  
الزلال والسكر وبعض الشحم فيصل الى السكبد وهناك تفرز منه الصفراء وينقي  
أما المرة ( الصفراء ) فهي إفراز صار بقاءؤه بالجسم ، فلذا تنصب في الأمعاء  
لتخرج مع البراز وهي السبب في تلون البراز باللون المعبود ، وجزء من الصفراء  
لا يخرج مع البراز وإنما يمتص ثانية في الجسم فتفرزه الكلى وهو السبب في تلون  
البول باللون المعروف . وفي الاجنة تتجمع الصفراء في أمعائهم حتي إذا ولدوا نزل البراز  
من أمعائهم أسود اللون ويسمى ( بالقي )

ولا يتوهن القارئ ما ذكر ان الصفراء لا فائدة لها في الهضم بل هي أكبر  
ما يعين العصير البنكرياسي على هضم جميع المواد المذكورة سابقا وخصوصا المواد  
الدهنية ، والصفراء تقلل التفتن والفساد كما قلنا ، وهي أيضا منبهة للحركة الدودية  
للأمعاء ، ولذلك يعرض لمن احتبست فيه الصفراء - بأن انسدت - مجاريها ما يسمى  
( باليرقان ) فيصفر جميع جسمه ويحصل له امساك متكرر ويرى في برازه شحم  
غير مهضوم وتكون له رائحة كريهة جدا

أما مجاري الصفراء فهي في مبدئها مجهرية ( ميكروسكوبية ) وتبندى من  
داخل الخلايا السكبدة وتجري فيما بينها وتتجمع هذه القنوات بعضها مع بعض حتي  
تكبر شيئا فشيئا الى أن تنتهي بقناتين عظيمتين : أحدهما تخرج من الفص الايمن  
للسكبد ، والاخرى من الفص الايسر لها ويجتمعان معا فيحدث منهما قناة واحدة .  
وفي أسفل السكبد كيس صغير يسمى بالحويصلة الصفراوية ( المرارة ) لها قناة  
أيضا تتحد مع قناة السكبد وتكون منهما القناة الكبرى المسماة ( بالقناة المشتركة )  
التي قلنا انها تنصب في الاثني عشري . وفائدة هذه الحويصلة أن تكون مستودعا

( ١ ) سمي بذلك لأنه يحمل الأغذية والاشربة بعد الهضم الى السكبد ومنها  
الى الجسم ، فكأنه باب لدخول الطعام والشراب الى البدن

للمرة في وقت عدم الحاجة اليها  
 وإذا انسدت القناة الكبدية وحدها حصل البرقاق وكذلك اذا انسدت  
 القناة السكبى ، أما اذا انسدت قناة الحويصلة فقط كبرت هذه بسبب افراز مواد  
 مخاطية من باطنها وحدث كيس تحت الكبد ، و بانسداد هذه القنوات السالفة الذ كر  
 بحصيات كبدية تكون غالبا في الحويصلة يحصل المغص الكبدي  
 وإذا انعكست حركة الامعاء بحيث تعود الصفراء الى المعدة من البواب حصل

القيء الصفراوي ، وهو مر الطعم  
 أما لون المرة فسيبه اشتاها على مواد ملوثة لا تختلف عن هيموجلو بين الدم إلا  
 بعدم وجود الحديد فيها ، وذلك لان الكبد من المواضع التي تباد فيها  
 السكريات الحراء القديمة فتأخذ الكبد منها الهيموجلو بين وتفصل منه الحديد  
 وتلقي بالباقي في افرازه وهو السبب في تلون المرة باللون المعروف . أما الحديد فان  
 الكبد تركبه مع غيره من العناصر ويخرج منها في الدم فاذا وصل الى تقو العظام  
 امتزج بكريات ( خلايا ) هناك فتنشأ منها الكريات الحراء  
 ولوجود مادة الحديد في خلايا الكبد كانت الكبد من أحسن المآكل الغذائية

المجددة ، للدم غير أنها أعسر هضما من اللحوم البيضاء  
 اما جميع المواد النشوية والسكرية المهضومة فانها تمتص في الدم بعد أن تتحول  
 الى سكر العنب ، فاذا وصلت الى الكبد حجز منها مؤقتا ما زاد عن حاجة الجسم  
 بصورة النشاء الحيواني المذكور ( الجليكوجين ) وهذا النشاء يتحول شيئا فشيئا  
 كلما احتاج الجسم اليه الى سكر العنب مرة أخرى ويسير في الأوردة الكبدية  
 ويدور مع الدم فيغذي أنسجة الجسم وعضلاته وفيها يحترق فيتحول الى ثاني  
 أكسيد الفحم وإلى الماء -- كما سبق --

واعلم ان الطعام الذي تم هضمه في المعدة وسار منها الى الاثني عشري  
 يسمى ( السكبيوس ) وهي كلمة يونانية معناها العصير

أما الأمعاء فانها تفرز عصيرا آخر أهم وظيفة له تحويل سكر القصب وسكر  
 الشعير الى سكر العنب ، ولها أيضا بعض التأثير في المواد النشوية فتحولها الى سكر

ومما تقدم يفهم أن أجزاء الطعام الاصلية تتحول قبل امتصاصها كما يأتي — :  
 (١) الماء والاملاح لا تتحول الى شيء وتمتص كما هي  
 (٢) المواد الزلالية <sup>(١)</sup> تحولها عصارات المعدة والبنكرياس الى بيتون  
 ولكنها عند امتصاصها تحولها خلايا الغشاء المخاطي للامعاء الى مواد زلالية أخرى  
 مثل التي في الدم

(٣) المواد الشحمية والدهنية يمتص جزء منها كما هو ، وأكثرها ينحل بالعصير  
 البنكرياسي الى جلسرين وحوامض شحمية — كما تقدم — وكل من هذه  
 الحوامض والجلسرين سهل الامتصاص ، ولكن في أثناء مرورها خلال الغشاء  
 المخاطي للامعاء تحولها خلاياه الى شحم أو دهن كما كانت من قبل انحلالها ، وبعض  
 الحوامض يتحد مع صوديوم المرّة فيتكون صابون وهو سهل الامتصاص ويساعد  
 أيضا على امتصاص الشحم كما هو ، فالشحم بهضمه عصير البنكرياس مع المرّة بعد  
 أن يحولاه الى ( مستحلب ) وذلك مما يعين أيضا على هذا الهضم والامتصاص  
 (٤) أما المواد النشوية فانها تتحول باللعاب والعصير البنكرياسي الى سكر  
 الشعير ، ثم يتحول هذا السكر وسكر القصب — ان وجد — بواسطة العصير  
 المعوي الى سكر العنب ، وهذا السكر سهل الامتصاص ويبقى في الدم كما هو غير  
 أنه يخزن الزائد منه مؤقتا في الكبد على صورة الجليكوجين — كما قلنا — أما سكر  
 اللبن فيتحول أثناء امتصاصه الى سكر العنب أيضا ، ولا تأثير للعصارات الهاضمة فيه

#### امتصاص الاغذية

أما الامتصاص فانه يحصل في القناة الهضمية من أولها الى آخرها أي من  
 اتم الى المستقيم ، ولكن الامتصاص في الفم قليل جدا كثير في المعدة والامعاء خصوصا  
 في الصائم من الامعاء الصغيرة

ولما كان بعض المواد الزلالية يمكن امتصاص القليل منها وإن لم تهضم <sup>(٢)</sup>  
 (١) تسمى أيضا الاولية ( Proteids ) لان لها المنزلة الأولى بين الاغذية ،  
 والنيروجين من لوازم تركيبها ( ٢ ) المراد بالهضم هنا التغير الكيماوي المخصوص  
 الذي يحصل في الاغذية قبل امتصاصها

وكذلك الشحم والزيوت فلذا يستعمل الأطباء في بعض الأمراض الحقن الشرجية المغذية للمرضى وأن كان أكثر هذه الحقن يهضم هضمًا صناعيًا قبل حقنه لتسهيل امتصاصه لعدم وجود عصارات هاضمة في المستقيم أما الماء والأملاح والمواد السكرية والزلائية فكلها تمتص من الأمعاء بواسطة فروع الوريد الباب ليحملها إلى الكبد— كما سبق— مع بعض أجزاء من الدهن قليلة جدًا، ولكن أكثر المواد الدهنية تمتصها أوعية لمفاوية مخصوصة موجودة في الأمعاء، وهذه الأوعية تسمى (بالوعية اللبنية) لأن هذه المواد الدهنية التي تجري فيها تشبه اللبن وتسمى (بالكيلوس) وهي كلمة يونانية أيضاً معناها العصير، وهذه الأوعية اللمفاوية تصب في غدد لمفاوية مشورة في طريقها لتفتيتها من الميكروبات ونحوها، وكل من الأوعية وهذه الغدد موجود بين طبقتي المساريقا (Mesentery) <sup>(١)</sup> وهي عبارة عن غشاء من البريتون يعلق الأمعاء الصغيرة بالظهر ويحيط بها

والغدد اللمفاوية التي بين طبقتي المساريقا يحصل فيها التهاب فضخامة عند تفرح الأمعاء في الحصى التيفودية وغيرها واعلم أن الزلال المضموم المسمى (بيتون) إذا دخل الدم من غير أن تحوله الخلايا المخاطية إلى زلال كزلال الدم كان سما زعافاً فلذا كان تحويله قبل امتصاصه واجباً

ومن المعلوم أن سم الثعابين ونحوها هو مواد زلائية تقرب من البيتون فلذا كان أكله مغدياً لا ضرر فيه لأن خلايا الغشاء المخاطي تتكفل بتحويله إلى ما يصلح للجسم قبل امتصاصه، أما إذا حقن في الدم أو تحت الجلد بدون هذا التحويل كان خطراً على الحياة

وفي الأمعاء ميكروبات عديدة، وهذه الميكروبات تحدث تغييراً وتحليلاً في الأغذية فوق الذي تحدثه العصارات الهاضمة فينشأ عن ذلك غازات وغيرها، بعضها يضر امتصاصه وبعضها لا ضرر فيه، وهذه الغازات هي التي تحدث القراقر (١) كلمة يونانية معناها (وسط الأمعاء) لأن هذا الغشاء متصل بوسط الأمعاء

في البطن وخروج الأرياح ، ويكثر تكون هذه الغازات بأكل المواد النباتية . وقد تؤثر العصارات الهاضمة في بعض المواد المأكولة فتخرج منها مواد سامة للجسم اذا امتصت في الدم ، ولكن هذه الميكروبات تحللها الى أجسام أخرى وبذلك تبطل ضررها ، فوجودها في الامعاء ضروري ، ومن الخطأ محاولة قتلها بالأدوية المطهرة . أما البراز فهو فضلات جميع الاغذية والاشربة التي لم تمتص ، ومفرزات الحياز الهضمي ، وغير ذلك

والسبب في حصول الاسهال أحد ثلاثة أمور (١) إما اضطراب حركة الامعاء حتى تكون أسرع من الحالة الطبيعية فيمر فيها الطعام والشراب بسرعة زائدة قبل ان يحف بالامتصاص (٢) وإما زيادة العصارات الهاضمة وخصوصا افرازات الامعاء بسبب مرضها كالتها بها (٣) وإما قلة امتصاص خلايا الغشاء المخاطي للاطعمة والاشربة لمرض ما فيها . وهذه الاسباب في الغالب تكون مجتمعة في الاسهال العادي وقد تحصل بالمسهلات ، ولذلك كان الاسهال الزائد عن الحد ضارا جدا لانه ينهك القوى

والسبب في الامساك عكس ما تقدم ، وضرره يكون بامتصاص بعض المواد الضارة في الدم وبضغطه على بعض الاعضاء كالاوردة أو الاعصاب فيعوق وظيفتها وقد تنشأ عنه البواسير والصداع والضعف وآلام عصبية في الفخذ اليسر لضغط المواد البرازية في التعرج السيني والمستقيم على الاعصاب . أما مدة مرور الطعام في الامعاء فهي عادة من ٢٤ — ٣٦ ساعة ، منها نحو ١٢ ساعة للامعاء الدقيقة

### ( فصل في الاطعمة والاشربة وغيرها )

المواد الضرورية للجسم سبق ذكرها مرارا وهي باختصار : المواد الزلائية ( الأولية ) والسكرية والنشوية (الكربوهيدراتية) والدهنية والماء والاملاح وهذه المواد يأخذها الانسان اما من الحيوانات أو من النباتات ، والحيوانات المأكولة تأخذها أيضا من النباتات ، فصدر غذاء الانسان كله هو النباتات . وهذه المواد كلها توجد في أنواع مختلفة من الاطعمة أهمها : —

## (١) اللب

هو غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد السابقة وعلى الدهن المعروف (السمن والزبدة والقشدة) ويستخرج منه اللبن وهو جل المواد الزلالية والدهنية مع بعض أملاح تضاف إليه من الخارج

وإذا تعرض اللبن للهواء زمنا مآ هبطت إليه بعض ميكروبات مخصوصة تحول سكره الى حامض اللبنيك وهذا يُرسب الزلال الذي في اللبن فيغاط ويكُون كاللبن المعروف في مصر (باللبن الزبادي) المسمى بالعربية (اللبن الخائر والرائب) وقد توضع في اللبن خميرة فيها بعض ميكروبات أخرى فتحول سكره الى غول فينشأ نوع من الحُر بسبب ذلك يعرف في بلاد التنا بالكفير أو الكوميس وكل من الكفير <sup>(١)</sup> أو الكوميس <sup>(٢)</sup> سهل الهضم مغذ للانسان منه للدورة الدموية بما فيه من الغول بمقادير قليلة ونافع في السل الرئوي - كما يقال - ولكن الاكثار والادمان عليه له بعض الاثر السيء الذي للخمر عامة

أما اللبن الخائر فهو أيضا سهل الهضم لقلة مائه ووجود الحامض فيه ، مغذ للانسان ولكن اذا طالت مدة تخمره تولدت فيه مواد سمية ضارة، وهذا النوع نافع في الحيات لقلة افراز المعدة للحمض أثناء الحيات وهو مفيد أيضا في نزلات المثانة واللبن قد يختلط بميكروبات أخرى محدثة للأمراض بعضها يصل اليه من الانسان كميكروب الحى التيفودية ، والبعض الآخر قد يصل اليه من غيره كميكروب الحى المايطية في لبن بعض المعز وكالدفتيريا فانها تصيب البقر والضأن . وكثير من البقر يصاب بالتدرن فيكون اللبن سببا في الدرّن الانساني وان لم توجد فيه ميكروبات الدرّن نفسها اذ يكفي وجود سمومها فيه فان ذلك يضعف البنية ويهيئها لقبول ميكروب الدرّن. فلذا يجب أخذ اللبن من الحيوانات السليمة في أوان نظيفة جدا وبأيد كذلك . وللاشقة بطارته من جميع الميكروبات يجب غليه قبل تعاطيه مدة خمس دقائق على الاقل

(١) يصنع من لبن البقر والمعز والغنم (٢) يصنع من لبن القرس

وإذا منعنا وصول سائر الميكروبات الى اللبن أمكننا حفظه دهرًا بدون فساد كما سبق  
واللانفعال النفساني الشديد تأثر في افراز اللبن حتى إنه قد يسم الصغار  
ومن السهل أخذ زبدة اللبن أو القشدة بالآلة المبعدة عن المركز المسماة  
باللاتينية [ Centrifuge ] فإذا أديرت بسرعة أبعدت جميع المواد التي في اللبن  
عن المركز لتقلها ماعدا زبدة اللبن فانها تأتي نحو المركز لحقتها ، وبسبب خفتها أيضا  
تصعد الى سطح اللبن اذا سخن بالنار كما هو معلوم

وإذا أخذت زبدة اللبن صار ثقله النوعي أزيد من المعتاد فاذا أضيف إليه  
جزء من الماء عاد ثقله الى المعتاد ( وهو في لبن البقر ٢٨ ١٠ الى ١٠٣٤ )

ومن طرق غش اللبن أن يضاف عليه الماء مع النشاء لإكثار كميته ولكن  
النشاء يمكن معرفته بطريقة كيمائية سهلة جدا وذلك بوضع جزء من صبغة اليود  
عليه فيتلون في الحال باللون الأزرق اذا كان فيه نشاء

ويصنع من زيوت النباتات وشحم الحيوانات زبدة كاذبة تسمى باللاتينية  
وغيرها المرغرين ( ومعناها حرفيا مادة الأولوسميت بذلك للمعاهنا ) يستعملها  
التجار كثيرا بقصد الغش وهي في الحقيقة لا ضرر فيها الا أنها أرخص ثمنا

ومن أكثر الالبان تغذية لبن الجاموس والعنز وأسفلهاض لبن المرأة والأثان  
( أنثى الحبر ) وأكثرها سكرًا لبن المرأة ويقرب منه في ذلك لبن الأثان

( جدول تركيب الالبان المختلفة )

نوع اللبن	المواد الزلالية	الدهن	السكر	الاملاح	الماء
لبن المرأة	٢٩ ٢٦	٣٨ ٣	٦٢ ٠	٠ ٣٠	٨٧ ٤٠
» البقرة	٥٥ ٣	٦٩ ٣	٨٨ ٤	٧١ ٠	٨٧ ١٧
» الفرس	٠ ٢٦	٣٠ ١	٦٥ ٥	٣٦ ٠	٩٠ ٧٩
» الأثان	٣٥ ٢	٦٥ ١	٥٠ ٦	٥٠ ٠	٨٩ ٦٥
» العنز	٣٠ ٤	٧٨ ٤	٤٦ ٤	٧٥ ٠	٨٥ ٧١
» الجاموسة	٦١ ٦	٤٥ ٢	١٧ ٤	٨٧ ٠	٨١ ٤٠

(٢) البيض

وهو يؤخذ من أنواع مختلفة من الطيور ، وأكبره بيض النعام ، وهو أيضا غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد اللازمة للجسم ، ولذلك تتكون منه أجنة الطيور فتخرج منه كاملة الاعضاء والاجزاء . وطبقاته مؤلفة كما يأتي : —

القيش (القشرة) مركبة من مواد جيرية أهمها كربونات الكالسيوم ، وبها ثقب عديمة لازمة لدخول الهواء الى البيضة وخروجه منها لتنفس جنين الطير ، فاذا سدت جميع هذه الثقوب اختنق ما في داخلها ومات . وسدها أيضا بمثل الشمع أو الصمغ يحفظ البيضة من الفساد ، فانه يمنع دخول الميكروبات اليها . ويلى هذه القشرة طبقة أخرى رخوة ، ثم يبيض البيض (الغيرقي) وهو يتركب من مواد زلالية مع قليل من الدهن والملح ، ووظيفته تغذية جنين الطير ، وهو محيط بالملح ( الصفار ) من جميع الجهات ، أما (المح) فهو عبارة عن خلية حية كبقية الخلايا الحيوانية ولها نواة يتبدى فيها تكون الجنين باقسامها وتغذيها بما حولها من المواد المغذية . والملح يتركب أكثره من مواد دهنية وأملاح مع قليل من الزلال المسمى جلوبيولين ، ولا يحصل هذا الانقسام في النواة الا اذا كانت ملقحة بالحيوان المنوي للذكر ، ومدة التفريخ للدجاج ٢١ يوما أي ثلاثة أسابيع

والبيض مفيد جدا سهل الهضم الا اذا طبخ طبخا شديدا فان ذلك يجمد موادها ويجعلها عسرة الهضم ، واذا شرب منه جزء بدون طبخ أو مع طبخ قليل أفاد الجسم وغذاه ، غير أن الإفراط فيه مما يتعب السكلى ، وقد ينزل جزء من زلاله في البول ولمعرفة البيض الجيد من البيض الفاسد تذاب أوقيتان من ملح الطعام في نصف لتر ماء فاذا غرقت البيضة في هذا السائل دل ذلك على جودتها ، والا كانت فاسدة مشتملة على غازات ناشئة من الفساد هي السبب في خفتها

(٣) العسل

هو في الاصل ما تجمعته النحل من رحيق الازهار ، ثم تحول في معدتها الى هذه المادة المخصوصة ثم تلقيه من أفواهها في خلاياها مصداقا لقوله تعالى ( يخرج من



بطونها شراب مختلف ألوانه) وقائدة العسل النحل تغذية صفارها <sup>(١)</sup> به والعسل يشمل أنواعا من السكر أهمها سكر العنب مع مواد عطرة ، وفيه أيضا جزء من الأبور ( وهو المادة التي تسمى الافرنج (Pollen) وهي عبارة عن عنصر الذر في الازهار الذي تلقح الانثى به ، والابور مادة بروتو بلازمية حية أي مشتملة على زلال وغيره ، ولذا كان العسل مشتملا على كثير من العناصر الضرورية للحيوانات . أما شمعها فلا يهضم ولا يكتسب منه الجسم شيئا

والعسل مغذ جدا سهل الهضم للغاية بل ان سكر العنب الذي فيه لا يحتاج الى المضغاط الهاضمة فانه يتمص بذونها والعسل ملين مقو للجسم ، وبسبب سهولة هضمه وتقويته للجسم واحداه اللين كان نافعا في كثير من الامراض فيجعل الجسم قويا المقاومة لانواع كثيرة من الميكروبات ، وقد يتغلب عليها بسبب ذلك ، فهو نافع في سائر الامراض التي تهك القوى كالسل والسرطان والانيميا والبلغم وفي الحميات وغير ذلك حتى قال بعضهم انه نافع في البول السكري ، ولكن ذلك لم يثبت الآن عند الجمهور

وهو يحرض شهوة الطعام أيضا ويكثر من إفراز المعدة ومن اللعاب فيرتب الحلق ، ولذا كان نافعا في التهاب اللوزتين والحلقوم وفي السعال . كل ذلك يؤيد قوله تعالى ( فيه شفاء للناس ) وقد يجوز اعطاؤه أيضا في أحوال الاضطرابات المعوية المعوية لانه سهل الهضم جدا مساعد عليه — كما قلنا — فلذا ينفع المصابين بعسر الهضم ، ويجوز اعطاؤه في أول الامر للمصابين بالذرب كما يعطى زيت الخروع بقصد تنظيف القناة الهضمية من المواد التي تحدث تهيجها ، ويحسن اعطاؤه ملينا للاطفال بدل زيت الخروع فانه ملين لذيد الطعم تشبهه أنفسهم . ومن ذلك تعلم حكمة وصف رسول الله (ص) العسل لمن أصيب باطلاق بطنه بقصد تنظيف القناة الهضمية وتغذية المريض به لسهولة هضمه ، ويشبه ذلك وصف الأطباء غذاء اللبن في الذرب مع أنه يسهل كثيرا من الناس

(١) تسمى صفار النحل اللوث (بالضم) والطررد (بالفتح) والرصع بالتحريك والدبسم (بوزن جعفر)

ومن أحسن الاغذية النافعة للحيات العسل مع اللبن ، فان العسل يحترق في الجسم ويوفر احتراق أجزاءه الاخرى بسبب الحمى. وذلك مما يعين الجسم على التغلب عليها. هذا وإن عسل النحل الذي نجمه من أزهار سامة يحدث أعراض التسمم لمن يطعمه ، وكذلك الحال في ألبان الانعام التي تأكل نباتات سامة ، فيجب الاحتراس من ذلك ما أمكن ؟

## الحنين الى الاوطان

كتاب مختصر من احسن كتب الادب طلاوة ، واشدها حلوة ، وارشفها عبارة واجودها اختيارا للآلئ الكلام المثورة والمنظومة ، واطبعها للملكة البيان في نفس الطالب ، وذوق البلاغة من الشاعر والكاتب . وحسبك انه لا مام أئمة الادب ابى عثمان الجاحظ ، الذي توه الزمخشري بمكانته العليا من البيان ، في خطبتي كنايةه اساس البلاغة والكشاف . وهالك هذا النموذج من اوله . قال بعد البسملة

إن لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الادب —  
سببا يدعو الى تأليف ما كان فيه مشتتاً ، ومعنى يحدو<sup>(١)</sup> على جمع ما كان  
متفرقا ، ومتى أغفل حملة الادب وأهل المعرفة تميز الاخبار ، واستنباط  
الآثار ، وضم كل جوهر نفيس الى شكله ، وتأليف كل نادر من الحكمة  
الى مثله ، بطلت الحكمة ، وضاع العلم ، وأميت الأدب ، ودرس  
مستور كل نادر . ولولا تقييد العلماء خواطرم على الدهر ، وتقرهم آثار  
الاولائل في الصخر ، — لبطل أول العلم وضاع آخره ؛ ولذلك قيل :  
لا يزال الناس بخير ما بقي الاول يتعلم منه الآخر

وان السبب على جمع تنف من أخبار العرب في خنينها الى أوطانها،

(١) يحدو — حدها على الامر بهته اليه

وشوقها الى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها، توقد النار في أكبادها،  
 أي فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والتزع<sup>(١)</sup> الى  
 الاوطان، فسمعتة يذكر أنه اغترب من بلد الى آخر أمهد من وطنه،  
 وأمر من مكانه، وأخصب من جنبه؛ ولم يزل عظيم الشأن، جليل  
 السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم  
 أنجاده<sup>(٢)</sup> وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس باباه إلا  
 راغب اليه أو راهب منه، فكان اذا ذكر التربة والوطن حن اليه حنين  
 الابل الى أعطانها،<sup>(٣)</sup> وكان كما قال الشاعر:

اذا ما ذكرت التغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهباً للهمام<sup>(٤)</sup>  
 حنيناً الى أرض بها اخضر شاري وحلت بها غي عقود التمام<sup>(٥)</sup>  
 وألطف قوم بالفتى أهل أرضه وأرعاهم للمرء حق التقادم  
 وكما الآخر:

يقر بعيني أن أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود<sup>(٦)</sup>

١ النزاع الى الشيء الاشتياق اليه

٢ الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه

٣ الاعطان اوطان الابل ومباركها عند الماء، واحدها عطن

٤ الهمام المموم

٥ التمام جمع تيمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون  
 بها العين في زعمهم فاطلمها الاسلام، ذكره في النهاية لابن الاثير

٦ ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الدال وضمها، وقال في معجم  
 البلدان: قال ابن الاعرابي الابرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة، وكل شيء  
 خلط من لونين فقد برق. والمتقاود المستوي، قال في أساس البلاغة: تقاود المكان  
 استوى، قال:

الا ليت شعري هل أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به سليمي وقدمل السرى كل واخذ<sup>(١)</sup>  
 وألصق أحشائي ببرد ترابه وان كان مخلوطا بسم الاسود<sup>(٢)</sup>  
 فقلت : لئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن  
 تكون النفس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها توافة<sup>(٣)</sup> وقالت  
 الهند : حرمة بلدك عليك ، كحرمة أبويك ، لأن غذاءك منها وأنت  
 جنين — وغذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلداً رشحك غذاؤه ، وارع  
 حمى أكنك فساؤه . وأولى البلدان بصبابتك اليه بلد رضعت مائه ،  
 وطعمت غذاؤه ، وكان يقال : أرض الرجل ظئره<sup>(٤)</sup> ، وداره مهده ،  
 والقريب النائي عن بلده ، المنتهي عن أهله ، كالثور الناذ<sup>(٥)</sup> عن  
 وطنه ، الذي هو لكل رام قنيصه . وقال آخر : الكريم يحن الى  
 جنابه ، كما يحن الاسد الى غابه ، وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحل  
 رضاعه ، كالعير<sup>(٦)</sup> الناشط<sup>(٧)</sup> عن بلده ، الذي هو لكل سبع قنيصة ،  
 ولكل رام دريئة<sup>(٨)</sup> ، وقال آخر : تربة الصبا تغرس في القلب حرمة  
 وحلاوة ، كما تغرس الولادة في القلب رقة وخفاوة<sup>(٩)</sup> ، وقال آخر : أحق

١ السرى سرعامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » ويقال  
 جمل واخذ ووخذ اذا كان واسع الخطو ، وقد وخذ يخدو وخداً ووخذانا

٢ الاسود جمع أسود وهو العظيم من الحيات

٣ تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق

٤ الظئر المرأة التي حضنت ولد غيرها

٥ ند البعر ندا ( بتشديد الدال ) نفر وذهب على وجهه شاردا

٦ العير الحمار الوحشي والاهلي أيضا

٧ قال في أساس البلاغة : ثور ناشط - خارج من أرض الى أرض

٨ الدريرة حلقه يتعلم عليها الطمن

٩ الخفاوة المبالغة في الاكرام

البلدان بزاعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه؛ وقال آخر: إذا كان الطائر  
يحن الى أوكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه؛ وقالت الحكماء:  
الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من  
الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرشد<sup>(١)</sup>  
وطهارة الرشد من كرم المحتد<sup>(٢)</sup>؛ وقال آخر: ممالك الى مولدك، من  
كرم محتدك؛ وقال آخر: عسرك في دارك، أعزلك من يسرك في  
غريبتك، وأنشد

لقرب الدار في الإقترار خبر من العيش الموسع في اغتراب<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر: الغرب كالغرس الذي زایل أرضه، وفقد شربه، فهو  
ذالو<sup>(٤)</sup> لا يثمر، وذایل لا ينضر. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل  
مسيبونة بمحب الوطن — ولذلك قال بقراط: يداوى كل عليل بمقايير  
أرضه، فإن الطبيعة تتطلع لطوائها، وتنزع الى غذائها؛ وقال أفلاطون:  
غذاء الطبيعة من أجمع أدويتها؛ وقال جالينوس: يروح العليل بنسيم  
أرضه — كما يروح الارض الجدية بيل القطر

والقول في حب الناس الوطن، واقتضاهم بالجمال قد سبق، فوجدنا  
الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس: لو قنع  
الناس بأرزاقهم، قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق؛ وترى الاعراب  
يحن الى البلد الجذب والحل القفر والحجر الصلد؛ وتستوخم<sup>(٥)</sup> الريف

١ الرشد صحة النسب وهي بكسر الراء، والفتح لغة

٢ المحتد الاصل، يقال هو كرم المحتد وهم كرام الخاتم

٣ الاقترار مصدر أقتر الرجل اذا اقترى ذالو

٤ استوخم البلد، وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضا اذا لم يصلح للسكن

حتى قال بعضهم

أتجلىن في الجالين أم تصبري على ضيق عيش والكريم صبور<sup>(١)</sup>  
فبالمصر برغوث وحى وحصة وموم وطاعون وكل شرور<sup>(٢)</sup>  
وبالبيد جوع لا يزال كأنه ركام بأطراف الإكام تمور<sup>(٣)</sup>  
وترى الحضري يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب — فإذا  
وقع ببلاد أريف من بلاده، وجناب أخصب من جنابه، واستفاد غنى من  
الى وطنه ومستقره .

ولو جئنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه .  
ولكن توخينا تدوين أحسن ما سنع من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق  
ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قول الله عز وجل حين ذكر  
الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أن  
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فسوى بين  
قتل أنفسهم، وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالى (وما لنا ألا نقاتل في  
سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقاله الا ول : عمر الله البلدان  
بحب الاوطان ، وكان يقال لولا حب الناس الاوطان لخربت البلدان ،  
وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نفقتا عن الاوطان ، وقطعتنا  
عن الاخوان ، وقالت الحكماء أكرم اخیل أجزعها من السوط ،

١ الجلاء الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها

٢ الموم هو البرسام مع الحى

٣ الركام السحاب المتراكم بمضه فوق بعض - والاكمة تل ، وقيل شرفة  
كالرأية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلط ، والجمع اكم وجمع  
الاكم اكام مثل جبل وجبال - ومار الشيء تحرك بسرعة

واكيس الصبيان أبغضهم للكتاب ، وأكرم الصفايا أشدّها ولها الى أولادها ، وأكرم الإبل أشدّها حينما الى أوطانها ، وأكرم المهاري أشدّها ملازمة لأمتها ، وخير الناس أفهم للناس

وقال آخر من أمارات العاقل برة لآخواته ، وحنينه الى أوطانه ، ومداراته لاهل زمانه . واعتل أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي ؟ فقال حسّن<sup>(١)</sup> فلاة وحسّو<sup>(٢)</sup> فلات<sup>(٣)</sup> ؛ وسئل آخر فقال : محضاً<sup>(٤)</sup> روياء ، وضبا مشوياء ، وسئل آخر فقال : ضبا عنيئا أعور ؛ وقالت العرب حماك أحمى لك ، وأهلك أحمى بك ؛ وقيل الغربة كربة ، والقالة ذلة . وقال لا ترغبوا إخوتي في غربة أبداً إن الغريب ذليل حيثما كانا وقال آخر : لا تهض عن وكرك فتنفصك الغربة ، وتضيمك الوحدة ؛ وقال آخر لا تجف أرضاً بها قوابلك<sup>(٥)</sup> — ولا تشك بلداً فيه قبائلك ؛ وقال أصحاب القيافة<sup>(٦)</sup> في الاسترواح : اذا أحست النفس بمولدها فتحت مسامها فمرفت التسميم . وقال آخر يحن الليب الى وطنه ، كما يحن النجيب<sup>(٧)</sup> الى عطنه ؛ وقال كما أن لحاضنتك حق لبنها — كذلك لأرضك حق وطنها ؛ وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين ركلها ورضيع غمامها ، فحضنتني أحشاؤها ، وأرضعتني أحساؤها<sup>(٨)</sup> ؛ وشبهت

١ الحسل ولد الضب حين يخرج من بيضه ٢ حسا زيد المرق يحسوه حسوا  
شربه شيطاً بعد شربه وحسا الطائر الماء تناوله بمنقاره ٣ القلات جمع قالت بالفتح وهي  
الثقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ٤ المنحض والمنحوض ما انحض من اللبن وأخذ زده  
٥ القوابل جمع قالة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة

٦ القائف الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع  
القافة ويسمى فطله بالقيافة ٧ النجيب من الإبل القوي الخفيف السريع  
٨ الأحساء جمع حسي وهي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء

الحكماء الغرب باليتيم اللطيم<sup>(١)</sup> الذي نكل<sup>(٢)</sup> أبويه - فلا أم تراه<sup>(٣)</sup>  
ولا أب يجذب عليه<sup>(٤)</sup>؛ وقالت أعرابية إذا كنت في غير أهلك فلا  
تنس نصيبك من الذل؛ قال الشاعر

لمرى لرمط المرء خير بقية عليه وإن عالوا به كل مركب  
إذا كنت في قوم عداً لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب<sup>(٥)</sup>  
وفي المثل أوضع من مرآة الغريبة - وذلك أن المرأة إذا كانت هدياً  
في غير أهلها تنفقد من وجهها وهيئتها ما لا تفقده وهي في قومها  
وأقاربها - فتكون مرآتها مجلوة تتمهد بها أمر نفسها وقال ذو الرمة  
لها أذن حشر وذفرى أسيلة وخد كمرآة الغريبة أسجج<sup>(٦)</sup>

١ اللطيم الذي يموت أبواه ٢ النكل فقدان المرأة ولدها ٣ رثمت الناقة الولد  
عظمت عليه ٤ يجذب عليه يعطف عليه ٥ قال ابن السكيت قوم عدا غرباء والشدة  
اليث قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضاً مذهب سيويه وم اسم  
للجمع. وقال ابن السيد في الاختصاف هذا البيت لزارقة بن سبيع الاسدي فيما ذكر  
يعقوب وذكر الجاحظ أنه لخالد بن فضالة الجحواني من بني أسد - والعدى  
المرء والعدى أيضاً الاعداء - والاكل والعلف هنا مثلاً مضروباً للمواقفة  
وترك المواقفة وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور غريم -  
وندم على مفارقة قومه - ولذلك قال قبل هذا البيت

لمرى لقوم المرء خير بقية عليه وإن عالوا به كل مركب  
من الجانب الاقصى وإن كان ذا غنى جزيل ولم يضر كمثل محرب  
تبدلت من دودان نصراً وأرضها فاذ ظفرت كفى ولا طاب مشربى  
ثم أفاض في شرح البيت

٦ الحشر ما لطف من الآذان - والذفرى من الحيوان العظيم الشاخص خلف  
الاذن - والاسيل من الخدود الطويل المسترسل. وسجج الخد كفجر سهل ولان  
وطان في اعتدال. وقل لجه وقال في اساس البلاغة وجه أسجج مستوي الصورة  
ويرجل أسجج الخدين وقد سجج قال ذو الرمة وقد انشد البيت



## سفور النساء واختلاطن بالرجال

وفوضى الأداب بمصر

في هذه الايام التي ثبت فيها عن نساء فرنسة كلهن ، حتى غايات باريس  
منهن ، انهن لبسن ثياب الحداد ، بعد رفوفهن في تلك الأزياء ، التي قلدهن فيها  
سائر النساء ، في جميع الارزاء ، وظهرن بمظهر الراهبات الناسكات ، وهن أولئك  
القاتات ، الكاسيات العاريات ، المائلات الميلات ، اللواتي قتن قلوب الرجال ،  
حتى صاروا يشدون الين الرجال ، بل يطيطون الين على مراكب النار ، في سباسب  
الارض وأجواز البحار ، وتركن المراقص والملاهي والحانات ، الى ساحات القتال  
والمستشفيات ، وإلى دور الصناعة ، وأعمال الزراعة ، ليخففن عن أمتن أهمل هذه  
الحرب الضرر ، في هذا العصر العيوس

= في هذه الايام التي مس الناس فيها الضرر ، وهدد الأمم والدول العسر ،  
فكسدت غلات الزراعة ، وقطعت معامل الصناعة ، ووقفت حركة التجارة ، وقط  
الدرم والدينار ، وغلت أثمان الاشياء ، وخاف العقلاء ان يعقب هذه الحرب قحط  
ومجاعات ، تلوها قتن وأوبئة وثورات ، وشمر المبذرون من أهل السعة والثروة ،  
بوجوب الاقتصاد في الثقة خوفا من سوء العاقبة

= في هذه الايام التي تفك فيها الحصون والمعازل ، وتدمر المعابد والمنازل ،  
وتتل العروش ، وتذهب باستقلال الشعوب ، وتنفذ أقوى الدول بأسا ، وأشدهن  
بطشا ، ذلا بعد عزة ، وضعفا بعد قوة ، وفقرا بعد ثروة ، وعبودية بعد حرية

= في هذه الايام — وقد زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أهغالها ،  
وقال الانسان ماله ، وما عسى ان يكون مآلها — انبرى نفر من الشبان والشواب ،  
من التفريجين والمتفريجات في هذه البلاد ، يتبارون في تحبير المقالات ، وإقامة الحجج  
والبيئات ، المؤلفة من مقدمات الشبه والخيلات ، على وجوب سفور النساء المصريات ،  
واختلاطن بالرجال في الملاهي والمجتمعات ، وفي عامة الاحوال والاورقات . ليشاركن

الرجال في حريتهم ، ويساهمهم في التمتع بمحاسن ( الطبيعة ) ويقتبس منهم الآداب والافكار الجديدة ، ولذلك يسون مطلبهم هذا « تحرير المرأة » فراحهم ان المرأة في رق أهلها ثم زوجها ، وانه ينبغي ان تفعل ما تشاء ولا يصح لاحد أن يحجر عليها ، ولا أن يصدها عما تحب وتهوى

يتوهم هؤلاء المساكين ان الفوضى الأدبية التي يرتعون فيها هي الحرية التي ينوه بمدحها الافرنج ، والتي بها وصلوا الى ماوصلوا اليه من العلم والصناعة ، وما أنتجا من الملك والسيادة ، ولم يقلوا أن هذه الفوضى هي التي حلت روابطهم القومية ، وأضعفت مقوماتهم ومشخصاتهم الجنسية وجرفت ثروتهم الى البلاد الاجنبية ، وجهلهم غير أهل للاستقلال في إدارة بلادهم ، فضلا عن مد نفوذهم وبسط سلطانهم على غيرهم ، ولم يستفيدوا منها الا لفرور بأنفسهم ، وكثرة الدعاوي العريضة بالسنتهم .  
النساء المسلمات غير مسترقات في مصر ولا في غيرها ، ولا محرومات من التمتع بمحاسن الوجود وطيبات الدنيا ، فأما نساء الفلاحين فأمرهن معروف وانهن يشاركن الرجال في كل شيء ، ولا يعنيين طلاب « تحرير المرأة » فيما يقولونه عن النساء المصريات . وأما نساء الموسرين في المدن اللواتي تتوجه اليهن أنظار هؤلاء المحررين ، فهن أكثر تمتعا بزينه الدنيا ونعيمها من الرجال ، الا في أمر واحد فقط وهو حرية المجاهرة بالفسق ، ومعاشرة الرجال ومخادتهم في الجهر ، فالفاقة منهن لا تنفق الا وراء الستر ، أو في المواخير المعروفة ببيوت السر ، ولا تخرج مع خدن لها للثبزه الا مستخفية ، إلا ان تكون مغمولة أو متهتكة .

وأما البرقع فهو زينة اختارته لنفسها ، وزينة تجذب الانظار اليها ، لأنه يظهر المحاسن ، ويخفي العمايب ، وقد اعترف بذلك قاسم امين ، وسبقه اليه الشيخ احمد فارس السكاكيب الاجتماعي الشهير ، وقد نظم في البرقع هذين البيتين :  
لا يحسب الفرّ البراقع للنساء منعاهن عن التماذي في الهوى  
ان السفينة انما تمجري اذا وضع الشراع لها على حكم الهوا  
على ان البراقع كانت في عهد زيارته لمصر سائرة لمعظم الوجه ، فكيف لو رأى براقع هذه الايام التي قلت فيها من مقال سابق « تلاعبها الانفاس ، ونحرقها أشمة

عيون الناس ؟

واني لأعجب من المدافعين عن الحجاب كيف يمدون هذه البراقع البيضاء الشفافة من محصلاته أو متماته ، وما هي الامن هاتكاته أو عزيلاتة ، الا ان يكون مرادهم رد كل مايجي . به خصوصهم من العيب بعادات الامة لاجل التفرنج وزيادة التبتك . كما اني أعجب من اهتمام الآخرين بإزالتها دون غيرها من زينة النساء المدنيات وهي لا تمنع علما ولا عللا ولا صلاحا ولا فسادا ، الا ان يكون مرادهم ترك كل وطني احتقار له ، واستبدال الشخصيات الافرنجية بالشخصيات الوطنية تعظيما لقيدها ، أو توهمها أن تشبهنا بالأفرنج في مشخصاتهم — وهو سهل علينا — يقوم مقام جعل مقوماتنا كموماتهم — وهو ما عر علينا — فيكون لنا شرف التلبي بقشور مدنيتههم وقد انحطت همنا عن الفحاق بهم في لباسها وحقاتها .

أول يكفهم اننا شرعنا قلدهم في هذه الظواهر القشرية قترنا حكمانا بأزيائهم ، وتبعهم الناس بالتدرج المعتاد في مثل ذلك ، ثم قلدناهم في الاثاث والرياش والماعون وفي كثير من العادات ، وهل كان ذلك كله الا سببا لحرف ثروتنا وانزعاجهم إياها منا ، وبعد ان قضي على صناعتنا ، ولم تحل صناعتهم محلها ، دع تأثيره في اضعاف ديننا وآدابنا التي هي مقومات أمتنا فخرجنا عن كوننا أمة متماسكة بما بينها من الروابط كتماسك البناء المتين ، وصرنا كالانقاض التي لا مالك لها يأخذها المعمرون فيشيدون بها دورا جديدة لهم

لماذا لا نعتبر بحال الامة الانكليزية التي نالت أعظم سيادة في الارض بأخلاقتها وصفاتها وعاداتها ، كالثبات والتروي والحفاظ على مقومات الامة ومشخصاتها حتى المفضولة منها ، وعدم اقتباس شي من عادات غيرها وآدابها وان كان أحسن مما عندها ، الا ان يكون بالتدرج البطيء ، في الزمن الطويل

وجملة القول إن زي النساء المدنيات بمصر هو زي زينة تجذب أنظار الرجال اليهن فلا يوجد زي يقي بهذا الغرض مثله وهو ليس من الحجاب في شيء ، ولعله أبعد الأزياء عن آداب الاسلام وصيائمه ، فلباس البدويات والقرويات السافرات الوجوه اقرب الى أدب الاسلام وصيائمه منه ، ولكن الدعوة الى إزالته

بدعوى قبحه — لانه من الحجاب الضار المذموم بزعم هؤلاء الدعاة وبروح التفرنج التقليدي الذي يدفهم اليه — دعوة ضارة مضعفة لمزاج الامة صادعة لبنائها الاجتماعي ، وانما تحسن الدعوة الى تغييره بدعوى مخالفته للأداب الدينية ، وشرف الصيانة الاسلامية ، والى استبداله بزى آخر يجمع بين الجمال والكمال ، ولا يقصد به تقليد أحد من الشعوب والاجيال .

ان المقلد لا يفتك مرتكسا في الضعف يخط في ليل دجوجي

وأما المطلب الثاني من مطالب أعداء الحجاب — وهو اختلاط النساء بالرجال فهو الجلد الذي يؤبه له ويهتم به ، وحسبك من بيان ضرر الدعوة اليه برّوح التفرنج ، وأسلوب دم الحجاب المنسوب الى الشرع ، ما قلناه آنفا في ضرر الدعوة الى تغيير الزي ، وتأمل في الموضوع نفسه لتدرك ما فيه من الضرر أو النفع

فكل عدد نساء المومنين في المدن لا يبلغ معشار  $\frac{1}{100}$  عدد نساء الفقراء اللواتي يعمن في الاسواق والطرق أو يخدمن في البيوت ونساء القرى والبادية ، وهؤلاء هن اللواتي يوصفن بالحجاب ، والجهاد كله في سبيلهن

هذا العدد القليل من النساء يخالط الرجال الاجانب كل يوم في الاسواق والشوارع والمتنزهات ، وكذا في بعض البيوت ، فالتساء المذنيات يشترين بأنفسهن من الرجال كل ما يحتجن اليه من الثياب والحلي والأعطار وأدوات الزينة حتى ما يستعيا من ذكركه . ونرى الكثيرات منهن في ضواحي المدن ومتنزهاتها يركبن مع الرجال في المركبات ، أو يمشينهم في الطرقات ، ومنهن السافرة عن وجهها . والمحاصرة لخدمتها ، وإذا سمعت أخبار بيوت السر من وقائع الشحنة (البوليس) أو المختبرين تعلم ان هذه البيوت النجسة كثيرة جدا ، وان أعضائها من النساء (الحجبات) ، وعشاقهن من الافندية والبكوات والباشوات ، يعدون بالألوف بالآلاف ، دعى ذكر الذين يذهبون بنسائهم الى أوربة فيلبس مدتهم سفرهن ملابس الافرنجيات كما يفعل رجالهن ، ويحتمن معهم أو منفردات عنهم بالرجال في المطاعم والملاهي والملاعب والمراقص ، ودعى ذكر الذين يدخلون أصدقاتهم من الرجال على

نساءهم في بيوتهم، ويأمرؤنهم بمجالستهم رمزاً كلهم وهن حاسرات عن رؤسهن،  
مدبات لنجورهن، لاسافرات عن وجوههن فقط. بل أقول لك همساء ما أنجل  
أن أهر به جهرا: ان المحادثة ذائعة بين التلاميذ والتلميذات

كل هذا كثير شائع في مصر فما الذي بقي ممنوعا من اختلاط النساء بالرجال،  
حتى قام بعض الشبان والشواب يشدون ويجهدون في سبيله في هذه الايام، التي  
صدعت بناء الانسانية أعظم صدع، وحشرت هم الشعوب كله في الخوف على  
استقلالها في الشرق والغرب؟

انما بقي شيان اثنان (أحدهما) ان العرف يحظر على الرجل الاجنبي ان يخلو بامرأة  
أجنبية من هؤلاء المدنيات (كما يحظر الشرع الخلوۃ بكل أجنبية بغير عذر  
شرعي) أو يطلب الافراد بها بزيارة أو غير زيارة. فمخالفة هذا لا تزال تعد  
قيحة في العرف فلا تقع من غير المتهتكين الاخفية.

(ثانيهما) ان هؤلاء النساء لا يجالسن الرجال في مجالسهم الخاصة في البيوت  
ولا العامة في المجمع والملاهي، الا من شذ

أما اباحة خلوۃ المرأة بالرجل اباحة مطلقة بغير نكير فلا يكاد يدكرها محاربو  
الحجاب في مقالاتهم اذ لا يجدون شبهة يزينونها بها، وانما يكثرون اللفظ في  
مجالسة النساء للرجال في المجالس الخاصة والمجامع العامة زاعمين ان ذلك يرقى  
عقول النساء ويزيد في علومهن وآدابهن، وهذه أظهر شبهاتهم في هذا الباب.  
وقد اشرعنا لها طريقا لا نكره عرف ولا شرع فيما كتبناه في المجلد الثاني من المنار  
مقريظا لكتاب تحرير المرأة، وهو أنه يمكن تحصيل هذه الفائدة بمجالسة النساء  
في البيوت لمحارمهن من الرجال كالاخوة والاعمام والاخوال، وأولاد الاخوة  
والاخوات، وبقضاء الازواج أوقات فراغهم مع نساءهم في البيوت، فلماذا يترك  
هذا مدعو الحرص على فائدة الاختلاط ان كانوا صادقين؟

وأما المجمع العامة فقلما يوجد في مصر منها ما يفيد النساء فائدة تستحق  
كل هذا الجهد. فالمجمع العامة الدائمة هي المعروفة بالقهاوي والحانات، وغیر الدائمة  
منها هي المآتم والاعراس، وقد وجد في البلاد قليل من الاندية الخاصة، وأحاديث

الناس فيها كاحاديثهم في الملاهي العامة من كل وجه، ولكن تلقى فيها أحيانا بعض الخطب والمحاضرات التي لا يفهم بعضها الا القارئات ، وهذه المحاضرات تنشر غالبا في الصحف فيمكن لمن يستغدن منها أن يقرأنها فيها ، ولا فائدة للنساء في مجامع الرجال سواها ، ولكنها لا تخلف من مفاسد :

غشيان النساء لهذه المجامع من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن واغواهن إياهن ، ولفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء في الغالب . أما أهل الفضائل والآداب الصحيحة فقليل مام ، وأكثرم — ولا كثرة فيهم — لا يجب هذا الاختلاط ولا يميل اليه . فان وجد فيهم من يرغب فيه للاصلاح الخالص من شوائب الهوى فن ذا الذي يعرف هؤلاء الافراد وهم أندر من الكبريت الاحمر ؟ وكيف السبيل الى جمعهم في أندية خاصة يختلف النساء اليها دون غيرها لاجل ترقية أفكارهن وآدابهن ???

الى متى نفس أنفسنا ، وتنعامي عن فساد الاخلاق والآداب الغالب على نابتتنا ، الذي لم يزد مع تربية التفرنج الاتفاقا واستشراء ؟ أنبذل هذه الصباية الباقية لتسائنا من ارث فضائل سلفنا الى هؤلاء السفهاء ، ونسبي هذا اصلاحا للبيوت باصلاح النساء ؟

اذا كان « خير الناس أنفعهم للناس » كما ثبت في النقل والعقل فالفلاحون في هذه البلاد خير من هؤلاء التفرنجين الذين تلقفوا قليلا من اصطلاحات مبادئ الفنون ، لم يستمدوا بها لعمل ما للامة ، الا ان يكونوا خدما واجراء للحكومة ، التي يعدون للهج بدمها من شعائر الوطنية الصادقة ، فن تستغني الحكومة عن استخدامه منهم بمسون ويصبحون كلا على الامة وعالة على العاملين فيها كالفلاحين ، يا كلون ثمرات أعمالهم ، ويفسدون ما بقي من فضائلهم وآدابهم ، ويحسبون انهم من الأئمة المصلحين فيهم ، ( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون )

ألا ان النساء في حاجة الى العلم والآداب والاصلاح ، وليس الرجال أقل حاجة منهن الى ذلك . ففساد أخلاق الرجال هو الذي أفسد النساء وأضاع ثروة الامة وحل روابطها الاجتماعية ، ولم يندلها بها روابط خيرا منها ولا مثملا

ألا إن هذا الإصلاح الصحيح إنما هو إصلاح النفس بترقية الأخلاق والآداب الدينية أولاً ، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة إلى أن يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الأطفال وإدارة البيوت — وأما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الأمة ديناً وعقلاً وأدباً بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية ، فإن لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون فإن الأمة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها إصلاح ( وما يتذكره الأولو الألباب )

## الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركناً من أركان نهضة الإصلاح الإسلامي في الهند

ورجال هذا الإصلاح في كل الاقطار الإسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى إليها أمر جمهور المسلمين بعد فكت التفرق الديني والسياسي بهم ، وانتشار البدع والخرافات فيهم ، وإضاعة جل ما ترك سلفهم من العلم والمجد التليد ، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المفترجين الذين أصابوا حظاً من اللغات الأجنبية ، وتلقفوا قليلاً من العلوم والفنون الأوروبية ، فأحدث لهم ذلك غروراً بأنفسهم ، واحتقاراً لأمر أمتهم ، فطفقوا يبرقون منها بزلزال عقائدهم وأفكارهم ، وتغيير عاداتهم وأزيائهم ، فوهت فيهم جميع مقوماتها ، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقلدونها ، على أن منهم من يحسبون أنه يمكن جعل أمتهم كلها ، مثلهم أو مثلها .

الباينة بين الجامدين والمفترجين عظيمة ، كل منهم يحقر الآخر ويكرهه ، ويعد علة إضعاف الأمة وانحطاطها . أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق ، ويُنْفَرُونَ ويُفَرِّقُونَ منهم ومن هذه العلوم والفنون ، ويعدونهم آلات الأجانب التي يحاولون بها عناصر الأمة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الأرض في تنمية ثروتهم ،

وإعلاء كلمتهم ، واستعمار البلاد وجعلها تحت سلطتهم — وهؤلاء يرمون أولئك بالتعصب والجهل والخرافات والهمجية ، التي يجب نسفها لإقامة بناء الحضارة والمدنية . ولحق أن كلا منهما مخطئ في شيء ، ومصيب في شيء آخر ، وله مزايا حسنة وزايا ضارة ، وإن الأمة لو سارت على رأي كل منهما وحده لم تكن عاقبتها إلا الانحلال والهلاك .

وأما حزب الإصلاح ، فهو وحده محل الرجاء ، لأنه يقدر ميزة كل من الحزبين قدرها ، ويعرف منافعه ومضاره ، ويريد أن يكون معقد الأرباط والاتصال بينهما بأرجاع كل منهما عن خطئه ، والسير بالأمة في طريق تحفظ به مقوماتها ومشخصاتها ، وتعيد الموروث النافع منها إلى جدته ، وتندرج في استبدال النافع بالضرار منه ، وتهتس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لأمة قائمة في هذا العصر بدونه ، وليس هذا المقام مقام شرح الإصلاح ولا بيان أحوال الأحزاب الثلاثة ، وإنما ذكرنا هذا لبيان مرادنا من قولنا أن فقيد الإسلام في الهند كان ركنا من الإصلاح الإسلامي ولم يكن طلاب الإصلاح إلا أفراداً من الناشئين في بيوت حزب الجود أو حزب التفريخ ، هدام الله تعالى باستمداد في فطرتهم ، وتوفيق في سيرتهم ، إلى معرفة الطريقة المثلى لصالح أمتهم . وكان المعقول أن يكون رجال العلم الديني أقدر على أهل الجود منهم على التفريخ ، ولكن كثير ما كان الأمر على غير ذلك . وسببه أن كبار الجامدين من الشيوخ هم أشد حسداً وبغضاً للمصلح الديني من غيره ، فهم يكدون له ، ويضعون من العوائير له ما لا يضعون لغيره . — فلذلك لم يتم للشيخ شبلي ما كان يريد من الإصلاح في ندوة العلماء ، وكان أدنى الناس إلى مساعدته المتدينون من كبار الدنيا كأُميرة بهوبال . وقد أخبرني رحمه الله تعالى أن الأمير الجواد ، الذي تفاخر به الهند أمراء المسلمين في جميع البلاد ، النواب محمد علي راجا محمود آباد ، عرض عليه مبلغاً كبيراً من المال يدفعه سنوياً لمدرسة ندوة العلماء بشرط جعلها للمسلمين كافة كدروسه عليه كره لا حاجة بأهل السنة . وهذا باب عظيم من أبواب الإصلاح ما كان ليشايعه عليه المتعصبون من أعضاء الندوة ، فلذلك اعتذر للأمير بأن هذا عمل ما حان وقته



وأما الاميرة المحسنة الثقية صاحبة بهوبال ، التي جعلها الله تعالى بعد المصلح العظيم السيد صديق حسن خان ، نصيرة العلم وخادمة الاسلام ، فقد كانت ظهيرة للشيخ في جميع ما يخدم به الدين والعلم من الاعمال . وانا ننشر هنا نص كتاب جاءنا منه ، يشير الى ما كان من صلتها وصلتنا به ، وهو :

الى حضرة السيد المحترم  
منع الله المسلمين بطول بقائه

بعد التحية والسلام

اني لم ازل أقرأ في الجرائد ما تبذلون من السعي في تأسيس دار العلم والارشاد ، وهذه هي بفتنا التي كنا نشدها نحن أهل الندوة ، فجل الله سميعكم مشكوراً ، وتوج عملكم بالنجاح . طالما تاقت نفسي الى زيارة مصر لائقكم ، ولكن هيات فاني قد قطعت إحدى رجلي لرخصة أصابها فقيت جليسا<sup>(١)</sup> للبيت غير قادر على تحمل أعباء الرحلة والسفر . والامر الذي دعاني الآن الى ارسال النيقة ان الاميرة سلطان جهان (يكم) صاحبة ايلة بوفال<sup>(٢)</sup> خرجت راحلة الى لندرة للحضور في حفلة تتويج الملك جرج ، وهي تريد زيارة البلاد الاسلامية وتصل في مصر في شهر رمضان وهي من عطاء بلادنا أعطت مائة ألف روية<sup>(٣)</sup> لتكسيل كلية عليه ، وعينت ثلاث مائة روية جراية شهرية لندوتنا ، وكل لها من أمثال ذلك

ولها شدة عناية بتربية عائلتها ، ولذلك أرادت أن تجلب إحدى المملكات المسلمات من مصر المحروسة ، وقد كتبت الي أن أكون مساعدا لها في انجاح هذا الامر . فالرجو من حضرتكم انها لما تصل الى القاهرة<sup>(١)</sup> وتستدعي من حضرتكم الاستشارة والاستعانة فافعلوا ما يليق بكم من اكرام مثل هذا الضيف الكريم العديم المثل والفضل لكم<sup>(٢)</sup>

شيلي نعماني

لكهنؤ

ندوة

في ٧ مايو سنة ١٩١١

- ١ - يحتمل ان تكون الكلمة « جلسا » بالحاء المهملة المكسورة اذ يقال : فلان جلس بيته ، أي ملازمه . وأصل المجلس ما فرش تحت سرح الدابة أو رجل البعير وعلى الارض في البيت وقد يفرش غيره فوقه
- ٢ - هكذا يكتب الهنود اسم هذه الالة ، والمشهور عندنا ما كان يكتب في مصنفات السيد حسن صديق خان وهو هكذا « بهوبال »

هذا وإن الفقيه رحمة الله تعالى قد اشترك بالمنار من أول العهد لظهوره وكان مواظبا على قراءته معجابه. وقد كان له من حسن الظن بصاحب المنار ما جعله على دعوتنا لرئاسة مؤتمر ندوة العلمي السنوي رجاء زيادة إقبال مسلمي الهند على هذا المؤتمر وما يتبع ذلك من تعضيد الندوة ومساعدتها . وهذا نص كتابه الاول في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الفاضل الاستاذ مولانا رشيد رضا أطال الله بقاءه

لا يخفى على أمثالكم ان اغارات جرجي زيدان على أعراض العرب في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي أكثر من ان تحصى ، وإن كل ما دسه وموه به لا أصل له أصلا ، وحين اطلعت على ذلك كاد قلبي ان يتميز من الغيظ غير اني صبرت وأمنت النظر فيما به نظر . ولما عيل غني الصبر ونأى ، قت على ساق وألفت رسالة أكشف فيها دسائسه ، وهي الآن تطبع وأريد إرسال ما فرغ من طبعه منها اليكم لكي تدرجوه في جريدتكم — وكذلك الى الفراغ منها بأسرها

وما أنبهه اليكم ان ندوة العلماء في كل عام تعقد محفلا عاما يحضر فيه الخاص والعام والامراء والنواب وأهل الحل والعقد ويكون انعقادها هذا في أول ابريل سنة ١٩١٣ فنحن معشر المعتدلين والاراكين نهوى ونود من صميم قلوبنا ان يكون صدر (٣) هذا المحفل العظيم واسطة عقده النظيم حضرتمكم الشريفة ، فان تشرفونا بالقدوم علينا في الهند تهرع أهل البلاد الشاسعة الى هذا المحفل الاسلامي على كل ضامر من كل فيج عميق لمقدمكم المبارك ان شاء الله تعالى ، ويحصل بعون

١- كذا في الاصل ومهما اتفن علماء الاعاجم العربية فانهم يظنون يغفلون في تعريف الاعلام وتكبيرها

٢- لقصر مدة إقامة الامير بمصر لم يتيسر لنا اختيار معلمة يمكن أن تراها ونحضرها ثم لم يتيسر ذلك بعد سفرها أيضا وقد عرضنا ذلك على الآنسة نبوية موسى فطلبت ان يكون راتبها الشهري مئة جنيه مع شروط أخرى ، وأنه ليوجد في الهند معلمات انكليزيات لا يزيد راتب احدهن عن بضعة جنيهات

٣- يمنون بكلمة صدرها نعي نحن عنه بكلمة رئيس وبهذا المعنى يستعملونها في انهم الأوردية

[التاريخ ١٨٣] دعوة رئيس الندوة صاحب المنار الى رئاسة مؤتمرها العام ١٣٢٧

الله لكم ما أنتم بصدد الاجتهاد فيه من اظهار مقاصد مجلس التعليم والارشاد، ويمظم بذلك محفل ندوتنا ويقدر قدره. وفي طي رقيي هذا أرسل اليكم خطبة والي الهند وعيدها، فيظهر لكم منها ان الدولة البريطانية لها عناية تامة بندوة العلماء ولولا ذلك لم تعين لها في كل شهر خمسمائة روية من خزائنها، فان عزم جنابكم على تشريفنا بما اقترحناه فلا عليه ان يلاقي سفير الدولة البريطانية في مصر المحمية وينهي اليه خطبة والي الهند وعيدها في حق ندوة العلماء، وعريضتها عند قدوم الملك المعظم مع ملكته المنظمة قاعدة الهند دهلي، لكي يكون على علم ويستحسن قدومكم علينا، وان أمكن منكم طلب الاجازة بذلك مرقومة فيها فنعم ذلك. ودمتم أفندم، شيلي نعماني  
٥ جنوري (يناير) سنة ١٩١٣ ندوة العلماء — لكهنؤ

جاءنا هذا الكتاب ونحن نستعد لفتح مدرسة (دار الدعوة والارشاد) فكان المانع من اجابة هذا الدعوى أرجح من المقتضي اذ كان لابد من السفر بعد فتح المدرسة بشهر أو أقل — وأنا ناظر موظف لواء والروح المدير في تأسيسها والقيام بها — ولكن أعضاء مجلس جماعة الدعوة والارشاد رأوا ان رحلتي الى الهند خير لمشروعنا لان إشهاره في مثل ذلك المؤتمر العظيم فقرروا في جلسة رسمية إجازتي واعانتي على ذلك اقترح الشيخ رحمه الله تعالى علي أن اسافر بإجازة من عهيد الدولة الانكليزية هناك وأرسل الي خطبة حاكم الهند العام الذي ذكر ندوة العلماء بخير لأتوسل بها الى هذه الاجازة، فكان هذا من بعد نظره وغور فهمه للسياسة، وكان مراده أن تكون هذه الاجازة كتابية فلم يتيسر ذلك، فلقني الشيخ من انكار والي لكهنؤ عليه دعوتي الى رئاسة مؤتمر الندوة مألقي، وأمكنه ارضاءه بما كان أعهده لذلك من الحجج، ومنها ما كتبه لورد كرومر في تأييد شيخنا الاستاذ الامام من مدح حزيه، وخطبة للدكتور مرجليوث الاستاذ الشهير في مدرسة اكسفورد ذكر فيها رأي صاحب المنار في الجامعة الاسلامية بكلام مرضي وثناء حسن

ونحمد الله ان حقق ظن الشيخ رئيس الندوة وأعضائها الكرام فينا، اذ كان الاقبال على المؤتمر في ذلك العام مما لم يسبق له نظير من قبل. ورحم الله الشيخ شيلي وأحسن عزاء المسلمين عنه

تقرير المطبوعات الجديدة<sup>\*</sup>

## خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع

بقلم فقيد العلم والعمل والجد المرحوم علي ابو الفتوح باشا وكيل نظارة المعارف السومرية المصرية، طبعه بأذن المؤلف نجيب افندي مئري صاحب مطبعة المعارف بمصر في سنة ١٩٣١ هـ - ١٩١٣ م على ورق جيد طبعاً نظيفاً مجامد صفحاته ٣٦٠

الكتاب مجموعة مقالات كانت متفرقة في الجرائد والمجلات العربية وغير العربية فجمعت في حياة كاتبها ومر عليها فأصلح فيها ما أراه وزاد في بيان المراد. وهو يطلب من ناشره ومن مكتبة المنار بمصر

جملة مسائل الكتاب مما اشتغل به مؤلفه علماً وعملاً فجاءت وافية واضحة مفيدة ونحن ننقل طائفة عنه من مقالة [الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية] قال :

« يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الفراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة ويتوهمون أن الاحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الاصول الاسلامية ، وأنها بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أتسجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد !

« ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلاً لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا في الرفاهة وتقرير المبادئ المرانية والاجتماعية والقضائية شأواً قليلاً يجاريهم فيه أحد ، الا ان صعوبة كتب التأخرين وكيفية تأليفها ، والتواء أساليبها ، وتعقيد عباراتها ، قد أوسد الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الفراء من غير المتقطعين لدراستها

« ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق ان يقصد المؤلفات القديمة لاتها أسهل مورداً وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتزهرها عن المشاغبات اللفظية ، وليترك هذه الكتب الحديثة للمتقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت

(\*) كتب تقاربط هذا الجزء شقيقنا السيد صالح عخلص رضا وقد تأخر نشره على انه هو قد فسر فيها عهد إليه من كتابة التقاربط حتى اجتمع لدينا كتب كثيرة من مطبوعات السنين الاخيرة

«أذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للإمام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية . وقد ألف هذا السفر الجليل بوسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والاحكام ما يجدر بأمرء المسلمين اتباعه والعمل به

«عبرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة عمدت الى نظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون ولا سيما المشتغلين منهم بالقوانين الافرنجية ان المتقدم لم يترك شيئاً للمتأخر . ولعلمهم يتكبرون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانها لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهمنا حق الفهم ودُرُسنا بعقل وتمييز

«وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان تتكون هذه القوانين والاحكام أكبر احتراماً في النفوس وأشدّ موافقة لآخلاق وعادات من وضعت لهم»

ثم أتى بوجوه قانونية وبنود وافقت فيها القوانين الوضعية الفقه الاسلامي «

### كتاب الانساب للسماعي

تأليف أبي سعيد عبد الكريم السماعي ، فقه الاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في جامعة أكسفورد بالانجليزية عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني وطبع سنة ١٩١٢ على ورق من أجود الورق على نفقة (تدكار جيب) وصفحاته تزيد على ١٦٥٠ صفحة بالقطع الكبير

وضع السماعي كتابه هذا في القرن السادس الهجري وفكان عدة المؤرخين والمحدثين . وقد ذكر في مقدمته فضل علم الانساب وجاء بالآيات والاحاديث في ذلك وعقد فصلاً للبحث على هذا العلم ، وقد زاد الاستاذ مرغوليوث هذا المعنى ايضاحاً اذ وضع للكتاب مقدمة وجيزة باللغة الانكليزية بين فيها المراد بعلم الانساب واشتهار بعض الاعلام من المحدثين بأنسابهم كالبخاري والترمذي والنسائي مما دعا الى تعريف الرجال بأنسابهم .

وقد ساعد المستر السن الاستاذ مرغوليوث فوضع في هوامش الكتاب دوائر صغيرة قباله كل سطر تبدي في ترجمة أحد المترجمين فأفاد ، ولولا ذلك لما أغنى كتاباً كثر الاسماء المترجمة بخط ثخين لان ذلك لم يلزم في جميع صفحات الكتاب اذ لم يكن من نسخ ناسخ واحد ، بل يظهر انه تعاقب عليه عدة نساخ وخطه دقيق ملزوم

بعضه الى بعض ، وينقص بعض كلمة النقط فتتمنى ، لو يطبع ثانية بالحرروف المطبعية بعد مقابلة هذه النسخة بغيرها من النسخ الواضحة الصحيحة كالنسخة التي رآها صاحب المنار في لكتنهور بالهند فتم فائدته ، فنحن أحوج الى هذا الكتاب ممن تولوا طبعه وأحق بإحياء مآثر أسلافنا ، وإتانا شكر للاستاذ مرغوليوث هذه الهدية النفيسة كما نشكر لجمعية [تذكارجب] إحياءها هذا الكتاب وغيره من آثار العرب

### شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام)

طبع هذا الكتاب بمطبعة هندية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، وكتب في طرته ما تقدم ، واه مطبوع بلوادة « أمبراطور ألمانيا وملك بروسيا وملك ورنبرج »

تأليف الشيخ الامام الحافظ المحدث الفقيه أبو ذر محمد بن مسعود الحشني . استخرجه وصححه بولس برونله . وأبو ذر هذا اسمه مصعب بن محمد كما في القاموس ، وهو من علماء الاندلس أخذ عنه الشريشي شارح مقامات الحريري . وكتابه هذا أمالي أمالها في شرح غريب السيرة . وجمله عشرين جزءا وكان ينبغي ان تسمى فصولا لا أجزاء ، وقد طبع طبعاً جيداً في جزئين من قطع أصغر من المنار ، وجعلت أرقام صفائهما متصلة فيحسن ان يجعل مجلدا واحدا فيكون مؤلفاً من ٤٦٦ ص ومن الكتاب عشرة قروش ويطلب من مكتبة ديمر بمصر

### رجال المعلقات العشر

تأليف الشيخ مصطفى الفلايحي استاذ اللغة العربية في مدرستي المكتب السلطاني والسكية الثمانية في بيروت وطبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ على ورق جيد طبعا نظيفاً وصفحاته ٣٦٠ : القطع الوسط وثمانه ١٢ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر .

الكتاب مصدر عمقمتين أولاهما في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام والثانية في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي الى اليوم وصفحات المقدمة الاولى ١٦ صفحة والثانية ٣٠ صفحة ثم الكلام على رجال المعلقات بالتفصيل ويتضمن سيره الشاعر وموته والكلام على شعره ومعلقته وسبب نظمها ونخبه من شعره . وقد ضمنت من الفوائد اللغوية والتاريخية والادبية ما لا يوجد في غيره . وقد جمعه لتلاميذ السنة الرابعة والخامسة في المكاتب السلطانية والسادسة والسابعة في المكاتب الاعدادية أو ما يضاها هذه السنين في المدارس الاهلية (الحنين الى الاوطان) نشرت نبذة منه في هذا الجزء وستقرظه فيها يليه ان شاء الله

أوفى الحكمة من رضاء ومن يؤن الحكمة قد  
أوفى خيرا كثيرا وما يذكركم ألا أولو الألباب

# المسحاة

١٣١٥

فيمر عبادي الذين يستهون بالقول فينبون أحسن  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كفتار الطريق

مصر ٣٠ جادى الآخرة ١٣٣٣ — ٢٣ الثور (٢) ١٢٩٣ هـ ١٤ ش ١٤ مايو ١٩١٥

## اللغة العربية

أقدم اللغات الشرقية وأم المدنية المصرية والبابلية

كنا نستدل على عراقة العرب في المدنية بما روى لنا التاريخ القديم من استعمارهم  
لمصر في عهد دولة الرعاة ( المكسوس ) وغيرهم ، واستعمارهم قبل ذلك للعراقين ،  
وما كان لنا في ذلك الا علم اجمالي ، ثم جاءنا علماء العاديات ( الآثار القديمة )  
بالاكتشافات والتحقيقات التي خرجنا بها من حيز العلم الاجمالي الى حيز العلم  
التفصيلي ، وكان أعظم ما اكتشفوه في حفاثر العراق شريعة حمورابي ( ملكي  
صادق ) الموصوف في المهددين القديم والجديد بأنه ملك البر وملك السلام وكان

الله العلي ، ومن أخبار سفر التكوين انه بارك على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله ، وان ابراهيم أعطاه العشور . وقد بين هؤلاء العلماء ان شريعة حورابي كانت عربية ، وهي أقدم شريعة من الشرائع التي عرفها التاريخ ، وقد زعم بعض علماء الألمان ان التوراة مقتبسة منها ( راجع المجلد السادس من المنار )

وقد نشرنا في المجلد الخامس عشر ( سنة ١٣٣٠ ) خطابا طويلا في اللغة العربية لجبر افندي ضومط امتاذ العلوم العربية في القسم العالي من المدرسة الكلية الامريكانية ببورت أفتاه في الاحتفال السنوي لسنة ١٩١١م آنحفا به ، وموضوعه [ بحث تاريخي فلسفي في مواطن العربية المصرية ونسبتها الى اخواتها من اللغات السامية ] وبما جاء فيه ان العلامة رونسن المؤرخ الاثري يرجح ان المدينة المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءتها من العراق وبلاد العرب ( المنار ص ١١٦ م ١٥ ) وأن الباحثين اتفقوا على ان لغة الاشوريين وقدماء البابليين واحدة ، وان الآثار البابلية تثبت ان الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أهل البلاد الاصليين ، وانما جاءوا من مكان آخر وتغلبوا على أهلها الذين كان لهم مدينة عظيمة إذ كانوا غزاة قاطحين ثم ترجوا الكثير من آداب أهل البلاد بلقتهم السامية ، والظاهر انهم كانوا من جزيرة العرب ( المنار ص ١١٧ م ١٥ )

ثم بين ان اللغة العربية هي أم اللغات السامية وسيدتها ، وان أرومتها الاولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان . وانه انشعب منها فرع الى بلاد بابل بالعراق فاقسم الى شعبتين بدوية وحضرية ، وأن بعض الهائلة والماديين من قدماء العرب هاجروا الى سورية — بعضهم هاجر من العراق لما اضطهدهم الفارسة ، وبعضهم هاجر من جزيرة العرب بقصد التجارة والاستعمار — كما هاجر غيرهم من اخوانهم الى شطوط افريقية فكان منهم الامهرية والحبشة — ( قال جبر افندي ضومط ) ومن هؤلاء المهاجرين كان العبرانيون وأمم الشام من السكنايين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية والفينيقية والعربية ( أي المصرية ) شعبتين من الفرع العادي ، والجرية والحبشية من الفرع القحطاني ( المنار ص ١٩٩ م ١٥ )

أقول ههنا ما تقدم يكون كل من مدينة العراق وسورية ومصر عربي الاصل



ثم تولد من ذلك الاصل فروع استقلت واختلفت باختلاف الدول والملل ، حتى جاء الاسلام فأرجع تلك الفروع كلها - ما قرب منها عن أصله وما بعد - الى الفرع المصري ، فكأنه عد الى أفراد عشيرة كانوا متفرقين متباعدين بحسب كل منه انه اجنبي عن الآخر فجمع بينهم فعادوا الى الوشيع الجامع فكانوا أسرة واحدة لكن علامة الآثار والعاديات المصرية وامام اللغة الهيروغليفية في مصرنا الآن أحمد بك كمال أمين دار الآثار المصرية اظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية والغة المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان ، فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه ألوفاً من السكليات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب إما موافقة تامة وإما موافقة بضرب من التحريف أو القلب والإبدال اليهود مثله في اللغتين . ومن المعلوم ان المدينة العربية القديمة كانت في العاديين والقحطانيين سكان حضرموت واليمن ، وهم الذين استعمروا مصر والعراق وسورية . وقد ضاع أكثر لغتهم ، ولعلها لو دونت كاللغة المصرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر الى اليوم ، حتى فيما نراه يخالف منها المصرية بتحريف أو قلب أو إبدال وكان المشهور عن احمد بك كمال أنه يرى أن العربية أصل للغة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفي ومن لوازم هذا ان أصحاب تلك المدينة كانوا من العرب . ثم إنه رأى نصاً يدل ظاهره على أن العرب أنفسهم أو بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حلاله على الصدق ، وبني عليه محاضرة ألقاها في مدرسة المعلمين الناصرية في العام الماضي . وذلك النص ما وجد منقوشاً في الدير البحري ( مكان بجهة الأقصر ) في زمن الدولة الثامنة عشرة ( كان زمنها من سنة ١٦٠٠ - ١٣٨٠ ق م ) وهي أرقى دول مصر ، وفيه ان المصريين الاولين اشتهروا باسم الاعناء ، ولم يبين النص أصلهم ، ولا من أين جاؤا ، ولكنهم استعمروا الجهة الجنوبية من مصر وأسسوا المدن بأسمائهم . وفيه ان بعضهم هاجر الى القيروان وتونس والجزائر . وبعضهم الى أواسط أفريقيا والصومال ، وبعضهم قطع البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين ، وأطلق على كل عنو من ( المنازع : ج ٤ ) ( ٣٤ ) ( المجلد الثامن عشر )

أولئك الاعناء المهاجرين اسم مركب تركيا إضافيا فصار يقال أعناء كذا واعناء كذا.. ولفظ « أعناء » عربي معناه الاخلاط من الناس يكونون من قبائل شتى. أما نحن فنرى أن ذلك النص ربما كان عن عقيدة تقليدية وهمية بأن مصر الموطن الاول للبشر، والاصل الذي تفرغت منه الشعوب والامم، وينقل مثل هذا عن قدماء الهنود والصينيين. فهذه تقاليد متعارضة ليس لنا عليها دليل عقلي ولا عقلي للترجيح بينها، فنجري فيها على قاعدة تعارضت فتساقطت. على أن أولئك الاعناء المجهول أصلهم مجهوز أن يكونوا من العرب، وأن يكون من هاجر الى جزيرة العرب منهم عاد الى بلاده، وهذا يجمع بين هذا القول وقول العلامة رونسن الذي رجح كون المدنية المصرية الاولى قد جاءت من بلاد العرب والعراق. والامر المتيقن عندنا الآن هو ان لغتنا العربية الشريفة هي لغة قدماء المصريين ومظاهر مدنيته، ونتيجته ان قدماء المصريين من العرب أو العرب منهم فهم أمة واحدة، وكذلك السوريون والعراقيون كما تقدم

وقد رغبت الى احمد كمال بك أن يتحفنا بفصول ملخصة من قاموسه الذي أشرنا اليه ففضل بالاجابة وجعل الفصل الاول في بعض الحبوب والنبات وهذانه

## مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية<sup>(\*)</sup>

١

( في بعض الحبوب والنبات والاشجار والثمار المصرية )

وفيه استطراد الى كلمات أخرى

قَمْح البر القمح الواحدة بُرَّة

قَمْح هو اسم عندهم للقمح والخبز ويميز بينهما برسم النبات عند

(\*) راجع ما ذكرناه عن اللغة المصرية في المتكطف المطبوع في مارس سنة ١٩١٤ وفي تقويم الشرق للدكتور هنري مدور المطبوع سنة ١٣١٥ وذلك في صحيفة ٣٥٠ الى ٣٥٨ وقد رمزنا هنا بحرف (ع) للعبرية وحرف (ق) للقبطية

## نهاية الكلمة في الاول والخبز في الثاني<sup>(١)</sup>

وجد الكثير منه في المقابر المصرية فحفظ بالمناحف واختبرت حبوبه في الزراعة فلم ينتج، وقد اختير الكبايون بعض هذه الحبوب فوجدوها مدهونة بطلاء حافظ لها على مرور الدهر ووجد (شُوَيْفُورْت) قمحا أصغر في الحجم من قمحنا المعروف وهو يشبه القمح البحري وكان يستعمل في الطب والغذاء

حنت حنطة هي البرج ج. حنط

(بُذ) بض يياض : وكلمة البيضاء تطلق في العربية على التمهيع

فهو القوم هو الحنطة وقد ذكر في القرآن الكريم

جل (والجيم ثقلب غينا) غلة ج غلال

شربت ق سريت : سكت - هو الشعير أو ضرب منه ، والشين

ثقلب سينا بالمصرية فيقولون شلم بمعنى سلم ، واللام ثقلب راء وبالعكس

الشعير عندهم صنفان أبيض وأحمر ويصنع منه الخبز والجمعة ومن خزه ما هو محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة، ووجدت حبوبه في مقبرة كاهون بالفيوم من عصر العائلة الثانية عشرة لكن حبه أصغر من شعيرنا الآن وكانوا يتخذون من سوقه منامير

تُقرأ دُرّة

بُقول قول - لان الباء ثقلب فاء كفيوم أصلها بيوم أي البيم،

وكفأى أصله عندهم بأى

قال هيرودوت في كتابه الثاني ان المصريين لم يزرعوا القول في أرضهم فاذا خرج فيها لم يأكلوه لانها ولا ناضجا وان قسوسهم لا يستطيعون النظر اليه لانهم يرون انه نجس ، ومع ذلك فقد ورد عنهم أنهم كانوا يحفظونه ويحفظونه بدليل قولهم (قول هاف) أي جاف، لان فاء الكلمة متلوبة عن الجيم. فلا بد وان يكون قول هيرودوت هذا غير صحيح اذ القول كان ولا يزال من الاغذية المصرية الى هذا اليوم

(١) اصطلاح أهل اللغة المصرية القديمة على ان يرسموا في آخر كل كلمة الصورة الدالة على معناها أو المؤيدة له

عرشان ق. أرشان: بلسُن واحده بلسته. بلسُن. بلسُن: عدس

كمن كمن

سنوت سنوت وهو الثمار أو الكمون

رمان حرمان، إرمان — الرمان. ق. أرمان. ع ريمون

وبالبرية — أرمون

شجر دخل مصر في عصر العائلة الثامنة عشرة وقت انتشار الحرب العظيمة مع أهل آسيا في عهد الملك أحمس وقد وجد مع اسمه مرسوما في صورة البستان التي زين بها (أنا) جدر حجرة قبره بطيبة وهو الذي توفي أيام (تحتمس) الأول الذي كان أول فرعون نجول في بلاد الشام وأخضعها لحكمه وعليه ربما كان هذا الملك أول من جلب لبلاده هذا الشجر ففرس في البساتين. وهذا لا ينافي معرفة المصريين لاسمه من قبل. وما وجد في المقابر منه أصغر حجما من نوعه المعروف الآن فهو شبيه برمان طور سيناء وكان يستعمل قشره لقتل الدود واستعمله القبط للحكة وصنع منه المصريون شرابا في عصر الرمسيسين

دُبجو، ضبجي: تفاح — ق. ججع

وهو الشجر المعروف بحسن فاكهته ويكثر اسمه في القرايين التي يذكر فيها الرمان والزيتون والتين وتدل النصوص على أن وجوده في أرض مصر كان في عصر العائلة التاسعة عشرة

نُرا لوز: وكذا في العبرية والحبشية ونونها قلب لا ماما كما في قلب

ولقب فالاول مصري والثاني عربي

بَرنى لا يزال يعرف في بعض الجهات بالنور وصحته بَرنى اسم للنخلة وللتمر. ويقال تمر بَرنى ولا تكاد الاضافة تكون في البرني لأن

البرني هو التمر وقد ذكر في قول الشاعر —

باتوا يشنون القطيعاء ضيفهم<sup>(١)</sup> وعندهم البرني في جلال دُسم

(١) المنار: رواية لسان العرب: جارم — بدل ضيفهم. والقطيعاء نوع من =

**أَمَم** عَمَّ عَمَّ ج عَمومة، أَعَمَّ، أَعْمَام، أَعْمَة — نَحَلَ طَوَالَ. والالف تنوب عن العين في كثير من الكلمات  
**عَوْنَت** عَوَانَة: نُحْلَة طَوِيلَة

**حُن حُون** أَهَان ج أَهْنَة وَأَهْن: عرجون التمر ما فوق الشماريخ والهناء عذق النخل (فالهاء فيها بدل من الحاء لقرب مخرجيهما)

**طَارُوي** جمار النخل — الجيم والطاء يتناوبان في المصرية كقوتطم: طَرًا بمعنى كَلًا. وهاتان الكلمتان مصريتان عربيتان  
**سِر**: سِلَاج ج سِلَاجَة، وأسل الواحدة أَسَلَة: شوك النخل (الراء بدل اللام) ق سوره سوري

**زَيْتُون** الزيتون ق جويث جيث. ع. زيت:

**زَيْت** زيت وكان يستعمل للاضاءة خصوصا في المعابد  
وجد الكثير من أكاليل الزيتون على رؤوس الموتى التي لا تتجاوز تاريخها العائلة المتبعة للعشرين وعليه يظن أن الزيتون لم يفرس في ديار مصر قبل العائلة الثامنة عشرة لكن وجد مذكورا في نصوص هرم الملك (تيتي) فهو معروف من عهد بناء الاهرام أو قبل ذلك

**كِرْمَا كَنَم**: كرم ج كُرُوم وبالعبدية كرم  
**كَامو**: كرام — صاحب الكرم والممتني به وأصله كرم موفسقطت منه عين الكلمة لان الراء والنون واللام تسقط في كثير من الكلمات.

ق جمي جه

== التمر يظهر من مقابلته بالبري الذي هو أجود الثمران رديء وقيل هو البسر قبل أن يدرك. والجمال ج جلة — كفلة وقيل. وهي قفة التمر، ودسم ج أدسم ودسماء صفة لماولاه باعتبار عثرها

كارج كاريو : أ كارج أكرة وأ كآرون اي حرّاث من أ كَرَّ  
الارض اكرا وأ كره حفرها. وجاء في المصرية والعربية ايضا :

مَن مان الارض شقها للزراعة . والاسم منه :

مَن أمان : مزارع. ويقال ايضا :

سَق شق الارض اي فلقها والسكة الحرث. ق إسكاي. إسخاي

بَاث باث ( المكان ) بيوئه بوثا حفره

بَاي فأى فأوآ وفأيا : فلق ( والباء تنوب عن التاء نحو بدح

وفدح بمعنى ضرب )

قَنَا. كَنَا : قَنَاة ج قنا، وهو الرمح وصاحبه قنا بالتشديد . عود

القنا قصب الذريرة

ويقال له باليونانية ( كانا ) والعبرية ( قناح ) ويذكر في التذاكر الطيبة مع انه لا ينبت بديار مصر ولو اعتمدنا على انه هو المذكور في النصوص المصرية بقصب فتنبأ لساغ نأ ان قول انه كان يستحضر من آسيا في عهد القراعنة وقد اطلق عليه العرب والعبريون والمصريون القدماء اسم قنا

نَزَا : اللوز في العربية والحبشية

سَسِر : زير، أي كتان. وفي القبطية : سال. سول وله اسماء أخرى

وهذا النوع المسمى بالنباتية ( لينوم هيميله ) وجدت بذوره في مقابر العائلة الثانية عشرة والعائلة المتممة للعشرين ويذكر كثيرا في تذاكر الطب واتخذوا منه الغزل والنسيج والثياب الخ

سَسْشَن : سَوَسْن وُسَوَسْن وسوسان - نبات طيب الرائحة

الواحدة سوسنة والجمع سواسن . ق . شوشن . واللاطيني : سوزينوم

ومنه اسم العلم سوزان، وبالبربرية سوشانه وهو اللوطس الابيض المعروف عند المصريين القدماء ولا يزال ينبت في المستنقعات وعلى شواطئ القنوات الى يومنا هذا

عنقب . بالعربية والعبرية .

**حرر** حَلَلَ حَلِيلِي حَرِيرَة حَرِيرِي : حَنُونٌ تَوَرَّ كل شجرة ونبت وقد حنن الشجر والعنب اذا نور ( لان النون عندهم تنوب عن الراء ) وكذلك يقال عندنا في اللغة العامية المصرية الآن وفي المصرية القديمة نقب بدل لقب بالعربية الفصحى وفي المصرية تمن يقابلها في العربية ثقل ، أي بصق . والقلب والابدال لهما أصول في هاتين اللغتين يقتضي مراعاتها لتظهر المقابلة . ومنها :

**حلل** هلل يهلل تهليلًا ، وقد جاء في نقش بمدينة ( أبو ) الواقعة في الجهة الغربية من لوقصر ما نصه [ وكان المحاربون مثل السبع يهللون في بُهرة الاصواء <sup>(١)</sup> ] ( أي وسط الجبال ) [ هذه العبارة قلت بنصها ليعلم وجه الشبه بين اللغتين . ويقال في المصرية والعربية إبهار النهار أو الليل أي انتصف ، وبهر : فاق ، وبهار : صنم ]

**حرر** حرَّ حية دقيقة مثل الجان أو ولد الحية كما في القاموس بد كما بطيخ

**حبا** طبار — أكبر التين <sup>(٢)</sup> بسقوط الراء وتقدم مثله في كلمة كامو تون تين

وجد كثير من التين في المقابر القديمة العهد وحفظ بالمخاف ولا يزال يرى مرسومًا فوق موائد مع العنب والقناء والرمان

**كونت** جنة : تين قل بعض المفسرين في تفسير : ( وطقًا يخلصان

عليها من ورق الجنة ) أي ورق التين **أكنت** : جنة ج جئات

(١) المنار : الاصواء جمع صوى بالضم ، وصوى جمع صوة ( كقوة وقوى ) والصوة ما غلظ وارتفع من الارض فلم يبلغ أن يكون جبلا ، فيظهر أن المصريين أطلقوه على الجبال أو على غير الشامخ منها ، على أن رسم الشامخ وغيره متشابه ، والرسم هو المفسر للغة في كتابهم . وللصوة أيضا الاعلام التي يهتدى بها المسافرين وجماعة السباع (٢) في القاموس أن الطبار ( بوزن الرمان ) شجر يشبه التين

أسى . أسى نبات معروف . قال ابو حنيفة الدينوري ينبت بأرض العرب وبالسهل والجبل وخضرته دائمة

وهو نبت مصري ترى أغصانه في أيدي الرافضات المرسومة على جدران المقابر ووجد من آثاره شيء في قبور تل بسطة بالزقازيق وفي مقابر هواره بالفيوم وقد حفظ في متحف الليد شيء منه

اس بولي أس بري بصر بصل (الراء تنوب كثيرا عن اللام ومنه رأراً ويقابلها في العربية رأراً ولائاً بمعنى لمع) اسل أسلة : الاثل شجر ذكر في القرآن واحده اثلة ج اثلات وأثول ، وهو نوع من الطرفاء والتمر ويقال له بالقبطية: اسى واسه

اعلمنا هيرودوت وبليني ان الاثل كان ينبت في مصر ووجد منه (أنجر) بقايا في طوبة عثر عليها في قرية الكاب بصعيد مصر ووجد شوينفورت فروعا منه في تابوت من العائلة المتممة للعشرين وكثيرا ما تذكر النصوص هذه الشجرة لانها كانت مقدسة عندهم

كمتى كماء زلم الزلم : وهو حب العزيز بسباس بسباسة وهي الشمار بكاء قال ابو العباس النبائي هو شجر معروف عند العرب

بمكة شبيهة باليسام

يسر إيصار أيصر حشيش وبالحبشية اثر . شنت شنت سنط سنط شنتز سنط ق شنت شنته : شجر مصري

قديم يذكر في نصوص الاهرام ووجد من زهره اكايل علي مدينة الملك احمس الاول وامنوفيس الاول كلاهما من العائلة الثامنة عشرة وكانت تصنع من خشبه السفن والتوايت والتمايل واثاث البيوت الخ (المقارنة بقية)

أحمد كمال  
الامين بالمتحف الوطني



## الحم

دروس سنن الكائنات  
محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٦

### (٤) اللحم

يؤخذ هذا الصنف من الطعام من الأنعام والطيور والحيوانات البحرية ،  
ولمئات أكله من الحيوانات البرية هي التي لا تأكل اللحم لحكمة ستظهر في الكلام  
على الديدان المعوية فيما يأتي إن شاء الله

واللحم نوعان: اللحم الأبيض ، واللحم الأحمر . فثالث الأول لحم الأرانب ، ومثال  
الثاني لحم الضأن . والأبيض أسهل هضما من الأحمر ولكن الأحمر أكثر تغذية  
لاشتماله على جزء من مادة الهيموجلوبين فتكثر الدم . واللحم يشتمل على جميع  
الأجزاء الضرورية للجسم تقريبا ، فيه الماء والزلال ونحوه من المواد الأرونية  
كالخلايا والزئبق [ xanthin ]<sup>(١)</sup> وغيرها وفيه أيضا الدهون والمواد  
السكر بوهيدراتية ( انجليسكوجين وسكر العنب والايينوسيت Inosite<sup>(٢)</sup> ) وفيه  
أيضا أملاح عديدة منها فسفات البوتاسيوم وملح الطعام وغيرها ، وكل هذه المواد  
تختلف مقاديرها باختلاف الحيوانات المتنوعة وهي توجد بكثرة عظيمة في لحم الدجاج  
فهو أكثرها تغذية وفي اللحم أيضا حامض السار كولكتيك [ Sarcolactic ]<sup>(٣)</sup>

(١) معناها الاصفر باليونانية لأن هذه المادة صفراء

(٢) سكر اللحم والكلمة يونانية أيضا ، ومعناها الحرفي ( الفضلة )

(٣) لفظ مركب من كلمتين ( Sarco ) يونانية معناها اللحم و ( Lactis )

لاينية . معناها اللبن ، أي حامض اللبنيك المتولد في اللحم

إذا كان جديدا فلذا ينفع في الاسكربوط . ويوجد في الخنزير الشحم بكثرة تفوق سائر أنواع اللحوم الاخرى فلذا كان أعسر اللحوم هضما لأن الشحم فيه يحيط بأليافه المضلية فيحول دون وصول المصارات الهاضمة اليها فيتعب المعدة والامعاء، وقد يحدث منه القيء أو الاسهال، وربما هيأ الزائدة الدودية للالتهاب ولذلك تكثر أصابتها به في بلاد الافرنج فان فساد الهضم من أسباب هذا المرض

وكثيرا ما تكون الحيوانات مصابة بأمراض متعددة مثل الدرن<sup>(١)</sup> والجحرة الخبيثة وأنواع كثيرة من الديدان سذ كرها تفصيلا فيما يأتي، فلذا يجب أن يكون الحيوان المأكول سليما من كل مرض . ويجب أيضا طبخ اللحم جيدا حتى تقتل فيه الميكروبات وأكياس الديدان بقدر الامكان . وأضر ديدان تنشأ من أكل اللحوم هي الديدان التي تنشأ من أكل الخنزير ، وهذه حكمة أخرى في تحريمها . ولا يوهن القارئ ان الطبخ يزيل جميع أضرار اللحوم المريضة فانه اذا قتلت الميكروبات بسبب شدة الحرارة بقيت سمومها وكلما اشتد الطبخ لتأكد من قتلها زاد تجدد المواد الزلالية وعسر هضمها ، على أن الطبخ قد لا يقتل بعض ميكروبات الدرن التي تكون في باطن اللحم لأنه موصل رديء للحرارة

أما لحوم الحيوانات البحرية فن أسهل اللحوم هضما وقد لوحظ أن الناس الذين يأكلونها بكثرة أقوىاء البنية أصحاء، إلا أنه قد يصاب بعضهم بالجذام فلذا ظن بعض الاطباء أن الاقتصار على أكل السمك أو الاكثار من أكل الفاسد المتفنن منه كالفسيخ مما يهيئ الجسم لقبول هذا المرض الخبيث، ولكن ذلك لم يثبت الى الآن

ومن أنواع الحيوانات البحرية الحيوانات ذوات الاصداف كالبلطينوس وهي سهلة الهضم جدا ، غير ان ميكروب الحلي الطفودية قد يوجد فيها

ومن أنواعها أيضا السرطان البحري ونحوه وهي لكثرة أكلها القدرة تضر آكلها بذلك وبشدة عسر هضمها . وأجود أنواع السمك هو الذي يصطاد حيا من المياه الجارية النظيفة . والسمك سريع الفساد فلذا يجب أن لا يترك زمنا

(١) الدرن كثير الحصول للبقر والخنزير ، قليل جدا في الضأن ، ونادر في المعز

طويلا بل يؤكل غصا غريضا. ويعرف السمك الغريض (الطاره) ببس لحمه ، وباتصاف ذيله . والسمك الفاسد المتفنن هو من أضر المأكولات فإنه يتولد فيه من الفساد بعض مواد سمية آرزوتية تسمى Ptomaines<sup>(١)</sup> وهي شديدة الخطر حتى أن كثيرا من الناس قتلوا بسبب أكلهم السردين والفسيسخ، ومن لم يمت منهم قد يصاب بالدوار والصداع والاسهال أو القيء وغير ذلك

أما البطارخ (وتسمى الصفة مَر وهي عبارة عن بيض السمك) فهي أقل فسادا من لحمه ، وهي مغذية محروسة لشهوة الطعام ويشترط أن لا يكثر الانسان من أكلها في المرة الواحدة، وقيل أن أكلها يمسك البطن ويمنع الاسهال

والأسماك ذوات الحرشف هي غالبا ألد طعاما وأسهل هضمًا من التي لا حرشف لها لكثرة دهنها وقذارة المياه التي تعيش فيها، ولذلك حرمت التوراة أكل ما ليس له حرشف (راجع سفر اللاويين ١١ : ٩ - ١٢) ومن أسماك الانهار ما يكون سببا في إصابة الانسان بدودة شريطية كما سيأتي تفصيله

ويقال ان أكل الأطعمة الحيوانية الفاسدة مدة طويلة يسبب الاسكربوط وهو رأي راجح جدا الآن ، وذلك مثل أكل القديد (البسطرما)

(جدول تركيب أشهر اللحوم)

المواد	الثور	المجمل	الخنزير	الحصان	الدجاج	نوع من السمك
ماء	٧٦٧	٧٥٦	٧٣٦	٧٤٣	٧٠٨	٧٩٠٣
زلال وجلاتين	٢٠٠	١٩٤	١٩٥	٢١٦	٢٢٧	١٨٠٣
شحم	١٠٥	٢٥٩	٦٥٢	٢٠٥	٤٢١	٠٠٧
مواد كربوهيدراتية	٠٠٦	٠٠٨	٠٠٦	٠٠٦	١٣٣	٠٠٩
أملاح	١٠٢	١٠٣	١٠١	١٠٠	١٢١	٠٠٨

(٥) الاطعمة النباتية

هذه الاطعمة منها ما يؤكل بلا طبخ كالجزير والفجل وغيرهما، ومنها ما يؤكل

(١) معناها (مواد الجيفة) وهي لفظ يوناني

مطبوخا كالبقول وغيرها . وهي في مجملها تشمل كثيرا من الزلال والدهن والمواد الكربوهيدراتية والحوامض النباتية وأملاح عديدة، وفيها مادة يتعسر هضمها تسمى (السلولوز<sup>(١)</sup>) وهي التي يتكون منها جدران خلاياها وأخشابها وغير ذلك من أليافها أما زلالها فيوجد بكثرة في البقول كالقمح والبقول والعدس والحمص . ويسمى الزلال الذي يستخرج من القمح باللاتينية — الجلوتين ( مادة غروية ) ، وهو لا يوجد فيه بشكله المعروف الا بعد أن يضاف إليه الماء فيتحد مع ما فيه من المواد الزلالية ويتولد هذا الصنف المخصوص من الزلال ، وهو سهل الهضم ، ولذلك كان من الأغذية النافعة المفيدة

وأما الدهن فهو يوجد بكثرة في بعض الثمار كالزيتون واللوز وغير ذلك الا أنه يقل وجوده في بعض البقول كالقمح مثلا

والزيوت نوعان : ثابتة ، وطيارة . فالثابتة هي كالشمع في تركيبها ، ويحصل الانسان عليها بعصر الجبوب بالآلات مخصوصة ، وسميت ثابتة لانها لا تتطاير أما الزيوت الطيارة فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والا كسجين الا أن مقادير هذه العناصر وأوضاعها مغايرة كل المغايرة لتركيب الزيوت الثابتة ، ومن أمثلة هذا الصنف من الزيوت زيت القرنفل ونحوه من الزيوت العطرية ونظرا لكونها سهلة التطاير تُستحصل بالتقطير . فإذا غلي اليوسون مثلا في ماء صعد منه الزيت في بخاره ويمكن الحصول عليه بالانبيق . أما الماء الذي غلي فيه فلا يبقى فيه من هذا الزيت الا النادر جدا أو لا يبقى فيه شيء

الزيوت الثابتة مغذية مليئة وتحترق في الجسم فتولد فيه حرارة عظيمة جدا ، ولذلك يحسن أكلها في البلاد الباردة

والزيوت الطيارة منبهة للأعضاء كلها فتقوي الهضم ودورة الدم وتدر البول وتنفث البلغم من الصدر وتزيد في قوة الحركة الدودية للأمعاء وبذلك تخرج أرياحها وتزيل آلامها ، وهي مطهرة أيضا قاتلة للميكروبات فتطهر الشعب

(١) كلمة اصلها لاتيني معناه (خلية صغيرة) سميت هذه المادة بذلك لتركيب جدران الخلايا النباتية منها

## والامعاء والبول

أما الاملاح التي في النباتات فهي مقادير كبيرة من فسفات البوتاسيوم وفيها أيضا فسفات الحديد وهو كثير الوجود في البقول خصوصا في القمح ، فيكثر دم آكله ، ويقل في الأطعمة النباتية ملح الطعام فلذا يحتاج اليه النباتيون كثيرا فيأخذونه من الخارج . وفي الخضر والفواكه أملاح عضوية وحوامض مثل حامض الطرطريك ( الدرديك ) وهو موجود بكثرة في عصير العنب متحدا مع البوتاسيوم ، وحامض الليمونيك الموجود بكثرة في الليمون والبرتقال ( واليوسف افندي ) والكريز وغير ذلك ، وحامض التفاحيك موجود بكثرة في التفاح والكمثرى (الاجاص) وحامض الاساليك<sup>(١)</sup> يوجد في الحمض والسكرن والطاطم والراوند ، وغير ذلك من الحوامض ، وهي تتحول في الدم الى كربونات قلوية فتدر البول وتذيب حامض البوليك الذي ينشأ من احتراق المواد الزلاية احتراقا ناقصا فينشأ منه القرس (جاء مخصص في الفاصل) والحصوات الكلوية والمثانية . فهذه الحوامض النباتية تساعد على إزالة حامض البوليك الضار بالجسم

والامتناع عن أكل الخضر زمنا طويلا يؤدي الى ضعف بالجسم وتقرح بالثة وحشوث أنزفة متعددة في أنسجة الجسم وخارجه ، وهذه الاعراض كلها هي المسماة ( بداء الاسكربوط ) ولا دواء له الا الخضر والاعذية غير المتقنة

ومما تقدم يعلم ان الاقتصاد على أكل اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية قد يضر بالجسم وخصوصا اذا أكلها الانسان ولم يروض جسمه بالحركات أو الامال البدنية المتعبة فان ذلك يقلل احتراق المواد الزلاية الاحتراق الواجب الذي تتحول به الى ( بولينا ) ليتيسر الكلى أن تخرجها من الجسم بسهولة ذوبانها ، بل يكون الاحتراق ناقصا فيتولد من المواد الزلاية حامض البوليك الذي يحدث مرض القرس والحصوات كما سبق . وهذا المرض كثير الحصول للمتعرفين بسبب إسرافهم في أكل الزلاية كالحوم وغيرها وإقلالهم من الحركات الجثمانية ولذلك يسمى «دواء الملوك» . وللوقاية منه يجب القصد في أكل المواد الزلاية ، والمواظبة على الرياضة

(١) اكسس (Oxys) باليونانية معناها حامض و (Oxalis) اسم الحمض فيها

البدنية ، والاكثر من أكل النباتات من خضر وفواكه وغيرها حتى تذيب هذا الحامض الضار ( أي حامض البوليك ) وتخرجه من الجسم  
وأكل المواد النباتية بلا طبخ قد تنشأ عنه أمراض كثيرة كالحمى التيفودية والدوسنتاريا وبعض الديدان المعوية كالديدان الخيطية الذي يوجد بكثرة في المستقيم عند بعض الناس . والسبب في تلك الأمراض هو وجود بعض الميكروبات وبويضات الديدان في الطين والماء الذي يسقى به الزرع ، فتمتلئ هذه بالنباتات وبذلك تصل الى الانسان اذا أكلها بدون تطهير ، ولذلك يجب غسلها غسلا جيدا متكررا فان ذلك يزيل كثيرا من مضارها ولكن الأولى تطهيرها بالقليل لمن أراد أن يصون نفسه صيانة تامة من هذه الأمراض . ويجب في زمن انتشار بعض الأوبئة كالهيمزة (الكوليرا) والحمى التيفودية أن تتلى جميع هذه المأكولات غليا جيدا أو يترك أكلها حتى ينتهي الوباء

ولما كانت الحوامض كالليمون والحل قاتلة لبعض الميكروبات المرضية كان وضعها على النباتات المضرة كالخس مثلاً أو الفجل هو من أحسن الوسائل التي تقي الجسم شر هذه الميكروبات . أما تأثيرها في بويضات الديدان فهو غير واف بالغرض ، والراجح أنها لا تقي الانسان منها مطلقا  
الكلام في الحبوب وأغذيتها وغير ذلك

(١) القمح ، فيه نشاء كثير ، وزلال ، ودهن قليل جداً ، والمادة المسماة سلولوز وأملاح أهمها فسفات الحديد كالسابق وماء ، أما السلولوز فيوجد أكثره في غلاف حبوب القمح وهو الذي يفصل بالطحن والنخل ويسمى بالنخالة ، وأكلها يهيج حركة الامعاء ويحدث لنا قلداً كان نافعا من هذه الوجهة  
الطبقة التي تلي غلاف القمح تشتمل على الجزء الأعظم من الزلال ولونها أسمر . وأما باطن الحبة ففيه الجزء الأعظم من النشاء

والخبز يصنع بعجن الدقيق بالماء — كما هو معلوم — فيتحول زلال الدقيق الى المادة المسماة جلوتين وإذا أريد الحصول عليها يوضع العجين في قطعة من الموصلي (الشاش) ثم يفرك عدة مرات في الماء فيخرج النشاء الذي في العجين من ثوب الشاش وتبقى

مادة الجلوتين في داخل الشاش، وهذه يصنع منها خبز أو فطير للمصابين بالبول السكري أما الخبيرة فهي مركبة من خلايا نباتية، وفائدتها أحداث الغول (الكحول) وثاني أكسيد النخمس، وهو المقصود بالذات لأنه يحدث الفقاع في المعجن فيجعله اسفنجيا وبذلك يسهل هضمه بعد خبزته. وبالخبز يزول مافي المعجن من الكحول والغاز وتقتل خلايا الخبيرة

(ب) الشعير، وتركيبه يقارب تركيب القمح الا أن زلاله لا يتكون منه الجلوتين باضافة الماء اليه وانما يبقى ذاتيا في الماء، ويصنع من الشعير (ماء الشعير) وهو مغذ قليلا نافع للرضى والاطفال، وإذا وضع على لبن الجاموس أو البقر منع تجمده في معد الأطفال تجمعا كبيرا بل تكون قطع جنية صغيرة متفرقة يسهل هضمها. ولا يصح اعطاء هذا اللبن للأطفال الا اذا خفف بماء الشعير. وكيفية صناعة هذا الماء ان يغل ٥٠ جراما من الشعير اللؤلؤي <sup>(١)</sup> في ٧٥٠ جراما من الماء مدة ٢٠ دقيقة في اناء مغلى ثم يصفى الماء، وهذا الماء هو المسمى بماء الشعير

(ج) القرطم (الشوفان) وهو يشبه الشعير في زلاله وفيه دهن كثير (د) الارز، وفيه نشاء كثير وزلال قليل جدا ودهن أقل من الزلال وسلالوز أقل منها كلها وملح قليل جدا فكأنه لا يشتمل الا على النشاء، وإذا طبخ جيما كان سهل الهضم جدا بسبب قلة السلالوز فيه

(هـ) الذرة، هي مثل القرطم في تركيبه بالنسبة لاشتمالها على دهن كثير وزلال كزلاله، وتقصها كذلك مادة الجلوتين اللزجة فينتجت خبزها وينمو في المتيق منها فطر مخصوص يفسدها. فإذا أكلها الناس فقد يحدث لهم المرض المسمى (باللفرا) وهي كلمة يونانية وإيطالية أيضا معناها «الجلد الوحشي» (Pellis جلد و Agria وحشي) وقال بعضهم إنه قد ينشأ حتى من أكل الذرة السليمة اذا كان الشخص معدما رديء التغذية

وظن آخرون سنة ١٩١٠ أن له ميكروبا ينتقل ببعض أنواع الذباب (السكيت)

(١) شعير ازى قشرة ثم كسرت حبوبه الى قطع مستديرة مسماة بوجود عند كثر من القالين

[ Sandflies ] وقيل إن سببه كسبب الاسكربوط أعني أنه ينشأ من عدم اعطاء الجسم حقه من المواد الضرورية لتغذيته ، فالأسباب أحد ثلاثة : (١) إما الذرة الفاسدة (٢) وإما نقص بعض المواد الضرورية للجسم (٣) وإما ميكروب مخصوص ينتقل بلسع السمكة

وهذا المرض كثير الانتشار في مصر ، وأعراضه : آلام بالمعدة وإسهال متعاص وفساد في الهضم وضعف في الجسم وققر في الدم وطفح يظهر كثيرا في الأيدي والأقدام والرافق والركب والعنق والصدر ، ويسمى هذا الطفح عند الفلاحين ( بالقتشف ) ويكون الجلد فيه خشنا متشققا أسمر اللون أو أسوده ، ثم يتقشر ويضمحل . ومن أضر أعراض هذا المرض ضعف يصيب المجموع العصبي كله فيصاب الإنسان بالضعف العقلي والماليغوليا <sup>(١)</sup> ( أي جنون الكتابة والحزن ) وأعراض أخرى من الجنون كالحشيش . وأعراضه تزول في آخر الصيف عادة ثم تظهر في الربيع ، ويتكرر ذلك كل سنة ، وبعد ٣ أو ٤ سنوات تشتد الأعراض ويزيد الضعف إلى أن يموت المريض . ومدة المرض غالبا ٥ سنوات وفي الحالات الخفيفة ١٠ إلى ١٥ سنة والأطفال قليلو الإصابة به وهو يكثر بين سن الثلاثين والخمسين

وعلاج هذا الداء أن يمنع الذرة بأتا عن المصاب ، ثم تعالج الأعراض التي عنده مثل الإسهال فيعالج بالفذاء اللبني والمواد القابضة المعروفة في الطب ، فإذا زال الإسهال يعطى المريض الأغذية الجيدة السهلة الهضم والأدوية المئوية كالحديد والزرنيخ خصوصا ، وتراعى جميع الوسائل الصحية . وهذا الداء إن لم يتدارك في أول الأمر استعفل واستحال شفاؤه وأدى إلى الموت لا محالة وقد يموت الشخص منه ولا يصاب بالجنون

والذرة التي تحدث هذا المرض هي الذرة الشامية وجوبها كبيرة - كما هو معلوم - وأما الذرة الرفيعة المستديرة فلم يعرف أنها تحدثه

( ١ ) معناها الحرق في اليونانية ( المرة السوداء ) لئوهمهم أنها تخطط بالدم فتحدث هذا الجنون ، ومثل هذه المرة لا وجود لها . وكلمة ماليغوليا من تهريب المتخمين



وتمتاز حبيبات نشاء القمح عن حبيبات نشاء الذرة بتكوير أ كبرها، أما حبيبات الذرة فهي كثيرة السطوح ، وبهذا يمكن بالمجهر تمييز دقيق القمح عن دقيق الذرة (و) الحنظل والبقول والعدس ، هذه المواد فيها زلال أكثر مما في اللحم وفيها نشاء كثير أيضا ودهن قليل ، وفيها أيضا مادة السلولوز ، فهي من أعظم مانعة النباتين من المواد المغذية ، أما زلالها فيوجد فيها متحدة على الاكثر مع الكبريت والفسفور ، وهو غير الجلوئين الذي بالقمح ، ولولا أنها عسرة الهضم لكان للنباتين وجهه وجهه في تأييد مذهبهم (راجع أيضا صفحة ٧١ من هذا الكتاب)

(ز) البطاطس ، فيها نشاء كثير وزلال قليل ودهن قليل جدا وبعض أملاح وسلولوز ، وفيها أيضا مقدار من حامض الليمونيك إما خالصا أو متحدة مع البوتاسيوم والصوديوم والكلسيوم ، ولذلك فهي مغذية جدا نافعة في الاسكر بوط

(جدول تركيب بعض الاغذية النباتية السابقة)

المواد	القمح	الشعير	القرطم	الأرز	العدس	الحنظل	السلولوز
الماء	١٣٦٦	١٣٦٨	١٣٥٤	١٣٦١	١٣٥٥	١٤٦٨	٧٦٥٠
المواد الزلائية	١٢٥٤	١٠٦١	١٠٥٤	٧٦٩	٢٤٦٨	٣٣٦٧	٢٦٠
الدهن	١٥٤	٢٥٢	٥٥٢	٥٥٩	١٥٩	١٥٦	٥٥٢
النشاء	٦٧٦٩	٤٥٩	٥٧٦٨	٧٦٥٥	٥٤٦٨	٤٩٦٣	٢٠٥٦
السلولوز	٢٥٥	٥٥٣	١١٦٢	٠٠٦	٣٦٦	٧٦٥	٥٥٧
الأملاح	١٥٨	٢٥٧	٣٥٠	١٥٠	٢٥٤	٣٥١	١٥٠

(ح) الفواكه ، يكثر فيها الماء وأنواع مختلفة من الحوامض والأملاح والسكر والسلولوز وغير ذلك كالصمغ في التين مثلاً ، وفي بعضها نشاء كثير كالطلع (الموز) فهي مغذية مدرة للبول مغذية لحامض البولييك مانعة للاسكر بوط والنفوس وبعض الحبوب البولية. وطبخ بعضها مما يسهل هضمها كالنخاع والخوخ ، وهو قاتل لما فيها من الميكروبات وغيرها ، وفي البلح والموز — فوق ذلك — مواد زلائية ،

(التار: ج ٤) (٣٦) (المجلد الثامن عشر)

فهما من الأغذية الكاملة

وأكل الفواكه عقب الطعام يمين على الهضم لانها تكثر عصارة الفم والمعدة بلذيد طعمها

### تركيب البلع<sup>\*</sup>

ماء	١٢٠٠٠	مادة صمغية	١٢٠٠٠
سكر (من نوع سكر القصب)	٥٠٠٠٠	سلولوز	٢٠٠٠٠
مواد زلالية	٦٠٠٠		

### تركيب الموز<sup>\*</sup>

ماء صاف	٧٣
مواد أخرى متنوعة	٢٧
أما هذه المواد الأخرى ففيها ما يأتي بالنسبة للمائة : —	
ماء	١٣٠٠٠
مواد زلالية	٤٠٢٥
نشاء	٦٧٠٥٠
صمغ	٤٠٥٠
سكر	٢٠٠٠
سلولوز	٤٠٧٥
زيت ودهن	٠٠٥٠

﴿ تنبيه ﴾ اعلم ان الدهن والزرلالمأخوذ من عالم الحيوان أسهل هضما بكثير مما يؤخذ من عالم النبات . والعبرة في جميع الاغذية هي بما يتمصه الجسم من الاشياء المأكولة ، لا بمقدار ما في الطعام الذي يزرده الانسان من المواد المغذية ، فانها قد تكون عسرة الهضم

(٦) الماء

مركب من الهيدروجين والا كسجين — كما سبق — بنسبة اثنين من الاول الى واحد من الثاني حجباء وهو ضروري جدا لجميع الاجسام الحية فان ٦٤ في

(\*) امدنا بهذا التركيب محمد شوقي بك بكير النباتي الشهير في مصر فشكرا له

المائة من جسم الانسان ماء ، وهو أيضا ضروري لجميع افرازات الجسم ولسيولة الدم ونفسل ما في الجسم من الاوساخ واخراجها في مثل العرق والبول ، وبقبحه اذا خرج في العرق تلتطف حرارة الجسم

والماء عسر الهضم قليلا في المعدة بمعنى أنه يمتص منها يعطى ، ولكنه يمتص بسرعة زائدة من الامعاء ، ولذا كان الاكثار منه مع الطعام أوعقه بقليل محدثا لعسر الهضم بسبب تخفيفه للعصير المعدي . ولكن المقادير المعتدلة منه أثناء الاكل تزيد في افراز هذا العصير ، واذا شرب الماء بمقادير كبيرة في وقت خلو المعدة من الطعام أذى البول وغسل كثيرا من أوساخ الجسم وزاد في سببه ترسيب مواد شحنية فيه وكل التغيرات الحيوية في الجسم فيقتص مقدار حامض البوليك المنفرز في البول وبذلك يقلل تكون الحصوات الكلوية وينسل الصغير منها ، وكذلك يقلل تكون الحصوات الصفراوية في مرارة الكبدة وقنواته

والماء ينمش الخلايا الحية فيزيد في قوة مقاومة الجسم للميكروبات المختلفة . ومن فوائده أيضا انه اذا شرب منه قليل عند القيام من النوم صباحا أحدث لنا عند المصابين بقبض الامعاء

والماء فوائد أخرى كثيرة في استعماله في الفصل والاستحمام سنسكلم عليها — ان شاء الله تعالى — عند الكلام على النظافة

وبالاختصار انه من أكبر ضروريات الحياة بحيث ان الامتناع عن شربه أياما قليلة قاتل لالحالة ، والمزوج منه بالاشربة السكرية وغيرها كالنشاي والمزق قد يفني عن الصرف

هذا ويجب الاحتراس من شرب الماء البارد عقب التعب الجثماني الشديد كأن يشرب الانسان بعد العدو ونحوه من الاعمال والرياضات التعب فان ذلك قد يقتل الشخص بالسكنة القلبية . وشرب الماء الحار مسكن للقيء مساعد للهضم ولكن الماء الفاتر هو من اشهر المقيتات وأبسطها

ويجب خلو الماء من جراثيم الامراض خصوصا وقت فراغ المعدة من الطعام لعدم وجود العصارة الحمضية المطهرة حينئذ

## (٧) الاملاح (ومن أهمها ملح الطعام وهو كلوريد الصوديوم)

هذه الاملاح ضرورية للجسم أيضا لأنها تدخل في تركيب جميع أجزاء الجسم وسوائله ويتكون منها حامض الهيدروكلوريك الضروري للهضم المعدي ، وتذويب المواد الزلالية الموجودة في الدم وغيره من سوائل الجسم، ولولاها لرُسب كثير من الزلال في الأوعية الدموية واللمفاوية فتبطل الدورة . وقلة تعاطي ملح الطعام تحدث ضعفا شديدا وتورما وفقر في الدم وموتاً ، وهذه الاعراض كانت تشاهد كثيرا في بلاد فرنسة حينما كان الناس يمتنعون عن تعاطي الملح بسبب وضع ضرائب عليه . والمقادير الكبيرة من ملح الطعام مثل ملء المعلقة من أحسن المقيّبات فيفيد في الاسعاف لسهولة الحصول عليه في أوقات التسمم ، وهو أيضا يحدث اسهالا اذا اخذ بكثرة . وحقن محلوله في المستقيم يزيل الديدان الحيطية منه ، ويحقن أيضا تحت الجلد وفي الاوردة بنسبة ٧٥٥ جرّامات الى كل لتر ماء معقم عند حصول النزف - كما سبق - وفي تسمم الدم وفي الغيوبة الدايابيطيسية أي الناشئة من البول السكري . والغرض من حقنه أن يخفف من تأثير السم في الجسم ويزيل بعضه بإدخال البول والاكثر من ملح الطعام قد يحدث تورما في الجسم أيضا ، خصوصا في التهاب الكلى الحاد ، لتسرخروج هذا الملح مع البول في هذا المرض ، فيتراكم في أنسجة الجسم ويجذب اليه الماء الذي يتخلف فيها ويحدث الورم ( oedema ) أما الاملاح الأخرى كفسفات الكالسيوم ومركبات الحديد فهي ضرورية لتكون العظام وتولد الكريات الحمراء وغير ذلك . وأملاح الجير موجودة بكثرة في اللبن والبيض والحضر وهي مما ينمي عظام الاطفال ولذلك كان أكل هذه المواد المذكورة واجبا على المراضع لكيلا تصاب أولادهن بداء الكساح

## (٨) التوابل والافاوية والمنبهات

يوجد غير ما تقدم مواد أخرى كثيرة يستعملها الانسان في طعامه وشرابه والغرض منها تنبيه الهضم أو الجهاز العصبي وغيره ، ومن هذه المواد الفلفل والبصل والثوم<sup>(١)</sup>

(١) في الثوم زيت طيار فيه كبريت وهذا الزيت هو السبب في كراهة رائحته كما أنه هو السبب في كراهة رائحة الخثيث

وأشكال البهار المعروفة والقهوة والشاي وغير ذلك  
أما المواد العطرية والبهارات فالشيء الفعال فيها زيوت طيارة تنبه الاعصاب  
والعضلات وتكثر المصارات الهاضمة، ولكن الغلو في تعاطيها مما يؤدي إلى تعب  
المعدة وفساد الهضم

(١) الحل — حامض مخفف معروف، يستخرج أما بالتقطير الجاف للخشب، أو  
بتأكسد الخمر بواسطة بعض الميكروبات فأنها إذا عرضت للهواء مدة طويلة استحوطت  
إلى خل وبطل تأثيرها المعروف. وعناصر الحل ( وهي الكربون والهيدروجين  
والأكسجين ) توجد في الخشب بحالة أخرى، فإذا حل الخشب بالنار في إناء مغلق  
حدث منه الحل. وهو نافع في داء الاسكربوط إلا أنه أقل فائدة في ذلك من  
عصير الليمون، ومن فوائده أيضا أنه يساعد الهضم ويدر البول فهو كإلي الخواص  
التي تأتيه المذكورة آنفا

وحامض الخليك في الحل ( بنسبة ٣-٦ في المئة ) مختلط ببعض مواد أخرى  
( ب ) القهوة — معروفة، وتسمى جوبها بعد تحميصها ودقها « البُن » وهو  
الذي يوضع في الماء المغلي ويشرب. وفي القهوة مادة آروية وقوية ودهن  
وسكر وحامض التنيك ( الدبغ ) وسلولوز وأملاح. أما القهوين فهو أهم  
ما فيها وفائدته تنبيه المخ فيقل النوم، وهو أيضا يقوي العضلات وضرراته  
القلب ويدر البول، فلذا يستعمله الناس لازالة النعاس وتنبيه المخ للأعمال العقلية وفي  
بعض أمراض القلب. والقليل من القهوة أيضا يحدث في بعض الأشخاص لينا  
ولكن لاكثر من تعاطيها يحدث عسرا في الهضم وينتج القوى العصبية، فيحدث  
أرقا وخفقانا وقطعا في ضربات القلب، فلذا يجب عدم الإفراط في شربها. وأحسن  
وقت لاستعمالها أن يشربها الإنسان إذا أحس بالنعاس بعد أن يستوفي الجسم  
الراحة التي يحتاجها من النوم وغيره. وشرب القليل منها عقب الطعام يساعد على  
الهضم، خصوصا بما فيها من الحرارة. وحامض التنيك الذي فيها من أشد المواد  
القابضة فإذا أخذت القهوة بمقدار زائد أحدثت قبضا بدل اللين المذكور  
والقهوة بما فيها من حامض التنيك والقهوين من أحسن ما يستعمل ترياقا للتسمم

بالأفون، ويصح حقنها بمقادير كبيرة في المستقيم عند المسموم به إذا كان في حالة الغيبوبة (ج) الشاي - مثل القهوة في التركيب تقريبا، وفائدته كفائدتها ويصح

استعماله مع اللبن في الاسهال والدوسنتاريا فإنه يحدث قبضا

وطريقة صنعه هو أن يغلى الماء غليسا جيدا ثم يجعل على ورق الشاي بضع دقائق فيخرج منه قيع مشتمل على المواد النافعة في الشاي ويقل بذلك نزول حامض التنيك في التقيح بخلاف ما إذا غلي في الماء، ونظرا لكونه أشد صفا من القهوة جاز استعماله أكثر منها في الاسهال ونحوه لعدم وجود رواسب فيه تؤذي الأمعاء. وحكم الأكار منه أو الأمان عليه كحكم القهوة إلا أنه يحدث التمدد في اللسان (د) الكافور - حبوب شجرة مخصوصة تثبت كثيرا في جزائر الهند الغربية.

ويدخل في تركيبها الماء والزلال والثيوبرومين<sup>(١)</sup> والدهن والنشاء وبعض أملاح وصمغ وسالولوز. وليس في الكافور (تين) ولذلك لا يحصل منها القبض الذي يحصل من القهوة والشاي

والثيوبرومين مادة تشبه للقهوين والشاين في تركيبها وتأثيرها غير أنها تؤثر في المجموع العضلي أكثر من تأثيرها في المجموع العصبي، ولذلك يشعر الإنسان بقوة في جسمه وعضلاته بعد تعاطي الكافور، وهو أيضا مدر للبول، ونظرا لاشتغال الكافور على كثير من الدهن (نحوه في المائة) تعد من الأغذية النافعة وفيها أيضا نشاء كثير. ومن الكافور تصنع (الشوكولاتا) وذلك بإزالة جزء من دهنها ثم يضاف عليها السكر وبعض مواد أخرى عطرية وغيرها فلذا كانت (الشوكولاتا) مغذية منبهة.

وكلمتا «كافور» و«شوكولاتا» مكسيكيتان

ودهن الكافور أو زبدته يستعمل طليا في صناعة الاقاع الشرجية التي تلبس لإزالة بعض الآلام والأمراض التي في الشرج، والسبب في اختيار هذه الزبدة هو أنها تذوب بحرارة الجسم الطبيعية

(هـ) المياه الغازية - مثل ماء الصودا والغازوزة - أهم ما فيها الماء مع

(١) لفظ يوناني معناه الحرفي (إله الطعام)

غاز ثاني اكسيد الفحم. وشرابها منه للهضم مسكن لآلام المعدة والقيء، ويجب أن تعمل من ماء نظيف لكيلا تنقل الى الانسان ميكروبات الاعراض. على أننا نعلم أن ثاني اكسيد الفحم مع الضغط الشديد يقتل كثيرا من الميكروبات التي في الماء.

(د) الخور - يستعملها الناس أيضا للتبني والانعاش، وقد سبق الكلام عليها فلا حاجة للتكرار. وأما قول كلمة في كيفية صنعها فهي نوعان: أحدهما أنها تعمل بتخمير بعض أنواع السكر المستخرج من الفواكه وغيرها كالشعير المستعمل في الحبة (البيرة) والنوع الآخر يستخرج بالتقطير بعد التخمير. فمن أمثلة النوع الاول الحجر التي يسمونها الآن النبيذ<sup>(١)</sup> والبيرة، ومن أمثلة النوع الثاني الكونياك والوسكي. وأهم ما في النوعين هو الفول (الكحول) ولكن فيها مواد أخرى بعضها ينشأ من التخمير والبعض الآخر أصله مما في الفواكه وغيرها

ومن الخطأ الشائع اعتقاد أن شرب البيرة نافع فقد قرر الأطباء أنها ضارة بباقي أنواع الخور، زد على ذلك أنها تهيج الجسم أكثر من بعض الأنواع الأخرى لمرض القرس والروماتزم والسمن الرائد وشرابها بكثرة يفسد الهضم. ويضاف عليها حشيشة الدينار وهي مما يهخر الاعصاب فتحدث ثقلا في الدماغ وميلا للنوم الكثير وفيها مواد أخرى تنشأ أيضا أثناء التخمير وهي ضارة بالجسم ضررا بليغا (ز) الدخان - يسمى بالطباق أو التبغ (Tobacco) وبالتن، وهو ورق

شجرة معروفة. أعظم مادة مؤثرة فيه تسمى النيكوتين (Nicotine) نسبة لرجل يسمى «نيكوت» (Nicot) وهو الذي جلبها لفرنسة في سنة ١٥٦٠ ومادة النيكوتين من أشد السموم فعلا وأقوا تأثيرا وسرعة، وهي تكثر اللعاب وقد تحدث اسهالا وقيئا وهودا (هبوطا)، والاكثر من التدخين قد يحدث التهابا في الحلق وإقهاء (قد قد شهوة الطعام) وتقطعا في ضربات القلب وخفقانا ونزلة حنجرية والتهابا في

(١) النبيذ من الشراب هو قيع الخمر والزبيب ونحوهما وهو اذا طال العهد على قيعه يمتد فيصير مسكرا. ولهذا اختلف الفقهاء في حل شربه. وأما الخمر التي تسمى في عرف هذا العصر نبيذا فهي الحمرمة بالاجماع. وقد اشبع المثار الكلام في ذلك من عهد قريب

العصب البصري يؤدي الى ضعف في النظر وضبور في هذا العصب، وكثيرا ما يعجز الشخص الكثير منه عن تمييز الاحمر من الاخضر

ولا فائدة فيه الا أنه منبه للمخ مرجح للعقل عند كثير من الناس

هذا وقد زعم بعض المؤلفين أن الدخان لا يؤثر في النظر الا اذا كان الشخص من المدمنين للخمر أيضا. والحق أن كلا منهما كاف بمفرده لاحداث هذا التأثير في النظر فتجد أن المدمن للتدخين أو لشرب الخمر (وخصوصا من يواظب على شرب مقادير صغيرة يوميا ومتكررة بحيث لا يسكر منها) اذا بلغ عمره ٣٥ — ٥٠ سنة لا يقدر على القراءة أو الكتابة ونحوهما، ويضعف نظره للاشياء كلها خصوصا في النور الشديد، ويعجز عن تمييز الالوان — كما سبق — وهذه الاعراض تتبدى عنده بسرعة الا أن حصولها كلها لا يتم الا تدريجيا بعد مضي عدة أسابيع أو أشهر من مبدئها وهي كثرة الحصول للاشخاص الذين يجمعون بين ادمان الخمر والدخان وان كان كلا منهما وحده كاف لاحداثها — كما قلنا — أما الذين يسكرون أحيانا وفي القترات لا يدخنون ولا يشربون خرا فهم أقل تعرضا لتلك الاعراض

واذا لم يستفحل الداء ولم يزمن، فجرد الامتناع عن الخمر والدخان كاف لتحسين الحال أو الشفاء، ومما يساعد على ذلك استعمال يودوالبوتاسيوم، وحقن الاستركنين في الصدغ أو تعاطيه من الباطن، والحجامة الجافة والرطبة، والحمام الساخن للاقدام، ومراعاة القوانين الصحية كافة خصوصا ما به اصلاح المعدة، والاستغراق في النوم. ولا بد من المواظبة على ذلك زمنا طويلا مع عدم العودة الى شرب الدخان أو الخمر مطلقا وفي مبدئ هذا المرض ربما لا يشاهد تغييرا في قاع العين — اذا امتحن —

ثم توجد فيه أشياء يراها الاخصائيون بمنظار العين (Ophthalmoscope)

والتغير الذي يحصل في هذا المرض هو كالذي يحصل في الكبد والمخ مثلا لمدن الخمر فتضمر الالياف العصبية بسبب الضغط عليها بالمواد الاتهابية وبما زاد في المنسوخ الضام الذي بينها ثم ينقبض عليها ويفسدها



طبخ الطعام

الطبخ نافع لأسباب عديدة ( منها ) أنه يقتل الميكروبات والديدان ونحوها فيقي الجسم من أمراضها ( ومنها ) أنه في المأكّل النباتية يشق طبقات السلولوز التي تحيط بنشائها ، وبذلك يسهل هضمها ( ومنها ) أنه في اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية يذيب بعض المواد المخصوصة السرة المضمّج جدا ، على أنه يجمد المواد الزلالية التي فيها أيضا إلا أن هذا أخف وطأة من المضار الأخرى التي تنشأ من أكل اللحم نيّئا . ( ومنها ) أنه يفرق الألياف العضلية للحم يتكون قواقع من البخار بينها ، وبذلك يسهل هضمها ، ويجمد المواد الزلالية يسهل مضغها . وسخونة الطعام نافعة للهضم ، متعشة للجسم

وإذا أريد الحصول على مرق من اللحم منقذ قطع اللحم إلى قطع صغيرة ووضع في الماء البارد ثم سخن بالتدريج شيئا فشيئا إلى أن يغلي ، أما إذا أريد الاحتفاظ بالمواد الغذائية وبقاؤها في اللحم دون المرق فيغلى الماء غليا شديدا ثم يوضع فيه اللحم أثناء الغليان ، فإن ذلك يجمد المواد الزلالية في الحال ويكون طبقة تحيط باللحم تمنع نزول المواد المغذية في الماء ، ولذلك كان المرق المصنوع بهذه الطريقة قليل النفع

أوقات الطعام وقوانينه

سبق أن الطعام يمتك في المعدة أربع ساعات في الغالب . ويختلف هذا الوقت باختلاف قدر الطعام ونوعه ، والصحة والمرض ، والراحة والتعب ، ونوع الهواء المستنشق وغير ذلك . ولذا تعود الناس أن يأكلوا مرة كل ٤ أو ٦ ساعات ، وهي طريقة مضمّنة لاعتراض عليها ، ولكن يجب أن يراعى الإنسان - فوق ذلك - في مسألة الأكل عدة أمور ( ١ ) أن لا يأكل إلا إذا جاع ، وبعبارة أخرى أن لا يدخل طعاما على طعام فإن ذلك يفسد الهضم ( ٢ ) أن لا يأكل الإنسان عقب تعب شديد ( ٣ ) أن لا يجمد نفسه بعد الطعام في عمل جبّاني أو عقلي فإن ذلك يصرف الدم عن المعدة إلى الأعضاء العاملة فيتعطل الهضم . وعليه فمن الخطأ المذاكرة أو العجري أو الجماع عقب الأكل مباشرة ، وأضرها الجماع فإن الصدمة المصيبة التي تحدث

للجسم منه قد تقتل الشخص بالسكتة القلبية لاسيما اذا كان القلب مريضاً ، والتمب الذي يعقبه مفسد للهضم . ويلحق بذلك أيضا الاستحمام عقب الاكل فانه ضار أيضا بسبب توجه الدم الى الجلد اذا كان الماء ساخناً ، أما اذا كان بارداً فان حركة المعدة والقلب تضطرب بسبب البرودة ، ثم يذهب الدم عن المعدة حينما تتمدد أوعية الجلد بسبب رد الفعل المعتاد عقب الاستحمام بالماء البارد فتتعب هي والقلب . وكذلك لا تحسن المذاكرة عقب الطعام الا بعد ساعة على الأقل (٤) ان لا ينام الانسان عقب الطعام مباشرة فان النوم يضعف حركة جميع أعضاء الجسم ومنها المعدة فيتعطل الهضم ويضيق النفس . نعم ان الراحة عقب الطعام نافعة ولكن الاستغراق في النوم هو الضار ، ومن المستحسن جداً أن يتعود الانسان تناول الفطور في الصباح مع قليل من القهوة أو الشاي ، فان ذلك يقوي الجسم والهضم حتى انه شوهد في البلاد التي فيها حمى الملاريا ( النافض ) قلة اصابة الاشخاص المعتادين فعل ذلك في الصباح وحسن نيتهم (٥) أن لا يشرب ماءً شديداً البرودة على طعام شديد السخونة

اما الاكثار من الطعام زيادة عن المعتاد فيحدث ضعفا في المعدة وتعددا فيها ، وفسادا في الامعاء ، واحتقاناً في الكبد ، ويتعب الكلى ، ويحدث داء القرس ، واذا كان الطعام الزائد شحماً أو سكرياً أو نشاءاً فقد يحدث سمنة زائدة وانحلالاً في العضلات أو بولاً سكرياً من كثرة النشاء والسكر

والامتناع عن أكل الدهن والشحم البتة يضيف الصحة  
أما الامتناع عن المواد السكرية ودهنية (النشاء والسكر ونحوهما) فيضطر البنية الى احراق ما فيها من الشحم فيتولد من ذلك حوامض شحمية ومركبات عضوية من قبيل حامض الزبدليك (Butyric) وهذه الحوامض تقلل قووية الدم . فان كان الشخص مصاباً بالبول السكري (الديابيطس) <sup>(١)</sup> فقد يحدث له القيوبة التي تكون سبباً في موته لذلك يرى أعلم الاطباء الآن أن الامتناع المطلق عن أكل تلك المواد في هذا المرض — كما كان متبعاً من قبل — خطر جداً ، ولذلك قلنا ان غسل النحل

(١) كلمة يونانية معربة معناها يقرب من معنى كلمة البول أي كثرة البول

ناقم في هذا المرض لانه يغني عن تلك المواد الكربوهيدراتية ، وهو من أسهلها هضمًا ، والقليل منه يكفي ( راجع صفحة ٨٨ من هذا الكتاب )

وإذا أريد تقليل سمن شخص مصاب بالتشمع العام وجب عليه الامتناع عن المواد الدهنية والكربوهيدراتية بقدر الامكان ، والا كثار من تعاطي المواد الزلالية فانها تزيد احتراق أنسجة الجسم . وهذه الطريقة تسمى طريقة بنتنج Banting<sup>(١)</sup>

أما قلة الطعام فانها تحدث ضعفا في الجسم وتقلل قوة مقاومته للميكروبات ، فان من المعلوم أن الكريات البيضاء تزيد عقب الاكل فتكون قوة الجسم على مقاومة الميكروبات أكبر ، فاذا قلت هذه الكريات بالصوم ضعف الجسم وربما صار عرضة لبعض الأمراض . نعم ان الصوم عن الطعام نافع في أمراض المعدة والأمعاء والكبد والكلى وحصواتهما والقرص والروماتزم ( الرثية ) والحميات وأمراض القلب وغير ذلك ، الا أن الغلوفيه له هذا الضرر الذي ذكرناه ، ولذلك نص الشارع صلى الله عليه وسلم على وجوب الاعتدال في كل شيء ونهى عن صوم الدهر وعن الوصال في الصيام واستحب السحور وتأخيره وتعجيل الفطر وقد قال ( ص ) لمن نهاء عن كثرة الصيام والقيام ( ان لبدنك عليك حقا )

ومما يخفف ضرر الصوم عند المسلمين أن يباح لهم أن يتعاطوا كل ما أرادوا لئلا فلذلك كان الضرر الناشئ من الضعف في أثناء النهار قليلا أو معدوما وبجانبه فنع يفوق كثيرا هذا الضرر وذلك هو إراحة الجهاز الهضمي والكبد والجهاز البولي واحراق ما في الجسم من الزيادة الضارة وغير ذلك مما ذكرناه ، ولكن يجب الاحتراس من ملء المعدة عقب الافطار مباشرة فان الجسم تكون قواه في ذلك الوقت ضعيفة وكذلك المعدة . فالواجب طيبا أن يأكل الانسان أو يشرب شيئا قليلا ثم يعود إلى إتمام الاكل بعد صلاة المغرب كما كان يفعل رسول الله (ص)

ولما كان الصوم نافعا من الوجهة الدينية والاخلاقية اغتفر الشارع ذلك الضرر القليل أو المشكوك فيه في جانب نفعه العظيم

(١) كان نجارا من اهالي لندن ، أوصي الجمهور بهذه الطريقة سنة ١٨٦٣ وعاش

وبما يحوز ذلك الضرر الاتعاد عن ملاقة المرضي وكل مالمسهم اثناء النهار  
وصرف الوقت في النوم بقدر الامكان، ولذلك يستحب عندنا في الشريعة الاسلامية  
النوم الصائم فانه فضلا عن فائده الطيبة بإراحتة الجسم وتوفير قواه بقي الانسان من  
الافعال والرفث ولذلك ورد في بعض الآثار ( نوم الصائم عبادة )

## الجهاز البولي ووظيفته

لا يختلف هذا الجهاز في الذكور والاناث الا في الاحليل ( مخرج البول )  
وهو في كل منهما مركب مما يأتي : —

(١) الكليتان وهما عضوان مخصوصان لافراز البول موضعها في القسم القطبي  
من البطن خلف البريتون على جانبي العمود الفقري ويمتدان من الفقرة الاخيرة الظهرية  
الى الثالثة القطنية، والبنى منها منخفضة قليلا عن اليسرى بسبب وجود الكبد في  
هذه الجهة ، وطول كل منهما نحو أربع بوصات، وعرضها نحو بوصتين ونصف  
والكلية عبارة عن منسوج مخصوص مركب من أنابيب كثيرة العدد لا يفراز  
البول من الدم ، والدم يأتي اليها بشريان عظيم متصل بالاورطى ( الابهر ) مباشرة ،  
ويتفرع هذا الشريان في الكلية الى عدة فروع يخرج منها فروع دقيقة جدا  
تنتهي بعمل أشكال كروية تسمى كريات ماليني ( Malpighi )<sup>(١)</sup> يحيط بها  
مبدأ أنابيب الكلئ ، وكل أنبوبة بعد تمرجها عدة تمرجات . تصب في أنابيب  
أخرى مستقيمة ، وهذه الانابيب تفتح في قم حلقات صغيرة ( عددها من ٨  
الى ١٨ ) توجد في بطن الكلية حول تجويف مخصوص يسمى « الحويض الكلوي »  
وهو مبدأ للحالب

(٢) أما الحالب فهو عبارة عن أنبوبة تمتد من الكلية الى المثانة وتحمل البول  
اليها ، ويفتح في قاع المثانة بانحراف ، أغنى أنه يسير قليلا في جدارها بين غشائهما  
الحاطي والطبقة العضلية ، وذلك لمنع رجوع البول فيه بانطباعه على نفسه بسبب ضغط  
البول عليه حينما تمتلأ المثانة به . وكل من الحالبين مركب من منسوج ليفي ومنسوج

(١) مشرح إيطالي عاش في بولونيا ( Bologna ) بين سنة ١٦٢٨ و ١٦٩٤

عضلي وغشاء مخاطي، والغرض من المنسوج العضلي أن يدفع البول نحو المثانة (٣) أما المثانة فهي كيس يسم نحو نصف لتر من البول في امتلائه العادي، وموضعه في الحوض خلف العظم العاني وفي أسفل الجدار الامامي للبطن، والمثانة مركبة من عدة طبقات أهمها الطبقة العضلية والطبقة المخاطية، وفائدة الطبقة العضلية هي قذف البول الى الخارج، وهذه الطبقة العضلية مركبة من ثلاث طبقات: خارجية، وداخلية (والأخيرة تمتد من الامام الى الخلف غالبا) ووسطى، وأليافها حلقية تحيط بالمثانة، وعند فتحة المثانة في الاحليل تتجمع من هذه الطبقة الوسطى الياف كثيرة تسمى « العضلة العاصرة للمثانة » وهي التي تمنع البول من السلس (٤) أما الاحليل فهو اسم لجرى البول في كل من الذكر والانثى، وهو - طبعاً - أطول في الذكر منه في الانثى. أما فتحة في الانثى فهي فوق فتحة المهبل الذي هو عبارة عن مكان الجماع ومخرج دم الحيض والجنين

أما كمية البول فهي في اليوم نحو ١٥٠٠ سنتمرا مكعبا. وهذه الكمية تختلف أيضا باختلاف مقدار الشرب وحرارة الجو وقوة القلب وبعض المواد المأكولة، فإذا اشتدت حرارة الجو مثلا كثرا إفراز العرق وبذلك يقل البول، وإذا شرب الانسان مقدارا عظيما من الماء أو تعاطى بعض المواد المدرة للبول فإن هذه الكمية تزداد والبول حمضي التأثير في ورق عباد الشمس، وهذا في الحيوانات. أما في النباتين فإنه قلوي التأثير. وإذا ترك البول في اناء مدة من الزمن تحولت (البولينا) التي فيه بفعل الميكروبات الى كربونات النوشادر وصار البول قلوي التأثير، وهذا هو سبب رائحة النوشادر فيه

والثقل النوعي للبول يختلف من ١٠١٥ الى ١٠٢٥ وفي البول السكري يزداد هذا الثقل النوعي كثيرا

والبول مشتمل على مواد كثيرة أهمها الماء والأملاح وبعض المركبات العضوية الأخرى كالبولينا

أما جل الماء والأملاح فتفرز بواسطة كريات مالبيني، وأما باقي المواد الأخرى فتفرزها أنابيب الكلى المتفرجة أثناء سير الدم في الأوعية الشعرية التي حولها

والبول الطبيعي خال من السكر ومن الزلال قليلا فلا يوجد فيه شيء منها يذكر<sup>(١)</sup> إلا في أحوال مرضية ، والسكر الذي يوجد حيثئذ فيه هو سكر الغلب ولا يوجد فيه سكر اللبن إلا في المراضع . وأم سبب لوجود الزلال فيه هو التهاب الكلى المسمى «داء بريت (Bright)»<sup>(٢)</sup> الذي يفسد خلاياها خصوصا خلايا كريات مايني . وأم ما يحدث هذا الداء التمرض للبرد الشديد خصوصا عقب الافراط في السكر أو الجوع ، أو الإصابة بالحميات العنيفة كالقمرزية . وهذا الداء من أضر ما يحدث للجسم ، وهو سبب في موت كثير من الناس . وهناك مرض آخر منتشر في الجهاز البولي في مصر يسمى «داء بلباوس» سنكلم عليه عند الكلام على الديدان وإذا أراد الإنسان البول صدر من التخاص الشوكي تيار عصبي إلى المثانة فاقبضت ، وإلى عضلات البطن فاقبضت أيضا ، وفي أثناء انقباضها ترتخي العضلة العاصرة لعنق المثانة فيخرج البول إلا إذا عاقه عائق كحصاة تكونت في المثانة

وقد تكون الحصيات في أنابيب الكلى نفسها وتكون حيثئذ صغيرة جدا كحبات الرمل ، أما الحصيات الكلوية التامة فتكون غالبا في أعلى الحالب أي في الحوض الكلوي وهي السبب في حصول الآلام القطنية عند المصابين بها ، فإذا نزل جزء منها في الحالب انتد المنص بالمصالب إلى درجة مفزعة ، ولا يزول غالبا إلا إذا عادت الحصاة إلى الحوض أو نزلت في المثانة ، أما إذا وقفت في الحالب وسدت تراك البول خلفها وضغط على منسوج الكلية فأثقله وإذا طالت مدته استعالت الكلية إلى كيس عظيم . وأم هذه الحصيات هي حصيات حامض البوليكت الذي يكثر بتعاطي المواد الزلالية مع قلة الحركة الجلجالية — كما قلنا — ولا علاج للحصاة بعد تكونها إلا بالعمليات الجراحية ما لم تكن صغيرة وتخرج بنفسها مع البول . وأحسن المختبرات الحديثة لحرقة مكانها وشكلها وحجمها هو أشعة

(١) في البول الطبيعي ١ في ١٠٠٠٠ من السكر ، وأثر من الزلال ، وكلاهما يصدر ادراكه بالطرق الكهوية المعتادة

(٢) هو ريتارد بريت (Richard Bright) الانكليزي عاش بين سنة

رونجن ( Röntgen ) فأنها تظهر ما في الجسم من الاجسام الصلبة كالخصيات  
والعظام والاشياء الغريبة كالرصاص - وسيأتي الكلام عليها -  
ولخلاصة ان وظيفة الكلى هي إفراز المواد المتخلفة من الاحتراق الداخلي  
للجسم لان بقاء هذه الفضلات فيه ضار به جداً واذا بطلت هذه الوظيفة بسبب  
فساد الكليتين نشأ عن ذلك الموت لتسم الجسم بالمواد البولية، ولذلك يسمى هذا  
التسم بالتسم البولي ( Uraemia ) وبعبارة أصح « تسم الدم بالبول »

### الجهاز التناسلي ووظيفته

هذا الجهاز - وان اختلف في الظاهر في الذكر والانثى - هو واحد في مفعله  
وتركيبه، ولذلك قال ابن سينا<sup>(١)</sup> في قانونه ان آلة التوليد في الاناث « كأنها مقلوب  
آلة الذكران » وهو تعبير يقرب المسئلة الى الفهم وان لم يكن حقيقيا على اطلاقه  
اعضاء الذكر

القضيب والصنع المشتمل على الخصيتين والقناة الناقلة والحويصلات المنوية  
والبروستاتا وغيرها مما سيأتي  
أما القضيب فهو مركب من ثلاثة اجسام اسطوانية الشكل : اثنان منها في  
أعلىها والثالث في أسفلها . ومنسوج هذه الاجسام الثلاثة يشتمل على فجائيف  
عديدة اذا احتبس فيها الدم بسبب ضغط العضلات على الازودة حصل الانتصاب  
وللجسم الاسطواني الاسفل هو الذي فيه الاحليل ( أي مجرى البول )  
ومركز الانتصاب في ( الامتخاخ القطني للخصاخ الشوكي ) الذي يقابل الفقرتين  
أو الثلاثة الأخيرة من القمار الظهرية

والحشفة متصلة بالتسم الاسفل من تلك الاجسام الاسطوانية ، ويغطي الحشفة

(١) هو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا الفيلسوف العربي الشهير ، ولد قرب  
بخارى سنة ٩٨٠ ميلادية وتوفي سنة ١٠٣٧ م ( ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ ) وله مؤلفات  
عديدة جاوزت المئة ، وكان كتابه في الطب المسمى ( القانون ) معولا عليه حتى في  
أوروبا عدة قرون ، وترجم الى عدة لغات ، وطبع بالمرية في رومة سنة ١٥٩٣ م  
( ١٠٠١ هـ )

جلدة تسمى القلفة ، وهي التي تقطع في الختان  
 وقائدة الختان منع تراكم الافرازات تحت القلفة وكذلك تسهيل معالجة  
 ماينشأ في الحفشة من الادواء ، ومن فوائدها أيضا تعريض الحفشة نفسها لشدة  
 الاحساس فتقوى الشهوة ويكون الالتذاذ بالجماع اكمل . وفي بعض الاشخاص قد  
 تكون فتحة القلفة ضيقة فيتعسر خروج البول ويتسبب من ذلك كثرة الزحير  
 فيصاب الشخص بمثل سقوط المستقيم أو الفتق الشري أو الأرتي وغير ذلك  
 وضيق الفتحة هذا هو من أكبر الاسباب لهذه الامراض خصوصا في الاطفال  
 ولا دواء له الا الختان ، وتراكم الافرازات قد يؤدي الى جلد عميرة والتهاب الحفشة  
 والصاقها بالقلفة ، ويهيئها لقبول الامراض الزهرية بل والسرطانية في الشيوخ .  
 ولذلك كان الختان عند فقهاء المسلمين سنة مؤكدة وعند بعضهم واجبا ، ولكنه  
 عند اليهود فرض لا هوادة فيه

الصنف ن : وهو الجلدة المعروفة التي تشبه الكيس وفيها الخصيتان . أما الخصيتان  
 فهما غدتان كبيرتان كحجم البيضة مختصتان بإفراز الحيوانات المنوية . أما تركيبها  
 فهو كما يأتي : يحيط بالخصية غشاء سميك يخرج منه عدة جدران تقسم الخصية الى  
 عدة أقسام ، وفي هذه الاقسام توجد أنابيب طويلة ورفيعة جدا يبلغ عددها نحو ٨٤٠  
 (وقيل ٣٠٠) وطول كل منها نحو من قدمين وربع وقطرها صغير جدا وهي ملتفة على  
 نفسها ومبطنة من داخلها بخلايا مخصوصة تتحول بالتدريج الى الحيوانات المنوية  
 أما هذه الحيوانات المنوية فكل منها عبارة عن خلية واحدة لها رأس وجسم  
 وذنب ، ورأسها هو نواة الخلية ، ولها حركة سريعة جدا ، وإذا رآها الانسان  
 بالميكروسكوب ظنها ديدانا دقيقة أو عقلا ، وتمشي مدة بعد خروجها من الانسان ،  
 وشكلها يختلف باختلاف الحيوانات المتنوعة وأقرب الاشكال شها بحبيوب الانسان  
 حبيوب مني القرد . وإذا انفصلت هذه الحيوانات من خلايا الانابيب سارت فيها ،  
 وهذه الانابيب تتجمع شيئا فشيئا الى ان تتكون منها قناة واحدة تسمى « بالقناة الناقلة »  
 والدم الوارد الى الخصيتين يأتيهما بشريانين رقيقين طويلين يخرجان من الابهر الممتد  
 من القلب خلف التراب الى نهاية الصلب تقريبا ( والصلب هو السلسلة الفقرية



كما سبق ) وهذا الدم يغذي الخصية فتقسم خلاياها بعد ان تتغذى به وينشأ من اقسامها هذه الحيوانات المنوية . وعلى ذلك فأصل المني أو دمه يخرج كما قال تعالى ( من بين الصلب والترائب )<sup>(١)</sup>

أما هذه القناة الناقلة التي يحس بها الانسان في الصنف كحبل صلب فهي تحمل المني الى جدران البطن ثم تدخل البطن ولكنها تبقى خارج البريتون وتستمر في سيرها الى أسفل المثانة وتكون بينها وبين المستقيم<sup>(٢)</sup> وهناك تتحد بقناة الحويصلة المنوية التي في الجهة الوحشية منها ، ويتكون من اتحاد القناتين قناة واحدة تصب في مجرى البول بعد خروجه من المثانة بقليل وتسمى ( بالقناة القاذفة )

أما الحويصلة المنوية فهي كبس صغير كأنوبة ملتفة على نفسها ولها في جوانبها عدة فروع ، وهي تفرز سائلا لزجا رقيقا يضاف الى المني لتسهيل حركة الحيوانات فيه ، وفي هاتين الحويصلتين يتجمع المني الى حين قذفه عند الجماع ونحوه ، فهما مستودعان له

البروستاتا ( وهي كلمة يونانية معناها الإمام ) يحيط بمبدأ مجرى البول بعد عنق المثانة خلف العظم العاني وتحتة ، وهو يفرز مادة تضاف الى المني تسمى بالودي<sup>(٣)</sup> وتنبعث منه بعدة أنابيب تصب في مجرى البول أثناء مروره في البروستاتا ، وهذا العضو كثيرا ما يصاب بالضخامة في الشيوخ فيحدث عندهم عسر البول واحتباسه

وهناك غدتان صغيرتان في العجان على جانبي مجرى البول هما افراز مخصوص يسمى بالمذي وهو السائل الذي ينزل عند المداعبة ، وفائدته تليين

(١) الترائب هي عظام الصدر تطلق على الذكر والانثى وان كان يغلب استعمالها في الانثى ومنه قول امرئ القيس ( ترائبها مصقولة كالسججل )

(٢) لذلك يكثر الاحتلام عند امساك البطن أو عند امتلاء المثانة بالبول ، فلذا يجب اطلاق البطن والتبول قبل النوم لمنع ذلك

(٣) هو ما ينزل أحيانا بعد البول ومن أشهر اسبابه واكثرها شدة الميل الى النساء مع عدم الوصول اليهن ، والتحرق عليهن

قناة البول لتسهيل سير المني فيها ، وتيسير إيلاج القضيب في الفرج عند الجماع . وهاتان الغدتان تسميان غدي ( كوبر ) « Cowper » والقذف يحصل باقتباس الاليف العضلية التي في المجاري المنوية وحوها ، فان في كل هذه الاجزاء المذكورة كثيرا من المنسوج العضلي

ويتبدى تكون الحيوانات المنوية عند البلوغ ، وهو يحصل عادة في بلادنا بين السنة ١٢ و ١٦ وقد يبلغ بعض الغلمان في التاسعة من عمرهم ، وآخرون في السنة ١٨ وإذا بلغ الشخص خشن صوته ونبت الشعر في وجهه وعاتته ووجد فيه الميل الطبيعي للانثى . ويستمر افراز المني الى أواخر العمر ، فقد عرف ان بعض الشيوخ رزقوا بالولد في سن الثمانين بل بعد المئة ، ولكن الميل الشهواني يضعف عادة في الانسان كلما كبر ، وقد يزول في الصغر لضعف أو مرض أو غيرهما ، ويكون حينئذ قاصرا على الميل النفسي وان كانت القوة الجنسية نفسها ضعيفة أو مفقودة بسبب ضعف الاتصاب أو عدمه

### اعضاء الانثى

تبتدى هذه الاعضاء من الخارج الى الداخل بالفرج ، وأجزاؤه هي (١) جبل الزهرة (٢) وهو القبة التي في أعلاه وعليها ينبت الشعر (٣) الشفران الكبيران ، وهما الممتدان من جبل الزهرة الى ما يسمى بالشوكة وهي الفشاء الذي يجمع بينهما عند أسفلهما . وهذه الاجزاء مركبة من جلد وشحم مع جزء من المنسوج المسمى بالخوي ، وفيها غير ذلك أعصاب وأوعية وغدد وألياف عضلية . والشفران في الانثى يقابلان الصفن في الرجل (٤) الشفران الصغيران ، وهما قطعتان صغيرتان من الجلد بين الشفرين الكبيرين ويعرفان عند عامة النساء في مصر بالورقتين ، يمتدان في أعلاهما الى البظر (٥) البظر وهو جسم صغير يقابل في الذكر القضيب ، وهو مثله في تركيبه ونشوئه ، غير أنه مركب من جسمين اسطوانيين فقط ، وله رأس كرأس الذكر ، ولكنه

(١) الزهرة هي ما يسميها الرومان Venus (فينس) وهو الكوكب المعروف ببهاثة وجماله ، وكانوا يزعمون انه ( إله الحب ) والى هذه القطعة من الفرج تنسب الامراض الزهرية الناشئة من الزنا غالبا

غير متغوب ، ولا يوجد فيه الجسم الثالث الذي للرجل ، والبطر عضو حساس خصوصا رأسه ويتحرك بالشهوة وينتصب كالذكر تماما . ولذلك اعتاد الشرقيون من قديم الزمان أن يقطوه وحده أو مع الشفرين الصغيرين ، وتسمى هذه العملية بعملية الحفص ، وهي مستحسنة في الشريعة الاسلامية لانها مما يقلل ثوران الشهوة عند النساء وخصوصا في البلاد الحارة

(٥) غدد ( بارثولين ) وهما غدتان صغيرتان على جانبي فتحة الفرج تفرز كل منهما مادة لزجة صافية تشبه المذي ، وهي تسيل مثله عند تحريك الشهوة في النساء (٦) العذرة ( غشاء البكارة ) وهو غشاء يسد فتحة الفرج كلها أو بعضها ، ولكنه له في الغالب فتحة أو أكثر لتزول دم الحيض ، وله أشكال عديدة أكثرها الهلالي والحلقي ، وقد يكون معدوما بالمرة من أصل الحلقة . وإذا كان هذا الغشاء مسدودا بالمرة امتنع دم الحيض من النزول فيتراكم في الرحم وينشأ منه أعراض مخصوصة يعرفها الأطباء ، وتسمى المرأة المصابة بهذه العاهة بالارتقاء . وعند تمزق هذا الغشاء في العذارى يخرج منه مقدار من الدم كما هو معروف ، ويسمى هذا التمزق بالاقتراض . وفي تمزيقه بالأصبع خطر فقد يتمزق معه المهبل وربما يفضي ذلك الى الوفاة

هذه هي أعضاء المرأة الظاهرة

أما أعضاؤها الباطنة فتبتدى بالمهبل ، وهو أنبوبة عضلية موصلة بين الفرج والرحم ، ولها فتحة مسدودة بالغشاء المذكور وفي أعلى هذه الفتحة يوجد الصماخ البولي ، أي فتحة البول الواصلة الى المثانة . والمثانة في النساء فوق المهبل ووظيفة المهبل هي أن يكون محلا للجماع ومخرجا للجنين ودم الحيض أما الرحم فهو جسم كثري الشكل ، عضلي سميك أجوف ، له فتحة في المهبل وفيه فتحتان أخريان لأنبوبتين تسميان بوقى فلاويوس<sup>(١)</sup> لحمل البويضات الى الرحم

(١) هو جبريل فالوبيوس ( Gabriel Fallopius ) المشرح الشهير ، كان من أهالي بادوا ( Padua ) بقرب مدينة البندقية ولد سنة ١٥٢٣ ومات سنة ١٥٦٢ وهو أول من وصف هذين البوقين وصفا دقيقا

أما (البوقان) فيطنان من الداخل بفشاء مخاطي له أهداب، وطول كل منهما نحو أربع بوصات وطرف كل منهما مشرشر، وخلف البوقين (المبيضان) وهما جسمان يشبهان الخصيتين وليسا أجوفين وفي داخلهما بويضات صغيرة جدا ميكروسكوبية في داخل حويصلات تسمى حويصلات (جراف) وهذه الحويصلات تقرب من سطح المبيض شيئا فشيئا حتى تنفجر فتخرج البويضة<sup>(١)</sup> وتصل الى البوق . والبوق متصل بالمبيض بقناة صغيرة هي جزء من الطرف المشرشر، وهو ينطبق على المبيض حين انفجار الحويصلة

البويضة والبلوغ والياس

أما البويضة فأصلها من الفشاء المحيط بالمبيض الذي هو عبارة عن البريتون . وتتكون هذه البويضات في البنات منذ ابتداء خلقتهن بحيث تولد البنت وفيها عدد مخصوص من البويضات تبلغ الالوف . ويقال ان هذه البويضات تسقط من البنات في زمن طفولتهن قبل البلوغ . ويتفق في البنات البالغات والنساء زمن انفجار الحويصلات وخروج البويضات منها مع زمن الحيض . والرأي الراجح الآن عند بعض العلماء أن كل مبيض تنفجر منه حويصلة مرة في كل شهرين بمعنى أن الحيض اذا اتفق مع انفجار الحويصلة التي في المبيض الايمن مثلا في هذا الشهر انفجرت حويصلة من المبيض الايسر في الشهر التالي وهكذا ، أي ان كل انفجار من مبيض يكون في شهر وحده

وأما زمن البلوغ في البنات عندنا فيكون من ١٢ الى ١٤ سنة ، وفي البلاد التي أشد حرا من مصر كبلاد الهند والعرب كثيرا ما تحيض البنت في السنة التاسعة وزمن الحيض يتفق مع زمن النسل عادة الا أنه ثبت ان بعض البنات حملت قبل أر تحيض ، كما ثبت أن بعض العجائز حملت بعد اليأس . وسن اليأس في النساء هو في الغالب من ٤٥ الى ٥٠ ومنهن من يستمر حيضها الى ما بعد ذلك بكثير كالسنة التاسعة والستين

(١) تشمل الحويصلة عادة بويضة واحدة وأحيانا بويضتين ونادرا ثلاثا و تشمل البويضة نواتين بدلا من واحدة، وذلك من اسباب الحمل التوأمي كما سيأت

الحيض - عبارة عن نزف يحصل من الغشاء المخاطي المبطن للرحم ويصعبه تمزق في هذا الغشاء وسقوط بعض الأجزاء منه ، ولا يحدث الحيض إلا للنساء ولبعض أنثيات القردة ، ومدته تختلف من يوم إلى ثمانية أيام ، وفي الغالب ستة أيام فقط وسبب الحيض وقائده مجهولة إلى الآن . وهو ليس ضروريا لحدوث الحمل ،

فقد شوهد أن بعض النساء لا يحيض مطلقا ومع ذلك تحمل كالعادة  
الخثى - انسان يتعسر أو يتعذر تمييز نوعه ان كان ذكرا أو أنثى وهي

أنواع :-

(١) من يكون في الحقيقة ذكرا ولكن أعضائه تشبه الانثى ، فيكون له صنف مشقوق كشفري المرأة وقضييه صغيرا جدا ولا فتحة فيه وتكون فتحة البول بين الشفرين ، وقد يكون له ثديان<sup>(١)</sup> ولكنه لا يحيض ويتقذف منه المني من خصيتين تكونان غالبا في شفرة وقد تبقيان في بطنه ، وفي هذه الحال لا يمكن الحكم عليه الا بفحص دقيق جدا كأن يمتحن السائل المقدوف منه فان وجدت فيه حيوانات منوية تحققتنا ذكورته وإلا فلا ، وفي مثل هذا الشخص تكون فتحة البول أضيق من المهبل وتتصل بالمثانة ولا يحس بوجود رحم له

(٢) من تكون أنثى وأعضاؤها تشبه الذكور كأن تكون ثدياها ضامرتين وبظرها كبيرا جدا ، ومنهن من يكون رحمها أيضا ساقطا بين فخذيها فيشبه الصنف ، ومثل هذه المرأة قد تشتهي النساء وتميل إلى السحاق ، وتعرف هذه بحصول الحيض لها وعدم وجود أي حيوان منوي في افرازها ، وقد يدرك الباحث فيها وجود المبيضين ووجود الرحم

(٣) من يوجد له مبيض في جهة وخصية في الجهة الاخرى ، ووجدت أحوال نادرة جدا كان الشخص يأتيه الحيض شهريا ومع ذلك يقذف حيوانات منوية ، كشخص عرف في أوربة يسمى « كثرين هوهمان » ( Catherine Hohmann ) لم يعرف له نظير

(٤) قد رأيت اثنين من هذا النوع لاحدهما ثديان كثندي البنت البكر البالغة وقد طلب مني قطعهما فعملت

ومن هذا النوع الاخير من تكون أعضاؤها الظاهرة كأعضاء الذكور والباطنة كأعضاء الانثى ، وبالعكس ، ولا يوجد دليل على أن مثل هذا الشخص لا تلقح بويضاته بحي نفسه ، غاية الامر أن وجود مثل هذا الشخص أندر من الكبريت الاحمر ، وأكثر منه ندرة أن تلقح حيواناته المنوية بويضاته

ولا يوجد عندنا مانع عقلي أو قلبي يمنعنا من تجويز أن تكون مريم عليها السلام من هذا النوع الاخير فسألناها أندر من النادر ، فلا غرابة إذا لم نعرف أنها حدثت لغير مريم ، إذ يندر أن يتفق حصول ذلك في العالم إلا مرة أو مرتين فيتعذر على الناس معرفة ذلك باليقين ، على أن الوثنيين قد زعموا حصول مثل تلك الولادة لبعض آلهتهم ، وربما كان بعض مازعموا صحيحا (راجع كتاب «النصرانية والاساطير» تأليف روبرتسن صفحة ١٦٨-١٧١) ولا ينافي ذلك أن تكون مريم وابنها آية للعالمين ، فإن في كل ماخلق الله آية خصوصا مثل تلك الشواذ العجيبة النادرة جداً ، ولذلك قال تعالى ( وفي خلقكم وما يثبت من دابة آيات لقوم يوقنون ) أما إرسال الملك اليها فقد كان لتبشيرها بمحصول هذا الحل النادر العجيب كما بشر زكريا بالولد مع شيخوخته وعقم امرأته ، وقوله في سورة مريم ( لأهب لك ) قد يراد به أنه متكلم عن الله كما قالت الملائكة المرسلة للوط ( الا امرأته قد دنسا ) أي قدر الله ولذلك ورد في قراءة سبعية قول جبريل ( ليهب لك ) أي ليهب لك الله ، وإنما هو مبشر لها بذلك فقط ، ويؤيد ذلك أيضا قوله تعالى في سورة آل عمران ( ان الله يبدئكم بكلمة منه ) الآية . وأما قول أمها ( إني وضعتها أنثى ) إذا دل على أنها عرفت حقيقتها بقوله تعالى بعده مباشرة ( والله أعلم بما وضعت ) أدل على أنها لم تعرف الحقيقة وإنما حكمت بالظاهر والله أعلم منها بالواقع ونفس الامر . وقوله ( واصطفاك على نساء العالمين ) — أي فضلك عليهن — لا يدل على أنها منهن ولذلك لم يقل ( اصطفاك منهن ) <sup>(١)</sup>

(١) المنار : ان هذا التعبير لا يؤدي معنى الاول . وقد فات الكاتب الجواب عن قوله تعالى « ومريم ابنة عمران » فهو جزم بأنها انثى ، ولعله يدخله في حيز التزجي الانثى في جوابه . وما ذكره احتمال اكبر فائدته زلزال جهود الماديين =

على أننا لم نقل إنها لم تكن امرأة بل نقول « يحتمل أنها كانت لها أعضاء الذكر والانثى وتقلب عليها الانوثة بدليل حملها لعيسى وولادتها له وإرضاعها إياه . وإذا صدقنا كتب العهد الجديد قلنا إنها أيضا تزوجت بعد ولادة عيسى ورزقت بأولاد (مت ١ : ٢٥ و ١٣ : ٥٥) فكانت أعضاء الانوثة فيها أجلى وأكمل من أعضاء الذكر »

هذا ويوجد في الحيوانات الدنيئة ما تتوالد اناثها بلا تلقيح عدة أجيال فيجوز ان ما يحصل في هذه الحيوانات على سبيل القاعدة يحصل مثله في الانسان على سبيل الشذوذه، مثال ذلك أن المعتاد في بعض الحيوانات أن تلد عدة صغار في بطن واحد كالارانب وغيرها وذلك هو القاعدة فيها ، ومن النساء من ولدت ٦ أطفال في بطن واحد ومنهن من كان لها أكثر من ثدين. والخلاصة أن عجائب مخلوقات الله تعالى كثيرة، وله في كل شيء آية

#### التلقيح

التلقيح هو اجتماع عنصر الذكر ( الحيوان الذوي ) بعنصر الانثى (البويضة ) وإذا كان التلقيح بين الاقارب الاقربين كان النسل رديئا لسببين (١) أنه يكون أضعف ممن يولد من زوجين بعيدين <sup>(١)</sup> وهذه القاعدة مضطردة حتى في النباتات فان ثمر الشجرة التي تلقحت أزهارها بأزهار أشجار أخرى يكون أقوى وأحسن، حتى ان ثمرة الزهرة الواحدة اذا تلقحت بزهرة مجاورة لها من نفس شجرتها كانت ثمرتها خيرا مما اذا تلقحت بنفس أبورها ( هو مسحوق التذكير في الزهرة كما سبق ) (٢) انه اذا كان الزوجان قريبين انحصرت في نسلها الاشياء

= الذين يتكرون ولادة عيسى عليه السلام من أم بلا أب. والافالظاهر المتبادر ان خلقه آية من الخوارق المنتظمة في سلك السنن الروحية، لا من فلتات السنن المادية (١) المنار : ورد في الآثار « اغتربوا لا تضرخوا » أي تزوجوا الغرائب لئلا تصيروا ضواة أي ضعايفا نحفاء بكثرة تزوجكم من ذوي القربى ، ولم يثبت هذا في الحديث عن النبي « ص » خلافا لما في صحاح الجوهرى وغيره. وقال عمر بن الخطاب لأل السائب : قد أضويتم فانكحوا في الزرائع . اي الغريبات

الرديئة الموروثة عنهما، أما اذا اختلطت البيوت بعضها ببعض تحسن نسل الرديء منها وبقي، ولولا ذلك لا تقرض أو لبقيت بعض الامراض العقلية والجثمانية متوارثة في نسله الى ما شاء الله، فلهذه الاسباب حرم القرآن الشريف زواج الاقارب الاقربين وبالجماع ينصب المني في مهبل المرأة فتسير حيواناته المنوية الى الرحم ويساعدها في سيرها حركة امتصاص تحصل في الرحم نفسه، فاذا وصلت الى الرحم ذهبت الى البوقين، وهناك تتجمع في البوقين وتعيش بضعة اسابيع فاذا صادفتها بويضة لقحتها، واذا لم تتلقح البويضة تموت بعد خروجها من الحويصلة ببضعة ايام والتلقيح عبارة عن دخول رأس الحيوان المنوي وجسمه في البويضة مع سقوط ذنبه فيتحد هذا الجزء من الحيوان المنوي بنواة البويضة بعد أن يفصل عنها جزء كبير منها، والتلقيح يحصل عادة في بوق (فلوپیوس) والذي يراه جمهور العلماء أن حيوانا واحدا يلقح بويضة الانسان، ومنهم من يرى أن الذي يلقحها (أو يمتزج بها) حيوانات عديدة — وهو الأرجح —

وليس الجماع ولا التذاذ النساء ضروريا لحصول التلقيح بل قد يكفي قذف المني على باب الفرج ولو كانت الفتاة عذراء أو نائمة أو مخدرة بالكلورفورم فان ما للحيوانات المنوية من الحركة كاف لتوصيلها الى البوقين، ولذلك ورد عن النبي (ص) ان العزل لا يمنع الحمل كما هو مشهور في الاحاديث، ومن ذلك قوله (ص) «اضنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد»



## نموذج من كتاب كنز الحقائق

في فقه خبر الخلائق

﴿ فصول متفرقة والعناوين فوقها من وضع النار ﴾

### البدعة الشرعية

(فصل) البدعة الشرعية الامر الحادث في الدين بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، لم يدل عليها دليل من الكتاب والسنة، وكل بدعة ضلالة، وهي كثيرة سما في عصرنا هذا. فانهم قد أحدثوا في الدين أشياء ما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه—كعقد مجلس الميلاد، والقيام عند ذكر الولادة وأنشاء عيد الميلاد<sup>(١)</sup> وقراءة الفاتحة على الحلو والطعام، والاجتماع لقراءة القرآن في اليوم الثالث<sup>(٢)</sup> وإيصال الثواب الى الميت بتعيين يوم أو وقت وتسريح السرج على القبور<sup>(٣)</sup> وبناء التوايت<sup>(٤)</sup> ونصب الاعلام، وذكر الخلفاء بعد كل ترويقة، وتسمية الصغابة والسلاطين في الخطب، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل الاذان والاقامة<sup>(٥)</sup> والتوبيخ والترجيم وأمثالها.

### علامة أهل الحديث

(فصل) من علامات أهل الحديث الجمع بين الصلاتين حالة الاقامة والصحة الحاجة دينوية أو دينية، والمسح على الخفين والجوربين، ولو غير نخبين، والمسح على العمامة، ورفع اليدين في ثلاثة مواطن—عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع وعند القيام من التشهد الاول، ووضع اليدين على الصدر، والجهر بآمين، وقراءة التسمية أول كل سورة، وقراءة الفاتحة خلف الامام في كل صلاة، والاعتدال في

(١) أي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ومثله سائر الاحتفالات التي جعلوها كالتعائير الدينية. وقد اتفق الفقيه ابن حجر المكي بكون القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) بدعة كما تراه في كتابه الفتاوى الحديثية ولكن لم يبال بفتواه أحد (٢) أي بعد موت الميت الذي يقرأ لأجله (٣) لعله يريد طلب إيصال الثواب (٤) يريد إيقاد السرج (٥) أي للقبور (٥) لعل هذا معتاد في بلاد المؤلف (الهند) وفي بعض بلادنا يزيدون في آخر الاذان ما يزيدون من ذلك وكله بدع

الركوع والسجود والقومة، وأداء الصلاة وقراءة السور على وفق السنة .  
التقفة والعامي والتقليد

(فصل) اذا كان الرجل يعرف الحديث والقرآن فيعمل عليهما ولا يقلد أحدا من المجتهدين ، والعامي الذي لا يعرف الحديث والقرآن يسأل العلماء ويعمل على قولهم <sup>(١)</sup> والمجتهد يخطئ ويصيب ، ومع خطائه له أجر ، ويجوز ان يكون الرجل مجتهدا في بعض المسائل ومقلدا في بعضها ، ويجوز له ان يعمل بالرخص ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بقدر القدرة ، ولا يجوز العنف والتشدد في المسائل الاختلافية .

#### بيعة الصوفية والباس الخرقه

(فصل) البيعة الشائمة بين الفقهاء لها أصل من الشرع وهي بيعة التوبة، أما إلياس الخرقه والقلنسوة وأمثالها من مراسم الفقر فلا تثبت بالنقل الصحيح ، ويجب علينا ان نحب أولياء الله كلهم ونعظمهم من غير ان نفضل بعضهم على بعض ، ويجب ترك قولهم اذا خالف الحديث .

#### علامة أهل البدع

(فصل) لاهل البدع علامات وهي التوقيعة في أهل الاثر وتسميتهم بالوهابية والنجدية والعرشية والصفانية والجسمية والمشبّهة، وهم برآء من ذلك لا يصدق عليهم الا الاسم الواحد «وهو أصحاب الحديث» كثرهم الله وأبغاهم الى يوم القيامة

#### باب الانجاس

يظهر البدن والثوب بالماء ولو مستعلا حتى لا يبقى عين ولا لون ولا ريح ولا طعم . ولو <sup>(٢)</sup> عسر زوال الاثر فلا يضر ، ولا يجوز بغير الماء . والخف والنعل بالذئب <sup>(٣)</sup> ولو كانت النجاسة رطبة أو يابسة أو غير ذات جرم . والمني طاهر وغسله وفرك الياس منه اركي وأولى . وكذلك الدم غير دم الحيض - ورطوبة الفرج <sup>(٤)</sup> والشر وبول

(١) اي يسألهم عما يجب عليه في كتاب الله وسنة رسوله (ص) لاعن آرائهم ومذاهبهم (٢) لعل الاصل (واذا) (٣) أي ويظهر الخف أو النعل بدل كهما بالأرض كيفما كانت نجاستهما (٤) مخطوف على قوله : والمني طاهر

الحيوانات غير الخنزير. ولا نجس عندنا الا غائط الانسان وبوله ودم الحيض وبول الخنزير وخراؤه والروث ولحم الخنزير وشحمه والحمار الانسي والميته. فيجب تطهير كل نجس قليله وكثيره حتى الرشاش ، وتطهير الارض بالييس أو صب الماء عليها ، ويطهر البساط الذي لا يمكن غسله بصب الماء عليه. والحديد والمرأة والزجاج بالمسح ، والاستحالة مطهرة

(فصل) أيما إهاب دهن فقد طهر وشعر الانسان والميته والخنزير طاهر وكذا عظما وحافرها وقرنها ومقارها .

(فصل) لا تنزح البئر بوقوع نجس أو موت حيوان فيها اذا لم يتغير أحد أوصاف الماء. فان تغير فيجب نزح الماء كله أو الى ان لا يبقى التغير

(فصل) بول ما يؤكل لحمه طاهر وكذا سوره وجميع الأسار غير سؤر الكلب والخنزير فنبه قولان وكذا في ريق الكلب ، والعرق كالسؤر

### ﴿ أهم أخبار الحرب الاوربية والآراء فيها ﴾

إن الاخبار الصحيحة والآراء المفيدة لاتكاد تستنبط من الجرائد الانكسدا ، وإن للمجلات من الأناة والروية في الاختيار ما ليس للجرائد اليومية ولا غير اليومية أيضاً ، واننا نمحس ما وقفنا عليه من الاخبار والآراء الكثيرة بالجل الآتية في هذه الحرب

(١) الدول المتحاربة فريقان — دول التحالف الانكليزي ودول التحالف الألماني ( يُنسب كل حلف الى أقدر دولة التي هي محل رجاء الرجحان له ) فالاول هو الراجح في الحرب البحرية حتى أن رجحانه حال دون منازلة الآخر له ، الا ما تفرقه القواصت من سفنه . والثاني هو الراجح في الحرب البرية الى هذا اليوم

(٢) اتفق رجال السياسة والحرب من الفريق الاول على أن السبب الاول لرجحان الفريق الثاني في الحرب البرية هو كثرة الذخائر والاسلحة عندهم ، فتوجهت همه دولة كلها الى الاستكثار من ذلك ، حتى أن انكثرة انشأت وزارة خاصة سُميت وزارة الذخائر جعلت المئات من المعامل الحرة تحت مراقبتها ، فصارت انكثرة

وفرنسة - وهما دولتا العلم والصناعة في هذا التحالف - تعملان من الذخائر والأسلحة أضعاف ما كانتا تعملان من قبل ، ويقدران أن استعدادهما واستعداد حلفائهما لا يتم الا في ربيع السنة القادمة ، على انهم يشترون الذخيرة والسلاح من الولايات المتحدة واليابان بمئات ألوف الألوف من الجنيهات

(٣) كانت الروسية قد رجحت على النمسة رجحانا ظاهرا فانزعزت منها غالبية ووصلت الى أعالي جبال الكربات المشرفة على سهول المجر وسباسهم ؛ ولكن ألمانية انجدها في ربيع هذا العام بزهاء مليون ونصف مليون من جيشها ، فأجلت الروسية عما كانت استولت عليه من بلادها ، وانزعجتا منها ما انزعجتا من مملكة بولندية وغيرها ، ولا يزال لهما الرجحان في مطاردتها ، والفضل الاول في ذلك لمدافعهما الضخمة التي تدك أعظم الحصون والمعقل ، ولكثرة ما عندهما من الذخيرة ، وقد اتسع ميدان هذه الحرب فامتد من بحر البلطيق في الشمال الى آخر حدود بولندية في الجنوب . ويقال ان الالمان يطعمون في الوصول الى بترغراد ( بطرسبرج ) عاصمة الروس ، والنسويون مع الالمان يمدون أعناقهم الى أودسه أعظم ثغور الروس في البحر الاسود

(٤) الحرب في الميدان الغربي ( فرنسة وبلجيكة ) سجال ولكنها حرب مطاولة لا مناجزة ، والالمان هم الذين يهاجمون الفرنسيين والانكليز والبلجيكيين في الغالب ، والفريقان معتمضان في الخنادق ، وقلما يرجح أحد من خطوط خصمه شيئا الا ويسترده منه الآخر

(٥) الحرب بين إيطالية والنمسة سجال أيضا ، ولكنها لا تزال بطيئة الحركة ضعيفة التأثير لا يكاد العالم يشعر بوجودها

(٦) الحرب في جوار الدردنيل سجال أيضا ، وهي مناجزة لا مطاولة ، والحلفاء هم المهاجمون في الغالب ، على أنها حرب خنادق كحرب الميدان الغربي

(٧) أخبار الحرب في العراق قليلة جدا ومما لا ريب فيه ان الانكليز قد استولوا على جزء عظيم من ولاية البصرة

(٨) أخبار الحرب في القوقاس وما يسمونه أرمينية أقل من أخبار الحرب في العراق ، وأبعد عن الثقة من جميع الاخبار ، فانه لا يعرف منها شيء الا ما يذيعه الروس

في كل شهر أو أشهر من أخبار معركة كان لهم الرجحان فيها ، ومن أخبارها أن ضلع الأرمن في البلاد العثمانية معهم حتى أنهم يقاتلون معهم ، وهذا خبر مقبول ومنظر ، وكان العثمانيون يقاتلون الروس في بلاد القوقاز الروسية ، ومن أخبار الروس الأخيرة أنهم هم استولوا على مدينة (وان) العثمانية بمساعدة الأرمن فيها ونصبوا عليها واليا من زعماء الأرمن . ويقال إن الترك فتكوا بالأرمن فتكاً ذريعاً

(٩) أن كل فريق من الأحلاف اجتهد منذ اشتعلت نار الحرب في جذب الدول التي على الحياد إليه ولو بالعطف والمودة ، فجاز التحالف الانكليزي بالترزاع الإيطالية من التحالف الألماني وحملها على خوض غمرات الحرب منه ، وهو يذل جهده منذ سنة لجذب دول البلقان إلى قتال العثمانية والنمسة ، ولا يزال البلقانيون بين الإقدام والإحجام ، لما بينهم من أسباب النزاع والخصام ولطمعهم في تراش الترك والنسايين من جهة ، وكرهتهم أخذ الروسية للاستانة وزقاني البوسفور والدردنيل من جهة أخرى ، دع ما للنمسة والألمانية من النفوذ في البلقان ، ولألمانية خاصة من النفوذ في الرومان واليونان ، فإن ملكي البلقان والرومان من أسرة عاهل ألمانية ، وملكة اليونان أخته ، فوشيجة الرحم لها تأثير عظيم ، ولكن أكثر الشعوب البلقانية أميل إلى التحالف الانكليزي ، ولا سيما الشعب اليوناني ، فانه شديد البغض للترك والطمع في كثير من بلادهم ، وشديد الميل إلى محاربتهم لذاتهم ومحاربتهم لهم

(١٠) قد اختلف الباحثون في عاقبة هذه الحرب وتقييماتها والمقول انه اذا نُصر أحد الفريقين نصراً مؤزراً وظفر ظفراً تاماً ، فإن رأس دوله تكون لها السيادة العليا في أوربة والشرق كله ، ولكن دول الفريق الآخر أو ما بقي منها ... تذلل وتخزي زماناً طويلاً تبذل فيه كل ما يستطيع بذله المستضعف المستذل في مقاومة خصمه من الكيد والحيلة ، إلى أن يستدير الزمان ، وتبدل له من عدوه الأقدار ، وأما اذا طال أمد الحرب حتى ضعف الفريقان وهددت قواهما ، ولم يرجح أحدهما على الآخر بشيء ، أو رجح بالدرهم أو القيراط ، فلم يكن باستطاعته السيطرة على خصمه ، والاستمرار على قهره ، فيوشك أن تكون شروط الصلح متعادلة ، وتبقى الموازنة بين

الدول متقاربة، ويستمر ذلك عشرات من السنين يظهر فيها نبوغ الشعب الذي يفوق غيره في الهمة والاستعداد. وهالك أشهر ما قيل في طمع كل فريق من الآخر إذا انتصر انتصارا تاما أو قريبا من التام

(١١) مقصد دول التحالف الانكليزي من الحرب الذي لا يكفون عنها باختيارهم ما لم يصلوا اليه، هو ازهاق الروح العسكري البروسي الذي نفخ في جميع الشعوب الالمانية حب الحرب، واعتماد كونها فضيلة وكالا للبشر - ثم حل عقدة الوحدة الالمانية وارجاع ممالكها الصغيرة الى ما كانت عليه قبل الوحدة التي أنشأها البرنس بسمرك سنة ١٨٧٠ ومنها من الاستعداد لحرب ثانية، والاستيلاء على الاسطول الالمانى. ثم حل امبراطورية النمسة والمجر واعطاء كل دولة من دول التحالف أبناء جنسه منها. وبهذا يستميلون دول البلقان اليهم الآن، لان في النمسة ملايين عديدة من الرومان والسلاف والطلين وغيرهم - ثم تمزيق المملكة العثمانية وتقسيمها

ومن البديهي الذي لا يحتاج الى النص ارجاع بلجيكة كما كانت أما الآستانة والرقاقان العظيمان اللذان على جانبيها فالارجح أن روسية لا ترضى بها بديلا ان ظفروا ظفرا نهائيا بعد ما أصابها من الخسارة التي هي أضماض خسائر سائر حلفائها. ويقال ان حلفاءها أنفسهم يشترطون تدمير حصون البوسفور والدردنيل ونزع السلاح منها وعدم تسليحها في المستقبل. وقيل ان الآستانة تكون منطقة حرة. ولكنها ان صارت الى الروس فلا بد ان يقتنموا أول فرصة لتحسين الرقاقين بحدان يستعدوا لذلك سرا

(١٢) اذا ظفر التحالف الالمانى ظفرا تاما فلامشهور أن ألمانيا تريد أن تضم مملكة بلجيكة الى ممالك الاتحاد الجرمانى، ولا يدري أيراد جعل بولونية مستقلة أم تابعة لها أم للنمسة ولا بد حينئذ من جعل النفوذ الاعلى في البلقان للنمسة، ويقال

إن ألمانيا لا تطمع في أخذ شيء مما استولت عليه من مملكة فرنسة، الاسواحل  
بحر المانش، ولكنها تطمع في جميع مستعمراتها الافريقية الشمالية، وتعطي الدولة الألمانية  
القوقاس الروسية أيضا. وقد اشتهر انها تمنحها بانشاء امبراطورية  
اسلامية كبيرة. ثم انها تفرض على خصومها غرامة حرية ثقيلة، وأما استعادة ما أخذ  
من مستعمراتها، فهي من البدييات التي لا حاجة الى ذكر طلبها لها. هذا أقل ما يقال  
عنها، وقيل بل هي تطمع في جعل أوربة كلها تحت سيطرتها، لما وجد في مؤلفات  
غير واحد من رجال العلم والسياسة والحرب فيها، من الحث على السعي لجعل العالم  
كله خاضعا لتنفيذ الألماني ومستمدا من الحضارة الألمانية

ومن الناس من يقول ان هذه مزاعم افترها أعداء ألمانيا لينفروا عنها الشعوب  
التي على الحياد ويحملوها على مناوأتها، ولكن وجد من القل عن الالمان ما يدل  
على ذلك، وهو غير بعيد عن العقل وشواهد التاريخ، فان بطرس الاكبر على كونه  
هو البادئ بثقوية روسية كان يرمى الى هذا الغرض، ونابليون الاول كان يمني  
نفسه به، ومن أصول تربية الامم أن يثبت فيها عقيدة تفضيل نفسها على غيرها،  
وكونها أجدرها بالسيادة والسعادة، وكل أمة لا تعتقد هذا الاعتقاد لا يمكن أن  
تسود وتعتز، ولكن الأمة اذا لم تبين جميع أعمالها الاجتماعية على أساس هذه العقيدة  
يقتلها داء الفرور، ولا سيما اذا احتقرت غيرها من الامم ولم تقدر مزاياها حق قدرها،  
ومن المحتمل ان يكون بعض علماء الالمان بثوا في أمتهم هذه العقيدة لاجل ان ينهضوا  
بها في ميادين المسابقة والمباراة للامم التي سبقتها الى الاستعمار وغيره، ثم اغتروا  
وصلوا اليه من العلم والثروة والاستعداد الحربي تقرب ذلك الى عقول كثير من حكامهم  
وقوادهم انه يمكن لدولتهم القضاء على قوى الدول الاستعمارية الثلاث (انكلترة وفرنسة  
وروسية) وجعلن تحت سيطرة ألمانية، وحينئذ تتمتعن من تجديدا الاستعداد للعرب،  
فتنفرد بسياسة العالم في الشرق والغرب، ولا يبعد ان تزين لكثير منهم فلسفة حب  
السيادة ان هذا يكون خيرا للبشر، لانه يمنع أسباب الحروب بمنع تنافس التعاضد  
الذي من شأنه ان يكون بين الاقتران من الدول كما يكون بين الاقتران من الافراد، وأن  
يشغل هؤلاء الفلاسفة أن العالم لما صار باتصال بعضها ببعض كالامة الواحدة وسوجب

أن تكون له دولة واحدة ترجع اليها السلطة العليا كما ترجع سلطة الولايات من المملكة الواحدة الى السلطة العليا في عاصمة المملكة، لان التفرق مدعاة العداوة والشقاق المفضي الى التقاتل والتفاني

وقد يرد عليهم فلاسفة سائر الامم بأن ما يزعمونه خيال تولد من اقتران حب السلطة، بالفرور بالقوة، وأن حب السلطة غريزي في البشر فلن ترضى أمة بسيادة غيرها عليها مختارة، ولا سيما الامم التي تمكن في قلوب أهلها عز الحرية والسيادة، فلا يزال المسود يكيد للسائد، وينربص به الدوائر، وقد انقرض في الارزاس والاورين جيل ويوجد جيل. فكان الجيل الجديد كسلفه يكره الالمان ويحب الفرنسيين، فالفلسفة الحق ان انتظام البشر لا يتم في هذا الزمان الا ببنائه على قاعدة استقلال الشعوب والاجناس، وأما القوة التي فوض اليها الحكم اليوم بين المتنازعين على السيادة في الارض فلا يمكن ان تظل محتكرة للغالب، فاذا كانت هذه الحرب لا تنتهي بابطال قاعدة ( الحق للقوة ) وبالرجوع عن فكرة سيادة الاقوياء على الضعفاء، واكمالهم على الخضوع لما يسوسونهم به ويلزمونهم إياه، وبوضع قواعد مضمونة للمساواة العامة بين جميع الشعوب والاجناس يكون بها الادنى مختارا في اقتباس العلم والحضارة من الاعلى، - اذا لم تنته هذه الحرب بهذا وتضمنه جميع الدول بقانون تعاهد على تنفيذه بالقوة والاتفاق على قتال المخالف له، فلا شك في كونها تكون اشأم حرب على البشر، لانها لا يمكن ان تفضي الى رضا المغلوب بسيادة الغالب، بل تفضي الى استمالة المغلوبين لغيرهم من الشعوب المغلوبة على أمرها، والمكرهة على الخضوع لغيرها، والاستعداد لحرب مثل هذه أو شر منها، وان ظن الغالبون انهم قادرون على ان يحولوا دونها.

ونحن نرى ان هذه الفلسفة الاخيره هي الصحيحة، المؤيدة بروح الحق والفضيلة، فحسبى ان يكون لناولسائر الامم الشرقية نصيب منها، اذا أراد الله برحمته ان يكون المنتهى اليها.



## مدرسة دار الدعوة والارشاد

قد اضطررنا في السنة المدرسية الماضية ( سنة ١٣٩٢ هجرية شمسية ) ان نجعل الاجازة الصيفية قبل موعدها بشهر ، بقرار من مجلس ادارة الجامعة ، وسبب ذلك قطع وزارة الاوقاف المصرية ما كانت قررته من الاعانة للمدرسة ، وعدم الرجاء في شيء يذكّر من التبرعات بسبب العسرة الحاضرة ، حتى ان الشيخ قاسم ابراهيم قطع اشترأ كه السنوي في جماعة الدعوة والارشاد قبل الحرب . وقد كنا نتفق على الطلبة بالتقنين في تلك السنة

أما مقدار إعانة الاوقاف فقد كان خمسمائة وخمسين جنيهًا ، وقد كنا موعودين من قبل الديوان بمضاعفته أضعافا ، حتى ان محمد محب باشا الذي عين أول ناظر للاوقاف - بعد تحويله الى نظارة - قال لي أمام بعض الفضلاء في داره قبيل سفره الى الاسكندرية في رمضان العام الماضي : إنه يمكن ابلاغ الاعانة في هذا العام الى ألف وسبعمائة جنيه . وأما يمكن الزيادة علي ذلك فيما بعدها من السنين . قال ذلك بعد أن دقق النظر في نظام المدرسة وميزانيتها وبعد زيارته لها واختباره لحالها بنفسه

ولو طلبت المبلغ الذي كان مقررا في أول العام الماضي عقب تصديق الجمعية التشريعية على ميزانية الاوقاف لقبضته ولكنني فضلت حفظه في خزانة النظارة على حفظه في صندوق المدرسة ليؤخذ بالتدريج عند الحاجة الى لانفاق . ولما طلبت بعضه عند الحاجة الى الصرف - لقرب دخول السنة الدراسية - اتمتع وكيل الاوقاف محمد شوقي باشا من الصرف ، معللا منعه بوجوب الاقتصاد وقلة الدخل بسبب الحرب . فراجعت رئيس النظارة ( حسين رشدي باشا ) مرارا فوعده بالمساعدة وأحالني على عدلي باشا الذي كان نائباً ن محمد محب باشا في نظارة الاوقاف ووعده بتوصيته . وبعد عدة مراجعات أمر عدلي باشا بصرف ٣٠٠ جنيه أقساطا ، وقال لي اذا كثرت الواردات بعد ذلك ندفع لك الباقي . وقبضت حينئذ ستين جنيها من الاعانة ثم تحولت الاحوال وتغير شكل الحكومة فأعطى اسماعيل صدقي باشا الذي ( المنار : ج ٤ ) ( ٤٠ ) ( المجلد الثامن عشر )

تولى (وزارة الاوقاف) قليلا وأكدي (أي منع الباقي) فكان مجموع ما قبضته من الاعانة يدي ١٣٥ جنيا . وكنت أحلت ادارة أوقاف محمد شريف باشا الكبير على النظارة بأجرة مكان المدرسة بكتاب مني قبلته النظارة وصارت تدفع ما يستحق من الاجرة أقساطا شهرية . ولكن وزارة اسماعيل صدقي باشا منعت فيما منعت اعطاء بقية الاجرة . كانت الاجرة كلها ١٣٠ جنيا دفعت وزارة الاوقاف منها ٩٧ جنيا ونصفا . ورجعت علي ادارة وقف شريف باشا بمبلغ ٣٢ جنيا ونصف جنيه فوفيتها حسابها

فعلم من هذا ان مجموع ماصرف من اعانة الاوقاف للمدرسة في العام الماضي ٢٣٢ جنيا ونصف جنيه وهو دون المبلغ الذي كان أمر بصرفه عدلي باشا موقتا ولما علمنا ان الوزارة الجديدة قطعت الاعانة كلها البتة ، غلبنا حسن الظن ورددنا على من اساءه ، وقرعنا جميع الابواب التي هي مظنة الرجاء لاعادته ، بمحبة ان هذه المدرسة الدينية الخيرية ليس لها دخل ثابت سواء ، وانها أحوج الى الاعانة من كل المعاهد العلمية والخيرية التي تساعدنا وزارة الاوقاف حتى من الجامعة المصرية ومدارس العروة الوثقى والجمعية الخيرية — فألقينا جميع تلك الابواب موصدة في وجهنا ، ولكن باب الله تعالى لا يوصد ، فاتكالا عليه عز وجل سفتح المدرسة في السنة المدرسية القابلة كما فتحناها في السنة الماضية ، ولكننا لانفق على الطلبة شيئا . ولا نقبل في القسم الداخلي طالبا جديدا الا أن يأتي الله بفتح بعض أبواب رزقه ، أو أمر من عنده

أما موعد فتح المدرسة في السنة الدراسية القابلة فسيكون ان شاء الله تعالى في أول الخريف الثاني (منزلة العقرب) الموافق منتصف شهر ذي الحجة الحرام خاتمة سنة ١٣٣٣ فمضى ان تكون السنة القابلة سنة خير ويسر ، وان جاءت بعد شدة وعسر (ان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا)

تصحیح بیت من الشعر

في (ص ١٢٠ ج ٢) استفتاء في بيت من الشعر وقع غلط في أول كلمة منه وهي «جدير» وصوابها «مليء» وقد فأتنا ان تصحيحه في الجزء الثالث

## تقريظ المطبوعات الجديدة\*)

### كنز الحقائق من فقه خير الخلائق

كتاب في فقه الحديث تأليف العلامة وحيد الزمان الملقب بالتواب وقار نوازجك بهادر. طبع في العام الماضي طبعا حميرا في مطبعة شوكة الاسلام ببلدة بنكلاور بالهند على ورق جيد. وصفحاته ٢٤٢ بقطع النار وبيع في مكتبة المنار وثمنه عشرة قروش الكتاب مختصر من كتاب مطول للمؤلف اسمه [ نزل الابرار من فقه النبي المختار ] وحسبنا من تقريظه ما يراه القراء في النموذج الذي اقتبس منه ونشر في هذا الجزء من يسر مذهب اهل الحديث ، على أن فيه مسائل اجتهدية واغلاطا معظمها من الناسخ منها ما يدرك بالبداهة

### البيان والتبيين

كتب أبي عيान الجاحظ كلها مختارة في الفصاحة والبلاغة عند أهل الادب وهذا الكتاب منها أشهر من نار على علم ، فهو مستغن عن تقريظ أهل هذا العصر . وحسبهم ما قاله فيه حكيم العرب ، وأمام أهل العلم والادب ، عبد الرحمن بن خلدون في الكلام على علم الادب من مقدمته ، وهذا نصه :

« سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين ، وهي ( أدب الكاتب ) لابن قتيبة ، و ( كتاب الكامل ) للمبرد ، و ( كتاب البيان والتبيين ) للجاحظ ، و كتاب ( النواذر ) لأبي علي القالي . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها ، وفرع عنها »

وحسبنا من معرفة مكانة الجاحظ في البيان والبلاغة تنويه امامهما الزمخشري به في خطبة الكشف وخطبة أساس البلاغة - وما كانت الخطب بموضع التنويه بالدهاء ، ولكن قد يذكّر فيها أئمة العلماء والحكماء

(\*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقةنا السيد صالح مخلص رضا

طبع كتاب البيان والتبيين بمصر منذ عشرين سنة طبعة رديئة كثيرة الاغلاط ، فاضطر الادباء وطلاب الانشاء الى اقتنائها ، والاستفادة منها على علائها ، حتى نفذت نسخها ، وغلظتها ، فسخر الله تعالى في العام الماضي محب الدين افندي الخطيب المحرر بمجريدة المؤيد وعارف افندي الحايري لإعادة طبعه . فطبعا طبعا حسنا على ورق حسن . وعني الاول منهما بتصحيحه وضبط اشعاره بالشكل ، وقد تمب في مراجعتها في مظانها من الدواوين المخطوطة والمطبوعة وفي كتب اللغة والادب ، تمبا لا يعرف كنهه الا من عني بذلك ، وقد جعل ثمنه عشرة قروش من الورق النباتي ١٥ قرشا من الورق الابيض وبطلب من مكتبة المنار بمصر

### الحنين الى الأوطان

نشر في جزء الشهر الماضي من المنار نموذج من هذا الكتاب مصدر بعبارة وجيزة في وصفه والفائدة من مطالعته ، كطالعة سائر مصنفات مؤلفه ، ( الملاحظ ) مقرونة بالوعد بتقريظه ، وقال صاحب المنار : ان هذا الكتاب يشرح غريزة حب الوطن ، التي هي من أقوى غرائز البشر ، بأفصح العبارات ، المأثورة عن أبلغ الاعراب ، والشعراء والكتاب ، فهو من هذه الجهة كتاب فلسفة ، كما انه من حيث عبارته كتاب أدب ولغة ، ومن شواهد حب الوطن عن أهل هذا المصر ما اختبرناه من حال مهاجرة السوريين في مصر وأمريكا وغيرها من الاقطار ، فاننا نراهم على عراققتهم في المهاجرة والانتقار واثرائهم في بلاد أرقى من بلادهم عراقنا وحرية ، لا يفتشون يمنون الى أوطانهم على كثرة شكواهم من سوء حالها وذمهم لحكومتها . ( قال ) وقد سمعت اصحاب المتنط والمقطم يقولون منذ بضع سنين : إننا لم نشتر شيئا من الأثاث لبيوتنا الا وكان يخطر في بالنا عند شرائه : — اذا أتيج لنا العود الى بلادنا فهل يكون هذا مما ننقله او مما نبيع ؟

طبع الكتاب بمطبعة المنار طبعا متقنا مضبوطا على نفقة عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار ، وقد تولى تصحيح أصله وضبطه ووضع الحواشي والتفسير لغريبه الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري الشهر . وثمنه قرش ونصف قرش

## كتاب المسح على الجوربين

وكتاب الاستئناس ، لتصحيح أنكحة الناس

( من تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى ، طبعاً معاً في مطبعة الترقى بدمشق الشام سنة ١٣٣٢ وصفحاتها ٨٤ صفحة . ويطلبان من مكتبة المنار بمصر . )

هذان الكتبيان المفيدان من آخر ما كتبه عالم الشام وفقيه الاسلام رحمه الله تعالى . أهمهما في العام الماضي الذي توفي فيه . وموضوع الاول إثبات المسح على الجوربين وكل ما يستر الرجلين كالنعال السابغة والمقائف والتساخين . وفيه فوائد كثيرة في الحديث والاصول . وقد أثبت المسألة بالدليل ونقل فيها ما يؤثر عن أئمة الفقه ، قال مفتي المنار : وقد سبق لنا الافتاء بهذا في المنار منذ بضع سنين فكان له أحسن تأثير في تيسير الصلاة على كثير من أهل الترف والنعيم ، كما أخبرني بذلك بعض خواص المصريين المصلين . ثم أعدت إثبات ذلك بإيضاح في تفسير آية الوضوء . وأما هذا الكتاب . فقد استقصى كل ما يتعلق بالمسألة وزاد مازاد من المسائل الاستطرادية كما هو شأن من يفرد مسألة صغيرة بالتصنيف .

وأما الكتاب الآخر فالغرض منه مقاومة ما عليه متأخرو المسلمين من التساهل الذي يشبه الفوضى في أمر الطلاق ورد ما جرى عليه كثير من الفقهاء من الافتاء بالطلاق في وقائع كثيرة لا تقوم الحجة على وقوع الطلاق فيها ، ومن مباحثه المفيدة التي عمت البلوى بها مبحث طلاق الفضبان والسكران والمأزل والمسكره والخالف بالطلاق أو المعلق له يريد الترغيب أو التهريب دون الطلاق ، والطلاق مرة واحدة بلفظ الثلاث . ومبحث وجوب الاشهاد على الطلاق واشترائه لصحته ، ومن قال بذلك من أئمة آل البيت وغيرهم من الصحابة والتابعين

والقاعدة التي بني عليها هذا الكتاب الطيف هي ان النكاح متى وقع وثبت كان أمراً يقينياً فلا يزول بحكم اجتهادي لانه ظن لا يزول به اليقين ، ولا بجبر احادي ولا سيما اذا كان مطعوناً فيه كحديث « ثلاث جدهن جد وهرهن جد : النكاح والطلاق والرجعة »

## ﴿ نقابات التعاون الزراعية ﴾

نظامها وتاريخها وثمراتها في مصر وأوربة

( طبع على ورق جيد مطبعة النهضة الادبية بمصر سنة ١٣٣٤ صفحاته ٢٤٥ بمجم المنار )  
 هذا كتاب جديد من أفضل ثمرات النابتة الجديدة بمصر ، ألفه عبد الرحمن بك الرافعي المحامي ، تخدم به هذه البلاد خدمة جليلة هي في أشد الحاجة إليها ، إن ثناءنا على هذا الكتاب تأييد أراي صاحب المنار الذي بينه مرارافي مجلته وفي الجرائد ، وهوان أحوج ما يحتاج اليه أهل مصر في هذا العصر أمران ( أحدهما ) حفظ ثروتهم حتى تكون غلة أرضهم وثمرات كسبهم خالصة لهم ، ( وثانيهما ) تعميم التربية الصحيحة مع التعليم على الوجه الذي تتكون به الامة .  
 وانه لايقوم بهذه التربية مع التعليم الا الجمعيات الخيرية .

فهذان الامران هما الركنتان اللذان لايرجى لمصر صلاح ولا فلاح الا بهما ، وهذا الكتاب مما يرفع بناء الاول منهما ، ويحسن منا في هذا المقام ان نطهر تقريظ الكتاب بكلمة ثناء على عمر بك لطفي الذي أحسن الله خاتمة عمره بالعناية بأمر النقابات الزراعية علما وعملا فكان قدوة صالحة لهذا المؤلف الذي يعد من تلاميذه ، للكتاب فاتحة في موضوعه للمؤلف ومقدمة لاجد بك لطفي المحامي . وفيه ثلاثة أبواب ، عنوان اولها « التعاون في أوربة » وفيه ١٤ فصلا — وعنوان الثاني « التعاون في مصر » وفيه ستة فصول — الاول في نظام الحياة الاقتصادية عند الزراع وعيوبه — الثاني في الدعوة الى التعاون وفيه بيان « الدور الاول » من جهاد عمر بك لطفي . والثالث في « الدور الثاني من جهاد عمر بك لطفي ومنشآت التعاون التي أسسها والنظام الذي اختاره لها » والثالث في أعمال النقابات الزراعية بمصر ، والخامس في قانون الخمسة الافدنة ، والسادس في التشريع الجديد للتعاون . وعنوان الباب الثالث « نماذج تعاونه » وهذه النماذج تعلم قراء الكتاب كيف يؤلفون النقابات الزراعية حسب القانون ، وكيف يكتبون لها ، وكيف يكون الشراء والسلف منها — الى غير ذلك من المعاملات  
 وقد قال المؤلف في فاتحة الكتاب مانصه :

د على أننا بأخذنا بأسباب التعاون نحيي سنة قديمة، فإن نظام التعاون وإن كان بشكله الحديث نظاماً غريباً جديداً، إلا أن الفكرة التعاونية في ذاتها أي فكرة تعاون الأيدي العاملة على القيام بالعمل المشترك واقتسام أرباحه وعمراته ففكرة قديمة عرفها أجدادنا العرب، فقد أثبت الأستاذ لروبوليو في كتابه المطول في الاقتصاد السياسي أن القوافل التي كانت تجوب البلاد العربية ما بين الحجاز والشام بقصد التجارة ما هي إلا جماعات تعاونية وقيية يتعاون أفرادها على الكسب والتجارة

### الحساب

كتاب وضعه صديقنا محمد عبد الخالق افندي اسماعيل الطالب في انكلترا تمهيداً لكتاب سيضعه في علم الجبر وقد صدره بمقدمة حث فيها على نشر العلم باللغة العربية [ اوسع اللغات ] وقد طبعه سنة ١٣٣٢ في مصر بمطبعة السفور طبعا نظيفاً على ورق متوسط فجاءت صفحاته ١٦٨ ويطلب من مكتبة المنار بمصر ومائة مليما الكتاب جزيل الفائدة وفيه من الجداول والرسوم والاشكال ما يوضح مسائله، وعبارته جريئة فصيحة فنحث على اقتنائه

### ( كتاب الفوز بالمراد من تاريخ بغداد )

تأليف الكاتب الاجتماعي الشهير (الأب انتاس الكرملي) صاحب مجلة لغة العرب. طبعه بمطبعة الشاهبندر في بغداد سنة ١٣٢٩ وصفحاته ٧٦ ومن النسخة منه خمسة قروش صحيحة، ويطلب من مكتبة المنار بمصر والكتاب مستمد من كتب التاريخ العربية والافرنجية ومن اختبار مؤلفه الشخصي وقد بدأه بتاريخ بغداد من عهد سقوطها على يد هولاكو سنة ٦٥٥ هـ الى سنة ٣٢٩ أي سنة ( تأليفه وطبعه ) وفيه من العبر والعظة بتصرفات الايام شيء كثير

### ( التقرير السنوي للجمعية الخيرية الاسلامية عن سنة ١٩١٤ )

هذا التقرير كالتقارير السابقة يشمل مشروع أعمال الجمعية وميزانيتها ومحضر جاسستها العمومية، وفيه زيادة على ذلك أن نشرت في أوله صورة الكتاب

العالي السلطاني الصادر لهيئة الجمعية المؤرخ في ١٣ ربيع الاول ١٣٣٣ و ٢٩ يناير سنة ١٩١٥ عدد ١١ وهذه جملة منه قال بعد التحيات لهيئة الجمعية ما نصه :

« هذا وقد اقتضت ارادتي ان يكون لقسم الاعانة بالجمعية نصيب من مساعدة خزينتي الخاصة بفضل الله كما انها ستكفل سنويا بالنفقات التي يحتاجها أنيع طالب من طلبة مدارس الجمعية لانعام دروسه بأوربة وان تخصص ثلاث جوائز للثاني والثالث والرابع من التلامذة مكافأة لهم وتشجيعا لآخوانهم ... الخ »  
ويؤخذ من هذا التقرير ان الجمعية قد اشترت اطيانا مساحتها ١٦ فداناً وكسورا و ٤ آلاف ٧ مئة ٤٨ مترا و ٢٧ سنتيا وقد دفعت ثمنها للجميع ٩ آلاف و ٥ مئة و ٢٤ جنيا و ٢٤٤ مليا ، وان النجاح في امتحان القسم الابتدائي من مدارسها زاد على ٦٧ في المئة . وبسر كل مسلم وكل محب للخير استمرار نجاح الجمعية وخدمتها للفقراء بالتعليم والاعانات

### ( ذكرى الماضي — أو — سياحة في الجبل )

مقالات وجدانية خيالية نشرها كاتبها محمد افندي صبري الطالب بجامعة باريس وناسر ~~كتاب~~ ( شعراء العصر ) وقد اعنى بجمعها وطبعها كتابا مستقلا صالح افندي شكري احد عمال جريدة المؤيد وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة

### ( رواية الفلاح )

قصة تمثيلية ادبية وضعها عبد العزيز بك فريد ناظر مدرسة خليل آغا بمصر ، وحرر عبارتها الاستاذ الشيخ محمد الجبل احد مدرسي المدرسة ، ووضع أزجالها الشيخ احمد القوصي ، وقد مثلها تلاميذ المدرسة في احتفالها السنوي . وهي مفيدة جدا بما تحذر من البذخ والسرف ، وتنقب عن العيوب الفاشية في هذا البلد ، ومثلها في ذلك ما وضعه عبد العزيز بك قبلها . وقد طبعت طبعا نظيفا على ورق جيد بمطبعة الخاصة الخديوية ( السلطانية ) في سنة ١٩١٤



# المسحاة

١٣١٥

أوتى خيرا كثيرا وما بدسكرا إلا أولو الألباب  
يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد

أوتى ذلك الذين هم أهدى الناس وأولوا الألباب  
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوي و« مناراه كنار الطريق »

مصر ٣٠ رجب ١٣٣٣ — ٢١ الجوزاء (٣) ١٢٩٣ هـ ١٣ ش ١٣ يونيو ١٩١٥

## عَلَى رَأْسِهَا حَدَّثَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَلْهَمَنَا

دروس سنن الكائنات  
محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٧

### العلوق وسبب الذكورة والانوثة ومدة الحمل

إذا تفلحت البويضة سقطت في الرحم بسبب ما في البوقين من الاهداب  
وسبب انقباضها ويجهز أن يكون للبويضة أيضا حركة ذاتية كالأميأ وأرجع  
الاقوات لحصول الحمل أن يكون الجماع عقب الطهر في الاسبوع الاول من الحيض،  
ويقال إن هذا الجماع محرم عند اليهود وهو من غرائب التشريع  
وبويضات المبيض الايمن يرجح عند بعض العلماء الآن أنها هي التي يتولد  
منها الذكرو وبويضات المبيض الايسر يتولد منها الانثى، ولذلك اذا نامت المرأة  
على جانبها الايمن بعد الجماع رجح انها بالذكرو وقد عرف هذه الفائدة ابن سينا  
كما في قانونه

فاذا كان الجماع بعد سبب متفق مع انفجار بويضة المبيض الايمن كان النسل  
ذكرا، وبالعكس

وإذا سقطت البويضة في الرحم علقبت بنشائه الخاطي وابتدأ تكون الجنين  
في داخلها بانقسامها الى عدة أقسام . ويكون الجنين في بطن أمه محاطا بالرحم ثم  
بنشائين آخرين تابعين لنفس البويضة . وتكبر البويضة كبرا عظيما وتمتلئ بسائل  
يحيط بالجنين من جميع جهاته يسمى السائل (الأمنيوسي<sup>(١)</sup>) ويكون الجنين معلقا في

(١) كلمة يونانية معناها الشاة لانه يقال انه اكتشف فيها أولا أولان ملمسه  
ناعم كصوف الشاة

هنا السائل بحبله الشري المتصق بالمشيمة بجدار الرحم، ويكون رأس الجنين الى الأسفل غالبا وظهره الى الامام . ولا يفهم مما تقدم أن عروق الجنين متصلة بعروق الرحم بل هما متجاورين فقط بحيث لا تختلط دورتهما الدموية ، ولكن المواد المغذية تصل من الأم الى بطريق (الاسموز) وكذلك المواد الفاسدة التي تخرج من الجنين تصل الى دورة الام بهذه الوساطة ايضا بلا اختلاط بينهما . ولا يتنفس الجنين في بطن أمه وإنما دمه ينتقى بالطريقة المذكورة ، وأول تنفسه يكون عند استهلاله أي صراخه عند خر وجهه من الرحم

ومدة الحمل أقلها خمسة أشهر وأربعة ونصف، وأكثرها احد عشر شهرا . وقد يحصل في أحد البوقين حمل أو في البطن خارج الرحم وفي هذه الحال قد تحمل الام جنينها ميتا عدة سنين ولكن لا تضمه الا بعملية جراحية

#### شبه الجنين

يقال إن شبه الجنين تابع لمقدار الحيوانات المنوية الملقحة للبويضة فاذا دخلت بكثرة في البويضة أشبه أباه سواء أكان ذكر أم أنثى، وإذا كانت قليلة أشبه أمه كذلك ، فاذا كان الجماع بشدة ومقدار المنى كثيرا وأنزل الرجل قبل المرأة كثير دخول الحيوانات المنوية في البويضة فأشبهه الولد أباه ، أما اذا كان مقدار المنى قليلا وأنزلت المرأة قبل الرجل بطلت حركة الامتصاص من رحمها ، فنظرا لذلك ولقلة مقدار المنى يصل عدد قليل من الحيوانات المنوية الى البويضة فيكون الولد شبيها بأمه، سواء أكان ذكر أم أنثى ، ولذلك روى البخاري أن رسول الله (ص) قال « اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » أي لانه في هذه الحالة تبطل حركة الرحم في جذب المنى اليه فتكون الحيوانات الداخلة فيه اقل مما اذا حصل القذف اثناء حركة الرحم اي قبل انزال المرأة . والولد كل مولود ذكر أم أنثى

#### النطفة والعلقه وأطوار الجنين وغير ذلك

مما تقدم يفهم ان الانسان مخلوق من البويضة الملقحة بحيوانات الرجل، وهذه هي النطفة الامشاج التي ذكرها القرآن الشريف (٢:٧٦) فان النطفة هي كل ماء

قل أو أكثر، فهي الرجل نقطة وبويضات المرأة مع السائل السابحة فيه المنفرز من حويصلات (جراف) ومن البوق يسمى أيضا نقطة، والامشاج الاخلاط، فاختلاط المني بهذا السائل الذي فيه البويضة هو الضروري للحمل ولا يتوهم احد ان نزول البويضة من البيض مما تشعر به المرأة أو تلتذ له بل هو شيء لا تشعر به مطلقا

ولا يمكن رؤية البويضة بالعين المجردة وإن كانت من الخلايا الحيوانية الكبيرة، فإن قطرها ٠.٢٢ من المليمتر. أما قطر كريات الدم البيضاء فهو ٠.٠١٠٠٠٧٥ من المليمتر

واعلم أن الحصيلتين تتكونان في الجنين في بطنه خلف البريتون وتحت الكليتين بقليل ثم تنزلان شيئا فشيئا حتى تكونا في الصفن في الشهر التاسع من الحمل فاذا ولد الجنين قبل ذلك في الشهر السادس مثلا كان الصفن خاليا منها وفي أثناء التكوين تنقسم بويضة المرأة كلها داخل غشائها الذي يتمدد تدريجيا كلما كبرت وكذلك بويضة الحيوانات الثديية، أما بويضة الطيور فيتنقسم جزء منها فقط — كما تقدم —

أما العلة المذكورة في القرآن الشريف فهي أول أطوار الجنين وتكون مركبة من عدة خلايا صغيرة ككريات الدم لم يتميز شيء من أجزائها، وهذه الخلايا تنشأ من انقسام البويضة بعد التلقيح إلى عدة خلايا فلذا تشبه علة الدم <sup>(١)</sup> (Clot) خصوصا التي تتركب من الكريات البيضاء التي تسمى بالانكليزية (Buffy coat) (راجع ص ٤٨ من هذا الكتاب وص ٤١٠ من كتاب فيسيولوجيا هالبرتون Halliburton)

فاذا تمت هذه العلة أخذت تنوع خلاياها وتتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر، ويكون حجمها في آخر الشهر الأول كحجم بيضة الحمامة وهي (المضغة) لأنها تكون قدر ما يعضغ في الفم، وبعضها مخأق والبعض الآخر غير مخأق كما قال تعالى

(١) يجوز ان يراد بالعلق في قوله تعالى (خلق الانسان من علق) الحيوانات المنوية التي تلقح البويضة

في سورة الحج ( ٢٢ : ٥ ) وما يظهر في ذلك الوقت الاطراف العليا والاطراف السفلى ، ويتميز القسم الايمن من القلب عن القسم الايسر ، ثم تظهر آثار العظام الاخرى

وفي الاسبوع السابع يتبدى ظهور العضلات بعد ظهور العظام المذكورة ، وذلك بتنوع الخلايا التي كانت تحيط بالعظام ، والمراد بالعظام هنا الغضاريف التي تصير عظاما كما أن المراد بالحجر في قوله تعالى (أراني أعصر خرا) العنب الذي يصير عصيره خرا فاذا تم نمو الجنين وولد خرج وهو لا يدري شيئا ثم يتعلم كل شيء بالتدريج حتى يصير كما أنه خلق آخر فبعد أن كان لا يعي شيئا يصبح يحترق الحجب بعقله ويصل الى الملكوت الاعلى بفكره (فتبارك الله أحسن الخالقين)

وما تقدم نجد أن الأطوار المذكورة في القرآن هي عين الحقيقة وهاك بيانها كما وردت في سورتي الحج والمؤمنين : —

(١) طور النطفة وهي الماء فتطلق على مني الرجل وعلى السائل الذي تسبح فيه البويضة ، وأصله من حويصلة جراف ومن البوق — كما سبق — وفي هذا الطور تلقح الحيوانات المنوية البويضة فتكون النطفة — بعبارة القرآن — أمشاجا

(٢) طور العلقة وهو طور اقسام البويضة بعد تلقيحها الى عدة خلايا متماثلة لاتمتاز واحدة منها عن الاخرى ، وتكون كقطعة الدم الجامدة

(٣) طور المضغة وهي البويضة اذا كبرت حتى صارت قدر ما يمتصغ ويكون بعضها مخلقا وبعضها غير مخلق. وهو طور التخليق والتكوين الابتدائي

(٤) طور الانتام وذلك يتبدى بظهور الاجزاء الرخوة كالعضلات التي تكسو العظام ، وينتهي هذا الطور بنام انطلق

(٥) طور التربية والتعليم بعد الولادة وهو المبرعنه في القرآن بالخلق الآخر لان الانسان الذي كان أحط من الدابة يصبح أرقى الاحياء قاطبة . لذلك قال سبحانه جل شأنه ( وقد خلقكم أطوارا )

هذا وقد يحصل التلقيح فاذا وصلت البويضة الى الرحم وعلقت به وماتت

بسبب ما كالتهاب غشائه طردها الرحم. أو امتصها وهذا الامتصاص هو المعبر عنه في القرآن الشريف ٨٠:١٣ بقوله « وما تغيض الأرحام » وقد يمتص الرحم الجنين أو أحد التوأمين في أحوال أخرى

أما قوله تعالى ( يخلقكم في بطن أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ) فالظلمات إما أن يراد بها ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الأغشية الجنينية المحيطة بالسائل الأمنيوسي

وأما أن تكون الظلمات هي: ظلمة المبيض الذي تكون فيه البويضة في داخل حويصلة جراف ، ثم ظلمة البوق حينما تتلقح البويضة بالحيوانات المنوية ، ثم ظلمة الرحم الذي يتخلق فيه الجنين

وفي أثناء الولادة تنقب أغشية الجنين وينسكب ماؤها فيخرج الجنين ثم تتبعه هذه الأغشية مع المشيمة ( وهي أغلظ جزء في الأغشية وفيها يندغم الحبل السري ومنها يتغذى الجنين واليا تخرج فضلات جسمه ) وأيضاً تسقط أغشية الرحم ، ثم تتجدد بعد الولادة . والجنين في بطن أمه لا يتنفس ولا يأكل ولا يشرب وإنما يأخذ من دم أمه كل ما يحتاج اليه ، وكذلك لا يتبرز بل تتجمع في أمعائه إفرازات السكبد والأمعاء وتخرج بمسد الولادة وتسعى بالعرق

وقد يبول الجنين في بطن أمه في أشهره الأخيرة فإن السائل الأمنيوسي وجد فيه مقدار قليل من البولينا بسبب بول الجنين فيه

ومقدار السائل الأمنيوسي نحو لتر أو اثنين عادة ، ووظيفته حماية الجنين من الضغط عليه ، وحفظه من التماسقه بالأغشية ، وتثبيد عنق الرحم عند الولادة وغسل المهبل حينئذ

والجنين يتحرك في بطن أمه بنفسه وبحركات وهذه الحركات تشعر بها الأم ، وتبتدى في الشهر الخامس غالباً

وقد يحصل حمل فوق حمل بمعنى أنه إذا حصل جماع بعد الحمل الأولى يبيض أسابيع يجوز أن يحصل حمل آخر ، وهذا غير الحمل التوأمي المشهورة فإن سببه أن تتلقح فيه بويضتان أو أكثر في وقت واحد أو وقت قريب ، أو يكون

للبيضضة الواحدة أكثر من نواة، وإذا كانت البويضات من مبيض واحد كانت التوائم من نوع واحد ذكرا أو أنثى بحسب المبيض اليمين أو اليسار . وتكون التوائم أيضا من نوع واحد إذا كانت ناشئة من بويضة واحدة ذات نويات متعددة

### أسباب العقم

هذه الاسباب عديدة ، منها : أن يكون السبب فساد زرع الرجل لمرض في خصيتيه ، ومنها مرض المبيضين أو البوقين أو الرحم نفسه أو وجود افرازات في المهبل شديدة الجحوضة بحيث تقتل الحيوانات المنوية . وأشهر الامراض التي تحدث العقم في الرجل والمرأة داء السيلان . ومن الاسباب أيضا الجماع المختلط كما في الزنا بأن يتوارد عدة رجال على امرأة واحدة ولذلك قيل في المثل الانجليزي « لا ينمو العشب حيث يكثر دوس الاقدام »

ومن الاسباب أيضا ما لم تعرف الى الان حقيقته كأن تكون المرأة والرجل سليمين من كل آفة ومع ذلك لا يأتیان بنسل فاذا تزوج هذا الرجل امرأة أخرى وتزوجت هي رجلا آخر أنتج كل منهما

وإذا أريد منع الحمل فلا طريقة أحسن لذلك سوى قتل الحيوانات المنوية أثناء الجماع ، وذلك . نزع سوائل أو غيرها في المهبل تكون قتالة لها كمحلول السليمان بنسبة ١ - ٢٠٠٠ ومحلول حمضي من سلفات الكينين ، فتغمس قطعة من القطن بهذه السوائل أو غيرها ونحشى في المهبل بحيث تسد فوهة الرحم ، فهذه الطريقة في الغالب قد تبطل الحمل ما دامت مستعملة فاذا تركت عاد الحمل

### مراعاة الصحة في الجماع

الاكثر من الجماع ضار جدا مؤد الى الضعف الجسدي والعصبي ويعرض الانسان الى امراض كثيرة كالاتهابات الكلوية والشلل العام المجانين ويحدث الاصفرار وخفقان القلب وضغنه فلذا يجب اجتناب الافراط فيه ، والحدود منه طبا هو ما نصوا عليه في كتب الشرع وهو انه ينبغي اذا اشتبه النفس اشتها حقيقيا بدون أن يهيج الانسان شهوته بهيج مآ . وتختلف الرغبة في الجماع والقدرة عليه باختلاف الاشخاص ، ولذلك لا يمكننا تحديد القدر الصحي منه بالضبط ، والغالب

انه لا يضر الانسان اذا أتاه مرة أو مرتين في الاسبوع بشرط أن يكون سليم  
البنية قوي الجسم

ولا يجوز اتيان المائض شرعا وطبا — كما سبق بيانه — وكذلك لا يجوز  
الجماع عقب الاكل مباشرة ولا عقب التعب الجثائي او العقلي الشديد. واحسن  
وقت له ان يكون بعد مضي الثلاثين من وقت النوم او النصف فان النوم بعده نافع  
للجسم مانع من اصابته ببعض الامراض كالزكام والسعال وغيرها مما قد ينشأ عن  
الضعف الذي يحدته. اما ضرره في اول الليل فهو لان الجسم في ذلك الوقت يكون  
تعبان والمعدة في الغالب تكون ممتلئة فلذا يحسن النوم قبله وبعده.

ومن اهم ما يقوي الجسم وينشطه على هذا العمل ويزيل الآلام وينعم  
بعض الامراض التي قد تنشأ عنه — الفسل خصوصا بالماء الحار، ولذلك كان الفسل  
واجبا شرعا

أما الاستمناء باليد فهو من أضر الأشياء للصحة والعقل وهو أضر بكثير من  
الافراط في الجماع، فانه يضعف قوى الجسم والمخ والاعصاب، وكثيرا ما يصاب  
صاحبه بالهرع أو العجزون. وهذا الضرب من الاستمناء يسمى أيضا (جلد عميرة)  
وينسب الأفرنج الى رجل من بني اسرائيل من أبناء يهوذا يسمى (أونان) ولكن  
الوارد في التوراة أن هذا الشخص كان يأتي العزل لا الاستمناء باليد وغضب الله  
عليه لانه لم يرد ان يقيم نسلا لاخيه (راجع سفر التكوين ٦: ٣٨ — ١٠)

ومن البنات من تفعل هذا الفعل القبيح أيضا خصوصا اذا كان بظفرها كبيرا  
ولم تقطع

أما العزل من الوجهة الطبية فهو أيضا مضيع للذة مضر بالصحة، والظاهر انه  
مكروه في الشريعة الاسلامية، ولذلك بين رسول الله (ص) في الحديث السابق  
انه من العبث الذي يتنزه العاقل عنه، خصوصا لانه مضيع للذة بلا فائدة محققة  
وقال فيه أيضا (ذلك هو الواد الخفي) وذلك لانه وإن لم يكن مانعا محققا للنسل  
فهو لاشك مقلل له كثيرا فكان اتيانه لذلك مذموما لانه ينافي كثرة التناسل التي  
حث عليها رسول الله (ص)



مضار الزنا

للزنا مضار كثيرة، منها الاصابة (١) بالداء الافرنجي (٢) أو السيلان (٣) أو القرحة الاكالة (٤) أو القرحة الرخوة (٥) أو القمل المعاني وغيره . ويوجد بعض امراض أخرى جلدية وباطنية قد تعدى بسببه مثل الحرب والارضه (Tinea) والسل الرئوي . ولا تنس مع هذا مضاره الادبية والدينية والاجتماعية والمالية وكل هذه الاشياء الاخيرة ليس من غرضنا التكلم عليها هنا . واليك بعض تفصيل ما ينشأ عنه من الامراض : —

(١) الافرنجي : ويسميه الافرنج (Syphilis) وهي كلمة غير محقق أصلها ويمكننا أن نسميه بالبرية (التهويز) وبلسان العامة (التشويش) وأما كلمة الزهري فهي في الحقيقة نسبة لجبل الزهرة — كما سبق — وتطلق عند الافرنج على أهم الامراض التي تنشأ عن الجماع فهي عندهم ليست خاصة بهذا الداء . وأصله من أمريكا ودخل مصر بدخول الافرنج فيها ولذلك سمي « بالداء الافرنجي » ولهذا الداء ثلاثة أطوار :

(١) الطور الاول ظهور القرحة وهي شيء كالدمل يظهر في العضو مكان التلقيح بالميكروب، فمثلا اذا جامع الرجل امرأة مصابة بهذا الداء وكانت قروحها في فرجها فقد ينتقل اليه الداء وتظهر عنده هذه القرحة الاولى في فرجه أو ما قاربها كالعانة ، وكذلك اذا قبلها في فمها مثلاً وكان فيه شيء من قروحها وبثوره ظهرت في فمه أولاً . وقد ينتقل بواسطة أدوات الاكل والشرب وغيرها وهذه القرحة تظهر عادة بعد خمسة أسابيع من الجماع أو التقبيل وغيرها ، وذلك لان ميكروب الزهري ( وهو حلزوني الشكل ) (١) اذا انتقل الى الانسان يتكاثر في جسمه حتى يمتلئ الدم به وعندئذ تظهر القرحة الاولى . ويسمى هذا الزمن الذي بين التلقيح بالميكروب وبين ظهور القرحة بطور الحضانة أو التفرج

(١) اكتشف هذا الميكروب سنة ١٩٠٥ وهو أدق وألطف من كثير من الميكروبات الحلزونية ، يسمى ( Spirochaeta Pallida ) والسكلمة الاولى يونانية بمعنى الحلزون ، والثانية لاتينية معناها الاكيد ( الباهت ) لتعسر رؤيته بالمجهر

وما يساعد على دخول الميكروب وجود أي جرح أو سحج في بشرة الجلد الذي يلامس المرأة المصابة ولكنه غير ضروري، والقروح الافرنجية الاولى منها ما يكون صلبا ومنها ما يكون رخوا تسيل منه مَدَّةٌ وصديد. وهذه القروح كبيرة في فروج الزناة والزانيات

(٢) الطور الثاني ظهور طفح مخصوص في الجسم كله، له أشكال متعددة، مع قروح في الاعشية المخاطية أيضا، وله أعراض أخرى غير ذلك كضخامة الغدد اللفافية في الجسم كله خصوصا في الاربية والفقا - وكانوا يقولون ان الطور الاول والثاني هما المعديان دون الثالث. ولكن ثبت الآن حصول العدوى في جميع الاطوار الثلاثة، إلا أنها في الاخير منها قليلة جدا أو نادرة. وإذا تزوج شخص مصاب أصيب نسله بالافرنجي أيضا. ويتبدى ظهور الطور الثاني بعد مضي ٦ أسابيع الى ٣ أشهر من ظهور القرحة الاولى

(٣) الطور الثالث هو عبارة عن ظهور اورام متعددة تصيب أي جزء من أجزاء الجسم، وهذه الاورام عبارة عن مادة تشبه الازرار الحمية التي تلتحم بها الجروح، وتسمى هذه الاورام بالاورام الصمغية. وإذا أصابت أي جزء من الجسم افسدته وشوهته، وكثيرا ما تبطل عمله أو تعطله على الاقل وهذا الطور يتبدأ بعد سنة أو سنتين من مبدأ التلقيح وربما استمر الى نهاية العمر بأشكال متعددة تختلف باختلاف العضو المصاب

ومن المشاهدات الغريبة في أمر هذا الداء ان الطفل المولود من أب مصاب به لا يعدي أمه وإنما يعدي المراضع الغريبات ويسمى ذلك بقانون كولس [Colles] ويعلمون ذلك بأن الام تلتحمت بالمرض تلقحا خفيفا لم تظهر أعراضه والافرنجي من الادواء العضالة التي يمكننا أن نقول انها من أهم الاسباب لامراض جميع أعضاء الجسم، ويؤثر في الاعصاب تأثيرا سيئا جدا فيحدث فيها أنواع كثيرة من الشلل والاسلام، وقد يؤدي الى المرض المذكور سابقا المسمى بالشلل العام للمجانين. ويكفي في ذمه أن نقول ان ضرره ليس قاصرا على الشخص

(الجلد الثامن عشر) (٤٦) (المنار: ج ٥)

نفسه بل قد يقتل جنيته في بطن أمه واذا ولد كان النسل ضعيفا مشوها مصابا بالقرح المتوعدة وغيرها

وأحسن الادوية له في الطور الاول والثاني الرثيق ومركباته، وفي الطور الثالث يودور البوتاسيوم ، وكذا حقنة ٦٠٦ (١) أو ٩١٤ في الاوردة أو في العضلات — وكل منهما مركب زرونيخي — استعمل أخيرا في معالجته، وسيأتي الكلام عليها تفصيلا في الجزء الثاني . وللوقاية منه يجب غسل ما لامس المريض غسلا جيدا بالماء والصابون ثم بالادوية المطهرة كالساياني وغيره بنسب مخصوصة بعد التمس مباشرة

### (٧) السيلان

السيلان داء يصيب بعض الاعشية المخاطية وغيرها فيحدث فيها التهابا يسيل منه صديد، وله ميكروب مخصوص معروف . واكثر الاعضاء اصابة به الفرج والدبر والانف والعين — ويسمى فيها بالرمد الصديدي — ومن مضاعفاته التهاب الخصىتين والخراجات الاربية والتهاب المثانة والتهاب الرحم والبوقين والمبيضين وغير ذلك ، وقد ينشأ عنه مرض في المفاصل مؤلم جدا ويكون معضلا (عسر الشفاء) وهو من أعظم الاسباب المؤدية للعقم في الرجل والمرأة — كالسبق —

### (٣) القرحة الاكالة

هي قرحة مخصوصة تضاعف القروح الافرنجية وغيرها ، ولكن حصولها في القروح الافرنجية أكثر منه في غيرها ، فاذا اصاب القصب مثلا أو الفرج أكلته كله أو بعضه وربما اقدت الانسان خاصية التناسل طول حياته فيضيع نسله

### (٤) القرحة الرخوة البسيطة

هي قرحة أخرى لها ميكروب مستطيل الشكل أكثر ما تصيب الفرج في الذكور والانثى فتذهب منه جزءا صغيرا وكثيرا ما تسبب خراجا في الاربية أيضا وهي من أهون الامراض الزهرية (أي التي تنشأ من الجماع)

(١) اخترعت سنة ١٩٠٩ ميلادية وسميت بذلك لان مخترعها وفق اليها بعد

عمل ٦٠٦ من التجارب

## (٥) القمل

يشاهد في كثير من الاشخاص قمل في رؤوسهم واجسامهم وعانتهم . وهو ثلاثة أنواع ، وينتقل من شخص الى آخر باللمسة أو المجاورة وقمل الجسم هو السبب الوحيد لنقل الحى التيفوسية والحى الراجعة قطعا ، فلذا يجب العناية بتنظيف الجسم منه . زد على ذلك كونه يحدث حكة في الجسم ويقلق راحة الانسان ، وقد تنشأ عنه حى غير الحيات المذكورة آتفا لسم فيه أو لاضطراب عصبي يحدث من قرصه . ومن الطرق لازالته غلي الملابس وحلق الشعر والادهان بزييت الصخر ( البترول ) ومرهم الراسب الابيض - اذا كان الجزء المصاب محدودا - والا اكنفي بما ذكر قبله خوفا من امتصاص الزئبق الذي في هذا المرهم فيقسم الجسم ، وتجب اطالة مدة غلي الملابس فانه شوهد أن بعضه يعيش في طيات الثياب وان وضعت في الماء الغالي مدة خمس دقائق أو أكثر . ويبيض قمل الجسم ( الصئبان ) يشتمل أيضا على ميكروب الحى التيفوسية والحى الراجعة فاذا فقس وخرج منه قمل جديد كان ناقلا أيضا لهذين النوعين من الحى

## (٦) الجرب

الجرب داء يصيب الجلد خصوصا ما بين الاصابع والفخذين وأعضاء التناسل . وينشأ من حيويين أصغر بكثير من القمل العائى يسمى باليونانية كروس [Acarus] ( ومعناها لا يتجزأ ) وله ذكر وأنثى ، أما الانثى فبعد ان يلقحها الذكر تتخذ من الجلد جحورا تبيض فيها نحو خمسين بويضة ويبقى الذكر فوق سطح الجلد ، فاذا أفرخت البويضات خرجت حيويينات جديدة ، وانما تفرخ البويضات حينما تظهر على سطح الجلد بزوال البشرة وتأكلا بالتدريج ، وتحمل الاناث من جديد وتقب الجلد أيضا كامهاتها وهلم جرا ، وما تحدثه هذه الحيويينات في الجلد من التهيج يكون سبب تحصل به حكة شديدة تنشأ عنها قروح وبثور تؤذي الانسان كثيرا

ومن أحسن طرق علاجه الاستحمام بالماء والصابون مع الدلك الشديد جدا حتى يزول جزء من البشرة وتفتح الجحور بقدر الامكان ثم يدهن الجسم بمرهم

الكبريت ، ويجب غلي جميع الملابس وكل ما لامس جسم المصاب منعاً لتكرار العدوى له أو انتقالها الى غيره ، ويتكرر الاستحمام والادهان بالمرهم بضعة أيام حتى يزول الداء

### (٧) الارضة

الارضة داء — يسمى باللاتينية تينيا Tinea<sup>(١)</sup> — يصيب الجلد أو الرأس أو الاطراف فيحدث بهما التهاباً وحكة ، وهو ينشأ من نمو فطر ( أحياء نباتية مجهرية ) في هذه الاجزاء . وأحسن علاج له النظافة التامة والادوية المطهرة كالمراهم الزبقية والكبريتية وصبغة اليود ونحو ذلك ، ولكن يجب قبل ذلك تنف شعر المكان المصاب أو حلقه — والتنف أولى — وكذلك تغلي الملابس لمنع تكرار العدوى

(٨) السل :

سنفصل القول في السل تفصيلاً في باب الامراض المعدية ان شاء الله ، ويكفي ان نقول هنا كلمة مختصرة في عدواه بطريق التنفس :

ينشأ هذا الداء من ميكروب مستطيل الشكل كالعصية ولذلك يسمى باللاتينية باسيلس ( Bacillus ) أي العصا الصغيرة<sup>(٢)</sup> اكتشفه البكتيريولوجي الالماني الشهير المسمى كوخ ( Koch ) سنة ١٨٨٢ م وهو يوجد كثيراً في بصاق المصابين بالسل ويخرج أثناء السعال في ذرات البلغم وينتشر حول المصاب الى بعد متر ونصف تقريباً فيكون الجو حوله ملوثاً به ، فاذا دخل مع التنفس في رئة شخص مستعد لهذا الداء أصيب به ، وذلك بتكون درنات صغيرة بيضاء اللون في الرئة أو غيرها ، وهذه الدرنات تكبر وتتكاثر وينضم بعضها الى بعض وتحدث التهاباً فيها حولها من الرئة ، ثم تستحيل الى قيح فتتأكل الرئة بسببها وتحدث فيها تجاويف تسمى بالكهوف . ويحصل سعال شديد مصحوب بدم أو صديد وترتفع حرارة المريض وتضعف قواه وينحف جسمه ويصاب بالارق من كثرة السعال وغيره وبالغرق الكثير بالليل ، وقد يحصل له اسهال متعاص أو بحجة في الصوت من التهاب الحنجرة وتقرحها وغير ذلك حتى تنهك قواه فيموت

(١) معناها الحرفي «الدودة القارضة» (٢) وبعضهم يقول «بالسل»

## مضار الزنا الاجتماعية

هذا واننا نختم هذا المبحث بذكري ونصيحة اذا لم تكن من وظيفة الطبيب من حيث هو طبيب فهي مما يحسن منه من حيث هو انسان ، وهي التحذير من مضار الزنا الاجتماعية . وليس من غرضنا التكلم عليها هنا تفصيلا — كما قلنا — الا اننا نذكر الناس اجمالا بحقيقة لا تعزب عن عقل المفكر : تلك أن الزنا يفقد المحبة الابوية لنسل الزانيات فلا يهتم المرء بحياة الاطفال ولا بصحتهم ولا بتربيتهم ولا بمستقبلهم اهتمام من يعلم أن المولود هو ابنه حتى يؤثره على نفسه في كل شيء غالبا فيكثر بسبب الاهمال موت الاطفال أو قتلهم ، وتسوء صحتهم وتفسد أخلاقهم ، ويصبحون عائلة على المجتمع أو مشردين مفسدين . ولا تحسن الام وحدها القيام بتلك الشؤون على مالديها من الشواغل والصوارف عنها ، كتجسين منظرها وملاقة الرجال المتنوعين والملق لكل منهم والتحجب اليهم ، فهذه الشؤون لاتدع لها وقتا ولا قلبا توجهه الى شيء آخر ، ولذلك ترغب الزانيات عن النسل ويقتله اذا وجد ، أو يلقين به في الطرقات ، وفي ذلك من الاضرار بالامة مافيه . زد على ذلك أن الزنا يحدث البغض والحقد والحسد بين الافراد والبيوت ، ويقطع كل رابطة للمودة والرحمة بين المرء وزوجه ، ويحمل الناس على خيانة بعضهم بعضا ، وعلى الكذب ، ويضيع الحقوق في الموارث المالية وغيرها ، تفسد الاخلاق ، وتكثر الشجاء والمخاضات التي تسفك فيها الدماء ، وتستباح الاموال والاعراض ، فتتناثر الامة ويقناقص عددها ، وتزول روابط المحبة من بين افرادها ، وفي ذلك هدم وازالة لمرزا وسلطانها ، وتقويض ادعائهم ببنائها ، قهوي في مهاوي الفساد حتى تستقر في الدرك الاسفل من الفقر والضعف والانحطاط والتأخر . لذلك وصف الله تعالى الزنا بقوله ( انه كان فاحشة وساء سبيلا ) لما يوجد بين الناس من البغض والحقد والكراهية فيهدم أركان الاسرة أولا والامة ثانيا والمجتمع الانساني ثالثا

## اللوواط

الامراض التي تنشأ عنه هي عين الامراض السابقة تماما ، وتزيد عنها غالبا في احداث جروح في الذكر وفي الشرج ، واذا تضاعفت هذه الجروح ببعض

الامراض نشأ عنها مالا تحمد عقباه ، وترتخي عضلات الشرج حتى قد يسهل نزول  
 البراز وغيره . بغير ارادة الانسان ، وهو مفسد للاخلاق ومبيد للشهامة والرجولية ،  
 وقاض على الآداب كافة ، وما انقسمت فيها أمة الا انحطت وتدهورت لتعنت  
 رجالاتها وذهاب نجمدهم ومروءتهم وهمتهم ، فلا تصالح بعد ذلك لمقاومة أجدانها  
 فيغلبون عليها وتبديد شيئا فشيئا ، زد على هذا ان الرجال المنغمسين في تلك الشهوة  
 الدنيئة يقل ميلهم إلى النساء كثيرا فيقل عدد الامة فتضعف أيضا من هذه الوجهة ،  
 نعم ان اللواط أخف ضررا من الزنا من وجهة واحدة اجتماعية وهي انه لا تضعف  
 بسببه الانساب ولا توجد به اللقطاء فهو أقل بذلك اضعاء لحقوق العباد والاولاد .  
 أما تحريمه فيكفي في بيانه ما ورد في القرآن الشريف في قصة لوط ، وأما  
 حده فقد ورد فيه قوله تعالى على أصح التفاسير ( واللذان يأتيانها منكم فآذوهما )  
 الآية فالولي الامر أن يؤذي أهل اللواط بما تنفق عليه الامة من العقاب الرابع  
 لاهل هذه الطائفة المحقرة الدنيئة

وقد أجمعت الامم على استقباح هذه الشهوة البيمية حتى سماها الانجليز  
 « الرذيلة المغايرة للطبيعة » [ Unna tural Vice ]

## سن الزواج بالفتيات

كتبته مقالة بهذا العنوان حينما أراد أحد المحامين المصريين ( زكريا بك نامق )  
 أن يطلب من الحكومة سن قانون يحدد فيه سن الزواج للبنات بالسنة السادسة عشرة ،  
 ولاشتمال هذه المقالة على عدة فوائد تناسب الفصول السابقة في الكلام على المجاز  
 التناسلي أردت اثباتها هنا لافادة قراء محاضراتي هذه . وقد أنصف هذا المحامي  
 الفاضل فكف عن اقتراحه هذا بعد ظهور مقالتي هذه في الجرائد ومقالات غيري  
 من أفاضل الاطباء والفقهاء و [ سمعته ] بعد أن قدمه للجمعية التشريعية

وهاك نص مقالتي كما نشرت في عدد ١٠٩٥٦ من جريدة الاهرام الصادر يوم  
 الخميس ١٢ مارس سنة ١٩١٤ - ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٣٢ :-

لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بالشريعة الاسلامية الغراء وبالمسائل

العلمية والاجتماعية والقانونية أردت أن أحصيه تمحيصاً ، وأحرر مسأله تحريراً ، ليصل حكمنا فيه الى نتيجة نافعة للامة مبنية على أساس متين من البحث والتقد حتى لا يكون مبنيًا على التسرع وحسب التقليد فأقول :

من المعلوم أن سن البلوغ يختلف باختلاف حرارة الجو والبيئة والوراثة . ففي الهند مثلاً كثيراً ما تبلغ الفتاة في السنة الثامنة من عمرها ، ولكن في البلاد الباردة كالنجلترة تجد أن سن البلوغ هو من ١٤ — ١٦ سنة ، وفي البلاد التي هي أشد بردا منها يحصل البلوغ في السنة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة . أما في مصر فالغالب أن يكون في السنة الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ، وذلك في مثل مديرية الجيزة لأني مثل مديرية اصوان . والبيئة أيضاً تأثير في زمن الحيض ، فالتى ترى ان الفتيات اللاتي يكثرن من الاختلاط بالشبان يسرع مجيء الحيض اليهن ، وكذلك اللاتي يكثرن من قراءة الروايات الغرامية ونحوها ومشاهدة تمثيلها ، أما الوراثة فهي تؤثر أيضاً في قرب زمن البلوغ فإذا بلغت الام وهي صغيرة جداً كانت ابتناً مثلها في ذلك

وفي سن البلوغ يكبر الحوض ويظهر شعر العانة وتكبر أعضاء التناسل والثديان وتستعد المرأة للقيام بوظيفتها التناسلية التي خلقت لاجلها . وقد اتفقت كلمة علماء القشريح على أن نمو عظام الحوض الذي من شأنه أن يؤثر في سعة أقطاره يتم في زمن البلوغ أو بعده بقليل ، وذلك لا ينافي أن التحام عظام الحوض لا يتم الا في نحو الخامسة والعشرين غالباً ، وإذا حملت المرأة لانت مفاصل حوضها وتعددت لا فرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة ، وإنما اذا تأخرت المرأة في الزواج يست عضلات العجان والرحم ، وربما نشأ عن ذلك اجهاض أو عسر في الولادة بسبب عسر تمدد هذه الأجزاء التي تفقد مرونتها الطبيعية كلما كبرت البنت ، ويغلب العقم أيضاً فيمن يتأخرون عن الزواج

وقد وجد بعض الباحثين مثل ( بروس ودنلوب ) في بلاد الحبشة والبنغال أمهات لا يزيد عمر احداهن عن احدى عشرة سنة ، وكذلك وجد في أوربة ( وان كان ذلك قليلاً ) أمهات ولدن أولاداً أصحاء في السنة الثالثة عشرة من



عمرهن حتى وجدوا بنتا حاملا في سويسرة في السنة التاسعة ، وظهور الحيض في هذه السنة ليس نادرا في أوربة كما تقول كتبهم

لذلك كله ولغيره اعتبرت الشريعة الانكليزية مثلا ان السن القانونية للزواج « عديم » هو ١٤ لذكور و ١٢ للإناث ، أما زواج الاطفال القاصرين فتعتبره صحيحا بشرط أن لا يبدو من الطرفين اذا وصلا الى سن البلوغ طعن في العقد السابق (راجع صفحة ٥٦ من كتاب أصول الطب الشرعي مؤلفه جاي و فريير الانكليزيين) فن أعجب العجائب بعد ذلك ان يقوم بعضنا في هذه الايام ويطلب تضييق شريعتنا الاسلامية الفراء بما لم يفعله الانكليزي في بلادهم الباردة وهم أرقى منا بكثير في سائر شؤونهم العلمية والمدنية والاجتماعية !!

أما زعم هؤلاء المضيقيين أن الفتاة اذا تزوجت قبل تمام نموها وقف هذا النمو فهو غير صحيح ، بل تكذبه المشاهدة العامة فان الحمل لاشك يسرع في تمام نمو الجسم كله ، ولذلك نجد الفتاة بعد الولادة يكبر جسمها بأسرع من الفتاة التي لم تنزوج . أما دعوى أن الفتاة اذا حملت وهي صغيرة ضعف جسمها عما اذا حملت وهي كبيرة فهي غير مسلمة ولا يمكن اثباتها اثباتا قطعيا وانما هي دعوى يرددها بعض الاطباء تقليدا لبعض بلا بحث ولا تمحيص ، فان الفتاة الكبيرة تكون ليس أعضائها أكثر عرضة للعقم والاجهاض أو عسر الولادة من الفتاة الصغيرة - كما سبق - ولا يخفى ما ينشأ عن الاجهاض وعسر الولادة من المضاعفات المرضية كفقير الدم الشديد بسبب النزف الرحمي والتمزقات المجانية وما يتبعها كالتواصير وسقوط المهبّل أو الرحم وغير ذلك ، بل ربما قضت المرأة نهجا في الاجهاض أو الولادة العسرة . نعم ان الطفل المولود من الفتاة الصغيرة يكون في أول الامر أصغر جرما من الذي ولد من الفتاة الكبيرة ، ولكنه لا يكون أقل صحة منه ، وصغر حجمه هذا لا يلبث طويلا بل يزول شيئا فشيئا مدة الترية . أما علم الوالدة بتربية الطفل فذلك يتوقف على مقدار ما اكتسبته في هذا الموضوع ودرجة صلاحيته وسهولة تلقينه لها أثناء دراستها المدرسية أو البيتية ، فان كانت تلقت شيئا نافعا في هذا الامر ولو كان مختصرا أفادها أكثر من التي قضت سنين عديدة من حياتها الأولى في دراسة الجغرافيا

مثلا والمهندسة والجبر

وإذا كانت الطبيعة لم تبخل على الفتاة الصغيرة باعطائها الحمل والولادة فكيف نحظر عليها الزواج ولسنا أعلم باستعدادها ولا أشفق عليها من الطبيعة؟<sup>(١)</sup> وأي شيء يجري عليه الناس طبق سنن الكون ونواميس الوجود وكان ضرره غالبا على نفعه ومحققا كما يدعون في هذه المسألة؟ أليس التضيق الذي يطلبونه مصادما للشرائع الإلهية والقوانين الوضعية، بل والسنن السكونية؟ فأني دليل قطعي عذرم عليه يتمدون؟ أما مضار تأخير زواج الفتاة بعد بلوغها في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كما هو الغالب عندنا في مصر فمنها زيادة الشهوة عندها التي قد تفسد أخلاقها أو تنجرها إلى الفسق أو الاعطاف (استمناؤ المرأة بيدها) أو السحاق وكلها أشياء يشتد الميل إليها في أول البلوغ ولذلك يكثر وجودها في البلاد التي تتأخر فيها البنات عن الزواج. ولا حاجة لي هنا للتكلم على ما ينشأ عنها من المضار والفساد فانها معروفة شهيرة والأمسك عن الجمل مع فرط الشهوة مضعف للجسم والاعصاب، مؤد إلى سوء المثلوى وضعف العقل، مورث للهستيريا أو الجنون والشقيقة وعسر الطمث، وغير ذلك وهناك بعض أسباب كثيرا ما تحمل الناس على التعميل بالزواج كالفتور أو فقد من يقوم بشؤون البنت وبريتها وكفالتها وحفظها من الوقوع في هياوي الدنس والعار، ولذلك ترى أن الشريعة الإسلامية وغيرها كالانكليزية اباحته في جميع الاعمار حتى للاطفال، الا اذا كانت البنت غير مطيقة للجماع، فيحرم في شريعتنا تسليمها للزوج حتى تطيق. واذا عقد أولياء الامر على طفل وطفلة أباح لها الاسلام فسح العقد اذا بلغا ما لم يكن الذي تولى الامر الاب أو الجد فانهما أدرى الأولياء وأعلمهم بمصلحة البنت وأشداهم محافظا عليها وأكثرهم رغبة في نفعها الصحيح وإبعاد كل ضرر عنها. فأني عيب في هذه الشريعة حتى أردنا الخروج عنها والاشتمال على ما بها، مع أنها تشبه شريعة الانكليزي في ذلك وهم من أدنى أمم الارض الآن !!

(١) المنار: كان ينبغي لعددنا الدكتور أن يقول هنا: وإذا كان المطلق المليم الحكيم قد أعند الفتاة في سن كذا للحمل الخ

وإذا علمت أن سن البلوغ تختلف باختلاف البلاد وأحوال أهلها تبين لك السبب في عدم تحديد الشريعة الإسلامية لهذه السن اشترطت بل اشترطت الاطاقة، ولم تمنع العقد على الاطفال، اما في ذلك من المنفعة للناس، كأن يريد شخص أن يضمن لنفسه الاتقاع بمال بنت أو جاهها أو الانتساب الى بيتها أو نحو ذلك، أو يكون له غرض آخر كالرغبة في النفقة عليها واحسان تربيتها لجمالها، أو لفقدتها الاهل والمعين من أقاربها

وبسبب سرعة البلوغ في البلاد الحارة كالهند وبلاد العرب فشت في الشرق عادة تزويج البنات الصغار كما هو معلوم، حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت خطبت قبل رسول الله (ص) وعمرها سبع سنوات لجبير بن مطعم بن عدي، وهو يدل على أنها كانت قد قاربت البلوغ في تلك السن وذلك عقد عليها الرسول (ص) وقتئذ ودخل عليها في التاسعة من عمرها، فالظاهر أنها كانت قد بلغت حينئذ كما هو الغالب في بنات العرب وأهل الهند وغيرهم من أهل الشرق كما سبق بيانه

أما المضار التي يذكرها المضادون لذلك الزواج فهي في الحقيقة ناشئة عن أحد أمرين أو عنهما معاً (الاول منهما) الدخول بالبنات قبل الاطاقة أو قبل البلوغ (الثاني) طريقة المصريين الوحشية في افتضاض البكارة، حتى أني شاهدت مرة بنتاً كادت تموت بزييف شديد من تمزق في مهبلها نشأ من أصبح زوجها الوحش القاسي، ولكن العيب في ذلك ليس على الشريعة نفسها، بل العيب إنما نشأ من الجهل والقسوة وعدم التزام حدود هذه الشريعة الفراء التي فيها الكفاية لتقويم المعوج

وهناك فوائد أخرى غير ما تقدم تزوج الفتيات الصغيرات بالغايات (منها) أنهن يحرصن الشهوة في ضفاف الرجال حتى أنهن يكن سبياً في تقوية أجسامهم وعودته الحياة اليهم، فتزيد قوة الباه عندهم ويتحسن نسلهم. وقد عرف ذلك الاقدمون حتى أنه ذكر في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أن داود (عليه السلام) شاخ وكانوا يذثرونه بالثياب فلا يدفأ أشدته ضعفه فأشار عليه عبيده باحضار ثمانية جملة لتخضنه ليدفأ ففعل ذلك وعاش بضعة شهور مع أنه كان في غاية الضعف

والبرودة والاضمحلال ( راجع الاصحاح الاول والثاني من سفر الملوك الاول ) .  
وكذلك فعل الامبراطور ( طييار يوس ) ليستعيد جسمه الضعيف حرارته الاولى .  
وقد أشار ( بورهاف ) الشهير على عمدة بلدة ( ساردام ) الذي كان مبتلياً بالقرص  
بأن يبيت مع بنات فتيات ، ولما عمل بمشورته نجست حاله وزال مرضه ( راجع صفحة  
٤٦٢ من كتاب تاريخ الانسان الطبيعي ) وقد جربوا ذلك العلاج أيضاً في الرومانزم  
المزمن للشيخ فأفاد كثيراً بعد ان يئسوا من الطب والدواء . وقال الكتاب  
المدكور ما محصله :

« ان مساكنة البنات الفتيات ذوات الدم الوافر والصحة الجيدة يتطابق منها  
نشأة منعشة تحترق جسم الشيخ الجاف وتسخن دمه الضعيف الفاتر وتحرك فيه  
الاعضاء الذابلة »

وذكر بعض العلماء أن من الشيوخ من اسود شعره ونبتت أسنانه مرة ثالثة  
بعد سقوطها بسبب معاشرة الفتيات الصغيرات ، وعادت اليه قوة الجماع . ولاشك  
ان صحة البنات في وقت البلوغ تكون أحسن منها في جميع الاوقات الاخرى  
فيؤثرن في الرجل تأثيراً قوياً مصلحاً ، فينتفع هو وينتفعن هن بجماله أو جاهه ،  
خصوصاً اذا كان من أصحاب الملايين أو الملوك . واذا تزوج رجل مسن بمعجوز  
مثله ساء نسلهما جداً بخلاف ما اذا كانت هي صبية

هذا ولعلم القارئ أي لا أذكر هذه الامثلة هنا لكي يمني يريد أن ينفذ  
الشيوخ عيش الفتيات بالتزويج بهن كلاً ؟ بل الغرض من ذكرها تنعيم البحث  
وبيان فوائد زواج البنات البالغات الصغيرات واستقصاء تلك الفوائد كلها

والخلاصة أني أرى أنه ليس من الصواب تحديد سن الزواج بالسنة السادسة  
عشرة من العمر بل الاصول عندي أن توضع طريقة لتحمل الناس على شدة مراعاة  
حدود الشريعة الاسلامية ، وأن يتركوا عاداتنا المصرية القاسية المعروفة في الزواج ،  
وان كان لا مندوحة عن التحديد فليكن ذلك بعد بلوغ البنت بسنة ، أوليجروا في ذلك  
حسب القانون المصري الحالي في مسألة عقوبة الفسق بأن يجعلوا سن الزواج ( ١٤ )  
سنة فافوق . هذا هو رأيي أبدي به باخلاص والله ولي التوفيق ، الهادي لا قوم طريق

## مقام المشاهدة وعين الجمع<sup>(\*)</sup>

﴿ الدرجة العليا في المشاهدة والفرق فيها بين التوحيد ونحيلات وحدة الوجود ﴾

قال<sup>(١)</sup> ﴿ الدرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب الى عين الجمع ، مالكة لصحة الوجود ، رابكة ببحر الوجود ﴾ صاحب هذه الدرجة أثبت عند الشيخ في مقام المشاهدة ، وأمكن في مقام الجمع الذي هو حضرة الوجود ، وأملك لحل ما يرد عليه في مقامه من أنواع العكشوفات والمعارف ، ولذلك كانت مشاهدته مالكة لصحة الوجود ، أي تشهد لنفسها بصحة ورودها الى حضرة الجمع ، وتشهد كلها بالصدق ، ويشهد المشهود أيضا لها بذلك ، فلا يبقى عندها احتمال شك ولا ريب وهذا أيضا مورد للمحدد والموحد ، فالمحدد يقول : مشاهدة الجمع هي مشاهدة الوجود الواحد الجامع لجميع المعاني والصور والقوى والأفعال والأسماء . وحضرة الجمع عنده هي حضرة هذا الوجود ، ومشاهدة الجمع تجذب الى عينه — قال — وصفة هذا الجذب أن يحل الحق تعالى عقد خلقته بيد حقيقته ، فيرجع النور الفاضل على صورة خلقته الى أصله ، ويرجع العبد الى عديته ، فيبقى الوجود للحق ، والفناء للخلق ، ويقوم الحق تعالى وصفا من أوصافه ثانيا عنه في استجلال ذاته ، فيكون الحق هو المشاهد ذاته بذاته ، في طور من أدهار ظهوره وهي مرتبة عبده ، فإذا ثبت الحق تعالى عبده بهد نفيه ومحوه ، وإبقائه بعد فناءه ، فعاد كما يعود السحكران الى صحوه — وجد في ذات استمراره ، وطور صفاته ، وحقائق ذاته ، ومعالم وجوده ، ومطارج أشعة نوره ، ووجد خلقته أسماء مسمى ذاته وعوده اليه ، فبرى العبد ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الأسماء المشيرة بدلائلها الى الوجود المنزه الاصل الموهوم الفرع ، فيؤدي استصحاب النظر الى أصله ، أن الفرع لم يفارقه هو الا بشكليه والشكل على اختلاف ضروبه ، فعنى عديتي تعين إمكانه في وجوده

(\*) مقتبس من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين (١) يعني صاحب كتاب منازل السائرين

فانظر ما في هذا الكلام من الاتحاد والكفر الصراح، وجعل عين المخلوق نفس عين الخالق، وان الرب سبحانه أقام نفس أوصافه ناثبة عنه في استجلاء ذاته، وأنه شاهد ذاته بذاته في مراتب الخلق، وان الانسان اذا صاح من سكره وجد في ذاته حقائق ذات الرب، ووجد خليقته أساء مسمى ذاته، فبرى ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلالاتها الى الوجود « المنزه الاصل » يعني عن الانقسام والتكثر « الموهم الفرع » يعني الذي يوهم فروعه وتكثر مظاهره واختلاف اشكاله انه متعدد، وانما هو وجود واحد، والاشكال على اختلاف ضرورها أمور عدمية، لانها ممكنة وامكانها يقى في وجوبها، فلم يبق الا وجوب واجب الوجود، وهو واحد وان اختلفت الاشكال التي ظهر فيها، والاسماء التي اشارت اليه، فالانحادي يشاهد وجودا واحدا جامعا لجميع الصور والانواع والاجناس فاض عليها كلها فظهر فيها بحسب قوابلها واستعداداتها، وذلك الشهود يجذبه الى انحلال عزمه عن التقييد بمعبود معين أو عبادة معينة، بل يبقى معبوده الوجود المطلق الساري في الموجودات بأي معنى ظهر وفي أي ماهية تحقق، فلا فرق عنده بين السجود للصنم والشمس والقمر والنجوم وغيرها كما قال شاعر القوم<sup>(١)</sup>

وان خر للاحجار في البيد عا كف      فلا تمد بالانكار بالعصبية  
وان عبد النار المحوس وما انطفت      كما جاء في الاخبار مذالف حجة  
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم      سواي وان لم يظاروا عقد نية  
وما عند الزنار حكما سوى يدي      وان حل بالاقرار لي فهي بيعتي  
وكما قال عارفهم<sup>(٢)</sup>: واعلم ان الحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر — قال — ( وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ) — قال — رما قضى الله شيئا الا وقع<sup>(٣)</sup> وما عبد غير الله في كل معبود . فهذا مشهد الملحد

(١) كتب في هامش ب « هو ابن الفارض » ٢ وفي هامشها أيضا « لعله ابن عربي صاحب القصص ، المشتمل على مخالفة النصوص »  
(٢) حل القضاء على التكويني وانما هو بمعنى التشريعي ، فحجته داخلية

والموحد يشاهد بإيمانه ويقينه ذاتا جامعة للأسماء الحسنی والصفات العلی ، لها صفة كل كمال <sup>(١)</sup> وكل اسم حسن ، وذلك يجذبه الى نفس اجتباع همه على الله وعلى القيام بفرائضه ، والطريق بمجموعها لا يخرج عن هذين السبيلين ، وان طولوا العبارات ودققوا الاشارات ، فالامر كله دائر على جمع الهمة <sup>(٢)</sup> على الله ، واستفراغ الوسع بنهاية النصيحة في التقرب اليه بالتواقل ، بعد تكميل الفرائض ، فلا تطول ولا يعول عليك

وشيخ الاسلام مراده بالجمع الجاذب الى عين الجمع امر آخر بين هذا وبين جمع أهل الوحدة وعين جمعهم ، لا هو هذا ولا هذا ، فهو دائر على الفناء لا تأخذه فيه لومة لائم ، وهو الجمع الذي يندندن حوله ، وعين الجمع عنده هو تقدر الرب سبحانه بالازلية والادوم <sup>(٣)</sup> وبخلق والفعل ، فكان ولا شيء ، ويكون بعد كل شيء ، وهو للمكون لكل شيء ، فلا وجود في الحقيقة لغيره ، ولا فعل لغيره ، بل وجود غيره كالخيال والظلال ، وفعل غيره في الحقيقة كحركات الاشجار والنبات ، وهذا تحقيق الفناء في شهود الربوبية والازلية والابدية ، وطى بساط شهود الاكوان ، فاذا ظهر هذا الحكم اتضح وجود العبد في وجود الحق ، وتديره في تدبير الحق ، فصار سبحانه هو المشهود بوجود من العبد متلاش مضمحل كالخيال والظلال ، ولا يستعد لهذا عندهم الا من اجتمعت ارادته على المراد وحده حالا لا تكلفاء وطبعيا لا تعظيما ، فقد تلبعث الهمة الى أمر وتطلق به ، وصاحبها معرض عن غير مطلبه متحل به ، ولكن ارادة السوى كامنة فيه قد توارى حكمها واستتر ، ولما يزل ، فان القلب اذا اشتغل بشيء اشتغالا تاما توارى عنه ارادته لغيره والتفاتة الى ما سواه ، مع كونه كامنة في نفسه ، مادته حاضرة عنده ، فاذا وجد فجوة وادنى فخل من شاغله ظهر حكم تلك الارادات التي كان سلطان شهوده يحول بينه وبينها

فاذا الجمع وعين الجمع ثلاث مراتب (اعلاها) جمع الهم على الله ارادة ومحبة واثابة ، وجمع القلب والروح والنفس والجوارح على استفراغ الوسع في التقرب اليه بما يحبه ويرضاه ، دون رسوم الناس وعوائدهم ، فهذا جمع خواص القومين

(١) في ب « كل صفة كمال (٢) وفيها « الهم » (٣) وفيها « والادوم »

وساداتهم ( والثاني ) الاستفراق في الفناء في شهود الربوبية ، وفرد الرب سبحانه بالازلية والدوام ، وان الوجود الحقيقي له وحده وهذا الجمع دون الجمع الاول براتب كثيرة ( الثالث ) جمع الملاحدة الانحدادية وعين جميعهم ، ودو جمع الشهود في وحدة الوجود ، فليكن بتميز المراتب ، لتسلم من المعاطب ، وسيأتي ذكر مراتب الجمع والتميز بين صحيحها وفاسدها في آخر باب التوحيد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله المستعان

قوله « مالكة لصحة الوجود » أي ضامنة لصحة ورودها ، شهادة بذات مشهوداتها به ، لانها فوق مشاهدة المعرفة وفوق مشاهدة المعاينة قوله « رابعة بحر الوجود » يعني تلك المشاهدة رابعة بحر الوجود فهي في لجة بحره لا في انواره ولا في بوارقه ، وقد تقدم الكلام على مراده بالوجود ، وأنه وجود علم ووجود عين ووجود مقام ، وسيأتي تمام الكلام عليه في باب ان شاء الله تعالى

### منزلة المعاينة أو مقامها

✽ من مدارج السالكين أيضا ✽

قال شيخ الاسلام <sup>(١)</sup> ✽ ( باب المعاينة ) قال الله تعالى ( ألم تر الى ربك كيف مد الظل ) قلت المعاينة مفاهلة من العيان ، وأصلها من الرؤية بالعين يقال : عاينه اذا وقفت عينه عليه ، كما يقال : شافه . اذا كلمه شفاه ، وواجهه ، اذا قبله بوجهه ، وهذا مستحيل في هذه الدار أن يظفر به بشر ، واما قوله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » فالرؤية واقعة على نفس مد الظل <sup>(٢)</sup> لا على الذي منه سبحانه ، كما قال تعالى ( ألم ترؤا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ) وقوله تعالى ( ألم تر كيف فعل ربك باصحاب النعيل ) فهاهنا أوتع الرؤية على نفس الفعل ، وفي قوله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » أوقفها في اللفظ عليه سبحانه والبراد فعله من مد الظل ، هذا كلام عربي بين معناه غير محتمل ولا مجمل ، كما قيل في المزمى : [ كفراؤك اليوم ولا سبحانهك \* اني رأيت الله قد اهانك ] وهو كثير في (١) أي ابو اسماعيل الهروي صاحب المنازل (٢) في ب « نفس هذا الظل



كلامهم ، يقولون : رأيت الله قد فعل كذا وكذا . والمراد رأيت فعله ، فالعيان  
والرؤية واقع على المفعول لاعلى ذات الفاعل وصفته ، ولا فعله القائم به

## فصل

قال صاحب المنازل ﴿ المعاينة <sup>(١)</sup> ثلاث (أحداها) معاينة الابصار (الثانية)  
معاينة عين القلب وهي معرفة عين الشيء <sup>(٢)</sup> على نعمته هلما قطع الريبة ، ولا تشوبه  
حيرة <sup>(٣)</sup> (الثالثة) معاينة عين الروح وهي التي تعين الحق عياناً محضاً ، والارواح  
انما ظهرت وأكرمت بالبقاء لتعابن <sup>(٤)</sup> سناء الخسرة وتشاهد بها العزة ، وتجذب  
القلوب الى فناء الخسرة ﴾ جعل الشيخ المعاينة للعين والقلب والروح ، وجعل  
لكل معاينة منها حكماً ، فمعاينة العين هي رؤية الشيء عياناً لمّا بانطباع صورة  
المعنى في القوة الباصرة عند أصحاب الانطباع ، وأما بالتصالح الشماع المنبسط من  
العين المتصل بالمعنى عند اصحاب الشماع ، وأما بالنسبة والاضافة الخاصة بين  
العين وبين المعنى عند كثير من المتكلمين ، والاقوال الثلاثة لا تخلو عن خطأ  
وضواب ، ولحق شيء غيرهما ، وإن الله سبحانه جعل في العين قوة باصرة كما جعل  
في الاذن قوة سامعة وفي الالف قوة شامة وفي اللسان قوة ناطقة ، فهذه قوى  
أودعها الله في سبحانه هذه الاعضاء وجعل بينها وبينها رابطة ، وجعل لها أسباباً من  
خارج ، وموانع تمنع حكماء وكل مذكروه من انطباعه وقابلة وشماع ونسبة واضافة  
فهو سبب وشرط والمتنفي هو القوة القائمة بالمحل ، وليس الغرض ذكر هذه المسئلة  
فالمقصود أمر آخر

وأما معاينة القلب فهي انكشاف صورة المعلوم له بحيث تكون نسبتة الى القلب  
كنسبة المرئي الى العين ، وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعى كما تبصر العين  
وكما تعى ، قال تعالى (فانها لا تعى الابصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور)  
فالقلب يرى ويسمع ويعى ويصم ، وعماه وصممه أباح من عى البصر وصممه  
(١) في المتن وب « المعانيات » « ٢ » في المتن « معرفة الشيء » « ٣ » زاد فيه هنا  
« وهذه معاينة بشواهد العلم » (٤) في ب « لتناغي »

وأما ما يثبت متأخرو القوم من هذا القسم الثالث [ وهو رؤية الروح وسميها وارادتها وأحكامها التي هي أخص من أحكام القلب ] فهو لاء اعتقادهم أن الروح غير النفس والقلب<sup>(١)</sup> ولا ريب أن هاهنا أموراً معلومة وهي البدن وروحه القائم به والقلب المشاهد فيه وفي سائر الحيوان ، والغريزة وهي القوة العاقلة التي محلها القلب ، ونسبتها الى القلب كنسبة القوة الباصرة الى العين ، والقوة السامعة الى الاذن ، ولهذا نسي تلك القوة قلباً كما نسي القوة الباصرة بصراً . قال تعالى ( ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) ولم يرد شكل القلب فانه لكل أحد ، وانما أريد القوة والغريزة المودعة فيه ، والروح هي الحاملة للبدن وهذه القوى كلها ، فلا قوام للبدن ولا لقواه الا بها ، ولها باعتبار اضافتها الى كل محل حكم واسم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل البصر سميت بصراً وكان لها حكم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل السمع سميت سمعاً وكان لها حكم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل العقل — وهو القلب — سميت قلباً ولها حكم يخصها ، وهي في ذلك كله روح . فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة وروح باصرة و سامعة وعاقلة وناطقة ، فهي في الحقيقة<sup>(٢)</sup> هذا الماقل الفهم المدرك المحب المعارف المحرك للبدن الذي هو محل الخطاب والامر والنهي — هو شيء واحد له<sup>(٣)</sup> صفات متعددة بحسب متعلقاته ، فانه يسمى نفساً مطمئنة ونفساً لوامة ونفساً أمارة وليس هو ثلاثة أنفس بالذات والحقيقة ، ولكن هي نفس واحدة لها صفات متعددة ، وهم يشيرون بالنفس الى الاخلاق والصفات المذمومة فيقولون : فلان له نفس وفلان ليس له نفس . ومعلوم أنه لو فارق نفسه لمات ، ولكن يريدون تجرده عن صفات النفس المذمومة . والمحققون منهم يقولون : ان النفس اذا تلطفت وفارقت الرذائل صارت روحاً . ومعلوم انها لم تعدم ويخلق له مكانها روح لم تكن ، ولكن عدمت منها الصفات المذمومة وصار مكانها الصفات الحمودة فسميت روحاً

( ١ ) سقط من ب كلمة والقلب ( ٢ ) في ب « ففي الحقيقة » ولعله الصواب

( ٣ ) وفيها « وله »

وهذا اصطلاح مجرد والا فالفقه سبحانه ساءها نفساً في القرآن في جميع أحوالها -  
 أمارة ولوامة ومطمئنة. وقال تعالى ( الله يتوفى الانفس حين موتها ) ويدخل في  
 هذا جميع أنفس العباد حتى الانبياء ، وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم روحاً  
 على الاطلاق مؤمنة كانت أو كافرة ، برة أو فاجرة ، كقوله « ان الروح اذا قبض  
 تبعه - البصر » وقوله « ان الله قبض أرواحنا حيث شاء ووردها حيث شاء »  
 وقوله في حديث قبض الروح وصفته : ان كان (١) مؤمناً كان كذا وكذا وان  
 كان كافراً كان كذا وكذا . فسمى المقبوض روحاً كما سماه الله في كتابه نفساً ،  
 وهذا المقبوض والمتوفى شيء واحد لا ثلاثة ولا اثنان ، واذا قبض تبعته القوى  
 كلها - العقل ومادونه ، لانه كان حامل الجميع ومركبه

اذا عرف هذا فالمعاينة نوعان: معاينة بصر، ومعاينة بصيرة، ومعاينة البصر وقوعه  
 على نفس المرئي، أو مثاله الخارجي كروية مثال الصورة في المرآة والماء ؛ ومعاينة  
 البصيرة وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي ، فيكون ادراكه له  
 بمنزلة ادراك العين للصورة الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن  
 بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدركا بحيث يستغرق فيه ،  
 فيغلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة فيستولي على السمع والبصر بحيث  
 يراه ويسمع خطابه في الخارج وهو في النفس والذهن ، لكن لعلبة الشهود وقوة  
 الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع  
 بالاذن ، بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب البتة ولا يقبل عدلاً

وحقيقة الامر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد ، فذلك الذي  
 أدرك بعين القلب والروح انما هو شاهد دال على الحقيقة ، وليس نفس الحقيقة ،  
 فان شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي  
 لا تقوم له السموات والارض ، فانه لو ظهر لها لتدكدكت وأصابها ما أصاب  
 الجبل ، وكذلك شاهد نور المظلمة في القلب انما هو نور التعظيم والجلال ، لا نور  
 نفس المعظم ذي الجلال والاكرام ، وليس مع القوم الا الشواهد والامثلة العلمية

والدقائق<sup>(١)</sup> التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وانسه به واستغراقه في محبته ،  
 وذكره واستيلاء سلطان معرفته عليه ، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله ،  
 منزله مقدس عن اطلاع البشر على ذاته أو أنوار ذاته ، أو صفاته أو أنوار صفاته ،  
 وإنما هي الشواهد التي تقوم بقلب المبدك فيقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار  
 وما أعد الله لأهلها ، وهذا الذي وجدته عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال :  
 « ما أرى الجنة ! أفى أجد ربيها دون أحد . ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم  
 » إذا مورثتم برياض الجنة فارتعوا — قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : — حلق  
 الذكركر » ومن قوله « ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة » فهو روضة  
 لأهل العلم والإيمان لا يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي عين ، وإذا  
 قصد المناق في ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة ، ومن هذا  
 قوله « الجنة تحت ظلال السيوف » فالعمل إنما هو على الشواهد ، وعلى حسب شاهد  
 القلب يكون عمله . اهـ المراد منه

## أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الإمام أبو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه ( المحلى )

وعناوين المسائل من زيادة المنار

مأخذ الاسلام ودلائله

﴿ مسألة ﴾ دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من  
 القرآن ، أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إما برواية جميع  
 علماء الأمة عنه عليه السلام — وهو الاجماع — وإما بنقل جماعة عنه عليه  
 السلام — وهو نقل الكافة — وإما برواية الثقات واحدا عن واحد حتى

يلفغ اليه عليه السلام، ولا مزيد

قال تعالى ( وما ينطق عن الهوى، ان هو إلا وحيٌ بُوحى ) وقال تعالى ( اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ) وقال تعالى (اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فان تمارض — فيما يرى المرء — آيتان، أو حديثان صحيحان، أو حديث صحيح وآية، فالواجب استعملهما جميعاً، لأن طاعتهما سواء في الوجوب، فلا يحل ترك أحدهما للآخر مادامنا نقدر على ذلك . وليس هذا إلا بأن يستثنى الأقل معاني من الاكثر، فإن لم يقدر على ذلك وجب الاخذ بالزائد حكماً لانه متيقن وجوبه، ولا يحل ترك اليقين بالظنون، ولا إشكال في الدين، قد بين الله دينه. قال تعالى (اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وقال تعالى ( تَبَيَّنَا الْأَمْرَ كُلَّ شَيْءٍ )

الحديث المرسل والموقوف والضعيف

هو مسألة والمرسل والموقوف لا تقوم بهما حجة، وكذلك ما لم يروه إلا من لم يوثق بدينه وبحفظه. ولا يحل ترك ما جاء في القرآن أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره، سواء كان هو راوي ذلك الحديث أو لم يكن.

والمرسل هو ما كان بين أحد رواه وبين غيره أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وسلم من لا يعرف. والموقوف هو ما لم يبلغ به إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

برهان بطلان الموقوف قول الله عز وجل ( لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) فلا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يحل لاحد ان يضيف ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لأنه ظن، وقد قال تعالى ( إن الظن لا يثبت من الحق شيئاً ) وقال تعالى ( ولا تقف ما ليس لك به علم )

وأما المرسل <sup>(١)</sup> ومن في رواته من لا يوثق بدينه وحفظه — فلقول الله تعالى ( فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ) فأوجب الله تعالى قبول نذارة النافر للتفقه في الدين، وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فئتم نادمين ) وليس في العالم الا عدل أو فاسق، فحرم الله تعالى علينا قبول خبر الفاسق فلم يبق الا العدل، فصحيح أنه هو المأمور بقبول نذراته

واما المحبول فلسنا على ثقة من انه على الصفة التي امر الله تعالى معها بقبول نذارته وهو التفقه في الدين. فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقها في الدين، وحفظه لما ضبط من ذلك، وبرأيه من الفسق، وبالله تعالى التوفيق

ولم يختلف احد من الامة في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الملوك رسولاً رسولاً واحداً الى كل مملكة يدعوهم الاسلام، وواحداً واحداً الى كل مدينة والى كل قبيلة — كصنعاء والجند <sup>(٢)</sup>

(١) اي واما بطلان الاستدلال بالحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف  
(٢) الجند بالتحريك مدينة باليمن كانت عاصمة أعظم ولاياتها الثلاث في صدر الاسلام. قال في معجم البلدان عند الكلام عليها: وأعمال اليمن في الاسلام مقصورة على ثلاثة ولايات — فوال على الجند ومخاليقها، وهو أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليقها وهو أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليقها وهو أدناها. والجند مسماة بجند بن شهران — بطن من المعافر. قال عمارة: وبالجند مسجد بناه معاذ ابن جبل الخ

وحضرموت ونباء ونجران والبحرين وعمان وغيرها ، يعلمها أحكام الدين كلها ، وافترض على أهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم ، فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغا الى رسول الله (ص) .

ومن ترك القرآن أو ماصح عن رسول الله (ص) لقول صاحب أو غيره سواء كان راوي ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه ، لقول لم يأمره الله تعالى قط ببطاعته ولا باتباعه . وهذا خلاف لأمر الله تعالى

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله ، لانه تعالى لم يأمر بذلك ، لكنه موجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي أوجب الله تعالى

### النسخ

﴿مسألة﴾ والقرآن ينسخ القرآن والسنة ، والسنة تنسخ السنة والقرآن . قال الله عز وجل ( ما تنسخ من آية أو تنسخها نأت بخير منها أو مثلها ) وقال تعالى ( لتبين للناس ما نزل إليهم ) وقال تعالى ( وما ينطق عن الهوى انه هو الا وحى يوحى ) وأمره تعالى ان يقول ( إن أتبع الا ما يوحى الي ) وقال تعالى ( ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين ) فصح أن كل ما قاله رسول الله (ص) فمن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان . وكل ذلك من عند الله تعالى

### منع دعوى النسخ والتخصيص والتأويل

﴿مسألة﴾ ولا يحل لاحد ان يقول في آية أو في خبر عن رسول

الله (ص) ثابت : هذا منسوخ أو هذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ، ولا ان لهذا النص تأويلاً غير مقتضي ظاهر لفظه ، ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكره ، أو باجماع متيقن بانه كما ذكره ، أو بضرورة حسن موجبة انه كما ذكره ، والا فهو كاذب . برهان ذلك قول الله تعالى ( وما أرسلنا من رسول الا ليطاع ) وقوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ) وقال تعالى ( بلسان عربي مبين ) وقال تعالى ( وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ) وقال تعالى ( فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) فقوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول الا ليطاع ) موجب طاعة رسول الله (ص) في كل ما امر به ، وقوله ( اطيعوا الله ) موجب طاعة القرآن . ومن ادعى في آية أو خبر نسخاً فقد أسقط وجوب طاعتها ، فهو مخالف لأمر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ) موجب أخذ كل نص في القرآن والاخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية . فمن ادعى في شيء من ذلك ان المراد به غير ما يقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه ، وقال عليه عز وجل الباطل وخالف قوله عز وجل . ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص ، واسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة ، وهذا قول على الله تعالى بالباطل . وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه من سائر ما يقتضيه . وقوله تعالى ( فليحذر الذين يخالفون عن امره ) موجب



الوعيد على من قال لا يجب علي موافقة أمره ، وموجب أن جميع النصوص على الوجوب . ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب الطاعة لله تعالى ، ووجوب ما أوجب الله عز وجل من طاعة رسوله (ص) في تلك المدة . وهذا خلاف لأمر الله عز وجل ، فإذا شهد لدعوى من ادعى بعض ما ذكرنا قرآن وسنة ثابتة إما باجماع وإما بنقل صحيح فقد صحق قوله ووجوب طاعة الله تعالى في ذلك . وكذلك من شهدت له ضرورة الحسن أنها فعل الله تعالى في النفوس ، والأفهي أقوال مؤدية إلى إبطال الاسلام ، وإبطال جميع العلوم ، وإبطال جميع اللغات كلها . وكفى بهذا فسادا ، وبالله تعالى التوفيق

#### إنما الاجماع إجماع الصحابة

مسألة ١٠ والاجماع هو ما يقرن ان جميع أصحاب رسول الله (ص) عرفوه وقالوا به ولم يختلف منهم أحد ، كتيقنا أنهم كلهم رضي الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها ، أو علموا انه صلاها مع الناس كذلك ، وأنهم كلهم صاموا معه أو علموا انه صام مع الناس رمضان في الحضر ، وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين ، والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين . وهذا ما لا يختلف أحد في أنه إجماع ، وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لا مؤمن في الارض غيرهم ، ومن ادعى ان غير هذا هو اجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل له اليه .

مسألة ١١ وما صح فيه خلاف من واحد منهم رضي الله عنهم ولم يتيقن ان كل واحد منهم رضي الله عنهم عرفه ودان به فليس اجماعا ، لان

من ادعى الاجماع هاهنا فقد كذب ، وقفنا ما لا علم له به ، والله تعالى يقول (ولا تنفُ ما ليس لك به علم) الاجماع بعد الصحابة متعذر

﴿مسألة﴾ ولو جاز ان يتيقن اجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه باجماع الصحابة رضي الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة . وليس كان يكون اجماعا . أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله (ص) « لن تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا أنه لا يجوز البتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطأ ، ولا بد من قائل بالحق فيهم . واما انه ليس اجماعا فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ليس جميع المؤمنين وانما هم بعض المؤمنين . والاجماع انما هو اجماع جميع المؤمنين لا اجماع ببعضهم . ولو جاز ان يسمى اجماعا ماخرج عن الجملة واحد لا يعرف أوافق سائرهم أو يخالفهم — لجاز ان يسمى اجماعا ماخرج عنهم فيه اثنان وثلاثة وأربعة وهكذا أبداً حتى يرجع الامر ان يسمى اجماعا ماقله واحد ، وهذا باطل . ولكن لاسبيل الى تيقن اجماع جميع أهل عصر بعد الصحابة رضي الله عنهم ، لكثرة اعداد الناس بعدهم ، ولاهم طبقوا ما بين المغرب والمشرق ، ولم تكن الصحابة رضي الله عنهم كذلك ، بل كانوا عدداً يمكننا حصره وضبطه وضبط أقوالهم في المسألة . وبالله تعالى التوفيق .

وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضاء أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي بأقوال هؤلاء . (قال علي) وهذا (التار: ج ٥) (٤٩) (المجلد الثامن عشر)

خطأ، لأنه لا سبيل الى ان تكون مسألة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء  
الا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله  
رد المتنازع فيه الى الكتاب والسنة

﴿مسألة﴾ والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما  
أن يرجع الى القرآن وسنة رسول الله (ص) لا الى شيء غيرهما، ولا  
يجوز الرجوع الى عمل أهل المدينة ولا غيرهم، برهان ذلك قول الله عز  
وجل (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم  
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم  
الآخر) فصح أنه لا يحل الرد عند التنازع الى شيء غير كلام الله تعالى  
وسنة رسوله (ص) وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول  
الله (ص) لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خاف أمر  
الله تعالى بالرد اليه والى رسوله، لا سيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (ان كنتم  
تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول  
بعض المؤمنين دون جميعهم، وقد كان الخلفاء رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر  
وعثمان بالمدينة وعملهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمل عمر وعثمان بالبصرة  
والكوفة ومصر والشام، ومن الباطل المتيقن الممتنع الذي لا يمكن — ان  
يكونوا رضي الله عنهم طوعا وعلم الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار  
واقصروا به على أهل المدينة، فهذه وصلة سوء تداعاؤهم الله تعالى منها  
وقد عمل ملوك بني أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة وتقديم الخطبة  
على الصلاة في العيد حتى فشا ذلك في الارض فصح أنه لا حجة في عمل  
أحد دون رسول الله (ص) (المنار) بقية المسائل في إبطال القياس وتقسيم في التفسير

## مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية

٢

### الاثر المصري

الزى ذكر فيه اسم بني اسرائيل

المحفوظ الآن بمتحف القاهرة — عدد ٣٤٠٢٥

( وبعض ما فيه من الاتفاق بين لغة قدماء المصريين واللغة العربية ) ( \* )

أني تلقيت عن والدي في مدارس الحكومة الدروس الهيروغليفية التي ألفها في نيف وثلاث سنين ، وثابت بعد ذلك على الاهتمام بها ولا سيما في أيام العطلة الدراسية . ثم صرفت أيام هذه الاجازة الاخيرة في ترجمة وجه واحد من الحجر الكبير المنقوش عليه اسم بني اسرائيل وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظها على ما يقابلها في اللغة العربية ليعلم وجه انشبه بين اللغتين ، وجعلت كل كلمة مصرية موافقة للعربية بين علامتين هكذا [ ] فجاء بمحمد الله با كورة عمل أزفيا لأبناء وطني راجيا منهم ان يصفحوا عما يرونه فيه من زلة القلم ، وقتنا الله واياهم لنشر العلوم والمعارف أمين

وصف الاثر بالاجمال :

صنع هذا الاثر الملك ( امنوفيس الرابع ) من الاسرة الثامنة عشرة وتتش على وجه منه وصف بعض أعمال دينية قام بأدائها — ثم جاء من بعده ( مفتاح ) الذي هو فرعون سيدنا موسى عليه السلام على القول الراجح ، وكتب على الوجه الآخر

( \* ) بقلم حسن افندي كمال الطالب بمدرسة الملك في لندرة نجل الاثري أحمد كمال بك أمين دار الآثار المصرية وقد جعلناه مكان التبذة الثانية مما وعد به والده ، وأوضحنا تفسير بعض الكلمات

كيفية حربه مع الالبيين ، واستطرد الى بيان أحوال مصر وقتئذ ، مع الامالاع الى ذكر ولايات أخرى أخضعها لحكمه . وهذا النقش الاخير هو الذي عنيت بترجمته . فظهر لي ان الكاتب المصري تحرى فيه أساليب الانشاء التي كانت شائعة في عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وكان السبب في نقشه وتسطيره انتصار عظيم أحرزه فرعون (منفتاح) على الالبيين ، فأمر بتدوين هذا النصر لتخليد ذكره بين الخلفاء ، وكان ذلك في السنة الخامسة من حكمه . لكن عبارات نصه لم تردنا شيئا جديدا عما كتبه عن نتيجة هذه الحرب في نقوش الكرنك ، غير انه تكلم بصراحة هنا عما حصل في أيامه من الفرح والسرور والحرية للبلاد المصرية . ولولا النص المنقوش في معبد الكرنك المشروح فيه حوادث هذه الحرب بالتفصيل لما تيسر لنا الوقوف من هذا الأثر على مكانة الفوز المبين الذي ناله منفتاح ، ولا على الحالة المرحجة التي وقعت فيها البلاد المصرية عند نشوب هذه الحرب الطاحنة

ومن تأمل معاني العبارات الواردة في نص هذا الاثر النفيس علم بعض أحوال البلاد المصرية وقت السلم وعلى الاخص العبارة التي ذكر فيها اسم بني اسرائيل المدرجة في آخره لانها استوجبت توجيه النظر من الاثريين لكونها أول عبارة أخطرتنا بهذا الاسم المشهور في الكتب الدينية

وذلك انه ورد في الاثر اشارة اجمالية الى ذكر خضوع بعض الامم الاجنبية ومن جملتهم بنو اسرائيل . لكن العبارة التي ذكر فيها هذا الاسم جاءت في غاية الانحياز ، حتى تعذر علينا استنتاج فائدة كبيرة منها . على انها صيغت في أسلوب متداول الاستعمال في اللغة المصرية القديمة طالما عبر به عن أمم أخرى في نصوص غير هذا

ومعنى هذه العبارة ان بني اسرائيل « لم تبق لهم برزة » أي ذرية في الارض . فاجتهد بعض الاثريين في تأويلها فقالوا انها تفيد محو نسل بني اسرائيل بلذبح آبائهم واستحياء نسايتهم . لكن نرى من جهة أخرى ان هذه العبارة نفسها ذكرت كثيرا في الآثار المصرية عن أمم أخرى أجنبية كما ترى في الامثلة الآتية (الاول) ماجاء في حرب رمسيس الثالث من حكمه لسكان البحر الابيض

في السنة الثامنة من حكمه اذ قال ما ترجمته: «والذين وصلوا حدود بلدي تبدد شملهم ولم تبق لهم بزره»

(الثاني) ماجاء في كتاب (دِمْخَن) <sup>(١)</sup> من أن اللويين والسپيدین مزقوا ولم تبق لهم بزره

(الثالث) ماجاء أيضا في الكتاب المذكور <sup>(٢)</sup> من قولهم « وصارت بلادهم رماداً قفراً بلقما فلم تبق لهم بزره »

(الرابع) ماجاء في حرب رمسيس الثالث وذلك في السنة الخامسة من حكمه من أن — رئيس عمورة المدعو (جورو ....) لم تبق له بزره

فيعلم مما تقدم ان التعبير بلفظ لم تبق له بزره هو تعبير عن عدم لا يراد به في الاثر الذي نحن بصدده محق ذرية نبي اسرائيل من هذه الدنيا بدمج الابناء واستحياء النساء — ومن الواضح الجلي ان موطن نبي اسرائيل كان في فلسطين حسب نص الاثر وان مفتاح قهرهم فيها وسلب أموالهم كما فعل بغيرهم من الامم المجاورة لهم بالكيفية الميئنة بعد

### ترجمة الاثر <sup>(٣)</sup>

[النهار] الثالث من [أبيب] للسنة الخامسة من حكم [الحر - أي الباشق - القوي المرقى للعدل] الملك مفتاح العظيم [البأس المرقى بقوة] الإله حوريس [القوي] ضارب [البدو] ذوالاسم السرمدي الذي تحدث [الناس] بمسجداته [في جميع البحار، لانه جعلهم يرون الدنيا كلها] منضمة [له] ، ولانه استعمل قواته

(١) هذا الكتاب حاول نفوش مصرية تاريخية فراجع هذه العبارة في السطر

٣٦ من الباب ٣٤ من الجزء الاول

(٢) راجع في الجزء الاول من الكتاب المذكور السطر الثاني من الباب المتعم للعشرين (٣) لانا أثبتنا في الترجمة بالألفاظ المصرية القديمة (الهيروغليفيّة) الموافقة للألفاظ العربية، ومن هذه الألفاظ ماهو مستعمل الآن ومنها ماهو غريب غير مستعمل أو قليل الاستعمال فاضطررنا الى تفسيره في اثناء الكلام او في الهوامش فلماذا لا غرابة فيما يوجد في الترجمة من ضعف وركاكة ، لأن هذه أول مرة حوفظ فيها على الألفاظ المتفقة في اللغتين بنصها فيهما

فبافيه النفع فهو [ الصيدن القلب - مفتاح - النساب <sup>(١)</sup> القوي ] ذو  
[ البأس ] المهلك [ لشائنية ] ذو الحسن في شدة [ القوة ] الذي [ ينهض ]  
نهوض الشمس [ ليكف ] عن مصر ما يحل بها من العواصف ، وليجعلها ناظرة  
لقصر الشمس عند [ سطوعه ] وليدفع جبل النحاس عن اعناق الاهالي <sup>(٢)</sup> فيمنح  
الحرية للناس الواقفين في الضيق ، وليعاف سكان منف من فعل أعدائهم وليجعل  
« أسوديس » [ اشرا ] ( أي فرحا ) في [ صبيته ] <sup>(٣)</sup> الفائح الذي يفتح  
الحصون ويوصل لمعابه أرزاقها ، فهو الملك مفتاح الوحيد الذي يطمئن [ أبواب ]  
الجمل الفقير فيدخل عند رؤيته نفس الحياة في أنوفهم . فهو [ السائد ] على أرض  
التمجو <sup>(٤)</sup> ملقي [ الهول ] السرمدي في [ أبواب ] المشواش ، المنزل للوبيين  
المثوغلين في مصر حتى جعل [ روع ] القطر المصري العظيم في [ لبهم ] وجعل  
مقدمة جيشهم ومؤخره لم يبرح الأرض في سيرهم على أرجلهم ، بل ظلوا على أقدامهم  
واقفين حتى وقعت رماثهم وأقواسهم ، وصارت قلوب المصريين منهم أذلة من  
المشي ، فتكوا قرب الماء وألقوها على الأرض ، وأخذت جلودها ورميت

أما الوالي [ انخسيس ] حاكم لوبيا [ فخارت ] قواه وهرب تحت [ جناح ] ( الليل )  
بلا ريشة على رأسه ، وكانت رجلاه تسير سيرا ثقيلا ، وأخذت أمامه [ حاميته ] - أي  
نساؤه - ، ونهبت حبوب محصولاته ، فلا [ ماء ] في القرب [ للمعيشة ] فكانت  
وجوه [ أصنامه تهصص ] <sup>(٥)</sup> بعيونهم ، ويقتل الواحد من [ هدااته ] <sup>(٦)</sup> ثانية [

١ الصيدن - الملك - والقب - رئيس القوم وسيدهم وقيل الملك وقيل الخليفة  
والناب السيد الوجيه ، وهو مجاز أصله المسن من الابل

٢ المقصود من جبل النحاس الامور الشاقة الثقيلة العبء كانها من حيث  
الثقل جبل من نحاس فهي استمارة مستعملة عندنا في قول البعض ثقيل كالجبل

٣ جمع صاب وهم الذين يميلون الى الفتن ويحبون التقدم فيها والبراز

٤ هي القروان وما يليها

٥ الاصنامه كالصنواف جمع صنو بالكسر ، ومعناه في المصرية والعربية  
الاخوة . وأصله فسائل الثفل التي تخرج من أصل واحد . وتهصص مسناه في

الفتن تروق

٦ هدااته قواده . والمراد بثانيه الذي يليه

في حرب نشبت بينهم، وحرقت [أحيائه] وجميع [أشياؤه] من طعام الجنود، ولما وصل بلده تحدث في حقه الكثيرون في جميع [الأرض] فلحقته الحية [وخسفته النأنة] <sup>(١)</sup> وسلبه سوء الخط [الريشة] — أي من رأسه — فتحدث فيه السكل من سكان مدينته قائلين : إنه تحت [بأو أوزان منف] [أي سيطرة معبوداتها] لقد [ساوروا] مريري <sup>(٢)</sup> لأنه كان [بذيثا] لمنف من ابن الى ابن (تتج) في أسرته الى [الازل] — لذلك مثل منفتح بأولاده [وشياه] <sup>(٣)</sup> فصار يضرب به المثل في لوبيا ، وأصبحت الذرية يقول بعضها لبعض : لم يفعل لنا مثل ذلك منذ المعبود (رع) <sup>(٤)</sup> وكان كل كبير يقول لابنه : [انذب لوبيا] — فامتنعوا عن [المشي] والسير الطيب (أي التنزه) داخل الحقول فوقف [مشيهم] في يوم واحد ، وحرقت التحنو في سنة واحدة ، فأعطى المعبود (سوتخ) ظهره لرئيسهم ، وتمزقت [أحيائه] حسب [مشيئة] (هذا المعبود) فلم تبق حاجة — لحل — [القناة] في هذه الايام وأصبحت السلامة في [الاختفاء] والتعود بالبقرة <sup>(٥)</sup> — وصار [يلوذ] بسيد مصر الكبير منفتح [الازل] <sup>(٦)</sup> والامتصار ، لأنه يحارب وهو عارف [شطئه] <sup>(٧)</sup> والذي يعاديه (يعسد)

١ الخسف النقص والنأنة الضعف والعجز في كل من اللتين . ومن المعاني المناسبة لذلك في العربية قولهم : خسف فلانا أي أذله وحمله ما يكرهه وخسف الدابة حبسها بلا علف . وناأ فلان قصر وعجزه وناناه : كفه ومنعه عن الأمر والنافاء العاجز الجبان والزون الصنم (راجع عدد ٥ في هامش الصفحة التالية)

٢ ساورد كلوه بكلام يصعد رأسه . ومريري اسم رئيس اللوبيين

٣ شياه بالتشديد — قبجحه

٤ يراد بهذه العبارة المتداولة عندهم أنه لم يحصل مثل ذلك من ابتداء الدنيا  
٥ المراد بالاختفاء العزلة . وبالبقرة سكنى الدور . ويقال في العربية بيقر اذا نزل الحضر وأقام تاركا البادية

٦ الازل بالفتح القوة

٧ الشطن بالفتح مصدر شطن (كنصر) يقال : شطن في الأرض أي دخلها إما راسخا وإما واغلا . وهذا هو المعنى بالمصرية



خائفا لا [ لب ] له — ومن تعدي حدود مصر لا يقيم الى الصباح لانها [ السليمة  
الوجيدة ] للمعبود « رع » منذ وجود الآلهة ، ولأن [ سليله ] — أيضا — هو  
منفتح الجالس على [ سدة ] المعبود « شو » فلا [ حجا يقدي ليهوي ] بين [ ناس  
مصر ] <sup>(١)</sup> لان [ عين ] كل معبود متجهة في [ سو من يمنوها ] <sup>(٢)</sup> ولانها  
[ تعي كافيهها ] <sup>(٣)</sup> ولانها تعطى الخير لاولي [ البأو ] العالمين العارفين لغتهم كلها  
[ الزانون ] لاهوائهم — ونالت مصر [ باؤا ] فخرا كبيرا لان يدها [ حبت ] — دنت —  
من رئيس لوبيا فأسترته حيا . هكذا ظفر الملك المقدس [ العادل ] أمام  
المعبود « رع » [ بكافه ] <sup>(٤)</sup> مريري — فاعل [ السوء ] الذي [ سخط ] عليه  
[ الزون رب منف ] <sup>(٥)</sup> فوفاء — حسابه — في مدينة عين شمس ، وبذلك حكم  
عليه التسليم المقدس ( وهو المؤلف من تسعة آلهة ) بسبب [ عثوه البذيء ] فقال  
السيد الكلبي ( أي رئيس الآلهة ) سأعطي [ الخشب ] <sup>(٦)</sup> لابني منفتح  
[ القوي اللب الآين ] <sup>(٧)</sup> الرؤوف المدافع عن منف [ المجابوب ] عن مدينة عين

١ الحجا في اللعين العنقل والمراد هنا ذو الحجا على حذف المضاعف .  
ويؤدي يحيى مفتحا من البادية . وقوله يهوي بين ناس مصر أي يهبط مصر وينزل  
بين أهلها . فهذه الجملة كلها عربية ومحصل معناها أنه لا يوجد عقل يغفر  
إصاحبه فيعمله على اقتحام البادية لبطوط مصر أي على سبيل الفتح والاستعمار ،  
والتعليل الآتي معظم ألفاظه عربية مصرية أيضا

٢ المراد بالسه الخلف والوراء . وهذا المعنى مجازي بالعربية . ويعنوها يضعفها .  
٣ أي تأسر مبغضيهها وكارهيهها أي أعدائها .  
٤ أي كارهه ومبغضه

٥ رب منف تفسير للزون . والزون بالضم يطلق في العربية على الصنم وكل  
ما يتخذ للعبادة وعلى الموضع الذي تجمع فيه الاصنام وتتصب وترين

٦ هو يوزن أمير السيف . ويطلق في العربية على السيف الصقل والسيف  
الذي عرض له الطبع أي الصدا — ضد ، والمراد هنا الأول بقرينة المدح

٧ الآئن اسم فاعل آن على نفسه أو نافرقة في السير ويستعمل بمعنى الرافة  
والوابع وهو الموافق للغة المصرية

شمس الفتح للمدن [ المعني ] <sup>(١)</sup> الذي [ يفاك ] أسارى الكثير من المقيدين في كل بلد ، ويعطي [ الاطابات ] <sup>(٢)</sup> للبرايي ( أي المعابد ) ويدخل [ الكندر ] <sup>(٣)</sup> امام [ الزون ] ويجعل [ السراة تفتي اشياءها ] <sup>(٤)</sup> ويدخل الفقراء بلادهم »

فقاتت الآلهة على مشهد من أر باب مدينة عين شمس بخصوص انهم مفتاح ليعط الحياة مثل «رع» [ وليجواب ] عن كل من [ ردى ] — أي اختلس — لانه [ وصي ] على مصر لحسانها جزءا تابعا له الى الازل — أي الابد — [ ولينجد ] أهلها [ وليلما بالطول ] متقاعد بها في [ لوقته ] <sup>(٥)</sup> فتكون أنفاس الحياة [ بقوة ] ذراعها [ وتحيط الاشياء ] للمستحق بلا [ جور ] ولا [ قأ ] <sup>(٦)</sup> والذين [ يون ] <sup>(٧)</sup> لبهم الصغير ويلقون بزور العسف [ يحبون ] <sup>(٨)</sup> اليك بالاشياء بلا أطفال لهم » هكذا يقال فيهم — وقد [ نأيا ] مريري الملعون [ الخسيس الحار ] <sup>(٩)</sup> رئيس لوييا [ ليهوي ] في أسوار ملك مصر وسيدها وهو [ اللقب ] الذي أطلقه المعبود «رع» على [ سليله ]

١ هو الذي ياخذ عنوة يقال : اعناه بمعنى أخضعه وبمعنى أبقاه اسيرا  
٢ ورد بمعنى احسن الاشياء فانظاها أنه محرف عن الأطياب جمع أطياب  
٣ الكندر بضم الكاف والذال اللبان الذي كان يستعمل بخورا في المعابد في عهد المصريين ولا يزال يستعمله النصارى

٤ السراة جمع سري كفتي وقيل اسم جمع له وهم أشرف القوم في اللفتين . وتفتي ورد في الأثر بمعنى تجمع ويظهر أن أصله في العربية تفتح من اقيم الشيء ، فان الميم الثانية تقلب ألفا . وورد بمعنى الكنس وأكل جميع ما على المائدة ففيه معنى الجمع

٥ يلما يلمح بنظاره ، والطول بالفتح الفضل والمطاء والسعة . والوقوة الساعة يقال : ذهب فلان في لوقة — أي ساعة

٦ تحيط من : خاط اليه الشيء اذا مر عليه سريعا لا يلوي على غيره . والقما الدل والصغار

٧ يون ورد بمعنى يضعف . ويقال في العربية بمعنى ضعف وفتر ، ووني التشديد أيضا

٨ أي يدنون من الحبو وهو أحد معانيه

٩ نأياه قصد شخصه وتممده . والخاز اسم فاعل من خرا أي وقع وسقط (النتار: ج ٥) (٥٠) (المجلد الثامن عشر)

هذا وهو [ الصيدين والقب ] <sup>(١)</sup> مفتاح [ المتربع ] على [ سفته ] ويقول يتاح (أي الفتح) عن لوياء: ان [ خار ] لوياء - أي العائر بعد استقامته - [ ستحصى ] جميع بذاته [ وتطوف - فوق - نطابه ] - أي رأسه - وليجعل في [ يد ] مفتاح [ وليبق مايقم ] <sup>(٢)</sup> مثلا - - يفعل - التمساح، لان [ الشوشاة تعنو الشوشاة ] في شبكته ولو كان [ نابا ] <sup>(٣)</sup> لان أهون [ يلخ بحسه فيطفه ] <sup>(٤)</sup> من [ يده ] ويجعله تحت [ قوة ] مفتاح في أرمنت

وقع [ أشر ] <sup>(٥)</sup> كبير في مصر [ وبرز النهم ] <sup>(٦)</sup> في [ مدن ] مصر ، وتحدث الناس بنجدات مفتاح التي حازها على التحنوت ماأطيه من [ حاكم نجد ] <sup>(٧)</sup> ما أعظمه من [ صيدين بين الازوان ] وما أسعده حظا [ التاب الناهي ] اجلس أيها الملك متمما وتكلم [ وامش شطنا ] على [ المتن ] <sup>(٨)</sup> فلا [ زاد ] في [ لب النات ] <sup>(٩)</sup> فالقلاع تركت ونفسها [ والقلائب ] <sup>(١٠)</sup> فتحت ، وأخذ [ يطوف الوافدون ] الاستحكامات ذات الاسوار [ متفيجين ] من الشمس حتى تصحى حراسها

١ اللقيان يطلقان بمعنى الملك . والقب رئيس القوم وسيدهم  
٢ أي يقذف من فيه كل ما ياكله . يقال بق ما في فيه اذا قذفه بعنف . وهو مستعمل الآن في بلاد الشام . وقم ما على المائدة أكله كله  
٣ أي العجلة تدفع المستعجل في شرك أعماله ولو كان نابا - أي سيدا وجيها ، والشوشاء أو الشوشاة في العربية الناقة السريعة ، والتاب المسن من الابل ويطلق مجازا على السيد

٤ يلخ : يعرف . وبالعربية تلخ الخير تخيره تخبرا واستقصاه ، وبحسه جرائه ، ويطفه : يربطه . تقول العرب : طف الناقة اذا شد قوائمها .

٥ أي فرح وهو في العربية البطر من الفرح  
٦ النهم الصوت وهو بالعربية صوت الاسد ونحوه  
٧ التجدد كضخم وككتف ذو التجدة ورجل نجد : شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره سريع الاحابة الى ما يدعى اليه وهي التجدة

٨ تقدم تفسير الشطن وهو هنا التوغل . والمتن الطريق  
٩ الزاد الفزع ، واللب القلب ، والنات الناس على الابدال في اللغتين  
١٠ الآبار . والقلب في العربية البئر مطلقا أو القديمة ، جميعا قلب بضم القاف وسكون اللام وضما . وأقلية . وقلائب جمع الجمع وهو غير مستعمل بالعربية

[والماصعون يتكرّون وينامون] <sup>(١)</sup> وقوم «نوو» و«تسكتينا» يكونون في الحقل [كأبايهم] <sup>(٢)</sup> وحيوانات الحقل تترك بلا راع [فندئ] <sup>(٣)</sup> مياه الغدير [ولا] صاحب [يصبح في] [جنح] - أي من الليل - [هيا إمق الآتي بلغة] [الاجني] <sup>(٤)</sup> [امت] واذهب [محظوظا] فلا [نياحة] من [نات مهمومة] قد [عنت] [المدن] ثانيا [وسيقم] [الفلاح محصوله]، والتفت «رع» الى مصر فولد منفتاح ملك مصر وشيء له بأن يكون [مناضلا] عنها . وان تكون [الولة منبطحة] - له - وتقول [سلاما] واب [لا يرفع أحد من البدو نطابه] <sup>(٥)</sup> [فانفتكت التحنو وتحفظت] [بخيتا] <sup>(٦)</sup> واقتمحت كنعان لو بنتها <sup>(٧)</sup> وعنت عسقلان [وقبض على جزال]، وصارت ينعام عدما في الوجود [وانفك الاسرائليون فلا يزر لهم]، وأصبحت فلسطين خلية <sup>(٨)</sup> لمصر، [والاراضي] كلها [مضمومة] [في] [حفظ] [وكل] [أشتم وعفه] <sup>(٩)</sup> الصيدين القب منفتاح سليل [الشمس معطي المعيشة كل نهار مثل الفورة (أي الشمس) اه

١ - الماصعون المقاتلون بالسيوف تقول العرب مصعب فلانا اذا ضربه بالسيف أو بالسوط ويتكرون يتكلفون الكررى وهو النوم ، يفسره قوله : و ينامون

٢ أبائهم رغبتههم وقصدهم

٣ - أي تمر مرا بطيئا أو سريعا

٤ - معناه : هيا فانظر كل اجني أي متكلم بلغته (كذا فسر المترجم)

٥ رأسه . وفي معاجم العربية : النطاب ككتاب الرأس وسجل المتق أو العاتق

٦ التحنوم سكان القبروان وما بعدها والخيتا هم الخيئوت المذكورون

في التوراة

٧ قحا المال واقتحاه أخذه كله . الوينة الأذى . يقول نهبت أموال كنعان

لأذاها وضرها . وأسرت عسقلان

٨ الخلية التي لا زوج لها

٩ وعفه أضعفه . هكذا ورد بالمصرية ، والوعف بالمهارة والمعجمة في العربية

ضمف البصر . يقال وعفه وأوعفه وأوعفه . وبقية الالفاظ فمرت قبل

## باب المناظرة والهراسة

جواب على استثناء المنار ( جزء ٢ مجلد ١٨ ) في قول الشاعر

جدير ( كذا ) بيهرٍ والثقاتِ وسعةٍ ومسحةٍ عشون وفتل الاصابع  
 واما قال الشاعر ( ملئ بيهر ) فقوله جدير سهو منه في اللفظ لاني المعنى لأن  
 ملئ معناه عنده جدير او حري او او ... وتفسيره ملئ بهذا المعنى هو الذي حمله  
 على استغراب التقدير في البيت . مع انه لم يرد في كتاب من كتب اللغة ملئ بمعنى  
 جدير او حري او ما يصح به معنى البيت بالعطف على بهر ، ولم يسمع هذا المعنى  
 حقيقة ولا مجازاً الا اذا استعمله بعضهم وحمله على المجاز من عنده تجوزاً ولا  
 يخفى ان اللغة سماعية توقيفية لا يحتاج بالاصطلاح والاستعمال فيها ، وحاصل ماورد  
 في كتب اللغة ان ملئ (؟) من ملئ كسمع فعيل بمعنى مفعول ومعناه مملوء ومنه ملئ  
 للغي لامتلاء خزائنه بالمال والحسنى القضاء لامتلائهم علماً وحكمة فيقال فلان مملوء  
 بالبهر والعلم ولا يقال مملوء بالثقات ومسح الاحبة وفتل الاصابع . فاذا استخف المعنى  
 وجب التقدير وان استقام النظم . وبحت خطأ المعاني وصوابها والحذف والتقدير  
 لذلك مذكور في محله من كتب البلاغة . واليك خلاصة ماورد في معنى ملئ بالهمز  
 قال في القاموس : مَلَأَ كَمَعَ مَلَأً وَمَلَأَةً بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَمَلَأَةً تَمْلَأُ فَاَمْتَلَأَ  
 وَمَمْلَأً وَمَلَأَ كَسَمِعَ اَقُولُ ( وَمَلَأَ مِنْ مَلَأَ ) هذه . وقال في تاج العروس :  
 ورجل ملئ جليل بملأ العين . وفلان املأ اعيني وهو رجل مالى للمين . ومنه  
 حديث عمران انه ليخيل اليها انها أشد ملأة . الى ان قال في آخر المادة وهو ملآن  
 من الكرم وملئ

فلا وجه لاستغراب التقدير في البيت حينئذ الا اذا جوزنا قول من يقول فلان  
 مملوء بمسح العشون وفتل الاصابع ولم نستخفه . أو وجدنا معنى ملئ يصح به العطف  
 على بهر وكان هذا المعنى وارداً في اللغة حقيقة أو مجازاً واستعمله من يبتدئ ويحتاج به  
 ( متأذب )

(المنار) صححنا البيت في الجزء الماضي فلم يبق محل لما ذكر في هذا الجواب في شأن استبدال كلمة جدير بكلمة مليء، والواجب حصر الكلام في ضبط البيت وبيان معناه بالألفاظ التي ورد فيها

ادعى (التأدب) المحيب ان حاصل ما ورد في كتب اللغة ان مليء معناه مملوء، وأنه من مليء كسمع وأنه يصح ان يقال: فلان مملوء بالبر، ولا يصح ان يقال مملوء بالتفات ومسح اللحية وقتل الاصابير — فهذا وجب التقدير عنده. وهو هو الذي قال ان التقدير: وله التفات وسعلة الخ ولا وجه لاستغراب التقدير عنده الا في الحالتين اللتين ذكرهما في الجواب وهما عنده في حيز النفي هذا حاصل جوابه. ما ذكره ونبي عليه جوابه من ان حاصل ما في كتب اللغة ان «ملي» معناه مملوء، وأنه من مليء كسمع — غير صحيح، فما كل مملوء يسمى مليئاً، ولا كل ما أطلق عليه لفظ مليء يصح أن يطلق عليه لفظ مملوء، وان كان لا يتناول الاستعمال من المناسبة لاصل معنى المادة. ولا مليء من مليء كسمع. قال في لسان العرب: والملاء الزكام يصيب من امتلاء المعدة وقد ملأ فهو مليء، ومليء فلان واملاء الله: أركه فهو مملوء، على غير قياس — ثم قال — وقد ملأ الرجل يملأ ملاء فهو مليء: صار مليئاً أي ثقة، فهو غني مليء بين الملاء والملاءة — ممدودان — وفي حديث الدين «اذا اتبع احدكم على مليء فليتبع» المليء بالهمز الثقة الغني. وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء. وفي حديث علي كرم الله وجهه «لامليء والله باصدار ما ورد عليه» اه وفي القاموس المحيط: والملاء الاغنياء المتمولون أو الحسنو القضاء منهم، الواحد مليء اه وقد غفل (التأدب) المحيب عن قوله «منهم» فظن ان المليء يطلق على الحاكم الحسن القضاء لا متلائه علماً وحكمة. على ان له ان يقول هذا من تلقاء نفسه تجوزاً وان كان في جوابه ما يدل على عدم الجواز. فالتقول الثاني من قول القاموس ان المليء يطلق على الغني الحسن القضاء أي الوفاء لا على كل غني. ومثل هذا لا يجوز ان يقال فيه مملوء. وفسر الجوهري المليء بكثير المال أو الثقة الغني — والقبومي بالغني المقندر. حكاهما شارح القاموس وفي مجاز الاساس ما نصه: وما كان هذا الامر عن ملأ منا أي مملأة

ومشاورة . ومنه : « مليء بكذا : مضطجع به . وقد ملأ به ملاءة وهم يلبثون به وملاءة له  
هذا حاصل ما ورد في كتب اللغة في الكلمة لا ما قاله المجيب . ومنه يعلم  
أن أظهر هذه الأقوال في تفسير البيت أن « مليء » فيه معنى مضطجع ، وحاصل  
المعنى أن هذا الخطيب الذي يذمه الشاعر لا قوة له على الخطابة ولا اضطلاع له بها  
وانما هو مليء بمضطجع بصفات المي والحصر كلها ، وهي البهر الذي هو انقطاع النفس  
وتردده من الاعياء ، والالتهات ، ومسح اللحية ، وقفل الاصابع . فالمضطجع بالامر  
هو القوي عليه القادر على احتماله . ويصح أيضا أن يقال أنه غني وثقة بهذه الصفات ،  
أي لأنه فقير من الفصاحة والبلاغة ، وما به تكون الخطابة ، أولا ثقة به في ذلك  
ومن السديهي أن كلمة مملوء لا تحمل محل كلمة مضطجع ولا كلمة ثقة ولا كلمة  
حسن التضاء أي لما عليه من الحق ، بل ولا محل كلمة غني ومزكوم ، ولعلكن معنى  
الامتلاء يناسب هذا المعنيين في الجملة دون معنى المضطجع والثقة . ولم يرد عنهم : إناء  
أو دلو أو ذق مليء ، كما يقال مملوء . فالفرق بين مليء ومملوء مثل الصبح ظاهر  
ثم اتنا قول إذا جرى ( المتأدب ) في فهم كل استعمالات اللغة على الطريقة التي  
جرى عليها في فهم هذه الكلمة ( مليء ) فانه الفهم الصحيح في أكثرها . وأهني  
بهذه الطريقة أن يعمد الى كلمة من أصل المائدة ويحمل عليها كل معنى حقيقي ومجازي  
لها . مثال ذلك قولهم : اضطجع بالامر . اصل معناه الاشتقاق : احتملته اضلاعه ،  
واسكنه يقال في الأمور المغنوية . ومنه قول علي كرم الله وجهه في صفة النبي (ص)  
فاضطجع بامرئك لطاعتك . فسروه في كتب اللغة والحديث بقولهم : قوي عليه  
ينهض به . وليس أمر الوحي والدين مما تحمله الاضلاع ، وانما يحمله العقل والروح  
ويؤديه اللسان .

هذا ما ظهر لنا . فما يقول في البيت أدباء مصر كالشيخ المرصفي والشيخ محمد  
المهدي واسماعيل باشا صبري وحفني بك ناصف واحمد بك تيمور وحافظ بك  
ابراهيم ومحمد بك المويلحي وسائر الكتاب والشعراء ؟

## تقريظ المطبوعات الجديدة\*)

## ﴿الواجب﴾

(مؤلفه الفيلسوف الفرنسي جول سيمون . وقد ترجم الجزء الاول منه بالعربية محمد افندي رمضان والشيخ طه حسين . وطبع بمطبعة الجريدة . وصفحاته ٧٤ وللمترجمين مقدمة وترجمة للمؤلف في بضع صفحات الكتاب من أشهر كتب الفلسفة التي تقحها عقل ذلك الفيلسوف الفرنسي . الشهير وموضوع الجزء الاول المترجم منه مبحث الاختيار ومذهبه فيه كذهب أهل السنة وسط بين مذهبي الجبرية والقدرية . وقد عقد فيه فصلا طويلا للكلام في العادة ومكان الاختيار منها وتأثيرها في أعمال الانسان

﴿شرح ابن عقيل على الالفية﴾

هذا الكتاب من أشهر كتب النحو وأكثرها تداولاً ، وقد طبع مرارا كثيرة طبعات لا نستحق الذكر حتى طبعه منذ عامين صاحب المكتبة الازهرية الشيخ محمد سعيد الرافعي بمطبعة السعادة طبعة جميلة على ورق جيد بقطع أصغر من قطع المنار وأكبر من قطع رسالة التوحيد . ووضع له في أدنى الصفحات حواشي في اعراب ما يشكل من أبيات الالفية وأبيات الشواهد ، وتفسير الكلمات الغريبة في أبيات الشواهد مع عزو الآيات الى قائلها . ومتن الالفية في هذا الشرح مضبوط بالشكل الكامل . فترجو لهذه الطبعة ما تستحق من الانتشار ، وهو يطلب من طالعه ومن مكتبة المنار بمصر

## (ديوان الحماسة)

اعاد الرافعي أيضا طبع ديوان الحماسة في مطبعة السعادة مع شرح غريبة له المختصر من شرح التبريزي ، طبعه على ورق جيد وضبط الآيات ضبطا تاما نادر الغلط .

(\*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا



وقد امتازت هذه الطبعة على طبعته الاولى له بتراجم معظم شعراء الجماعة وبذكر سبب الشعر. وصفحاته ٣٣٢ يقطع شرح ابن عقيل ويطلب من طابعه ومكتبة المنار بمصر ولعمركم ان هذا الديوان بهذا الشرح لمن أنفع الكتب لطالب العربية حتى انه كاد ليفني عن شرح التبريزي نفسه وقد فني الرافي بتصحيحه عناية عظيمة

المزهر

في علوم العربية وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطي (جزآن)  
وبهذه المناسبة نقول ان الرافي أعاد طبع كتاب المزهر النفيس الشهير منذ  
بضع سنين على ورق جيد بمطبعة السعادة بمصر

### ( دستور مهالم الحكم وماثور مكارم الشيم )

من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هذا الكتاب من جمع ورواية الامام القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة  
القضاعي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٥٤ وهو منقول بالرواية سماعا من ناسخه عن  
القاضي سناء الدين أبي عبد الله محمد العامري بمصر سنة نسخه له — من الشريف  
القاضي الخطيب فخر الدولة أبي الفتوح ناصر بن الحسن بن اسماعيل الحسيني  
الزيدي عن أبي عبد الله محمد بن بركات هلال السعيد اللغوي عن المؤلف

طبع الرافي هذا الكتاب لأول مرة عن نسخة نفيسة وجدت عند البعثة جميل  
بك المظلم مكتوب بخط حسن على ورق جيد مضبوطة بالشكل التام، كتبها محمد بن منصور  
ابن خليفة بن منهل برسم ولده منهل، وفرغ منها في ٨ ذي القعدة سنة ٦١١ عن  
نسخة عليها خط الشريف الخطيب أحد رواة الكتاب وصورة سماع رواها والاجازات  
بها . طبعة بمطبعة السعادة وص ٢٠٨ يقطع ما ذكر آتفا من مطبوعاته ويطلب  
من طابعه ومن مكتبة المنار

وحسبنا ان نقول: ان هذا الكتاب من نخب كلام أمير المؤمنين الذي انزل  
الله الحكمة على قلبه ونطق بها لسانه ولا يجعل أحد ان كلام الامام بعد كلام  
الله ورسوله في أعلى ذروة البلاغة والفصاحة والحكمة البالغة والآداب الجليلة .

أولئك الذين هموا بالله وأولئك هم أولو الألباب  
فيهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

# المسألة

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان لاسلام صوى و « منارة » كتاب الطريق

مصر ٣٠ شعبان ١٣٣٣ — ٢٠ السرطان (ص ١) ١٢٩٣ هـ ١٣ ش ١٣ يوليو ١٩١٥

## أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام أبو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)  
وعناوين المسائل من زيادة المنار

٢

أفعال النبي (ص)

﴿ مسألة ﴾ وأفعال النبي (ص) ليست فرضاً إلا ما كان منها ييانا  
لامر فهو حينئذ أمر، لكن الاتساع به عليه السلام فيها حسن . برهان  
ذلك هذا الخبر الذي ذكرنا أنفسنا من أنه لا يلزمنا شيء إلا ما أمرنا به  
أو نهانا عنه ، وأن ما سمكت عنه فهو ساقط عنا . قال الله عز وجل ( لقد

كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)  
شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا

﴿مسألة ١٠﴾ ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا عليه السلام .  
 قال الله عز وجل ( لَسْكَنتُ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا ) حدثنا أحمد بن  
 محمد بن الجصور ، نا وهب بن مرة ، نا محمد بن وضاح ، نا أبو بكر بن  
 أبي شيبة ، نا هشيم ، نا بشار ، نا يزيد الفقير : أخبرني جابر بن عبد الله  
 أن رسول الله ( ص ) قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرتُ  
 بالرب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأما رجل  
 من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ،  
 وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس  
 عامة » — فإذا صح أن الأنبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم إلا  
 إلى قومه خاصة ، فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه قط ،  
 وإذا لم يبعثوا إلينا ، فلم يخاطبونا قط بشيء ، ولا أمرونا ولا نهونا ، ولو  
 أمرونا ونهونا وخاطبونا لما كان لنبينا عليه السلام فضيلة عليهم في هذا  
 الباب . ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وأبطل هذه الفضيلة التي  
 خصنا الله تعالى بها

— فإن صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح بقينا أن  
 شرائعهم لا تلزمنا أصلا ، وبالله تعالى التوفيق

تحريم التقليد

﴿مسألة ١١﴾ ولا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا ، وعلى  
 كل أحد من الناس الاجتهاد حسب طاقته . فن سأل عن دينه فأنا يريد

معرفة ما أُلزمه الله عز وجل في هذا الدين . ففرض عليه ان كان أجهل  
البرية أن يسأل عن أعلم أهل بلده بالدين الذي جاء به رسول الله (ص)  
فاذا دُلَّ عليه سألَه ، فاذا افتاء قال له : هكذا قال الله ورسوله ؟ فان قال  
له نعم ، أخذ بذلك وعمل به أبداً ، وان قال له هذا رأيي أو هذا قياس ،  
أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحباً أو تابعاً أو فقيهاً قديماً أو حديثاً ، أو  
سكت أو انتهره ، أو قال له لا ادري ، فلا يحل له ان يأخذ بقوله . ولكن  
يسأل غيره . وبرهان ذلك قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا اطيعوا  
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم )<sup>(١)</sup> فلم يأمر عز وجل قط  
بطاعة بعض أولي الامر ، فمن قلد عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله  
تعالى ولا رسوله (ص) ولا أولي الامر واذالم يردا إلى ما ذكرنا فقد  
خالف امر الله عز وجل ، ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر  
دون بعض

فان قيل فان الله تعالى قال ( فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون )  
وقال تعالى ( ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ) قلنا  
نعم ولم يأمر الله عز وجل ان نقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه ، ولا ان  
يطاع أهل الذکر في رأيهم ، ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل ،  
وانما أمر تعالى أن نسأل أهل الذکر عما لانعلم من الذکر الوارد من عند الله  
تعالى فقط ، لا عما قاله<sup>(٢)</sup> من لاسمع له ولا طاعة ، وانما أمر تعالى بقبول

(١) في الاصل : واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم (٢) في الاصل  
عن من قاله

نذارة النافر للتفقه في الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسوله (ص) لا في دين لم يشرعه الله عز وجل

ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل ، وقال قولاً لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ، ولا إجماع ولا قياس ، وما كان هكذا فهو باطل لانه قول بلا دليل ، بل البرهان قد جاء بإبطاله ، قال الله تعالى ذاماً لقوم ( انا أطمعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا )

والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد في طلب دين الله تعالى الذي أوجبه على عباده ، وبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان المسلم لا يكون مسلماً الا حتى يقر بأن الله تعالى إلهه لا إله له غيره ، وان محمداً رسول الله (ص) فهذا الدين اليه والى غيره ، فاذا لاشك في هذا ففرض عليه ان يسأل اذا سمع فتياً : أهذا هو حكم الله تعالى وحكم رسوله ؟ وهذا لا يجوز عنه من يدري بالاسلام ولو أنه كما جلب من (توقو) وبالله تعالى التوفيق

استفتاء أهل الحديث لا الرأي

﴿ مسألة ﴾ وان قيل له اذا سأل عن أعلم بلده في الدين : هذا صاحب حديث عن رسول الله (ص) وهذا صاحب رأي وقياس ، فليسأل صاحب الحديث ، ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأي أصلاً . وبرهان ذلك قول الله تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم ) وقوله تعالى ( لتبين للناس ما نزل اليهم ) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك . والرأي والقياس ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الجصور ، نا احمد بن سعيد ، نا ابن وضاح ، نا يحيى بن يحيى ، نا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن

رسول الله (ص) قال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»  
حدثنا يونس بن عبد الله ، نا يحيى بن مالك بن عاثه ، نا أبو عبد الله  
ابن أبي خنيفة ، نا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، نا يوسف  
ابن يزيد القراطيسي ، نا سعيد بن منصور ، نا جرير بن عبد الحميد عن  
المنيرة بن مقسم عن الشعبي قال « السنة لم توضع بالمقائيس » حدثنا محمد  
ابن سعيد بن ثبات (?) نا اسماعيل بن اسحق البصري ، نا أحمد بن سعيد بن  
حزم ، نا محمد بن إبراهيم بن حمون الحجازي ، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل  
قال: سمعت أبي يقول « الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي »<sup>(١)</sup> حدثنا  
همام بن أحمد ، نا عباس ابن أصبغ ، نا محمد بن عبد الملك بن عيين ، نا عبد الله  
ابن أحمد بن حنبل ، قال سألت أبي عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه إلا  
صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيم وأصحاب رأي فتنزل به  
النازلة: من يسأل ؟ فقال أبي: يسأل صاحب الحديث ولا يسأل أصحاب  
الرأي . ضعيف الحديث أقوى من رأي أبي خنيفة

#### رفع الخطأ والنسيان

﴿ مسألة ﴾ ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن  
أو السنة لهما حكم قال تعالى ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن  
ما تممدت قلوبكم ) وقال تعالى ( ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا )  
إنا التكليف بالاستطاعة

﴿ مسألة ﴾ وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه ،  
وان عجز عن جميعه سقط عنه ، وان قوي على بعضه وعجز عن بعضه

(١) الحديث الضعيف عند أحمد هو الحسن عند الجمهور

سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء كان أقله أو أكثره .  
برهان ذلك قول الله تعالى ( لا يكلف الله نفسا الا وسعها ) وقول رسول  
الله ( ص ) « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل  
باسناده وبالله تعالى التوفيق

### لا يقدم الموقت على وقته

﴿ مسألة ﴾ ولا يجوز ان يعمل احد شيئا من الدين موقتا بوقت  
قبل وقته ، فان كان موقتا الاول من وقته والآخر من وقته لم يجز أن يعمل  
لا قبل وقته ولا بعد وقته ، لقول الله عز وجل ( ومن يتعد حدود الله فقد  
ظلم نفسه ) وقال تعالى ( تلك حدود الله فلا تعتدوها ) والاقوات حدود  
فن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له ، فقد تعدى حدود الله <sup>(١)</sup>  
— حدثنا عبد الله بن يوسف ، نا أحمد بن فتح ، نا عبد الوهاب بن عيسى

(١) الحدود المكانية أولى بهذا الحكم من الحدود الزمانية كواقيت الحج ،  
وقد عبر عنها في الأحاديث بمادة الحد كما في حديث ابن عمر في البخاري « ان رسول  
الله ( ص ) حد لأهل نجد قرنا » وقد مضى عمل النبي ( ص ) وأصحابه على ذلك  
فيصدق على مخالفة الحديث الآتي « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقد  
أنكر عثمان على من أحرم من خراسان ، وأنكر مالك على من أراد الاحرام من  
مسجد الرسول بالمدينة وقال له : أخشى عليك الفتنة . وحديث أم سلمة في  
الاهلال من المسجد الأقصى لا يصح . وما روي في تفسير انمام الحج والعمرة « أن  
تحرم من دويرة أهلك » فعناه أن تنوي الحج منها كما يفسره ما روي عن ابن عباس  
وغيره من قوله « أن تحرم من دويرة أهلك لا تريد الا الحج والعمرة ، وتهل من  
المليات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت  
لو حججت أو اعتمرت ! وذلك يحزى ولكن التمام أن تخرج له لا لنسيره »  
وبهذا تتفق هذه الرواية مع تفسير الجمهور وظواهر النصوص والسنة العملية .

نا أحمد بن محمد ، نا أحمد بن علي ، نا مسلم بن الحجاج ، نا اسحق ابن ابراهيم - هو ابن راهويه - عن ابي عامر العقدي ، نا عبد الله بن جعفر الزهري ، عن سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : أخبرني عائشة أن رسول الله (ص) قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »

(قال علي) ومن أمره الله تعالى أن يعمل عملا في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت ، فقد عمل عملا ليس عليه أمر الله تعالى وأمر رسوله (ص) فهو مردود باطل غير مقبول ، وهو غير العمل الذي أمر به

فان جاء نص بأنه يجزئ في وقت آخر فهو وقته أيضا حينئذ ، وانما الذي لا يكون وقتا للعمل فهو ما لا نص فيه وبالله تعالى التوفيق

#### المجتهد المخطئ خير من المقلد المصيب

﴿ مسألة ﴾ والمجتهد المخطئ افضل عند الله من المقلد المصيب . هذا في اهل الاسلام خاصة . واما غير اهل الاسلام فلا عذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد . وكلاهما هالك . برهان هذا ما ذكرناه آتقا بإسناده من قول رسول الله (ص) « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذنم الله تعالى التقليد جملة ، فالمقلد عاص والمجتهد مأجور

وليس من اتبع رسول الله (ص) مقلدا لانه فعل ما أمره الله تعالى به ، وانما المقلد من اتبع دون رسول الله (ص) لانه فعل ما لم يأمره الله تعالى به . وأما غير اهل الاسلام فان الله تعالى يقول ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين )



الحق واحد لا يتعدد

﴿مسألة﴾ والحق من الأقوال في واحد منها وسائر ما خطأ وبالله تعالى التوفيق. قال الله تعالى (فإذا بصد الحق إلا الضلال) وقال تعالى (ولو كان عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وذم تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا) وقال تعالى (تبينا لكل شيء) فصيح أن الحق في الأقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه ، وهو واحد لا يختلف ، وإن الخطأ ما لم يكن من عند الله تعالى ، ومن ادعى أن الأقوال كلها حق ، وأن كل مجتهد مصيب ، فقد قال قولا لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول

وما كان هكذا فهو باطل ويبطله أيضا قول رسول الله (ص) « إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » فنص عليه السلام أن المجتهد قد يخطئ ومن قال أن الناس لم يكفوا إلا اجتهدهم فقد أخطأ ، بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله تعالى به ، قال الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل الإنسا وأن لا تتبع غيره ، وألا تعدى حدوده

وأما أجر المجتهد المخطئ أجرا واحدا على نيته في طلب الحق فقط ، ولم يأنم إذ حرم الإصابة . فلو أصاب الحق أجر اجرا آخر ، كما قال عليه السلام أنه إذا أصاب أجر اجرا ثانيا . حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالده ، نا إبراهيم بن أحمد ، نا الضريري ، نا البخاري ، نا عبد الله بن يزيد المقرئ ، نا حيون بن شريح ، نا يزيد بن عبد الله بن الهادي ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو

ابن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله (ص) يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر » ولا يحل الحكم بالظن اصلاً لقول الله عز وجل ( ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً ) ولقول رسول الله (ص) « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق اهـ

## المقارنة بين اللغة المصرية القديمة

### واللغة العربية<sup>(\*)</sup>

٣

نص وترجمة الوصفة الطبية المدرجة في القرطاس الطبي المحفوظ بمتحف برلين . وهي التاسعة والتسعون بعد المائة . وكانت كتابة هذا القرطاس في زمن العائلة التاسعة عشرة واسم الوصفة الطبية بلسانهم « بخر »<sup>(١)</sup>  
لأمة<sup>(٢)</sup> تمشؤ الست لا تمشؤ<sup>(٣)</sup>

(\*) لأحمد كمال بك أمين المتحف المصري

(١) البخر مقولوب الخبر بالضم أي الاختيار بالتجربة ونحوها .

(٢) اللأمة لللمعة . فالهمزة مقلوقة عن الحاء وهذا القلب مرسوم في اللغتين

العربية والمصرية . وقد ورد في العربية لأمة ولحة بمعنى واحد ، بل هو فعل واحد

(٣) هو من المشاء بالفتح وهو بالعربية التواء ومنه الماشية . قال في لسان العرب :

وأصل المشاء التواء والكثرة والتناسل . ولكن فعله بالعربية يأتي يقال مشئت لإبل

بني فلان تمشي مشاء إذا كثرت . والمصريون همزوا الفعل

وقد اختلف علماء اللغة العربية في إطلاق لفظ الست على المرأة قليل إنه

مأخوذ من الجهات الست كما قال البهاء زهير : =

بُرْثُ (٤) وعُضْ (٥) تفوحهما (٦) الست بماثسا رفاء (٧) مثل البرني (٨) والعيش (٩) في غلافين (١٠) فان ذرا (١١) لوفرهما (١٢) فانها تمشو وان ذرا البر فهو ذكر وان ذرا العض فهو ست وان عدم الذرة لا تمشو والمعنى: إن أريد أن يعرف هل تلد المرأة أم لا تلد، وماذا تلد إن ولدت، فليوضع في غلاف أي إناء شيء من البر وفي إناء آخر شيء من الشعير كما يفعل في ثمر العشر والعيش، وتبول المرأة عليهما كل يوم، فان نبتا مما فانها تلد وان نبت القمح وحده تلد ذكرا وان نبت الشعير وحده تلد أنثى. وان لم ينبتا لا تلد

- = ولكن غادة ملكت جهاتي فلا عجب اذا ماقلت ستي وقيل لحن أو عامي . وقال الفيروزبادي الصواب ان أصله سيدتي . وظاهر كلامه انه مخصوص بالنداء وحالقه غيره في هذا . واستعمال هذه الكلمة مصر أكثر من استعمالها في سائر البلاد العربية . ولا يبعد ان تكون مأخوذة من العرب عن قدماء المصريين لا العكس
- (٤) البر والقمح والخنطة واحد في اللغتين كما تقدم في النبتة الأولى  
(٥) المض بضم الميم المهملة من أسماء الشعير بالعربية والمصرية وهو المراد هنا  
(٦) المراد بالتفويج بالماء هنا إرافة البول . ومادته فوح تدل في العربية على الإرافة أسكنه استعمال في الدم يقال أفاح الدم اذا أراقه وسفكه ، وفاح الجرح . على انتشار الرائحة وهو المشهور ، وعلى السعة . وقالوا بحر فواح  
(٧) قال أحمد كمال بك رفاء معناه كل يوم ولا نعزف له أصلا في العربية بهذا المعنى ويقرب منه الرفاء (بالكسر) وهو الاتصال والاتحام  
(٨) البرني أجود النمر وذكر في النبتة الاولى  
(٩) العيش أطلق على الخبز في اللغتين لأنه المادة التي يعيش بها أكثر الناس  
(١٠) الغلاف بوزن كتاب الصوان والنشاء الذي يصفان به الشيء يقال غلاف الكتاب وغلاف السيف واستعمل بالمصرية بهذا المعنى  
(١١) يقال بالعربية ذرا الأرض بمعنى بذرها ، ويقال بذرت الأرض اذا أخرجت نباتها متفرقا  
(١٢) معناه بالمصرية كلاهما . والوفرة بالعربية الكثيرة .

## مَدَامُ سَيِّدَةُ حَارَاتُ الدِّعْمَةِ وَالْأَرْشَانَةِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٨

### الاعضاء التي لا قناة لها

علم مما سبق أن في جسم الانسان نوعين من الاعضاء : —  
(النوع الاول) : هو الذي له قناة تحمل افرازه سواء أ كان هذا الافراز صالحا للجسم أم ضارابه فثال الصالح افراز البنكرياس ومثال الضار افراز الكلية. وتسمى هذه الاعضاء « بالغدد التي لها قناة » وافرازها يسمى « بالافراز الخارجي » لانه يرى خارجا منها ويمر في قنواتها ، وأ كثر هذه الاعضاء له افراز آخر يسمى « بالافراز الداخلي » وهو الذي يجري في الأوردة الدموية أو في الاوعية اللمفاوية. وله فوائد سند كرها ان شاء الله تعالى . مثال ذلك الحصى فان لها افرازا خارجيا وهو المني يجري في قنواتها المعروفة ، وافرازا داخليا لا يرى وله تأثير في بنية الشخص وهيئته وصوته وشعر وجهه ونحو ذلك من مميزات الذكور التي تفقد بالخصاء

(النوع الثاني) : الاعضاء التي لا قناة لها كالطحال وغيره . وهذه لها افراز واحد يسمى « بالافراز الداخلي » له منافع عظيمة في الجسم ، وقال آخرون إن المراد من هذه الاعضاء الاخيرة ليس افراز مواد نافعة للجسم بل إخراج بعض فضلاته لضرر بقائها فيه ، والظاهر أن كلتا النظريتين صحيحة من بعض الوجوه ، ولكن الأولى أكثر قبولا عند الجمهور الآن من الثانية . وهاك بيان وظيفة تلك الاعضاء التي لا قناة لها : —

(١) الطحال عضو شهير ، وهو أكبر الغدد التي لا قناة لها ، وموضعه في الجهة اليسرى من البطن بين المعدة والحجاب الحاجز . أما وظائفه فخمس :

( أولها ) تكوين كريات يضاء للدم ( ثانيها ) توليد بعض الكريات الحمراء في بعض الحيوانات ( ثالثها ) اتلاف الكريات الحمراء القديمة التي قاربت الفساد ( رابعها ) تكوين بعض مواد نيتروجينية كدامض البوليك لخراجها من الجسم لضرر بقائها فيه ( خامسها ) يقوم الطحال بوظيفة مستودع للدم يجتمع فيه إذا انتهى الهضم فيمتلئ به ويكبر حجمه ، وإذا ابتدأ الهضم يندفع الدم منه الى المعدة

(٢) الغدة الصغرية غدة مؤقته تكبر عقب ولادة الطفل الى نهاية السنة الثانية إذ يتم نموها ، ثم تأخذ في التناقص شيئا فشيئا حتى لا يبقى الا أثرها في زمن البلوغ . موضعها في الجزء الامامي من الصدر وراء القص وتمتد الى أسفل العنق ولونها يميل الى الحمرة أو يقرب من السنجابي

وظائفها تكوين كريات يضاء كباقي الغدد اللمفاوية . وفي الحيوانات التي تسبت ( Hibern ate )<sup>(١)</sup> تبقى فيها هذه الغدة الصغرية مدة الحياة كلها ، وفي أثناء يقظتها يتراكم فيها جزء عظيم من الشحم ، وهذا يستعمل في أثناء سباتها يأخذ في الاحتراق شيئا فشيئا

فيظهر من ذلك انها تجتمع فيها بعض المواد التي تلزم للحياة في أثناء هذا النوم الطويل في تلك الحيوانات

ويقول بعض العلماء انها تولد أيضا بعض الكريات الحمراء في الاطفال وإذا أزيلت هذه الغدة من بعض الحيوانات كالضفادع مثلا . حصل لها ضعف عضلي شديد مع شلل ينتهي بالموت

(٣) الغدة الدرقية تشاهد في أسفل العنق من الامام على القصبة الهوائية ، وشكلها يشبه الدرقة ولذلك سميت بهذا الاسم . وهي في النساء أكبر منها في الرجال ، وفي زمن الحيض تنتفخ قليلا . وقد تصاب بمرض فتحصل فيها ضخامة

(١) كلمة لاينية معناها حرفيا ( تشقي ) والمراد بها السبات الذي يصيب بعض الحيوانات مدة الشتاء كالخفاش ( الوطواط )

عظيمة تسمى بلسان الأطباء (جواتر) Gositre<sup>(١)</sup> وهو مرض عسير الشفاء ولا يزول غالبا الا بعملية جراحية فيستأصل من العنق، ويجب الاحتراس من ظن أن هذه الغدة هي القطعة الناتئة في العنق المسماة « بتفاحة آدم »<sup>(٢)</sup> فان هذه الغدة التي تكمل عليها هي تحت التفاحة بقليل

أما مادتها فمركبة من منسوج مخصوص مشتمل على حويصلات صغيرة جدا مملوءة بمادة غروية مركبة من الزلال وعنصر اليود

ووظيفة هذه الغدة ان تفرز افرازا داخليا له تأثير عظيم في بنية الشخص وقواه العقلية، فاذا مرضت أو استئصلت في الاطفال وقف جسمهم عن النمو وأصيروا بالبله واذا أصابها المرض في الكبر حدث للانسان ما يسمى « بالتورم المخاطي » [ Myxoedema ] في جسمه فتضخم جميع الانسجة التي تحت الجلد حتى يتورم جسمه ويصاب بالضعف العام في جميع قواه الجثمانية والعقلية، ولذلك يجب الاحتراس في أثناء العمليات الجراحية من استئصال هذه الغدة كلها بل يتحتم ترك جزء منها ليقوم بهذه الوظيفة المهمة

وانما سمي هذا المرض الاخير بالتورم المخاطي لظنهم أن هذا الورم ناشئ عن زيادة المواد المخاطية تحت الجلد. والحقيقة أن المنسوج الضام الذي تحت الجلد بجميع أجزائه هو الذي يضغط لا المادة المخاطية التي فيه وحدها

ولعلاج هذه الاحوال يجب استمرار حقن خلاصة من الغدة الدرقية تحت جلد المصاب أو تستعار له هذه الغدة من أحد الحيوانات وتلصق بجسمه جراحيا (وهي طريقة قليلة النجاح) وأحسن من ذلك كله ان يأكل المريض من هذه الغدة مادام حيا

ويوجد للغدة الدرقية أخوات صغيرة بجوارها أو فيها والراجح عند بعض العلماء أن التأثير الاعظم في المجموع العصبي وغيره هو لهذه الغدد الصغيرة  
(٤) الغدة التي فوق الكلية هي جسم شكله كاتملنسوة المضغوطة من الجانبين

(١) كلمة فرنسية معناها الحرفي بالعام  
(٢) سميت بذلك لظهورها في الرجل أكثر منها في الأنثى

يرى على قفة كل من السكيتين ؛ أما وظيفتها فأول من اهتدى إليها طبيب انكليزي يسمى ( أدسون ) Addison في سنة ١٨٥٥ م ولذلك سمي المرض الناشئ من إصابة هذه الغدة باسمه الى اليوم. وأعراضه ضعف في المجموع العضلي كله وفي المجموع الدوري للدم وفي الاعصاب ، وإصابة الجلد بلون السمرة بحيث تشبه النحاس

وإذا استخلص من هذه الغدة خلاصة وحقت تحت الجلد أحدثت اقباضا في الاوعية الدموية الصغيرة ، فهي لذلك تنفع في منع النزيف ، وكذلك اذا وضعت هذه الخلاصة على الاغشية المخاطية صيرت لونها أكمل لاقباض الاوعية الدموية فيها ومنعت النزيف ، ولذلك يستعملها أطباء العيون في العمليات الجراحية للعين بنسبة واحد في الألف لمنع النزيف . وأشهر الامراض التي تصيبها هو التدرن

(٥) الجسم النخامي أو المخاطي هو جسم في الدماغ أحمر سنجابي يشاهد على السرج التركي للعظم الوتدي من عظام الجمجمة أسفل المخ ، ومرض هذا الجسم يحدث ضخامة قطيعة في عظام الاطراف العليا والسفلى وكذلك في عظام الوجه

(٦) الغدة الصنوبرية هي أيضا داخل الجمجمة تحت مؤخر الجسم المتدمل الموصل بين فصي المخ ، في وسطها تجويف صغير ، ولم تعلم لهذا الجسم وظيفة الى الآن ، وغاية ما يعرف عنه أنه أثر ضار لعين ثالثة

وتوجد هذه العين في حال أحسن منها في الانسان في الاورال ( العطاء )

[ Lizards ] خصوصا في النوع المسمى بالافرنجية «هتيريا» (Hatteria) وهي فيها مغطاة بالجلد ، وفي الخرباء ، وبعض الزواحف تصل الغدة الصنوبرية بعين ثالثة في وسط سطح الرأس ولكنها في الحالة الاثرية أيضا

وهذا العضو هو من أعظم وأشهر الاعضاء الاثرية التي بنى عليها مذهب دارون

(٧) الجسم العصععي يوجد عند نهاية العصعص وفيه منسوج ضام مشتمل على

كثير من أوعية دموية صغيرة . وهذا الجسم لا تعرف له وظيفة أيضا

(٨) الجسم السباتي هو جسم عند انقسام الشريان السباتي<sup>(١)</sup> الذي في جانبي

(١) سمي بذلك لان الضغط على هذا الشريان ضغطا يقلل الدم عن الدماغ

يحدث نوما عميقا ( أي سباتا ) أو غيبوبة

العنق الايمن والايسر

وهذا الجسم يشبهه في تركيبه الجسم العصصي وهو مثله أيضا في جهلنا وظيفته  
جهلا تاما

## الجلد : تركيبه ووظيفته

يتركب الجلد من طبقتين : العليا تسمى البشرة ، والسفلى تسمى الادمة ، وفيما  
الشعر والأظفار والغدد الدهنية وغدد العرق ، أما البشرة فهي مركبة من طبقات  
عديدة ، كل منها مركب من خلايا بعضها بجانب بعض كالبلات

وأما الطبقات السطحية فهي كالقشور الميتة وتنفذ منها نوياتها ، وتنفصل عن  
الجلد شيئا فشيئا ، ويحصل نمو البشرة من طبقاتها السفلى . وفي هذه الطبقات ترى  
المواد الملونة لبعض أنواع البشر . وفيها أيضا تحفظ المواد التي يستعملها الناس للوشم .  
وطبقات البشرة تنفذ بالمادة اللاصقة ، ولها مجاز دقيقة جدا بين خلاياها ، ولا يوجد  
في البشرة عروق للدم ، ولكن يوجد في الطبقات السفلى منها أعصاب دقيقة جدا

وأما الادمة فهي مركبة من منسوج ليفي كثيف ، وهذه الكثافة تتناقص شيئا  
فشيئا حتى تصل الى المنسوج الخلوي الذي تحت الجلد وبه الشعر . وفي الادمة  
حلمات صغيرة توجد بكثرة في راحة السكفين وفي أخمص القدمين ، وهي أكبر  
الحلمات الجلدية ، ويكون بعضها بجوار بعض صفا صفا ، وهي السبب فيما نشاهده  
في جلد الراحة مثلا من القنوات الصغيرة . وهذه القنوات لها أشكال متنوعة في  
يد كل شخص ، بحيث يتعذر وجود شخصين متماثلين فيها من جميع الوجوه ، ولذلك  
يختبر بها تحقيق الشخصية

وفي الحلمات الجلدية لعائف من الأوعية الشعرية الدموية ، وفي بعض الاجزاء  
كالأخصص والراحتين وغيرها أجسام بيضاوية لها علاقة مخصوصة بحاسة اللمس  
وفي الطبقات السفلى من أدمة العنق والقنصب وحلمة الثديين ألياف عضلية  
غير اختيارية ، وهي التي تحدث الانكماش في جلد تلك الاعضاء بانقباضها



وأما الاظفار فهي عبارة عن بعض طبقات من طبقات البشرة تنوعت تنوعا خاصا

وأما الشعر فهو أيضا طبقات من البشرة تنوعت تنوعا مخصوصا، وكل شعرة تثبت من بصيلة في حفرة مخصوصة تسمى الحويصلة الشعرية . والشعر يوجد في جميع أجزاء الجسم بدرجات مختلفة ما عدا الراحيتين والاحصين والقضيب، أما لونه فهو ناشئ عن وجود مادة ملونة في خلاياه. وسبب الشيب فقد هذه المادة، وقد يتولد في الشعر قفايع هوائية وهي التي تظهر أن لونه أبيض عند حصول فرع للانسان مثلا وكل حويصلة من حويصلات الشعر لها ليفة عضلية صغيرة تجذبها في بعض الاحوال فينتصب الشعر كما يحصل عند البرد أو الفزع

وأما الغدد الدهنية فهي غدد كيسية موضوعة في الأدمة وتفتح قنواتها في أعلى حويصلات الشعر ، وهي تفرز مادة دهنية فائدتها تليين الشعر والجلد ، وباتسداد هذه الغدد والتها بها يحصل « حب الشباب » بسبب كثرة افراز المادة الدهنية في هذا الطور من العمر ، وبعد سن الثلاثين يندر وجود هذا المرض

وأما غدد العرق فتوجد في جميع سطح الجلد وتكثر جدا في الاماكن التي لا شعر فيها كالراحيتين ، وكل منها عبارة عن أنوبة ملتصقة على نفسها ، موضعها في الأدمة أو في تحتها - وهو الغالب - وتفتح قنواتها في سطح البشرة

وأما المادة التي تفرز في داخل الاذن فلها غدد تشبه غدد العرق

#### وظائف الجلد

- (١) أن يكون وقاية للجسم ومركزا للحس باللمس
- (٢) عليه مدار تنظيم حرارة الجسم - كما سبق -
- (٣) يتنفس الجسم منه ، فانه يخرج منه غاز ثاني اكسيد الفحم ، ويمتص الجسم أكسجين من الهواء . وهذه الوظيفة في الحيوانات ذوات الجلد السميك ضعيفة جدا ولكن لها في ذوات الجلد الرقيق أهمية عظيمة ، حتى اذا نزع منها الرئتان عاش الحيوان مدة بالتنفس الجلدي فقط كما في الضفادع

(٤) الامتصاص ، وهذه الوظيفة لها أهمية في العلاج فإن كثيرا من المواد اذا وضعت على الجلد دخلت البنية كالزئبق مثلا وكذلك الزيوت وغيرها كثير ، فبامتصاص الزئبق من هذا الطريق يمكن معالجة الداء الافرنجي . وكذلك يعالج الاطفال النحفاء بذلك أجسامهم بالزيوت خصوصا زيت السمك ، وهي طريقة لطيفة لتوقي طعمها المبغوض . ومن هنا نفهم سبب سمن أكثر المشتغلين بمس الزيوت والشحوم كالجزارين مثلا فإن أجسامهم تمتص شيئا منها . والامتصاص بالجلد هو بالضرورة أضعف من الامتصاص بالاغشية المخاطية

(٥) الافراز ، ومعناه خروج بعض المواد الضارة بطريق الجلد من جسم

الانسان في العرق وغيره

### العرق

توجد غدد العرق بكثرة في الانسان في راحتيه واخصيه — كما سبق — ولذلك يكثر العرق فيها ، ولكن يوجد اختلاف بين الحيوانات في كمية العرق التي تفرزه وفي الاماكن التي يفرز منها بكثرة — فالثور يعرق أقل من الحصان والغنم ، والفيران والارانب والمزلات يعرق ، والخنزير انما يعرق أنفه بكثرة ، واما الكلاب والقطط فتعرق براحة أرجلها

واذا خرج العرق من الجسم تبخر في الهواء وفي تبخره يجتذب جزءا من حرارة الجسم فتعرض له البرودة وإذا كان الهواء جافا وحرارا ومتحركا كان التبخر عظيما ، والعكس بالعكس

ومقدار العرق في اليوم نحو ٧٢٠ جراما

تركيب العرق : اذا خرج العرق من الجسم يخرج معه شيء كثير من الفضلات الضارة ، وهو يمتزج بالمادة الدهنية التي تفرزها الغدد المذكورة سابقا ، ويختلط كذلك ببعض خلايا البشرة التي انفصلت عنها وهذه الخلايا فيها كثير من مادة الكبريت ، وهذه هي إحدى الطرق لإخراج هذا العنصر من الجسم

أما العرق فيشتتمل على ماء كثير وأملاح متعددة أشهرها ملح الطعام ، وحوامض دهنية ومادة البولينا وهي التي تخرج بكثرة في البول وهي من أشهر

فضلات الجسم المختلفة عن احتراق المواد الزلالية فيه - كما سبق -  
وما سبق تعرف العلاقة بين افراز السكلى وافراز الجلد ، فاذا كثر العرق قل  
البول وبالعكس . وهذا هو السبب في قلة افراز البول اذا اشتد الحر في زمن الصيف .  
لذلك كان من احسن طرق علاج المصاب بمرض في السكلى أن تكثر عرقه بالندفة  
أو بالحمامات الساخنة أو بيمض الادوية التي يعرفها الاطباء ، وبهذه الوسيلة تخرج  
بعض الفضلات الضارة من الجسم بطريق الجلد فتستريح السكلى حتى يتم شفاؤها  
وتوجد مواد كثيرة اذا تعاطاها الانسان خرجت بكثرة في العرق مثل الجاوي ،  
وبعض الادوية حين خروجها من الجسم تهيج الجلد وتحدث فيه طفحاً مخصوصاً  
كالزرنخ مثلاً . ومثل ذلك سموم بعض الامراض فانها تحدث طفحاً في الجلد .  
وسيتأتي الكلام عليها في الجزء الثاني ان شاء الله

وتم مواد أخرى غير ما ذكر تخرج مع العرق في بعض الاحوال ، فقد شوهد  
أن بعض الناس يتلون عرقهم بلون مغاير للون الطبيعي بسبب خروج دم فيه أو  
بمخرج المادة الحمراء الملونة للدم . وقد يخرج في العرق مادة زلالية وذلك في مرض  
الرثية ( الروماتزم ) الذي يكون فيه العرق أشد حموضة من المعتاد ، وقد يخرج  
فيه أيضاً حامض اللبنيك وذلك في الحمى النفاسية أو في داء الكساح أو الخنازير  
الاستحمام : علم مما سبق أن الاغتسال ضروري للانسان لان تركه يسبب  
تراكم تلك المواد المذكرة آنفاً على سطح الجلد فتسد قنوات الغدد وتعوق افرازها  
واذا قل افراز الجلد كثر مجهود الرئتين والسكلىتين فتصاب بالعطب . زد على ذلك  
كون القنطرة تحيط من قدر المرء وتنفر الناس منه وتحدث بعض أمراض في الجلد  
نفسه كالحكة

ومن فوائد الاستحمام غير ما ذكر أنه ينشط الجسم وينبه المجموع العصبي  
والدوري ، ولذلك أوجبه الشارع الحكيم بعد الجنابة لازالة ما يحدث للجسم من  
الفتور بعد الجماع . والاستحمام يقوي المرضى والضعفاء ، ومن ذلك تظهر حكمة  
اغتسال الحائض والنفساء لان هاتين الحالتين هما - من غير شك - مرضيتان  
واحسن طريقة لازالة أوساخ الجسم هي استعمال الماء الفاتر أو الساخن مع

الصابون والدلك بالليفة أو نحوه، ولا يخفى أن الدلك من أحسن الوسائل المستعملة في الطب الحديث لتقوية الاعصاب والمضلات وإزالة بعض الآلام، ولذلك يمدح بعض أطباء الأفرنج الامام مالكاً رضي الله عنه لجمعه الدلك من فرائض الغسل فإنه أكثر تقوية للجسم من الغسل وحده أما الصابون فإنه يتولد من تأثير البوتاسيوم والصوديوم في المواد الدهنية أو الزيتية

### أنواع الحمامات هي :-

- (١) البارد وحرارته تكون أقل من حرارة الجسم بكثير
  - (٢) الفاتر وحرارته أقل بقليل
  - (٣) الساخن وحرارته مثل حرارة الجسم
  - (٤) الحار وهي مثل حرارة الجسم إذا أصابته الحى الشديدة
- والمياه الساخنة منبهة للجسم مزيلة لآلام الروماتزم وغيرها ، ويصح لكل انسان أن يستعملها
- أما المياه الباردة فالأولى أن لا يستعملها الانسان الا في زمن الصيف بشرط أن يكون صحيح البنية سليم السكيتين والرئتين . وإذا أحس الانسان بعدها بحرارة في جسمه كان ذلك دليلاً على أن بنيته تحملها بشرط السلامة من المرض
- وينبغي أن يستعمل الانسان بعد الحمام البارد الدلك الشديد والتدفئة بالملايس الكافية والرياضة البدنية نحو نصف ساعة
- وكذلك يجب في جميع الحمامات تشييف الجسم من الماء تشييفاً جيداً فان في ذلك وقايته من البرد، ويجب في الحمام الساخن أن لا يخرج الانسان منه دفعة واحدة الى الهواء البارد ، وأحسن وقت للاستحمام أن يكون في الصباح قبل الفطور أو بعد تناول لقيمات قليلة جداً مع فنجان من القهوة أو الشاي. ومن الضرر البالغ أن يغتسل الانسان بعد الجوع الشديد أو التعب الكبير أو بعد امتلاء المعدة بالطعام ، ولا يصح دخول الحمام عقب الأكل الا بعد مضي ساعة أو ساعتين على الأقل
- (المنار: ج ٦) (٥٦) (المجلد الثامن عشر)

ولا يجوز استعمال الماء البارد للشيوخ والمجانز ولا المصابين بضعف القلب  
والماء البارد نافع جدا في الحيات وكذلك الفاتر، وهذا مصدق للحديث القائل  
«الحلى من فيج جهنم فايدوها بالماء» — كما سبق — والمعالجة بالماء Hydrotherapy  
فنجحت نجاحا عظيما في شفاء كثير من الامراض الضعفية والامراض التي تنهك القوى  
العقلية ولازالة مضار الحياة الجلوسية

أما السبب في احساس الانسان بالحرارة عقب استحمامه بالماء البارد فهو تمدد أوعية  
الجلد وامتلاؤها بالدم بعد انقباضها عند استعمال الماء البارد وهو ما يسمى «برد الفعل»  
والواجب أن يكون زمن الحمام البارد قصيرا جدا (أي بضع دقائق) فان  
الفرض منه ليس تنظيف الجسم بل تقويته ، ويجب أن لا يكون الحمام الساخن في  
مكان فاسد الهواء كأن توضع فيه النار مثلا

وينبغي الاستحمام في الصيف مرتين في الاسبوع على الأقل، وفي الشتاء مرة  
واحدة ، وينبغي تغيير الملابس بعد الاستحمام؛ ومن هنا نفهم حكمة الشارع في سن  
غسل الجمعة وليس أحسن الثياب يومه ، وفي فرض الغسل بعد كل جنباة ولو  
بالاحتلام ، وفرض طهارة التوب

## الهلبس

الفرض من الملابس حفظ الجسم من البرد والحر والرياح والمطر والقاذورات  
وهي تدفئه وتحفظه من بعض الموارض وكذلك تزينه  
وتتخذ الملابس إما من الحيوان أو من النبات  
(١) ما يتخذ من الحيوان

فهو الصوف والوبر والشعر : وهي تؤخذ من الانعام كما هو معروف . وهذه الاشياء  
جميعا تغزل ثم تنسج ما عدا اليباد فانه يصنع بلا غزل ولا نسج ولتمييز هذه الاشياء  
عن المواد النباتية يوضع جزء منها في محلول القلويات <sup>(٢)</sup> الكاوية فاذا ذاب علم  
(١) كمحلول الصودا الكاوية أو البوتاسا الكاوية وغما عبارة عن  
هيدرات البوتاسيوم أو الصوديوم

أنه من أصل حيواني

والكشمير يتخذ من شعر معز بلاد التبت

وهذه الاصناف جميعا موصلة رديئة للحرارة وتمتص الرطوبة بسهولة وسرعة ولكنها تبخر منها ببطء ، فلذلك كانت نافعة جدا في التدفئة . ومن معانيها أنها تيسر وتنكمش بالفصل

الحريير : يفرز من غدتين بأسفل جسم دودة القز ، ولها قناتان تنفتح في الشفة السفلى لفم الدودة . والحيط الواحد عبارة عن خيطين دقيقين جدا ملتصق أحدهما بالآخر وطوله نحو ٤٠٠٠ ياردة

وتفرز الدودة هذا الحيط لتبني به بيتا حولها يحيط بها ويخفيها عن الاعين ويحفظها من كل مايؤثر فيها مدمتها الى فراش ، ويسمى هذا البيت بالشرقة ، فإذا تحولت الى فراش ثقب هذا البيت وخرج منه ، فتزاول ذكوره باناثه وتضع الاناث ايضا صغيرا جدا كحجم رأس الدبوس الصغير يشبه بزور الخشخاش ( أبي النوم ) وهذه البويضات تنفقس فتخرج منها ديدان دقيقة وهي ديدان القز ، ولا تفرز الحريير الا بعد كبرها وتعام نموها ، وتتغذى هذه الديدان بورق التوت ، وفي بلاد المنول نوع آخر منها يتغذى بورق البلوط . وهالك تفصيل حياة هذه الدودة كما علمته بالمشاهدة أثناء تربيتي له : —

يبدأ بيض القز ينقس في أواخر شهر فبراير أو أوائل مارس وقت ظهور ورق التوت ، ويكون الدود صغيرا جدا كالنمل ثم يكبر حتى يصير طول الواحدة نحو ٦ — ٨ سنتي متر . ويخرج الحريير في أوائل شهر ابريل ، ويقال إنه يمكن تربيته أيضا على ورق الخس ولكن حرييره يكون أقل . وتتكون الشرائق فإذا تمت خرج الفراش منها بعد نحو ١٨ أو ١٩ يوما ، وتبدأ الافاث بوضع بيضها بعد نحو ٣٤ ساعة من خروجها . وعدد بيض كل نحو ٢٠٠ على الأقل . ويموت الذكر والانثى من الفراش بعد خروجه بنحو عشرة أيام . والانثى أكبر قليلا وأصفى يابضا

أما لون البيض الجديد فهو مصفر فإذا قدم صار رماديا . وهو مفرطح ومنبمع في وسطه . ولا يأكل الدود داخل الشرقة شيئا ولا يشرب ، وكذلك الفراش

ولون الشرنقة أبيض أو مصفر قليلا أو كثيرا، وشكله يضاوي مخصص، وطول الشرنقة من اثنين ونصف الى ثلاثة ونصف سنتي مترا وعرضها واحد ونصف تقريبا . وقد ينقص البيض مرة أخرى في مايو

أما خيط الحرير فله قلب محاط بمادة شمعية زلالية. ولتمييز هذه الخيوط الحريرية عن الخيوط النباتية يوضع عليها حامض البكريك <sup>(١)</sup> Pieric ولونه أصفر فاذا تلونت به كانت حريرا صحيحا والا فلا

ولتمييز الحرير عن الصوف مثلا يوضع القماش في محلول قلوي من أكسيد الرصاص فاذا تلون باللون الاسود دل ذلك على أنه صوف لوجود مادة الكبريت فيه فتتحد مع الرصاص وتحدث هذا اللون الاسود، أما الحرير فليس فيه هذه المادة الكبريكية

والحرير يتمتع الرطوبة بكثرة وهو موصل ردي للكهرباء، ويقال انه يحفظ الروائح وجراثيم الامراض

ولا يحتاج الجسم الى لبس الحرير الا اذا كان مصابا بداء الحكمة، ولا شك أن الشارع يبيحه في مثل هذا المرض فقد لبسه بعض الصحابة بأمر رسول الله (ص) في ذلك المرض، لان الضر ورات تبيح المحظورات

ويؤخذ من الحيوانات أيضا الفرو والویش والجلود . أما الفرو فيستعمل في البلاد القطبية، والريش يستعمل للزينة غالبا، والجلود تستعمل في الاحذية وغيرها (٢) ما يتخذ من النبات

القطن : وهو خيوط تحيط بهزور شجرة معروفة تنبت في البلاد الحارة والمعتدلة ك مصر ، وهذه الشجرة هي حقيقة شجرة مباركة . فتقطنها ضروري للملابس والاثاث وغير ذلك، وبزورها يستخرج منها زيت جيد تنفع في التغذية يسمى في مصر بالزيت الخلو . وهذه البزور تستخرج منها خلاصة تدربن المراضع ، وكذلك اذا أعطيت الانعام كثر لبنها ، وهذه الخلاصة تباع باسم ( Laetago ) تصنع في المعامل الافرنجية . وتستعمل سيقان هذه الشجرة في الوفود وقشر جذورها مجفئ للجبال

(١) كلمة يونانية معناها « مر »

والقطن كالصوف يغزل أولاً ثم ينسج لصناعة الأقمشة منه ، وهو عبارة عن مادة السلولوز المتقدم ذكرها

وإذا وضع القطن في محلول الصودا الكاوية تحول إلى مادة تشبه الحرير ، وهي التي تصنع منها أكثر الأقمشة المسماة كذاباً حريراً

وخيوط القطن تتحمل الغسل والغلي ، وهي تمتص الرطوبة امتصاصاً رديئاً وتوصل الحرارة جيداً ولذلك كانت للملابس القطنية مبردة

الكتان : يؤخذ من سيقان شجرة مخصوصة بأن يحد هذه السيقان في مكان رطب ثم تدق إلى أن تفرق خيوطها ثم تمشط ومن بزور هذه الشجرة يستخرج الزيت المسمى بالزيت الحار . وهو فضلاً على كونه مغذياً مدر للبول ومنفث للباغم ، وتستعمل هذه البزور أيضاً في عمل الضمادات ( اللبخ ) . والمنسوجات الكتانية موصلة جيداً للحرارة وامتصاصها للرطوبة رديئاً كالقطن ولكنها أغلى ثمناً منه لنعومتها وبريقها

النب : يؤخذ من سيقان شجرة أخرى كما يؤخذ الكتان ولكنه خشن جداً وقل أن يستعمل إلا في الحبال والقلاع والأكياس الخيشية . ومن هذا النبات يؤخذ الخشيش ، وهوتلك المادة المغية الملعونة . وبزر النبق يستعمل لغذاء الطيور

#### ألوان الملابس وسعتها

أما ألوان الملابس فتأثيرها في الحرارة كما يأتي : الأبيض يمتص الحرارة امتصاصاً رديئاً جداً فهو أبرد هاء ، يليه الأصفر فالأخضر فالأزرق فالأسود ، ولذلك إذا وضعت قطعة من ثلج في قماش أسود وقطعة أخرى في قماش أبيض ذابت الأولى أسرع من الثانية لأن الأبيض يطرده الحرارة والأسود يمتصها وتنفذ منه إلى الثلج ، وكذلك يرتفع رتبق الترمومتر درجات أكثر إذا وضع على قماش أسود ومن الخطأ لبس الملابس الملونة فوق الجلود مباشرة فإن أكثر الألوان

تشمط على مادة سامة فتتهيج الجلد ، وإذا امتصت منه أفسدت الصحة

ويجب أن تكون الملابس غير ضيقة والاعاقت الدورة والتنفس وشوهت شكل الأعضاء كمشرط الأفرنج وأحذية أهل الصين . ولبس الأحذية الضيقة ضار جداً



بالاقدام فقد يغوص بعض الاظفار في اللحم ويحدث قروحا والتهابات تؤذي الشخص أذى يلغاه زعل هذا ما تحدثه الاحذية الضيقة في بشرة القدم من الحلمات الصلبة المؤلمة

### نظافة الملابس

أما نظافة الملابس فهي واجبة طبيا وشرعا لقوله تعالى ( وثيابك فطهر ) فهي فرض على المسلم وإن لم يشترطها بعضهم في صحة الصلاة

واما المضار الناشئة من قذارة الثوب فهي عديدة واليك بيان بعضها :

(١) اذا تراكم العرق والافراز الدهني في الملابس منها امتصاص العرق وعاق الجلد عن تأدية وظيفته وأحدث حكة فبقوا أو دمايل . وهذا هو أهون المضار  
(٢) اذا استسخت الملابس كثر فيها القمل والبراغيث وهما من أشد الحيوانات فتكا بالانسان ، فان القمل ينقل الى الانسان الحمى التيفوسية والحمى الراجعة ، والبراغيث تنقل اليه الطاعون فللوقاية من هذه الامراض الفتاكة يجب تطهير الملابس من سائر الحشرات

(٣) الملابس القذرة كثيرا ما تكون سببا في نقل العدوى من شخص الى آخر اذا تناقلها أو لمسها أو فثلا الجرب والارضة الجلدية ( تينيا ) كثيرا ما تنقل بهذا الطريق . واذا تنجس الثوب بالبول أو البراز أو الصديد أو الدم كان سببا في نقل الحمى التيفودية والدوسنتاريا والديدان الخطيطة والرمم الصيدي والزهري وغير ذلك . واذا كان الشخص من حاملي الامراض — وسيأتي بيان ذلك — كانت بعض مفرزاته معدية ولو كانت صحته جيدة

وحيث ان طهارة الثوب فرض وهذه الطهارة لا تكون تامة الا اذا خلا الثوب من البول والبراز وغيرهما وخلوه منها لا يكون الا بالاستنجا فينتج من ذلك أن الاستنجا فرض على المسلم

وأحسن طريقة لتطهير الثوب أن يغلى غليا جيدا نحو من نصف ساعة ثم بعد ذلك يغسل بالماء والصابون ثم ينشر في الشمس كالعتاد . ولا هيب في هذه الطريقة الا انها تجفف المواد الزلالية كالدم والصديد فيتمسرازالتهما تماما من الثوب ، أما غسله

بالماء البارد قبل الغلي فيذهب تلك المواد بسهولة ولكنه يلوث الايدي والماء، فاذا اتبعت هذه الطريقة الاخيرة وجب غسل الايدي غسلا جيدا وتطهيرها بوضعها في مادة مطهرة كالنول (الكحول) وغيره، والواجب ان يغلى الماء الذي غسلت فيه قبل أن يلقى منعا لانتشار الامراض بين الناس

## فصل

### في تنظيف الجسم كله تفصيلا

﴿ مع بيان فوائد ذلك وتطبيقها على الدين الحنيف ﴾

نظافة الرأس تكون بحلقه أو قصه ثم يغسل بالماء الساخن والصابون مع الدلك بشيء خشن كالليف . ولم ينه الشارع عن الحلق الا في الاحرام ولكنه أباحه لمن به مرض أو أذى من رأسه. والحلق واجب طبيا لإزالة الحشرات ولتمكين الأدوية من برء أمراض الشواة (جلدة الرأس) ولعلاج جروحها أو كسور عظامها ولوضع المضادات الباردة فوقها في الصداع أو ضربة الشمس أو التزف الخبي أو غير ذلك . وإذا أبت امرأة حلق رأسها لوجود قمل أو صئبان فيه أمكن اذهاب ذلك بهب زيت البترول فوق شعرها فإن ذلك قاتل للقمل ، وحمض الطليك بنسبة ١ - ٤ يسهل استخراج الصئبان من الشعر - كما سبق -

وإذا تركت نظافة الرأس أضر الانسان القمل وحدث برأسه قروح وبثور وأمراض أخرى كالقراخ فيقسم دمه بما في رأسه من القروح وقد تصيبه الحكة أو تلتهم العقد اللعاقوية في العنق أو يصبية داء الخنازير

غسل الوجه واجب كذلك وخصوصا لتنظيف العينين فإن ذلك يشيها من أرماد كثيرة، والاحسن ان تغسل العينان في كل يوم مرة أو مرتين بمحلول حامض البوريك المشبع ( أي بنسبة ٤ في المائة ) بعد الغسل بالماء والصابون

أما نظافة الاذن فيكفي أن تغسل كما تغسل في الوضوء ولا يجوز اللعب في داخلها بشيء فإن ذلك قد يحدث التهابا فيها أو يقب طبلتها. وحركة الفكين في

المضع وغيره كغيلة باخراج أظها (وسخ الآذان) وعندئذ يسهل غسله، وإذا أهملت الآذان من الفسل يعرض لها صمم من تراكم الاوساخ فيها وظنين مع دوار، وقد يحدث ألم فيها، وسعال مستمر

غسل الأنف يكون بالاستنشاق والاستنثار، أما تنف شعره فمذموم وقد ورد في بعض الآثار ما يفيد مدح نبات شعر الأنف . وحكمته أن هذا الشعر يمتص هواء التنفس من التراب والميكروبات وغيرها

نظافة الفم هي من أكبر المهمات وتكون بالمضمضة والسواك ولذلك كاد الشارع أن يفرضه، ويرى بعض أطباء الافرنج الآن أن السواك خير من مسفرتهم (فرشتهم) لأن السواك يمكن تجديد طرفه المستعمل مرارا كثيرة أرخص منه، أما الفرشة فلا يمكن تجديد شعرها فتتراكم فيها أنواع الميكروبات الضارة بالاسنان ولذلك قال بعض أطباء الاسنان أن السبب في انتشار أمراضها بينهم هو استعمال هذه الفرشة ونصحهم باستعمال السواك وتجديده كثيرا أو بغلي الفرشة بعد كل استيائك

أما مرض الاسنان فانه مؤلم جدا ومفسد للضم ويحدث منه تسلم في الدم فيصفرلون الشخص وتضعف قواه، وقد يصيبه داء الخنازير أبطاء، وإذا مرض ضعفت مقاومة جسمه عن احتمال الامراض فلذا كان الواجب العناية بنظافة الاسنان نظافة تامة أما الشارب فالأفضل قصه فانه تترأكم فيه الاوساخ والميكروبات فتصل الى طعام الانسان وشرابه. ولا بأس بترك اللحية لانها بعيدة عن ذلك وهي مظهر من مظاهر الرجولية

الابطان يجب تنقيها أو حلقيها معنا لتراكم القمل أو الميكروبات فيها، وقد تولد عفونات فيها تحدث روائح كريهة، ومن الميكروبات التي تنعى في الابط ما يحدث العرق الاحمر

وكذلك يجب تقليم الاظافر وتحليل ما في الايدي من التيات فان وجود الميكروبات فيها ونحت الاظافر ضار جدا لسهولة وصولها الى طعام الانسان وشرابه ومن أشهر الامراض التي تصل بهذا الطريق هي الحى التيفودية ولذلك يجب

غسل اليدين غسلا جيدا قبل كل طعام. ومن الامراض التي كثيرا ما تصيب الايدي داء الجرب، فان حيويته اذا وصل الى الايدي ولم يطرد عنها بالتنظيف المتوالي ثقب الجلد وأحدث هذا الداء. وأحسن الوسائل المتبعة لوقاية الطعام من كثير من الميكروبات الاكل بالشوكات والملاعق واستعمال السكاكين

و يجب حلق العانة وكذلك الختان منعاً لتراكم القمل والصئبان في شعر العانة وجميع القاذورات تحت الثقلبة وقمل العانة هذا هو قمل الابط والحية وغيرها فاذا يمكن انتشاره من العانة الى مواضع أخرى من الجسم حتى الحواجب واهداب العين، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر العظيم. وفي حلق العانة شيء من تحريك داعية الوقاع لتيسر هذا المكان عند نبات الشعر

ومن مستلزمات نظافة السبليلين الاستنجاء. وذلك للمحافظة على طهارة الثوب المفروضة ومنع الروائح الكريهة وانتشار الامراض، وقد بقي الانسان أيضا من السيلان والافرنججي. ويكون الاستنجاء باليد اليسرى، ولا ينبغي الاكل بها. ويتحتم غسل الايدي بعد كل استنجاء غسلا جيدا، وكذلك يجب بلها بالماء قبله لمنع تشرب اليد للمواد الكريهة والميكروبات بقدر الامكان

ومن الواجب أيضا نظافة القدمين وتكون بالنقل الجيد المتكرر والتخليل، فان ذلك مانع لتسلخاتها ولروائحها الكريهة. فانه اذا تراكمت الاوساخ فيها فقد يعرض للاخصبين ولما بين الاصابع تسليخات ربما ادت الى التهاب في المقعد الأربية ونشأ عنه حصى وخراج في ذلك الموضع، وتلك التسليخات مؤلمة وتعوق الانسان عن المشي وتعطله عن أعماله

وبعد ذكر هذه النظافة التفصيلية يجب علينا تكرار الحض على تنظيف سائر الجسم ودلكه جيدا بالماء والصابون، فان نعم ذلك معلوم مما سبق. ويجب علينا تكرار ذكر ما للقدم من المضار - خصوصا قل الجسم أو الملابس - فانه فضلا عن قله للحميات المذكورة قد يكون هو وحده سببا في أحداثات حمى شديدة - كما قلنا - وذلك اما بسبب تهيج اعصاب الجسم بلدغه أو بحرقن سموم (المنار: ج ٦) (٥٧) (المجلد الثامن عشر)

في الجسم من افرازه، فقد شوهد ان بعض الناس قد أصابه حتى في مقبى الشدة حتى زادت حرارته عن أربعين، وعند البحث في جسمه لم يوجد به عرض ولم يكن هناك سبب لتلك الحمى سوى وجود قمل كثير، وبعد النظافة التامة زالت عنه الحمى في الحال

زد على ذلك ما لقليل من المضار الأخرى كإفلاق راحة الإنسان ومنع النوم عنه وأحداث بثور في الجسم من الحكة

## القاذورات والنجاسات

القاذورات التي نعتبرها ضارة طبياً هي عين النجاسات المعروفة شرعاً، وأشهرها البول والبراز والدم والقيح أو الصديد والقيء والمني. ولم يعتبر اللعاب والمخاط من الشخص السليم ضاراً في الشرع لأنه حقيقة لا يوجد فيه ميكروب يضر الإنسان ضرراً يليق بهم إلا ميكروب التهاب الرئوي والميكروب العنابي (الذي ذكر في صفحة ٦٩ من هذا الكتاب) ولكن هذين الميكروبين وغيرها يسكنان عادة في فم كل شخص، ولا يضرانه إلا إذا ضعفت بنيته عن مقاومتها، ولذلك كان الاحتباس من لعاب الشخص السليم ومخاطه لا فائدة كبيرة فيه أما البلغم فهو شيء غير المخاط العادي إذ أنه يشتمل على شيء من الصديد وغيره كبلغم المسالولين وهو خطر جداً، فيجب اعتباره نجساً لاشتماله على الصديد أو الدم كما ثبت ذلك بالبحث المجهرى. وقد نص الفقهاء على أن كل ما يخرج من الصدر من مخاطة وغيرها نجس

وقال فقهاء الحنفية إن ما زاد من هذه النجاسات عن قدر الدرهم وجب تطهير الثوب وغيره منه، ولا يخفى أن المصاب بالسل وغيره من الأمراض الصدرية يخرج من فمه كثيراً من الصديد الذي قد يزيد عن قدر الدرهم

فإنما كان الواجب عندهم أن يتطهر الإنسان من البلغم إذا أصاب ثوبه به بقا المقدار كما يتطهر من البول والبراز فإنه لا فرق بينهما وكلاهما ضار ضرراً يليقاً. على أن الإمام الشافعي يرى أن القليل والكثير من النجاسات سواء، فيجب التطهر

حتى من قليل البلم الذي يخرج من الصدر

## نظافة البيوت وشر وطها الصحية

من مقتضى الطهارة في الاسلام ان يكون مكان الشخص نظيفاً طاهراً لئلا يتنجس ثوبه فطهارة البيوت — فضلاً عن كونها واجبة طباً — هي واجبة شرعاً ومن أكثر الاسباب نشراً للأمراض أن يدوس الانسان في الطريق على ما يلقى فيه من القاذورات وميكروبات الامراض ثم يأتي الى بيته ولا يسلخ نعليه فان ذلك ما ينشر في البيوت أكثر الامراض كالدفتيريا والسل وكثيراً من الحيات العفنة فالواجب أن تكون أرض البيت وفرشه وحيطانه وسقفه وكل ما حوى في غاية النظافة بحيث لا تتلوث بشيء من النجاسات المذكورة آنفاً . وكذلك يجب أن تنظف من القمل والبق والبعوض (الناموس) والذباب والقران والبراغيث وغير ذلك بأن تسد جميع شقوقها وتكرر تنظيفها خصوصاً بالجير أو نحوه برش على أرضها ويصب في مراحضها شيء من البترول <sup>(١)</sup> لقتل العلق (صغار الناموس) ويضبه وينبغي ان تكون المساكن طليقة الهواء ذات منافذ كثيرة معرضة لاشعة الشمس بعيدة عن الاماكن الرطبة . والافضل أن تكون مراحضها في الجهة الجنوبية بمصر — أو ما يقابل الجهة التي يكثر الهواء منها في كل بلد — وتكون حيطان هذه المراحض مصقولة صقلاً جيداً بحيث لا تنفذ المياه منها الى أرض المنزل فتتألف بالرطوبة والروائح الكريهة وتفسد هواءه ، ويجب ان يكون لمثل هذه المراحض منافذ كالداخن تعلو فوق سطح المنزل من الجهة الجنوبية لتصرف الروائح الكريهة . فاذا اتبعت جميع هذه الشروط وكانت الشوارع متسعة كانت المساكن صحية .

ومن الناس من يجمع المواد البرازية وغيرها في أواني مخصوصة ثم تحمل الى خارج المدن ، وذلك خير من تولي أرضها بها . والافضل من ذلك كله أن يعمل لها حجار صقيلة ( كفتوات مواسير ) الحديد لتحمل هذه المواد الى مستودع بعيد عن المدينة (١) وذلك بنسبة أوقية من هذا الزيت لكل ١٥ قدماً مرعبة من سطح ماء المرحاض أو غيره كالمستنقعات

كلها بعدا شاسعا . وينبغي الانتباه الى هذه المواسير جيدا بحيث لا ينفذ منها شيء الى ما يجاورها عادة من قنوات الماء .

والسكني في الاماكن الرطبة العفنة مضعة للصحة بافسادها الهواء واحداثها البرودة واكثر الميكروبات فيصاب الشخص بالتزلات الشعبية والرئوية ونزلات الأنف والحنان . والتهاب الاوتنين بل الدفتيريا أيضا والروماتزم وغير ذلك . والواجب أن تكون أفواه المراحيض حيث يتبرز الانسان مسدودة بمثل المنجنيق أو السيفون <sup>(١)</sup> Siphon المستعملين الآن

وماء السيفون يذيب الغازات ويمنع أكثرها من الدخول في البيت ، وكذلك يعوق خروج البعوض والخنافس والصراصير والفيضان . ويجب تجديد ماء السيفون مرارا حتى في اليوم الواحد

وأعظم ضرر للنوع المسمى ( Anopheles ) من البعوض - الناموس - هو احداث حمى النافض ( المالاريا أو الحمى الاجمية ) ومن الناموس ما ينقل أيضا الحمى المالطية والجذام - كما سيأتي -

وأما أهم ضرر للجردان ( الفيضان الضخمة ) فهو أنها تصاب بالطاعون الذي ينتقل منها الى الانسان بواسطة بعض أنواع البراغيث . وأما البق فقد ينقل الطاعون أو الجذام وغيرها

وأما الخنافس والصراصير والنمل فضررها الاكبر أنها تنقل القاذورات والميكروبات من المراحيض وغيرها الى طعام الانسان وشرابه وملبسه وفرشه وكفى بذلك ضررا عظيما

## المطهرات

علمنا سبق أن أعلل جل الامراض - ان لم نقل كلها - هو القاذورات بما فيها من الميكروبات <sup>(٢)</sup> وسومومها ، فلذا يجب معرفة بعض الاشياء القاتلة لهذه الاحياء . كلمة يونانية معناها الاحوف أو الفارغ (٣) لفظ يوناني معناها حرقا الاحياء الصغيرة بطلق في الاصطلاح على الاحياء الاولى التي تتركب في الغالب من خلية واحدة . وعبر عنها النار بالجنة والجن - بالكسر فيهما - لدلالة مادتها على العوالم الخفية

الذئبة ، وهي المسماة بالمطهرات

وأشهر هذه المطهرات وأكثرها استعمالا ما يأتي : -

(١) الشمس فإن أشعتها تقتل الميكروبات

(٢) النار وهي أقوى المطهرات وأسهلها وتستعمل كثيرا في غلي الأشياء الملوثة .

ولما كان بعض بزور الميكروبات (حبيباتها) قديقاوم درجة الغليان (أي درجة ١٠٠) لمدة ٥ أو ١٠ دقائق فلذا يجب اطالة مدة الغلي فوق ذلك . فإذا أصيب شخص بمرض معد فالوقاية منه يجب غلي ملابسه وفرشه وجميع ما استعمله في مرضه كالأواني وغيرها . أما الأشياء التي لا يمكن غليها كقطن الفراش ونحوه فبذه تطهر بوضعها في أفران مخصوصة يسלט عليها البخار في درجة الغليان مدة ساعة حتى ينفذ إلى باطن ما فيها من الأشياء

(٣) الحوامض كحامض الهيدروكلوريك والنيتريك ( ماء النار ) وهي كلها

مطهرة تطهير أشديدا ، ولذلك جعل الله تعالى في عصير المعدة حامض الهيدروكلوريك بنسبة ٢ في الألف - فإن من أعظم فوائده تطهير الطعام والشراب

( ٤ ) الجير ويستعمل لطلاء الحيطان والسقف وغير ذلك . وإذا وضع في سطول (جرادل) المواد البرازية تقع نفعا عظيما ، ويستعمل لهذا الغرض بنسبة واحد أو اثنين منه إلى عشرة من الماء

أما ماء الجير - وهو الذي يحصل عليه بإذابة الجير في الماء المقطر حتى يتبع به ثم يصفى - فإنه مطهر ، مانع التقيح والاسهال ، مصلح لضم اللبن في معدة الاطفال ومعظمهم ، ويمكن مزجه باللبن بنسبة واحد إلى واحد أو واحد إلى اثنين من اللبن ، ويمكن أيضا شربه بدون مزج باللبن بمقدار أربع أوقيات . وإذا مزج مع الحسير بزيت الزيتون أو بزيت بزر الكتان بنسبة واحد إلى واحد من كل منهما كان دهانا نافعا في الحروق - كما سيأتي -

( ٥ ) النول القوي (الكحول الخالص) مطهر عظيم يسهل الحصول عليه فلهذا

لا يدي كلما مست من أيضا

(٦) البوريك بنسبة ٤ في ١٠٠ مطهر لطيف اللاتين - كما سبق - وإذا وضع في



اللبن بنسبة واحد الى ألف مثلا حفظه من الفساد مدة، ولذلك يستعملونه في حفظ كثير من الاطعمة، ولكن استعماله لمدة طويلة قد يضر بالجسم ويقتص وزنه (٧) الفينيك يستعمل بنسبة واحد الى عشرين لغسل الايدي وغيرها (٨) اليليزول — ولونه وقوامه كالغسل الاسود — يستعمل بنسبة واحد الى المئة عادة

(٩) الاززال — ولونه كالطحينة المضاف إليها شيء من الماء — يستعمل بنسبة واحد الى مئتين أو واحد الى أربع مئة. ويستعمل في الاسهال باضافة ١٥ نقطة منه على كل رطل مصري من اللبن، فانه نافع فيه وكذلك في الدوسنطاريا وهذه المواد الثلاثة الاخيرة تستخرج من قطران الفم الحمجري ومن المطهرات أيضا السلياني ( وهو مركب زئبقي يستعمل عادة بنسبة ١ الى ٢٠٠٠ ) واملاح النحاس ( كالتوتيا الزرقاء ) واليود والفسرين. وغير ذلك كثير، وكلها مطهرات عظيمة النفع

## النظافة والعلاج

كما أن النظافة عليها مدار حفظ الصحة هي أيضا الاصل الاصيل لعلاج جميع الامراض والجروح وسائر العوارض الجراحية فان علاج ذلك كله مبني على النظافة والتطهير، إذ يكفي لعلاج أي جرح وعمل أي عملية جراحية أن يكون كل ما تستعمله مطهرا طهارة تامة حتى اذا بقرت البطن بألة طاهرة أمكن درء الموت عن المصاب بكل سهولة بالتزام النظافة، ويكفي في علاج جميع الاصابات والحروق ونحوها أن تنظف نظافة تامة ويكرر ذلك يوميا حتى يبرأ الجرح. ويكفي في الغالب أيضا لعلاج أي جرح أو سحج أن يغسل بالماء المغلي وأن يضمّد بالقطن والاربطة المطهرة — إما بالفضلي أو بالبغار الساخن — بدون احتياج الى أي دواء آخر وقائدة تضميد الجروح هي منع كل ما يوصل الميكروبات الى الجرح كالآثربة والذباب والهواء والايدي والماء غير المغلي، وبالضاد أيضا يقف النزف بسبب الضغط على الجرح، وبه أيضا تحصل راحة المكان المجرى من الحركة. وهذه

الاشياء كلها هي اهم ما يطلبه الجرح ، من العلاج ، وأسها كلها النظافة التامة  
وخلاصة ما تقدم كله أن الماقل يجب عليه أن يكون نظيفاً في جسمه ولبسه  
وفراشه ومسكنه وما كاه ومشربه وفيما يعالج به أمراضه وإصاباته

### تذليل للفصول السابقة في الذباب ومضاره

لا ينبغي أن من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات ثم ينتقل  
منها الى طعام الانسان أو يسقط في شرايه أو يقف حول هنيهه وبذلك تنتقل جراثيم  
الامراض الى الانسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع، ومن أمثلة ذلك وقوفه على  
أهين المصابين بالرمم الصيدي ثم انتقاله الى الاعين السلية فتصاب بهذا الرمد  
ومن أسباب انتشار الحمى التيفودية بشكل وبائي وقوف الذباب على البراز  
مثلاً اذا لم يدفن في الارض دفناً جيداً فيتلوث الذباب بميكروب التيفود وبعد  
ذلك يقف على الخبز مثلاً . ومثل التيفود الهيمضة ( الكوليرا ) والدوسنتاريا

ومن الذباب ما يلدغ بعض الحيوانات المصابة بالجراحة الخبيثة ثم يأتي الى  
الانسان فيلقحه بهاء ومنه ما ينقل بلدغه مرض النوم وغيره من شخص لآخر . ويقال  
ان الالفوا تنتقل أيضاً بلدغ بعض أنواعه — كما سبق — ومن المحقق ان حتى ثلاثة  
الايام وسبعة الايام والحمى البسيطة المستمرة في الهند كلها تنتقل بلدغه ، وحتى  
ثلاثة الايام نسي أيضاً باباتسي وسيت بذلك من اسم الذباب الذي يحدثها  
[ *Phlebotomus pappatasi* ] وميكروب هذه الحميات وراء الجهر على ما يظهر  
ومن مضار الذباب أيضاً انه قد يضع يرضه في الجروح أو في الأذان أو في  
تجاويف الانف فيفقس هذا البيض ويخرج منه النصف ( وهو ما يسمى الآن  
بالبرقات ويشبه الدود ) وهذه الديدان تأكل من جسم الانسان وتحدث  
فيه التهاباً شديداً ، واذا أصابت جرحه آلامه ايلاماً شديداً ويحصل بنيتها أيضاً  
التهاب الجرح وحى ، وتغرق برء الجرح مدة مدبرة حتى أن الجرح لا يشفى  
الا اذا خلص منها . ومن أنواع هذه الديدان ما يأكل جثث الموتى  
وقد قرر أطباء الانكليز ان من أعظم أسباب انتشار الحمى التيفودية بين

الجنود في حرب الرنسمال ( من سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٢ ) كان الذباب وساعده في ذلك الريح بنقل الاتربة الملوثة بالبراز الى طعام الجنود

فلذا يجب ازالة جميع القاذورات من حول الانسان ودفن المواد البرازية ونحوها دفنا جيدا أو إبادتها بأية طريقة بحيث نأمن وقوف الذباب عليها وانتقاله اليها وأحسن الطرق حرق القاذورات أو وضع الفينيك أو الفورمالين عليها

وإذا وقف الذباب على الأعين وجب طرده في الحال، وإذا وقف على الطعام أو سقط في الشراب فالأسلم تطهيرهما بالنار . وكذا كثر الذباب وجب السعي في إبادته بقدر الامكان، وأعلم أن الذبابة الواحدة تضع نحو ٩٠ بيضة، وحياتها لا تتجاوز ثلاثة أسابيع أما ما رواه البخاري عن أبي هريرة من أن النبي (ص) قال « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم يطرحه فان في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء » فهذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحا فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلها الحديث غلط الرواة فيها كحديث « خلق الله التربة يوم السبت » مثله وغيره مما ذكره المحققون، وكم فيها من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلا قاطعا على أن النبي (ص) قاله بلفظه مع ما انفاته العلم وعدم امكان تأويله، على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن النبي سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال ( إن كان جامدا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي وإن كان ذائبا فأريقوه أولا تقر به ) فالذي يقول ذلك لا يليق أكل الشيء إذا وقع فيه الذباب فان ضرر كل من الذباب والفيبران عظيم . على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بين الصحابة أنفسهم خصوصا فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته. <sup>(١)</sup> وغاية ما تقتضيه صحة السند

(١) البك شيئا من تاريخ حياته : -

أسلم رضي الله عنه سنة (٧) هجرية ، فصحب النبي ثلاث سنين ولم يكتب شيئا من الحديث ، وقال عن نفسه إنه كان كثير النسيان فدعى له الرسول - كما قال - فذهب عنه ذلك . وكان قصيرا أكلولا يطعم كل يوم من بيت النبي أو من بيت أحد أصحابه ، فكان يحب أن يتودد الى الناس وسليم بكثرة التحديث والاعراب في القول ليشتهر ميلهم إليه . وربما كان مصابا بالصرع - كما استفاد =

في أحاديث الآحاد الظن فلا قطع بأن هذا الحديث من كلام النبي (ص) وكانوا يروون الحديث بالمعنى فيجوز أن يكون لفظ الراوي لم يؤد المعنى المراد والله أعلم  
وهب أن الرسول قال ذلك حقيقة فن المعلوم أن المسلم لا يجب عليه الأخذ بكلام الأنبياء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع ، بل الواجب عليه أن يحصنها ويروضها على العلم والتجربة فإن انضج له صحتها أخذها والا علم أنها مما قاله الأنبياء عليهم السلام بحسب رأيهم ، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك  
= من بعض الروايات الواردة في ترجمته - والنصرع مرض مشهور عند الأطباء يورث ضعف العقل أو الجنون

روى بعد وفاة رسول الله ( ٥٣٨٤ ) حديثاً حتى ضجج منه كبار الصحابة رضي الله عنهم وملوا ككثرة حديثه ، وقالت له عائشة ( إنك لتحدث بشيء ما سمعته ) ولما سمع الزبير بعض حديثه قال ( صدق كذب لأنه سمع هذا من رسول الله ولكن منه ما وضعه في غير موضعه ) - راجع تاريخه في كتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر -

وروى ابن عساكر في تاريخه عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة ( لتترك الحديث عن رسول الله أو لأخفئك بأرض دوس ) وما روي عنه أنه قال ( لقد حدثتكم بأحد حديثي لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرّة ) يعني السوط . وروى الطبراني في الكبير عنه أنه قال قال رسول الله ( إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس ) وقال أيضاً إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ( من حدث عني حديثاً هو لله عز وجل رضا فانا قاتله وإن لم أكن قتله ) كما رواه ابن عساكر في تاريخه عنه مع أن المروي بالسواتر عن رسول الله أنه قال ( من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في النار ) رواه مثان من الصحابة وهو يتأني ما قاله أبو هريرة ، وهذا الحديث اضطرب عمر لند كبره به حينما بلغته كثرة حديثه كما في « الإصابة » أيضاً مات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٥٧ هجرية

هذا وإزاء ثقلنا ماقلناه هنا من تاريخ أبي هريرة ليكون تذكرة وهداية لأهل العقول الراجحة الحرة والنقد الصحيح ، لكيلا يفترا أحد بمثل تلك الأحاديث المنافية للعلوم العصرية المبنية على الحس والمشاهدة والبحث الدقيق . ومن شاء زيادة الايضاح فليقرأ ما كتبه في مجلة الحياة في الجزء الخامس من المجلد الرابع الصادر سنة ١٣٢٥ هجرية

وقد حقق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه من شاء . وما رواه فيه عن النبي (ص) قوله « أما أنا بشر فما حدثكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنا أنا بشر أخطئ وأصيب » (\*)

(\*) المنار : إذا كان حديث الذباب مرويا بلفظه فيحتمل أن يكون مبنيًا على رأي كان متقولاً فذكر على ظاهره ، ويحتمل أن يظهر بعد ما يزيل ما فيه من الاشكال . وهو على كل حال ليس من عقائد الدين ولا من أحكامه ، بل هو من قبيل مسألة تليج التخل فقد رآهم (ص) يلتحقون فقال « ما أظن ذلك يعني شيئاً » فتركوه ، فأخبر بذلك فقال « إن كان يتفهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله » وفي حديث رافع بن خديج أنه (ص) أنكر ذلك لما قدم المدينة مهاجراً أي ولم يكن يعلم من أمر التخل شيئاً ، وأنه قال لهم « لعلكم لو لم تفعلوا السكان خيراً » فتركوه فنقصت أو فنقصت فذكروا له ذلك فقال « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنا أنا بشر » وفي حديث عائشة وألس أنه قال « لو لم تفعلوا الصلح » فخرج شيخاً (أي خرج التمر رديئاً) فربهم فقال « ما لتخلكم ؟ » قالوا له قلت كذا وكذا . قال « أنتم أعلم بأمر دنياكم » روى ذلك كله مسلم في صحيحه

وأما كلام الكاتب في أبي هريرة (رض) فهو كلام من سمي الظن فجمع من الأقوال ما يؤيد ظنه . وفي قوله نظر . فاما الصرع أو الاغماء فقد صح أنه كان من الجوع لآمن المرض ، وأما ما روي عن الطبراني وابن عساكر من أسناده حديثين يدلان على استحلاله أن يقول على النبي (ص) ما لم يقله فنمنع أن يكون قد صح عنه ، وقد روي عنه أنه كان يبدأ بتحديثه بحديث « من كذب علي متعمداً » اظح وأما استغراب بعض الصحابة لكثرة حديثه فقد بين هو لهم سببه . وهو ملازمته للنبي (ص) أي مع جودة حفظه . وأما عمر فقد أنكر على غيره كما أنكر عليه كثرة التحديث لحكمة ليس هذا محل بيانها

وقد ثبت أنه كان من أجود الناس حفظاً . ولا يسهل الحكم فيما روي عنه من المشكلات التي انفرد بها إلا إذا جمعت وأحصيت أسانيدُها . وكان يروي عن كتب الاحبار مصدري القرائب الاسرائيلية الكثيرة . وقد كان من أسباب الغلط في الحديث حسان الموقف الذي لا مجال للرأي فيه من قبيل المرفوع ، وقد يغلط بعضهم فيسندوه إلى النبي (ص) وهو من الاسرائيليات لآمن الرأي ، فينظر في ذلك وغيره عند تمحيص تلك المشكلات .

## الحرق

الحرق يحصل عادة إما بالنار أو بالسوائل المغلية وهو خطر جدا على الحياة، وخطره يختلف بحسب اتساعه وعمقه ومكانه وعمر المصاب؛ فإذا أصاب الشخص حرق بسيط وعم جسمه كان خطرا على الحياة خصوصا في زمن الصيف، وحروق الرأس والصدر والبطن هي أشد الحروق خطرا. والغالب أن الحروق النارية أشد أذى بالجسم من حروق المياه المغلية لأن المياه تبرد بسرعة وتسيل من على الجسم. أما السوائل التي كالزيت أو المعادن المصهورة، فلا تصاقها بالجسم فتتكت به فتسكا ذريما. ويتميز الحرق الناري عن الحرق المائي بأن الأول يحترق فيه الشعر والملابس بخلاف الثاني

والحرق أعراض موضعية وأعراض عمومية

أما الاعراض الموضعية فتقسم الى ست درجات: —

- (١) احمرار الجلد بدون اتلافه، والاحمرار يحصل بسبب كثرة ورود الدم اليه
- (٢) تكون الفقايح بالجلد، وذلك بانسكاب بعض السوائل من أوعية الدم تحت الطبقات العليا للبشرة. وعند شفاء مثل هذه الدرجة تولد طبقات جديدة للبشرة من الطبقات التي تحتها وقد يتلون الجلد بلون يخالف المعتاد
- (٣) احتراق البشرة كلها وبعض الأدمة، وهو أشد الحروق ألما
- (٤) احتراق الأدمة مع البشرة كليهما. وعند شفاء مثل هذا الحرق يحصل انكماش شديد في الجلد مكان الحرق

(٥) احتراق الجلد كله مع بعض الأنسجة التي تحته حتى العضلات

(٦) احتراق العضو كله وصيرورة نحما

وقد شوهد أن بعض النساء السمينات المدمنات شرب الخمر يحترقن بسرعة عجيبة بحيث يتمذر أطفاؤهن ولو بالماء الى أن يحترق الجسم كله تقريبا، ويحصل هذا الاحتراق عند وجود أقل سبب له كالاتراب من قتيلة مشتتة حتى ظن بعض الأطباء أنه يحصل بلا نار مطلقا، ويسمونه (الاحتراق الذاتي)

وأما اعراض الحرق العامة فهي ثلاث درجات : —

(١) الصدمة العصبية -- فيصاب الشخص ببرودة شديدة وذهول حتى إنه قد لا يشعر بشيء من الألم وتضعف ضربات قلبه ونفضه وقد يقع في الفيبوبة ويموت  
(٢) رد الفعل والالتهاب — وذلك يحصل بعد مضي يوم أو يومين، فترتفع حرارة الشخص وتصيبه الحمى ويقوى نبضه ويسرع، وقد يحصل له التهاب في الاحشاء كالتهاب الرئتين أو البريتون أو سحايا المخ، وفي هذه الدرجة قد يصاب أيضا بقرحة ثاقبة للأنف عشري

(٣) تكون الصديد — وهو اذا طال وكان المكان متسعاً أدى الى الاضمحلال فالموت

### ( المعالجة )

يطلقاً المحروق أولاً بأن يلف جسمه في الحال بشيء سميك ليمنع وصول الهواء اليه قطعاً النار، والاحسن أن يبل هذا الشيء الذي يلف به. ويشترط أن لا يلف الوجه بشيء خوفاً من الاختناق. وإن لم يوجد شيء يتلف به يمرغ الشخص على الأرض، وإن وجدت قطعة لا تكفي الاجزاء من الجسم فينبغي التلطف بهامع الفرغ وبعد اطفاء النار يجب الاحتراس التام من أن يحس جسم المحروق أي شيء غير مطهر ثم تبط الفقاعات إن وجدت ويصفى السائل منها، ولكن الاحسن ترك البشرة بدون إزالتها فانها تكون كالوقاية للجسم ثم يدهن الجسم كله بزيت بعد غليه وتبريده، أو يستعمل مروح الجبر الذي تقدم ذكره

وهناك عدة طرق لتضميد المحروق تذكر في فن الجراحة، ومن أحسنها استعمال حامض البكريك ( وهو مادة متبلورة صفراء اللون مركبة من الفينيك مع حامض النيتريك ) يذاب في الماء بنسبة ٥ الى ١٠٠ أي يكون الماء مشبعاً به ثم يدفأ ويغمس فيه الموصلي ( الشاش ) أو قاش آخر يسمى لنت Lint ويلف به المحروق، ويوضع فوق ذلك ورق زيتي أو جبرة زيتية فقطن، ويترك هذا الضماد نحو ٣ أو ٤ أيام ثم يبدد ويترك لمدة أسبوع. وقائدة حامض البكريك هذا هي أنه مطهر

محقق للحرق مسكن للآلم وذلك هو كل مانبغي

ولعلاج حالة المصاب العمومية في الطور الأول ( طور المبطوط والرجة العصبية )  
يجب استعمال المنعشات ، فيلف الشخص بالملايس والاعطية السمكة حتى يدفأ  
وتوضع زجاجات الماء الساخن حول رجله وجنبه ، ويعطى له مثل القهوة أو الشاي  
الساخنين أو بعض الخمر — إذا لم يوجد ما يغني المسلم عنها — ويمنع عن الأغذية  
ماعدا اللبن وغيره من السوائل كاللرق ولا بأس من إعطائه جزءاً من الأفيون — قدر  
قحة أو قحتين — ان كان الآلم شديداً . ويجب بعد ذلك أن يتولى باقي علاجه  
الطبيب حتى يشفى أو يموت

وأسباب الوفاة في الحرق عند حدوثه مباشرة متنوعة منها الاختناق بالدخان  
والغازات ، أو الفزع الشديد ، أو الرجة العصبية بسبب ألم الحرق



### أصناف الأقلام العربية في الإسلام

( نموذج من كتاب انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ) (\*)

بقي الخط العربي على حاله القديمة غير بالغ مبلغه من الاحكام والاثقان في  
زمن الرسول والخلفاء الراشدين لاشتغال المسلمين بالحروب حتى زمن نبي أمية  
فابتدأ الخط يسمو ويرتقي وكثر عدد المشتغلين به . وفي أواخر أيامهم تفرع الخط  
الكوفي وكانت تكتب به المصاحف منذ أيام الراشدين الى أربعة أقلام اشتتها  
بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة الحرر كان اكتب أهل زمانه ، ثم اشتهر بعده  
في أوائل الدولة العباسية رجلا من أهل الشام انتهت اليها الرئاسة في جودة الخط  
وهما : الضحاك بن عجلان كان في خلافة السفاح فزاد على قطبة ، واسحاق بن  
حام وكان في خلافة المنصور والمهدي فزاد بعد الضحاك وزاد غيره حتى بلغ عدد

(\*) المناظر : تجد تهر يظ هذا الكتاب في مكان آخر



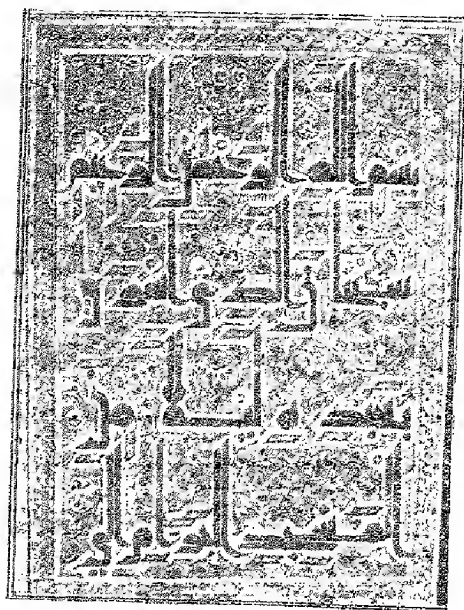
الأقلام العربية الى أوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً كان لكل قلم عمل خاص وهي:

(١) قلم الجليل كان يكتب به في المحارب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور ونحوها وهو ما يسميه العامة الآن بالخط الجلي (٢) قلم السجلات (٣) قلم الديباج (٤) قلم اسطوخار الكبير (٥) قلم الثلثين (٦) قلم الزنبر (٧) قلم المفتاح (٨) قلم الحرم كان يكتب به الى الاميرات من بيت الملك (٩) قلم المؤامرات، كان لاستشارة الامراء ومناقشتهم (١٠) قلم اليهود كان لكتابة اليهود واليعاقب (١١) قلم القصص (١٢) قلم الخرقاج . ولما ازدان عصر العباسيين بأنوار العلوم والعرفان وخصوصا في أيام المأمون أخذت صناعة الخط تنمو وتنتشر وتتقدم كمائر العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهام نافذة لاحتياجهم اليها فتنافس الكتاب في أيامه في تهويد الخط فحدث القلم المرصع وقلم النساخ وقلم الرصاصي <sup>(١)</sup> نسبة الى مختارعه ذي الرئاستين الوزير الفضل بن سهل . وقلم الرقاع وقلم غبار الخلبة <sup>(٢)</sup> وكان يكتب به بطائق حمام الرسائل، وهكذا كان كل قلم ممدداً لنوع من الكتابة كما تكتب الآن الانعامات بالترتب بقلم خاص، والاوراق الديوانية بقلم خاص، وألواح الحجر بخط آخر وكتب التعليل بأخو

فوائد الخطوط العربية على عشرين شكلاً وكلاً تعد من الخط السكوفي فهو اذ ذاك كان خط الدين والدولة. وقد كان يكتب به القرآن منذ أيام الراشدين كما أسلفنا حتى أواسط العصور الاسلامية (ش ٤) . وأما الخط النسخي فقد كان مستملاً ملاين الناس لتغير الخطوط الرسمية حتى نبغ الوزير أبو علي محمد بن مقله المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسيناً كبيراً بعد ان كان في غاية

(١) يصحح ان يقال ريس في رئيس قال الكميت مدح محمد بن سلمان الهاشمي تلقى الأمان عن حياض محمد نولاء مخرفة وذئب أطلس لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة تهدي الرعية ما استقام الرئيس والولاء النعجة والمخرفة لها خروف يتبعها، ضرب لذلك مثلاً لعدله وانصافه حتى انه يشرب الذئب والشاة من ماء واحد - استشهد به الجوهري والزيدي (في تاج العروس) وغيره على ما قلناه ان الرئيس يقال فيه ريس (٢) كشف الظنون ٤٦٦ ج ١

الاختلال، وأدخله في المصاحف وكتابة الدواوين . وقد اشتهر بعد ابن مقلة جماعة كثيرة من الخطاطين هذا بوا طريقته وكسوها حلاوة وطلاوة، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ١٣ هـ ١٠٣١ م وقد اخترع عدة أقلام، ويقوت ابن عبد الله الرومي المستمضي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وغيرهما كثير، وقد تفرع الخط النسخي المذكور بموالي الاعوام الى فروع كثيرة وأصبحت الاقلام الرئيسية في الخط العربي اثنين : السكوفي والنسخي، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام بين المتأخرين وهي : الثالث والنسخ والتعليق والريحاني



ش : الخط السكوفي الجليل

آية من مصحف كتبه أبو بكر النزنوي سنة ٥٦٦ هـ . وتوضيحها : بسم الله الرحمن الرحيم . سبعان الذي أشرى بعبدته ليلاً من المسجد الحرام الى . . .

والمحقق والرقاع ، برز في هذه الاقلام جملة من العلماء . وما زال الخط يتفرع الى الآن . فقد ظهر بعد هذه الستة الاقلام القلم الديواني والقلم الدشتي والقلم الفارسي

وغيره ، وبقي الامر تابعا لارتفاع الدولة وانخفاض شأنها ( انظر شكل ٥ ) فانه لما تضمضت خلافة بغداد وانتقلت الخلافة الى مصر والقاهرة انتقل الخط والكتابة والعلم اليها وسرى منها الى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها وإلى ما جاورها ، وما زال الخط في جميع هذه الاماكن آخذاً في الجودة الى هذا العهد وصار للحروف قوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بين الخطاطين ، وقد حفظ لنا القلقشندي بيانات صحيحة عن أواسط عصر المماليك ( أواخر القرن الثامن للهجرة ) فذكر في الجزء الثالث <sup>(١)</sup> من كتابه صبح الاعشى أنواع الخطوط المستعملة في الدواوين وعلق عليها معتمداً على نماذج منها نشرت في هذا الكتاب وهي ستة أنواع :

( ١ ) الطومار الكامل ويشتمل على جملة أنواع وكان يكتب به السلاطنة علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع .

( ٢ ) مختصر الطومار وهو على نوعين : الثلث والمحقق وكان يكتب به في عهد الملوك من الخلفاء والمكاتبة الى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق .

( ٣ ) الثلث وهو نوعان الثقيل والخفيف .

( ٤ ) التوقيع وهو على ثلاثة أنواع ، وكانت توقع به الخلفاء والوزراء على ظهور القصص .

( ٥ ) الرقاع وهو على ثلاثة أنواع أيضا وكان يكتب به في الرقاع جمع رقعته وهي الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص وما في معناها .

( ٦ ) الغبار وهو نوع واحد وكان يكتب به بطائق الحمام والمطامير وما في معناها . ونرى من الكتابات المنقوشة على الاحجار في أيام المماليك جمال هذا الخط وبهاءه وهو وان كانت حروفه مستطيلة فهي ربما أجمل مما كانت عليه في أيام العباسيين

ولما آلت الخلافة الى الاتراك بعد زوال دولة المماليك بمصر ورثوا بقايا التقدم الاسلامي فكان لهم اعتناء خاص بالخط وقد أخذوا في اتقانه على أيدي الاساتذة

الفارسيين الذين اعتمدوا عليهم في الآداب والفنون . وقد حفظ الأتراك عدة قرون في مصالح حكومتهم ودوائهم المسلحة والعسكرية أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في القرون الوسطى فكان يعرف عندهم في القرن الحادي عشر للهجرة ٣٠ نوعا تقريبا الا انه أهل أكثرها أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولم يبق مستعملا منها في الوقت الحاضر الا ما سنده في الفصل الآتي ، والأتراك هم الذين أحدثوا الخط الرقعة وخط الهياوي واليهم انتهت الرئاسة في الخط على أنواعه الى عهدنا هذا ، وقد أخذنا عنهم الخط المعروف بالاسلامي . ولن يزال الخط يتفرع الى ما شاء الله عملا بسنة الارتقاء

### الأقلام المستعملة الآن

(١) الخط النسخي — أما الآن فقد أهل الخط الكوفي وصار الخط النسخي هو الاكثر استعمالا في كتابة اللغة العربية أينما وجدت وكذلك في كتابة اللغة التركية والتركية والافغانية والهندية وغيرها من لغات العالم الاسلامي ، فانه يستعمل فيها الخط النسخي في الكتب العلمية وغيرها وعلى الخصوص في المواضيع الدينية والشرعية كما سيأتي .

(٢) القلم الفارسي — وهو مشتق من الخط القيراموز المتولد من الخط الكوفي في صدر الاسلام وتكتب به الآن اللغة الفارسية ويستعمل غالبا عند الهنود في كتابة لغتهم الهندستانية ( الأوردية ) . وسيأتي تفصيل تاريخه وفروعه عند الكلام على اللغة الفارسية

(٣) القلم المغربي — المستعمل في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس لكتابة العربية والبربرية مما سيأتي ذكره بالتفصيل عند الكلام على لغات المغرب .  
( ٤ و ٥ ) القلم الرقعة والقلم الثالث — الرقعة هو خط الدواوين في تركيا وغيرها ويغلب استعماله أيضا في المراسلات الاعيادية وقد أسلفنا انه والقلم الهياوي من مستحدثات الأتراك وهما يستعملان عندهم الى الآن . وقد انتشر الرقعة بسلطة الأتراك في جزء من البلدان العربية ، ومع انه مكروه من بعض العرب المخلص لانه  
( المنار: ج ٦ ) ( ٥٩ ) ( المجلد الثامن عشر )

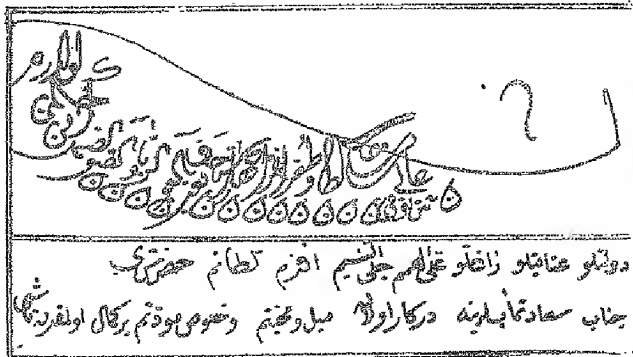
خط تركي<sup>(١)</sup> فهو مستعمل في مصر والعراق وسوريا مثل القلم الثالث المستعمل عند الجميع ، إلا أن الثالث يستعمل في الزخرفة والتزييق أكثر من استعماله في الكتابة العادية .

(٦) قلم التعليق — أو الكتابة الفارسية المحرفة وهو يستعمل في تركيا لكتابة الاوراق والأعمال القضائية الشرعية وكذلك في الكتب وخصوصا في كتب الاشعار والداوين ( ش ٦ ) كما سترى عند الكلام على الخط الفارسي .



ش ٦ : قلم التعليق  
يبت من أشعار الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور ويقرأ هكذا :  
« بهین چشم دارم ز خواندگان کج نامم به یگور بند بر زبان »

(٧) القلم الديواني — الذي اشتق مباشرة من خط التوقيع القديم وهو على



ش ٧ : القلم الديواني الجلي ( القسم الاعلى ) والقلم الديواني ( القسم الاسفل ) ويقرأ القسم الاعلى هكذا :  
« نشانی شریف عالیشان سامی مکان و طفرای غرای جهان ستان خاقانی نغد بالعون الربانی والصون الصمدانی حکمی اولدرکه »

نوعين : أحدهما كبير قليلا وهو المستعمل في الدواوين السلطانية بتركيا لكتابة

المراسيم والدبلوماسية Les diplômes (الفرمانات والبرآت) على جميع أنواعها .  
والآخر أصغر منه وهو وإن يكن قد قل استخدامه بعض الشيء إلا أنه مستعمل  
كثيرا في المحاكم الدينية والشرعية التي تستعمل أيضا خط التعليق . أما الهيايوني  
المتقدم ذكره فهو نفسه الخط الديواني الكبير ويسمى عندهم « جلي ديواني » أي  
القلم الديواني الجلي (ش ٨٩٧) وهو يستعمل لكتابة الفرمانات السلطانية  
المتعلقة بالوسامات

وتمتد الحروف النهائية في الخط الديواني وخصوصا الجيم والحاء والخاء والعين  
والغين إذا جاءت في أواخر الكلام وكذلك أطراف السين والشين والصاد والضاد  
كما ترى في شكل ٩

(٨) القلم النستعليق — أو الخط الفارسي المنسوخ وهو يستعمل عند الفرس  
وسياقي ذكره عند الكلام على الخط الفارسي وفروعه

(٩) قلم الاجازات — وهو يتألف من الخط النسخي والخط الثلث بتصريف مع  
بعض زيادات لا توجد في غيره وهو يستعمل عند الاتراك أحيانا .

والخط في تركيا لم يزل مشرفا وأعمال الخطاطين السكار أمثال حمد الله المتوفى  
سنة (٩٣٦ = ١٥٣٠) وحافظ عثمان المتوفى سنة (٩١٠ = ١٦٩٨ — ١٦٦٩)  
لم تزل معتبرة كنماذج تقلد ، أما في البلدان العربية وخصوصا في مصر فإن الاعتناء  
بالخط أخذ في الضعف والاهمال بسبب سرعة انتشار المطابع .

### حروف الهجاء العربية

#### وترتيبها

أما ترتيب حروف الهجاء العربية فهو مخالف لترتيب الحروف الأخرى المرتبة  
على أبجد هوز الخ وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم السامية . وأما  
العربية فتبتدئ هكذا : اب ت ث الح ، مع أن التاء في اللغات الأخرى هي آخر  
حروفها . وهذا الترتيب حديث في اللغة العربية وضمه نصر ابن عاصم ويحيى ابن  
يعمر العدواني في زمن عبس الملك بن مروان وهو مبني على مشابهة الحروف في

الشكل فابتدأ بالالف والباء لانهما أول الحروف في ترتيب ابجد وعقبا بالثاء والثاء  
لمشابهتهما الباء ثم ذكر الجيم من حروف ابجد وعقبا بالحاء والحاء للمشابهة ثم ذكر  
الدال وعقبا بالذال ، ولسكون الهاء تشبه أحرف العلة في الحاء أخرها معها لآخر  
الحروف ، وقبل ان يذكر الزاي ذكر الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي  
أحرف الصغير ولذلك ذكر السين بعد الزاي وعقبا بالشين للمشابهة ، ثم ذكر  
الصاد وعقبا بالضاد ثم رجعا للطاء من ابجد وعقبا بالظاء وأخرها أحرف « كلن »  
حتى يفرغا من الاحرف المتشابهة ، وذكرا العين وعقبا بالغين ثم ذكر الفاء وعقبا  
بالتفاف ، ثم ذكر أحرف كلن والهاء وأحرف العلة .

ولكون ترتيب ابجد يختلف عند المغاربة <sup>(١)</sup> عن ترتيبها عند المشارقة كان  
ترتيب الحروف عند المغاربة بعد ضم كل حرف الى ما يشابهه في الشكل هكذا :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي

### الاحرف الخاصة بالعربية

#### واللغات الاخرى

وفي الخط العربي فضلا عن الحروف الشرقية الاخرى ستة أحرف هي : الثاء  
والحاء والذال والضاد والظاء والغين « ثمخذ ضظغ » وقد اقتضتها طبيعة اللغة العربية .  
وهذه الاحرف لا يخرج لها في اللغات الاخرى الا بتركيب مع حرف آخر . والضاد  
منها خاصة باللغة العربية دون سواها وهذا هو سبب تلقيب العرب أو المتكلمين  
بالعربية بلقب « الناطقون بالضاد » وتمييزهم بها ، وفي الحديث « انا افصح من  
نطق بالضاد » اشارة الى ذلك .

وهنا ملاحظة ينبغي الاشارة اليها وهي ان هذه الاحرف الستة لا تستعمل غالبا  
في اللغات الاسلامية الاثنية ( التي تكتب بالخط العربي ) الا لكتابة الكلمات

(١) ترتيب المغاربة في ابجد يختلف قليلا عن ترتيبها عند المشارقة فيقولون :  
« ابجد هوز حطى كلمن صقفض قرست ثمخذ طغش » وسبب هذا الاختلاف ان  
المغاربة يرون الترتيب عن الامم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة

العربية الدخيلة في لغاتهم ولذلك فهم لا ينطقون بها تمامًا إذا قرأوها في نصوص عربية بل يشركونها مع حرف آخر ، فمثلاً إذا أرادوا النطق ( بالطاء ) أو ( بالضاد ) تكلفوهما ، فانطأ يخرج بين التاء والطاء كالسلطان والطوفان ، والضاد يخرج كالأزاي للنفخة في نحو رمضان وهكذا : ولما كانت هذه الأحرف معدومة عندهم فهم يستعملون حروفاً<sup>(١)</sup> أخرى معدومة في العربية تنضياً طبيعة لغاتهم ولهذا كان من الضروري لنا أن نذكر هذه الأحرف عند ذكر لغاتها لأنها تكون بمثابة تكملة لحروف الهجاء العربي عندهم .

## النقط والحركات

### في الخط العربي

#### الحركات

لما اقتبس العرب الخط من الأباط والسريان كان خالياً من الحركات والإعجام ، فالحركات فيه حادثة في الإسلام ، والمشهور أن أول من وضعها أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ لما كثرت اللحن في الكلام ، لاختلاط العرب بالأعاجم في صدر الإسلام ، فكانت الحركات إذ ذاك نقطاً يميزون بها بين الضم والفتح والكسر فكانت النقطة فوق الحرف دليلاً على الفتح وإلى جانبه دليلاً على الضم وتحت دليلاً على الكسر . ولم تشتهر طريقة أبي الأسود هذه إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن . أما الكتب العادية فكانوا يفضلون ترك الحركات والنقط فيها لأن المكتوب اليهم كانوا يعدون ذلك تحجيلاً لهم قال بعضهم :

« شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه »

أما استبدال النقط بالحركات الحديثة فالغالب أنه حدث تنويعاً للحركات من

(١) هذه الأحرف عربية شكلاً لا نطقاً وهم يميزونها بالكتابة عن أشباهها بوضع نقط أو علامات فوق الحرف أو تحته كما ستري بعد .



النقط التي يميزون بها الباء عن التاء خوفاً من الالتباس ، فالحركات الحديثة وضمت بعد ذلك لتقوم مقام حروف العلة لمشابة الحركات لها فجمعوا للضمة التي يشبه لفظها الواو علامة تشبه الواو والتي يشبه لفظها الالف وهي الفتحة علامة تشبه الالف لكنها مستقيمة ومثلها للكسرة من تحت وهكذا <sup>(١)</sup>

### الإعجام

#### وضبط الحروف العربية

أما الإعجام أو النقط فيظن أنها كانت موجودة في بعض الحروف قبل الاسلام وتوسيت ، ولكن المشهور ان اختراعها كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وذلك لما كثرت التصحيف خصوصاً في العراق والتبست القراءة على الناس لتكاثر الاعاجم من القراء والعربية ليست لغتهم ، فصمم عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة ففزع الحجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف المتشابهة علامات ودعا نصرأ ابن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر المدواني (تلميذي أبي الاسود) لهذا الامر فوضعا النقط أو الاعجام أزواجاً وأفراداً بعضها فوق الحروف وبعضها تحتها . وسمي الإعجام إعجاماً لأن الاعجام في المعنى الاصلي هو التكلم على طريقة الاعاجم كما ان الاعراب هو التكلم على طريقة العرب . وكان الجمهور يكره كما قلنا الإعجام والحركات في الكتابة وينفر منها ولكن الناس رجعوا بعد ذلك على هذا الرأي حتى كانوا يمدون أهمال الإعجام خطأ في الكتابة ، واستمر الامر على اتباع هذا الإعجام الى الآن .

### الكتابة

#### واتجاه السطور فيها

لم يتقرر لاتجاه السطور في الكتابة نظام الا بعد ترقيها ولذلك كانت الكتابة يدونها الاولون أنى اتفق لابرأعون لها نظاماً في اتجاه سطورها كما كان عند قدماء

(١) راجع محاضرات الاستاذ حنفي بك فاضل « تاريخ الادب أو حياة اللغة

اليونان فانهم كانوا يكتبون تارة من اليسار الى اليمين وطورا من اليمين الى اليسار وأحيانا يجمعون بينهما .

فلما ترفت الكتابة وتقرر نظامها عند الامم أخذت كل أمة منها طريقاً مخصوصاً في كيفية سيرها: فأهل الصين واتباعهم صاروا يكتبون من الأعلى الى الأسفل ومن اليمين الى اليسار على الخط الرأسي ولذلك سميت كتابتهم « بالشجر » ولم في ذلك اعتقاد خاص حيث يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى موجود في السماء العليا فكل شيء لا بد وان يأتيهم من جهته ولذلك صاروا يكتبون من أعلى الى أسفل .

وأهل أوروبا صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين لكون الدورة الدموية تتبدئ من القلب الموجود في الجهة اليسرى والقلب في بعض الروايات مركز العقل فوجب أن تكون الكتابة من الجهة المقابلة للعقل الذي يستمد منه البنان فلذلك صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين .

أما العرب والسريان وغيرهم من الامم السامية فصاروا يكتبون من اليمين الى اليسار بالنسبة لكون الطبيعة قضت بأن كل شيء لا يعمل الانسان الا بيده اليمنى كما انه لا ينتقل من جهة الى أخرى الا بالرجل اليمنى فلذلك صاروا يكتبون من اليمين الى اليسار <sup>(١)</sup>

فالكتابة العربية الحالية متصلة من القديم وتكتب أينما وجدت من اليمين الى الشمال على السطر الاقوي وقد روى الدكتور بشارة زلزل في كتابه تنوير الاذهان انه « لم تنزل بعض الامم كالصومال تكتب الخط العربي من أعلى الى أسفل ( اي على السطر الرأسي ) وتقرأه من اليمين الى اليسار » <sup>(٢)</sup> وهذا غريب يحتاج الالاباث .

(١) الكتابة والكتاب للشهيد وانظر صبح الاعشى (ج ٣ ص ٢١ )

(٢) تنوير الاذهان في علم حياة الحيوان والالسان ص ٢٣٨

## الدولة والامان

والسكتان المتضادتان ، الشبهتان بالجمع بين الكفر والايمان

للسلطان عبد الحميد حسنة عظيمة في البلاد العربية ، لا يصعدنا عن الاعتراف بها ، ما قيل من نيته فيها وغرضه منها ، الا وهي سكة الحديد الحجازية . التي كان يظن ويقال انه كان الباعث له على انشائها جعل الحجاز كسائر البلاد العثمانية في الخضوع لحكومته ، والتمسكن من سوق الجيوش اليها عند الحاجة ، والمعروف من رأي كثير من رجال الدولة ازالة إمارة الشرفاء من الحجاز منهم احمد مختار باشا النازي . ولا يكون ذلك سهلا مأمون العاقبة الا باتمام هذه السكة . وهذا هو السبب فيما اشتهر من معارضة شرفاء مكة لمذ هذه السكة بين الحرمين الشريفين . كنا ولا نزال نرى أن هذه السكة من أكبر الحسنات ، على علمنا بما هنالك من الاقوال والظنون والنبات ، ولكن للسلطان عبد الحميد سيئة من جنس هذه الحسنة يزيد وزرها على أجر هذه — ان حسنت النية فيها — اضعافا كثيرة لعلنا نزيد على سبع مئة ضعف ، الا وهي سكة الحديد الالمانية بين الاسنانة والعراق من شروط هذه السكة أن الشركة الالمانية تملك عشرين ألف متر (٢٠ كيلو) عن جانبيها ملكا خالصا ، فشررون الف متر تمتد من أقصى مغرب المملكة الشامي الى أقصى مشرقها الجنوبي ، يكون مملكة كبيرة في قلب المملكة العثمانية ، مساحتها ضعفا مساحة الارض التي تزرع في المملكة المصرية ، وهي منها في أحر مكان ، كالقلب من بدن الانسان ، فكما ان القلب مصدر الحياة للبدن كذلك تكون هذه السكة مصدر الثروة والقوة والعمران في المملكة ، فكيف يعيش من يكون قلبه في قبضة أجنبي عنه . وقد كانت بريطانيا العظمى على قوتها تعد وصول هذه السكة الى الكويت أو البصرة خطرا على مصالحها التجارية في العراق وخليج فارس ، بل خطرا على ممالكها الهندية . أفلا تكون هذه السكة في قلب مملكستا

خطرا عليها؟ بلى انها وهي لغيرنا أعظم الاخطار لو كانت غفلا من ذلك الشرط ، فكيف تكون مع ذلك الشرط ؟

قرأنا في أثناء هذه الحرب أخبارا عن الألمان تدل على ان امتلا بهم لقليل من الأرض في غير بلادهم أعظم خطرا عليها مما كان لا يستنبطه الا أبعد السياسيين رأيا وأشدهم فطنة وحذرا .

قد امتلك بعض الألمانين أرضا في فرنسا وبلجيكية فظهر بعد الحرب أنها أعدت في وقت السلم لحرب أهل البلاد التي هي فيها فسكان منها خنادق وسرايب ومواقع لنصب المدافع الضخمة ، حتى قيل إن مكانا أعده رجل ألماني في بلجيكية للعب الكرة في داره ظهر بعد الحرب أنه أعد لنصب أثقل المدافع وأقواها ، وأنه وضع على البعد المناسب بينه وبين الحصون البلجيكية وما كان يمكن دكها وتدميرها الا منه كننا قرأنا في المقطم ان من شروط التحالف بين ألمانيا والدولة العثمانية أن الاولى لا ترضى بمقد صلح الا اذا اشترط فيه سلامة أملاك الثانية ، وأنها تعطيتها خمس الغرامة الحربية التي ترجو أن تأخذها ، على كونها هي التي تقدم لها السلاح والذخيرة والمال لاجل الحرب . وقرأنا وسمعنا أنها وعدتها ببلاد القوقاس وغير القوقاس من البلاد الاسلامية . وكنا نفضل على كل هذه المطايا النفيسة لو اشترطت عليها الدولة أن تبطل من شروط سكة الحديد البغدادية امتلاك عشرين ألف متر عن جانبها . اذا لم يمكن ان تترك لها هذه السكة كلها ، فان كون قلب بلادنا خالصة لنا أهم وأنفع لنا من ضم بلاد أخرى اليها . فلأن أملاك مئة فدان من الارض ملكا خالصة أستطيع أن أعمرها كما يجب أفضل وانفع لي من ألف فدان فيها حقوقي للاجانب الذين يستطيعون من عمارتها ما لا أستطيع ، ويخشى أن يؤول أمرها كلها اليهم . على ان بلاد الدولة أوسع من بلاد عدة دول من الدول الكبرى ، فلو عمرت لسكانت غنية بها عن سواها

فنحن نتمنى لو تقترح الدولة على حليفها القوية ان تعطيا هذه السكة أوتلغي من شروط امتيازها ذلك الشرط لتجمل هذا دليلا على اخلاصها في محافظتها ورغبتها في بقائها مستقلة قوية بعد انتصارها معها ، والا كان الخوف منها أكبر من الرجاء فيها .

## تقريظ المطبوعات الجديدة\*

( المطبوعات التي باسم دار الكتب الخديوية <sup>(١)</sup> )

### ١ - صبح الاعشى في كتابة الانشا

هو تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي المصري . والمراد بكتابة الانشاء الكتابة الرسمية للملوك والسلاطين ، وما يحتاج اليه القائم بها من العلوم والفنون ، فهذا الكتاب تاريخ للسياسة والادارة العامة وجميع العلوم والفنون والآداب ، ولا يمكن بيان كليات فوائده والتعريف بمجموع مزاياه الا في مقال طويل لعل المثار يقوم به بعد اتمام طبع الكتاب . وهو يطبع في المطبعة الاميرية بحروفها الجديدة الجميلة على أجود ورق يوجد بمصر . وقد تم من طبعه أربعة أجزاء من القطع الكامل . صفحات ( الاول ) ٤٨١ والثاني ٤٧٧ والثالث ٥٣٢ والرابع ٤٨٧ وهو يباع في دار الكتب نفسها ، وفي مكتبة المثار وغيرها ، وتحت كل جزء منه ١٥ قرشا

وهو لا يكاد يزيد عن نفقة الطبع الا قليلا ، فتحث كل محب للعلم والأدب والتاريخ الى المبادرة لاقتنائه ومطالعته ، أو الإحاطة بما في كل باب وكل فصل من المباحث النفيسة لاجل الرجوع اليها عند الحاجة لمن لا يتيسر له مطالعة الكتاب كله - أو مطالعة ما يرى نفسه أحوج الى معرفته .

ولما كان هذا الكتاب من قبيل الموسوعات التي يطلقون عليها اسم ( دائرة المعارف ) تقترح على دار الكتب أن تجعل له فهرسا تاما مرتبا على حروف المعجم

(\*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح خخلص رضا

(١) أسست دار الكتب العامة في عهد الخديو اسماعيل باشا بعناية محمود سامي باشا البارودي وسميت الكتبخانة الخديوية ثم سميت المكتبة المصرية ثم دار الكتب الخديوية - ثم دار الكتب السلطانية

## ٢- الإحكام في أصول الأحكام

تأليف الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي ابن أبي علي الآمدي المتوفى سنة ٥٥١ للهجرة

طبع في مطبعة المعارف طبعاً نظيفاً على ورق جيد في أربعة أجزاء صفحات الجزء الأول ٤٠٧ والثاني ٤٩٥ والثالث ٤٣٧ والرابع ٣٩٢ ومعه  $\frac{٤٨}{١٢}$  لكل جزء ١٢ الآمدي رحمه الله من أعلام العلماء وأساطين الحكماء له اليد الطولى في الحديث وعلم النظر والخلاف والفلسفة. قال ابن خلكان: ولم يكن في زمانه احتفظ منه لهذه العلوم. وكان العزيز بن عبد السلام يقول: ما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه كأنه يخطب، وإن غير لفظاً من (الوسيط) - للفرالي وكان يحفظه - كان لفظه أمس بالمعنى من لفظ صاحبه. وقال العزيز أيضاً: ما علمنا قواعد البحث إلا سيف الدين. وقال أيضاً: لو ورد على الإسلام متزندق يشكك ماتمين لمناظرته غير الآمدي. وله مؤلفات في غاية الاتقان والتنقيح منها كتابه هذا (الإحكام) في أصول الفقه. وهو من أبسطها عبارة، وأكثرها تقسيماً، وأحسنها ترتيباً، وأجمعها لمسائل الخلاف ودلائلها

وهو كالكتابين المذكورين بمده من الكتب التي طبعت بنسابة أحمد حشمت باشا في عهد وزارته للمعارف، وتطلب كلها من دار الكتب السلطانية ومن مكتبة المنار وغيرها

## ٣- الطراز، المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز

تأليف «السيد الامام، إمام الائمة الكرام، أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي النجفي» المتوفى سنة ٤٥٩ للهجرة طبع في مطبعة المقطف بمصر طبعاً جيداً على ورق أبيض جيد في أربعة أجزاء صفحات الجزء الأول ٤٣٥ والثاني ص ٤٠٨ والثالث ٤٦٦ ومعه  $\frac{٣٦}{١٢}$  قرشاً صحيحاً لكل جزء

١٢ قرشاً

هذا الكتاب من كتب البلاغة المشتملة التي يتفق مؤلفوها من سعة ضم بين

قطرية علوم البيان ، وجمع بين دفتيه دلائل اعجاز القرآن ، والمراد بعلوم البيان علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، رتب مؤلفه رحمه الله أحسن ترتيب وجاء على مسائله بالشواهد والأمثلة ، حتى سهل ما تناول من مسائل الفن من أقرب السبل ، ولذلك قال أنه يرجو أن يكون متميزاً عن سائر الكتب بأمرين : أحدهما ترتيبه العجيب وتنسيقه الذي يطلع قارئه من أول وهلة على مقاصد هذا الفن ، وثانيهما ما فيه من التسهيل والتيسير والابضاح للعابث الدقيقة . فهو يجري في الايضاح والبسط على نسق امام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اعترف المصنف رحمه الله تعالى بأن عبد القاهر هو الواضع لهذا الفن وأنه لم يطالع على كتابيه فيه ، ولعله لو اطالع عليهما لكان أحسن بياناً وأغزر فوائد . قال : « وأول من أسس من هذا العلم قواعده . وأوضح براهينه وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم التحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الفرائب بالتقييد . وهدى من سور المشكلات بالتسوير المشيد . وفتح أزهاره من أحكامها ، وفقق أزراره بعد استغلاقيها واستبهاها ، فجزاه الله عن الإسلام ، أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والأجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما لقبه « بدلائل الاعجاز » والآخر لقبه « بأسرار البلاغة » ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بجهما ، وشدة إعجابي بهما ، إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم منها » . اهـ

ثم بين موضوع الكتاب وطريقته فيه فقال :

« ولما كان كل علم لا ينفك عن مبادئ ومقدمات تكون فاتحة لامره . ومقاصد تكون خلاصة لسره ، وتكملات تكون نهاية لحاله . لاجرم اخترت في ترتيب هذا الكتاب أن يكون مرتباً على فنون ثلاثة ، ولعلها تكون وافية بالمطلوب محصلة للبقية بهون الله

فالن الأول منها مرسوم المقدمات السابقة نذكر فيها تفسير علم البيان ، ونشير فيها الى بيان ماهيته وموضوعه ومنزله من العلوم الادبية ، والطريق الى الوصول اليه وبيان ثمرته وما يتعلق بذلك ، من بيان ماهية البلاغة والفصاحة والتميزة

بينهما . ونشير الى معاني الحقيقة والمجاز وبيان أقسامهما ، الى غير ذلك مما يكون تمهيدا وقاعدة لما نريده من المقاصد

الفن الثاني منها مرسوم المقاصد الثلاثة . نذكر منه ونشير فيه الى ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بالمعاني وعلومها . ونردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان وأقسامها . ونشرح فيه ما يتعلق به من المباحث بعلم البديع ونذكر فيه خصائصه وأقسامه وأحكامه الثلاثة به بمعونة الله تعالى ولطفه

الفن الثالث نذكر فيه ما يكون جارياً مجرى التثنية والتثنية لهذه العلوم الثلاثة ، نذكر فيه فصاحة القرآن العظيم وأنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها ، وأن شيئاً من الكلام وإن عظم دخوله في البلاغة والفصاحة ، فإنه لا يدانيه ولا يماثله . ونذكر كونه معجزاً للخلق لا يأتي أحدٌ بمثله . ونذكر وجه إعجازه ، ونذكر أقوال العلماء في ذلك ، ونظهر الوجه المختار فيه ، الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة ، والتسكت العزيزة ، التي نلحقها على جهة الردف والتسكيلة لما سبقها من المقاصد فالفن الثالث للثاني على جهة الإكمال والتتمة . والفن الاول للثاني على جهة التمهيد والتوطئة والسر والباب . والمقصد لذوي الالباب . ما يكون مودعا في الفن الثاني وهو فن المقاصد . وأنا أسأل الله تعالى بجوده الذي هو غاية مطلب الطلاب . وكرمه الواسع الذي لا يحول دونه ستر ولا حجاب . أن يجعله من العلوم النافعة في إصلاح الدين . ورجحانا في ميزاني عند خفة الموازين . إنه خير مأمول ، وأكرم مسئول .

#### ٤ - الخصائص

تأليف أبي الفتح عثمان بن جني طبع الجزء الاول منه بمطبعة الهلال سنة ١٣٣٢ هـ صفحاته ٥٦٩ منه ١٥ قروش

ابن جني من أساطين أئمة اللغة وفحولها وقد قال فيه البخارزي في دمية القصر : ليس لاحد من أئمة الادب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ، ما لا بي الفتح ، ولا سبيا في علم الاعراب . ومن قول المتنبي فيه أيضا : هذا رجل لا يعرف قبره كغير من الناس . وقال الاستاذ الامام من كتاب يعرض فيه بصاحب له وقع



فيه عندما أخذ بتهمة المسألة العرابية : وأما فلان فقد أكننته كني ، وأدبته مني ، وجعلته في مكان النحو من ابن جني ، ثم هو يصرح بسببي ولا يكتفي .

وكتابه هذا [ الخصائص ] علم وأدب وفقه لغة وفلسفة ، لأنه يعطي المطالع علماً باللغة العربية وأساليبها وآدابها ويلهمه بلاغة بأسلوبه الذي هو في أعلا ذروة منها ومن رأيه في ( باب القول على أصل اللغة إلهام أم اصطلاح ) ما نصه :

« وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدويّ الرمح . وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل القهرس ، وتزيب <sup>(١)</sup> الضبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب مقبل »

« واعلم فيما بعد ، انني على تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعي والحوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التعلل على فكري ، وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، السكرية اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاق والرقّة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فن ذلك مانبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلتهم ، فعرفت بقتابه واقباده ، وبعد مرايه وآماده ، صحة ما وقفوا لتقديمه منه ، ولطف ما أسعدوا به ، وفرق لهم عنه ، وانضاف الى ذلك وارد الاخبار الماثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، ققوى في نفسي اعتقاد كونها ثوقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحي »

ثم أقول في ضد هذا كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا ، على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة . كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ، وان بعد مدها عنه ، من كان أطف منا أذهانا ، وأسرع خواطر وأجراً جناناً ، فأقف بين تين الخلتين حسيراً ، وأكأثرهما فأنسكفي مكشوراً ، وان خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتها ، قلنا به ، وبالله التوفيق » اهـ

أما المذهب الذي تقبله أولاً فهو الذي يرجحه الباحثون في فلسفة الخلق ولغاتهم، وأما ما تعارض رأيه فيه بعد ذلك فهو موضوع آخر، وهو أن ارتقاء اللغة العربية في أبنية كلمها وقوانين جملها وأساليبها هل كان بمواضعة واصطلاح من أناس من الأولين بذوا من بعدهم في العلم والفلسفة والذوق؟ أم كان بوحى إلهامي من الله تعالى؟ ولكل رأي وجه، والمقول أن الله تعالى ألهم تلك النفوس ذات الذكاء والذوق أن تجري في كلامها على سنن ترتقي فيها بالتدرج إلى أن وصلت إلى تلك الدرجات العلى التي بين المصنف خصائصها في كتابه

### ٥ - الاعتصام

كتاب الاعتصام للإمام أبي اسحق إبراهيم اللغضي الشاطبي ثم الفرناطي الاندلسي المتوفى سنة ٧٩٠

طبع طبعاً حسناً على ورق جيد في مطبعة المنار في ثلاثة أجزاء صفحات الأولى منها ٣٨٨ ماعدا الفهرس ومقالة التعريف بالكتاب وترجمة مؤلفه . وصفحات الثاني ٣٤٦ ماعدا الفهرس ، وصفحات الثالث ٢٨٠ ماعدا الفهرس وخاتمة الطبع . ومن كل جزء منها ١٠٠ و يطلب من دار الكتب ومن مكتبة المنار

قد سبق تقرير هذا الكتاب وبيان مزاياه في منار العام الماضي . ونقول الآن اننا لانعلم ان أحداً ألف مثله في بيان حقيقة البدع وأقسامها وأحكامها . فهو ركن من أركان الإصلاح الاسلامي لعله لا يقرؤه مسلم الا ويكره البدع ويفر منها ، ويحب السنة ويرغب في الاعتصام بها ، على علم وبصيرة تنقي بهما الشبهات التي راجت والتبست على كثير من المشتغلين بالفقه لا على العوام وحدهم ، فهذا الكتاب أهم مطبوعات دار الكتب نفعا لا يستغني عنه عالم ولا عامي من المسلمين

طبعت هذه الكتب للمرة الاولى فهي كنوز علم وأدب قد فتحت للطلابين ورياض فضل أدنيت للناس اجمعين ليحفظوا يافع عمراتها فجزى الله الساعين بطبعها خير الجزاء ونفع بها آمين

## ( انتشار الخط العربي )

تأليف عبد الفتاح افندي عباده صاحب كتاب ( سفن الاسطول الاسلامي )  
مزيّن بالرسوم والخرط طبع سنة ١٣٣٣ في مطبعة هندية ص ١٦٨ ويطلب من  
مكتبة المنار بمصر وثمنه  $\frac{4}{12}$

لعمد الفتاح افندي عباده عناية بالمباحث التاريخية والفنية المبكرة التي لم  
تفرد في التأليف في لغتنا من قبل . وقد أنحف أبناء العربية بكتابه ( سفن الاسطول  
الاسلامي ) ثم أبرز لهم اليوم هذا المؤلف النفيس الذي أبان فيه منشأ الخط العربي  
وتطوره بتطور المسلمين وما تفرع منه . وأحصى عدد الذين يكتبون بالخط العربي من  
البشر فاذا هم ٢٤٣ مليوناً واملهم يزيدون فان وثني الهند يكتبون بها كالمسلمين  
فكتاباه هذا كتاب أدب لا تاريخ .

نعم انه قد اعتمد في معظم مباحثه على ما كتبه علماء أوربة وغيرهم ، وربما  
أخطأ بعض هؤلاء العلماء وربما أخطأ هو في بعض النقل كسمية الخط الديواني  
الجليلي [ الخط الديواني الجلي ] ( انظر شكل ٧ و ٨ ) ولكنه خطأ يقع في مثله كثير  
من الناس . وقد نشر في المنار نموذج من مباحث هذا الكتاب

## ﴿ تصحيح خطأ ﴾

في ص ٢٣٢ سطر ٤ من الجزء الرابع من آية « وارزقهم الثمرات » والصواب  
« وارزقهم من الثمرات » وفي الصفحة الاولى من الجزء الخامس غلط في عنوان  
التفسير صوابه هكذا ( علاوة في بيان أن الزيادة على نصوص الشارع ) الخ  
وفي الصفحة ٣٨٧ منه عبارة لم تؤد المعنى المراد منها وهي قول حسن افندي  
كآل في السطر الرابع من مقالة « وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه  
على ما يقابلها » الخ . والمراد انه بين موافقة الكثير من ألفاظ الأثر للغة العربية .  
وكلمتي ( من حكمة ) من ص ٣٨٨ س ٢٥ هما زائدتان أي وربما كان فيه  
ألفاظ أخرى موافقة للعربية تعلم بمراجعة معاجم هذه اللغة

# المسحاة

١٣١٥

فشرح عبادي الدين يستهون القول فيقول أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوى وه منارة كنار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣٣ - ١٨ الأسد (ص ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٢ أغسطس ١٩١٥

## البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الإيمان<sup>(\*)</sup>

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد  
الطالب بكية دار الدعوة والارشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنعم علينا بالاسلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الذي قام بتبليغ الدين خير قيام  
أما بعد فإن الصلاة والزكاة أهم أركان الدين ، وأعظم الشعائر للمسلمين ،  
يهما تركية النفوس ، وصلاح حال الجمهور  
جمع الله تعالى كل الخير فيهما ، لأن من اتصف بهما يتصف بكل  
فضيلة سواهما

فمن تركهما فلا حظ له في الاسلام ولا الإيمان ، فلم اسمع في ذلك  
نصوص القرآن

(\*) المنار : قرأنا هذه الرسالة كلها ، وانتقدنا على كاتبها مسائل منها ، وبيننا له رأينا في  
تصحيحها وإصلاحها ، قولاً وكتابة ، على أن يكون مستقلاً في ذلك ، ياخذ ما ياخذ  
ويترك ما يترك عن بيته ، كما هو شأننا مع تلاميذنا ومريدينا ، لأجل هذا نشر في حواشي  
الرسالة إلى المهم ما بقي من خطأ أو ضعف فيها

ولا قدم لك تعريف الصلاة والركاة ، ومقصود الشارع الحكيم  
منهما ، على طريق السؤال والجواب ، عسى أن تأنس به ، وترتاح نفسك  
الى تدبره ، فارغني سمعك ، واستعمل عقلك  
س ما حقيقة الصلاة ؟

ج هي مناجاة الله تعالى وذكره ودعاؤه والخضوع له بالصفة الماثورة  
عن النبي صلى الله عليه وسلم

س لم جمعات الصلاة بالكيفية المخصوصة ، ولم تترك الى اختيار المؤمنين ؟  
ج لثلاثي شعب الخلاف بين الناس فيها ، فيفوت غرض الدين من  
اتحادهم عليها ، المساعد لهم على الاتحاد في غيرها

فالناس كلما أكثر ما يشتركون فيه كان اتحادهم عليه أقوى ،  
وانجذابهم بعضهم الى بعض أقرب وأمتن

س ما دليل وجوبها ، وحكمة مشروعيتها ؟  
ج قال الله تعالى في سورة المائدة ( وأقم الصلاة ان الصلاة  
تنهى عن الفحشاء والمنكر )

س كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟  
ج أنظر الى نفسك حين تواجه القبلة وتنبها لإقامة الصلاة ،  
فتستفتحها بقولك : الله أكبر ، ألا تراك ملئت خشية لذكرك ربك  
وكبريائه ، وغشيتك السكينة لوقوفك بين يدي سيدك ، مستهفرا كل  
شيء دونه ، وغاضا الطرف نهما سواه

فاذا قرأت الفاتحة ذكرت معانيها بالهك الذي خلقك بقدرته ،  
وربك الذي ربك على نعمه - ربك لا يستبد بك ، ولا لينتفع منك ، بل

ليجعلك موضع رحمته ، وعمل فضله واحسانه ، وهناك ترى سيداً عظيماً ، ومالكا للجزاء وحيداً ، جميع الكون في قبضة يده ، وكل العالم تحت تصرفه وقهره ، لا إرادة فوق إرادته ، ولا ينفع أحد أحداً عنده ، فبينما أنت ترجو رحمته ، اذا بك تخاف عذابه ، قوته فوق الاسباب ، فلا تجد ملجأ الا اليه ، ولا تستعين الا به ، فهو الذي يهديك طريقه المستقيم ، ويأخذ بيدك فيه ، ما دمت فيه ، مرافقاً لاهله الذين أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، بعيداً عن طرق المعاندين والخيلائين ، المقضوب عليهم والضالين ؛ أضف الى ذلك ما في ركوعك وسجودك ، وقيامك طوعاً أمره وقعودك ، كل هذا يا مقيم الصلاة يؤثر فيك تأثيراً ، ويأخذ منك مأخذاً كبيراً ، فلا تلبث أن تتربى في نفسك ملكة المراقبة لله ، تثبتك على صراطه ، وتقيك الوقوع في عصيانه ، فاذا مسّك طائف من الشيطان ، أو دعاك داع من الشهوة الى العصيان ، ناداك صوت من ضميرك : اذكر ربك واتقه ، واحذر أن يراك ، حيث نهاك ! فاذا انت من المبصرين س يظهر من هذا أن المرء اذا حافظ على اقامة الصلاة تصفو نفسه ، وتحسن أخلاقه ؟

ج من غير شك ، وذلك هو مقصود الدين من تكرار الصلاة كل يوم خمس مرات ، وتدبر القرآن فيها

وقد علمت أن الله لم يسقطها عن المؤمنين وهم في مقاتلة أعدائهم ، ولا عن المرضى وهم في مرض موتهم ، وما ذلك الا لحاجتهم اليها ، وعدم استغنائهم عنها ، فانها تشجعهم ، وتجعلهم أكثر تحملاً للشاق ، واقتوى صبراً على الشدائد ، واقرب الى الرجاء ، وأبعد عن اليأس

س صلينا كثيرا فلماذا لم تنهنا صلاتنا عما نحن فيه من المنكرات ؟  
ج سبب ذلك أننا لم نلاحظ المقصود منها ، فغفلنا عن التدبر  
والخشوع فيها ، فما لنا من الصلاة الآن الا اسمها ، وليس في مساجدنا  
منها الا صورتها ورسمها

وان شئت فقل : انها أصبحت عندنا عادة من العادات ، التي يقلد  
فيها الولد اباه وغيره ممن ينشأ فيهم

وقد وصل الجهل بناس الى أن يتركوا الصلاة طول حياتهم ، اعتمادا  
على أنه يمكن اسقاطها عنهم بعد مماتهم بالطريقة المشهورة باسقاط الصلاة  
-- ذلك بأن يؤتى بمن يسمونهم فقهاء ، وهم قراء القبور ، الذين  
أخذوا القراءة على القبور ، والصياح في الجنائز بنشيد البردة وغيرها  
صناعة فيحسبوا ما ترك الميت من الصلوات في سني عمره ، ثم يطاف عليهم  
بصرة فيها عدد من النقود ، فيقبل كل منهم أن يتحمل عددا من تلك  
الصلوات عن الميت نظير مبلغ يأخذه مما في الصرة ، حتى اذا تحمل الجميع  
ما على الميت من الصلوات ، فرق عليهم عدد النقود ، وبهذا يزعمون أن  
الصلاة سقطت عن الميت ، وان الله عفا عن حملوها

وفي هذا من العجب ما ترى ، وقد ذكرته ليظهر لك كيف يؤدي  
الجهل بحكمة الله الى اضاعة شرعه والاستهزاء بدينه ، وكأن هؤلاء لم  
يعقلوا أن تارك الصلاة قد صدئت نفسه ، وتلوث روحه ، فلم يعد يستحق  
مقام الكرامة ، و ( أن لا تزر وازرة وزر أخرى \* وأن ليس للإنسان الا  
ما سعى ) فهل للقبوريين عهد من الله أن يقبل منهم ما يقبلون ، ويحط عنهم  
ما يتحملون ؟ فرحماك اللهم ! فان القوم لا يعلمون ، وعسا هم عن ذلك يرجعون



س عرفنا الصلاة فما معنى الزكاة ؟

ج الزكاة جزء من مال الاغنياء ، يصرف في مصالح المسلمين ، كالفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل والغارمين ، وغير ذلك من مهمات الدين .  
س ما دليل وجوبها ، وحكمة شرعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة براءة ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها )

س ما معنى التطهير والتزكية بها ؟

ج ( ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ) فكما كثر جمعه للمال ، زاد حبه له ، وطعمه فيه ، حتى لا يؤثر شيئاً عليه ، ولا يكون له هم في سواه ، فتقطع الملاقى بينه وبين الله ، فتخبث نفسه ، فيكسب المال من أي وجه حلالاته أو حراما ، فاذا هو جعل نصيبا من ماله لله على حبه إياه ، استحى أن يكسبه من طريق يبهضه الله ، وكان حب الله في نفسه متغلبا على حب المال ، فهذا ينظف النفس من الأرجاس العالقة بها ، ويزكها بانماء الفضائل فيها

وهذه تزكية روحية ، وهناك تزكية أدبية اجتماعية — وهي أن الاغنياء الذين يقبضون أيديهم عن الفقراء يعرضون أموالهم للسلب ، وأعراضهم وأنفسهم للإهانة ، لأن الفقراء ينفذونهم ، ويكيدون لهم ، وإذا اشتد الجوع بهم ولم يجدوا وسيلة لسد الرمق الا بالاعتداء على الاموال والأنفس ابتداء ، ولا يخفى ما في ذلك من اخلاق الأمن وتزعزع النظام ، فيسبي الاغنياء ويصبحون لا يهدأ لهم بال ، ولا يرتاح لهم ضمير ، فيموتون أو يموت الفقراء جوعا وذلا ، وكل ذلك — كما تعلم —

سبب في ضعف الامة وانقراضها ، فاذا هم بذلوا وأنفقوا حفظوا حياتهم ، وهددوا روعهم ، وجعلوا الفقراء إخوانهم ، يهتمون لهم ، ويتعاونون معهم ، فيسقط أيديهم يتبدل ضعفهم قوة ، وتقلب قلوبهم كثرة ، أضف الى ذلك ما يتوفر للامة فيصرف في منافعها العامة ، ومصالحها المدنية ، وما يعود عليها من بسط الامن في ربوعها ، وتوثيق عُرى المحبة بين أفرادها . وحسبك دليلا على ذلك أن المسلمين لما تهاونوا في إخراج الزكاة انحلت رابطتهم ، وتأخرت مدنياتهم

س اذا كان في الزكاة ما ذكرت من رابطة الود بين الافراد ، ومن مصالح جماعة الامة ، وكانت بذلك من أعظم أركان العمران ، فلما بالنا نرى الافرنج وقد استبحر عمرانهم ، وليس عندهم زكاة مثلاً؟  
ج لملك لم تنظر الى ما عندهم من الجمعيات الخيرية ، والملاجئ والمستشفيات المجانية ، وغير ذلك مما يقصده تحسين حال الايتام والفقراء ، وغير ذلك من المنافع والمصالح ، وهل هذا الا بمعنى الزكاة عندنا؟ وهل تقوم لامة قائمة من غير أن يكون فيها هذا الركن الاقتصادي العمراني الجليل؟  
ألا تعجب حينما ترى الافرنج يعرفون قيمة هذا الركن ، وقومنا عنه غافلون؟ ألا يزيد مجيبك عند ما تسمع مقالة الفقهاء يطمون الناس إسقاط فرضية الزكاة بما يوحى اليهم الشياطين من الحيل؟ ولملك شاهدت كثيراً ممن تجب عليهم زكاة المال ، يأتي قبل الحل الذي يجب بحلولة الزكاة فيتنازل لامرأته عن ماله ، ثم بعد أن يفوت الحل يستوهبها إياه ، ويرغم أنه بذلك قد خرج من دائرة المساكين فلم يكاف ، وأن حيلته صحت عند الله

وأغرب من ذلك أن الرجل يضع زكاة ماله تقودا في داخل كمية من الحبوب ، ويأتي ببعض المستحقين فيعرض عليه تلك الكمية من الحبوب من غير أن يريه المال المدفون فيها ، فيقول له : هذه زكاة مالي فاقبلها. وبعد قبوله إياها يذاعها منه بضعف ثمنها، فيفرح المسكين، ويرجع المكاف بدفع الزكاة زاعما أنه قد تخلص منها، ولم يعد يسأل عنه

فياحسرة على هؤلاء الذين فضلا عن تضييعهم للشريعة ، وقضائهم على أحكامها ، قد هزثوا بربهم ، وسخروا بخالقهم ، فاكتمبوا جريمتين بعملهم هذا ، إحداهما تضييع دينه ، والاخرى الاحتيال عليه ، (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ، أما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يوم يتفاضهم الفقراء والمساكين ، ويحكم الله بينهم وبين المستحقين ، يوم يحمي على أموالهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وقال لهم : ( هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكمنون )

#### حكم تارك الصلاة والزكاة

س حسبنا ما وقفنا عليه من معنى الصلاة والزكاة ، وما وراءها من المنافع ، وما انطوتها عليه من الحكم . فما حكم تارك الصلاة ، أو مانع الزكاة ؟  
ج كلاهما معرض عن الاسلام ، هادم لأعظم أركانه ، وقد ذهب جماهير العلماء الى وجوب قتله ان لم يتب — قيل كفرا وقيل عقوبة ، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانعي الزكاة . والخلاف في كفر تارك الصلاة أقوى

س كيف يعد تارك عبادة من عبادات الاسلام مرتدًا عن الدين ، تاركًا له ؟

ج لأن الاسلام ليس له معنى الا الانقياد لله تعالى ، فيما يزيكي النفوس ، ويصلح الاجتماع ، وذلك انما يتجلى في الصلاة والزكاة — كما علمت — وغيرهما تابع لهما ، بل من أقام الصلاة وحدها ، أقام كل أمر بعدها

س هذا صحيح وفهمناه مما سبق ، فإن الأدلة ، على أن تارك الصلاة أو مانع الزكاة خارج عن الملة الاسلامية ؟

ج ذكر الله سبحانه الصلاة والزكاة في أكثر من خمسين موضعا من كتابه ، وكلها يدل على الاهتمام بهما ، وبناء الاسلام عليهما ، غير أننا نكتفي هنا بذكر الصريح من الآيات في موضوعنا فنقول :

ما جاء في الصلاة وحدها

من ذلك قوله تعالى في سورة الروم ( فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين \* من الذين فرقوا دينهم ) الآية ، وفي قراءة « من الذين فارقوا دينهم » فانظر كيف أراك عز شأنه أنه لا يدل عن إقامة الصلاة الا المشركون <sup>(١)</sup> ولا يتصف بها الا المتقون ، من أقامها صاحب الدين ، ومن لم يقمها فارق الدين ، فهي الصفة المميزة ، والحد الفاصل بين المسلم والمشرك

(لها بقية)

(١) المناز: الآية لا تدل على هذا الحصر ، ولا هو صحيح في نفسه ، ولا تدل على الحصر الذي ذكر بعده وان كان معناه صحيحا

## مَدَامُ دَارُ الدُّعْوَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٩

### الراحة والتعب

النوم والرياضة الجماعية

النوم - جميع أعضاء الجسم تحتاج للراحة بعد العمل ، ذلك بأن المواد الضرورية لحياتها تقل شيئاً فشيئاً بسبب العمل ، وكذلك تتراكم فيها فضلات الاحتراق ، فبالراحة تجمع من الدم مواد أخرى صالحة لتغذيتها وتخرج إليه تلك الفضلات المؤذية . وأعظم أنواع الراحة وأشدّها نفعا للجسم النوم ، ففيه يبطل عمل المخ الا فيما ندر ( كالأحلام ) ويقل ورود الدم اليه وتقل مرات التنفس والنفس فتستريح الرئتان والقلب ، وكذلك يقل افراز جميع الاعضاء الاخرى كالبول مثلاً وترخي جميع العضلات ، وبذلك تحصل الراحة لها ولجميع الاعصاب والاعضاء فتتجدد قوى الجسم ويتعشش بسببه

قال بعض العلماء ان المخ في أثناء النوم يكون محتقناً بالدم ، ولكن هذا غير صحيح فان الدم انما يكثر وروده الى الاعضاء وقت العمل ، وأما في زمن النوم فيقل الدم من المخ وغيره ويهرب السائل الذي تحت العنكبوتية الى القناة الفقرية واذا أريد جاب النوم لشخص مصاب بالارق فأحسن طريقة له أن يجتهد الانسان في تحويل الدم عن المخ بأن يترك الشخص التفكير ويصب الماء البارد على دماغه ويفسل جسمه بالماء الساخن أو يضع قدميه فيه أو يتعب نفسه بمثل

المشي وغيره فان ذلك يجذب الدم الى العضلات والاطراف، ومثل هذا السبب يميل الشخص الى النوم عادة بعد الاكل بسبب ذهاب الدم الى المعدة ومدة النوم تختلف بحسب السن ففي الاطفال المولودين حديثا تستغرق اليوم كله تقريبا ١٢ ساعة، وفي العلمان قد تمتد الى ١٢ ساعة، وفي الفتيان تكون نحو ٩ ساعات، وفي الشبان من ٧ الى ٨ ساعات، وفي الشيوخ تكون من ٥ الى ٦ ساعات. وأحسن وقت للنوم هو الليل بين ذهاب الشفق وطلوع الفجر أي بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر، فان هذا الوقت تكون الظلمة فيه أشد والسكون شاملا للبلاد فلا ينبه المخ بمنبه يقلق راحته. ولا يحتاج الانسان للنوم في النهار الا في زمن الصيف وذلك لقصر الليل وطول النهار واشتداد الحر فيه فيتوارد بسبب ذلك الدم الى الجلد، ولذلك يميل الانسان الى النعاس في الحر. ويستحسن أيضا أن يكون هذا النوم بعد الظهر في مكان بعيد عن الضوضاء وأن يوجد الانسان فيه ظلمة بقدر الامكان بارخاء ستائر مثلا. وهذا النوم هو ما يسمى بالقيلولة

وفي التبكير في القيام فوائد عظيمة منها فوائد اقتصادية كراولة الاعمال المختلفة قبل فوات الوقت بسبب قصر النهار في الشتاء أو فواته بسبب اشتداد الحر في الصيف وعدم تمكن الانسان من العمل، ومنها فوائد صحية أهمها الخروج من المكان الذي بات فيه الانسان الى هواء أصح فينتعش جسمه بشم نسيم السحر. ومن ذلك تجدون أن فرائض الشريعة الاسلامية في الصلاة موافقة لمصالح الناس الاقتصادية والصحية، على فوائدها الروحية التهذيبية ويجب أن تكون غرفة النوم خالية من الاثاث بقدر الامكان، وأن تكون أرضها خشبية وطلاؤها بالجير فقط، وتكون بعيدة عن الروائح الكريهة وتتمثلها الشمس بالنهار وكذلك الهواء ليلا ونهارا. ولا يصح طلاؤها بغير الجير أو نحوه فان المواد الاخرى البيضاء أو ذات الالوان تشتمل عادة على الرصاص أو الزرنيخ والنحاس، وهذه المواد تنتشر في هواء الغرفة فتسم جسم الانسان وباستمرار استشاقها تحدث له اعراض قد تكون خطيرة. ويجب أيضا أن تكون الغرفة جافة فان استشاق هواء الغرف الرطبة يؤدي الى اعتلال الصحة حتى قد تصاب الاطفال

بالدقيقير يا اذا سكنت في بيوت حديثة البناء حديثة الطلاء . فيجب اتقاء السكى في هذه المنازل الا بعد تمام جفافها

هذا ولا يحفى أن الهواء الذي يستعمل في التنفس أو في الاحتراق هو أخف لسخوته من الهواء الذي لم يستعمل فلذا يصعد الى أعلى الحجرات . ولذلك كان من الواجب أن تفتح بعض النوافذ بقرب السقف . والتجربة المشهورة المثبتة لصحة هذه النظرية أن يأتي الانسان بشمعة مشتعلة ويمسكها بيده ويقف على باب الغرفة المسكونة ويضعها عند الباب بقرب الارض فيجد أن الشعلة تندفع الى داخل الغرفة بسبب دخول الهواء من هذا المكان ، فإذا أمسك الشعلة في أعلى الباب وجد أن الشعلة تندفع الى الخارج بسبب خروج الهواء من الغرفة ، وإذا أمسك بها في منتصف الباب وجد أن الشعلة تثبت في مكانها

ومن ذلك يعلم أن الهواء يدور في الغرف ويخرج من أعلاها — كما قلنا — وينبغي أن لا ينسام الانسان في تيار الهواء امام النافذة التي يدخل منها فان ذلك يحدث برودة عظيمة في الجسم تؤدي الى بعض الامراض . ويستحسن أن تكون النوافذ التي يدخل منها الهواء أعلى من رأس الانسان أي على علو نحو تسع أقدام ، وأن تكون نوافذ التصريف ملاصقة للسقف

وينبغي أن لا يبقى أحد في غرفة النوم نهرا لثلاث يفسدهاؤها ، وأن تترك نوافذها مفتحة ليبدخل منها الهواء والشمس ، ولا يجوز أن يوضع فيها ليلا أزهار ولا أشجار ، وكذلك لا يجوز أن تكون محاطة بجدران غناء ، فان النبات من نجم وشجر — وان كان ينقي الهواء في النهار — يقنفس في الليل تنفس الحيوان فيمتص أكسجين الهواء ويفرز ثاني أكسيد الفحم وبذلك يفسد الهواء . ويجب عدم وضع حيوانات في غرفة النوم فانها أيضا تفسد الهواء بنفسها وقد تنقل الى الانسان بعض الامراض كالقرع والارضة الجلدية فانهما يصيدان القطط والكلاب ، والدقيقير ياتصيب القطط كثيرا ، وفي بعض الكلاب ديدان تخرج ايضا اذا وصل شيء منها الى بطن الانسان أحدث عنده أكياسا عظيمة في السكبد أو غيره ومن أوجب الواجبات أن بطفأ السراج وقت النوم كما وصى بذلك رسول

الله (ص) فإن النار من أشد ما يفسد الهواء بل قد تقتل الشخص بالاختناق ، على أنها قد تحدث الحريق ، وفي إيقادها اسراف وضرر فإن مجرد وجود النور في الغرفة مما يقلق راحة المخ

أما النور السكبر يأتي الصادر من بعض المصابيح — وهي المغلقة اغلاقا تاما — فإنه لا يحدث أي إفساد للهواء وهو أيضا أبعد عن إحداث الحريق من سائر أنواع النور الا أن في الاستضاءة به اسرافا كبيرا وهو يقلق راحة النائم أيضا

ومن القواعد الصحية أن لا ينام الانسان الا على الاسرة ، وحكمة ذلك أن يكون أبعد عن الرطوبة والاقذار وعن الدواب المؤذية كالعقارب وكذا عن استنشاق الهواء الفاسد ، فإن غاز ثاني أكسيد الفحم الذي يتولد من الاحتراق والتنفس هو أثقل من الهواء ولذلك يكثر بقرب الارض . وينبغي أن يحيط بالاسرة ما يسمى عندنا بالناموسية (الكلاية) وذلك لمنع البعوض فإنه يذهب النوم عن الانسان وقد ينقل اليه الملاريا — كما سبق — ولا بد أن يكون الفراش نظيفا جدا خاليا من جميع الحشرات لما سبق بيانه في باب النظافة

والانسان أن ينام على أي جنب شاء بحسب راحته ، ولكن التزام جانب واحد قد يؤدي الى ضرره ، فإذا التزم الانسان الجانب الايمن مثلا حصل احتقان في أجزاء الجسم اليمنى فتختل الموازنة التي بين جهتيه وتعب الرئة اليسرى وتكون الجهة اليمنى من الدماغ عرضة للاحتقان وربما أدى ذلك الى الفالج اذا كان الشخص مستعدا له كأن كان كبيرا وشرايينه متصلبة ؛ وكذلك الحال اذا التزم النوم على الجهة اليسرى . فالاحسن ان يتقلب الانسان في الفراش ، ولكن يفضل الاكثر من النوم على الجهة اليمنى خصوصا اذا كان في المعدة طعام فان ضغط السكبد والمعدة على الحجاب الحاجز وعلى القلب يعوق حركة التنفس ويضايق الانسان ، ويتسبب أيضا خروج الطعام من المعدة لان البواب في جهتها اليمنى . والنوم على الظهر يسبب الشخير والاحتلام فالأولى تركه الا قليلا ، ولا يجوز النوم على الوجه فإن ذلك بسبب ضغطا على الاحشاء يضر الانسان ويضايقه . ولا بد من وضع الرأس على شيء عال كاللحدة بحيث تكون في محاذاة الجسم لمنع احتقان الدماغ



وكذلك ينبغي للانسان أن لا ينام على طعام كثير فان النوم يعوق حركة الهضم وافراز العصير المعدى وبتعب المعدة في وقت يجب أن تسريح فيه جميع الاعضاء، هذا فضلا عن كون ضغط المعدة وهي ممتلئة بالطعام على الحجاب الحاجز يحدث ضيقا ينسب عنه الكابوس والاحلام المزعجة أو الاستيقاظ فجأة كأن الانسان يخاف من الموت العاجل ولا سيما اذا كان مصابا بالربو (ضيق النفس) أو بمرض في القلب أو الرئتين . والاحسن أن يكون النوم بعد تمام الهضم في المعدة أي بعد نحو أربع ساعات

وينبغي أن يكون الرأس منطى بغطاء خفيف لمنع توارد الدم بكثرة الى المخ، ويرى بعض الناس ان الاحسن كشفه . ولا يجوز بحال من الاحوال ان يغطى الوجه . أما الجسم والاقدام فيجب ان تدفأ جيدا فان ذلك يمنع تأثير البرد الضار ويحجب النوم أيضا

واذا عرق النائم وجب عليه تغيير ملابسه بغيرها عقب الاستيقاظ مباشرة ولا بأس من وضع إناء في حجرة النوم للتبول فيه (مبولة) كما كان يفعل ذلك رسول الله (ص) فان القيام الى مكان بعيد لاجل البول قد يحدث أرقا وبمرض الانسان لضرر البرد وغيره ، وذلك الضرر - لاشك - أعظم من استنشاق بعض تلك الرائحة التي تنبعث من البول

ومن المستحسن أن يبيت الانسان في فراش وحده لما تقدم بيانه ، وأيضا فإن المبيت مع الزوجة في فراش واحد يحرك الشهوة فيضطر الانسان الى الاسراف في الجماع وفي ذلك ضرر عظيم

هذا ومن الناس من يقوم ويمشي في أثناء نومه ويأتي بأعمال عديدة لا يقدر أن يأتيها في اليقظة كاللشي على حائط مرتفع، وهذه الحالة قلما تحدث الا لعصابين ببعض الامراض العصبية كالمريض المسمى بالمستيرييا<sup>(١)</sup> ويسمى هذا النوع من النوم بالجولان النومي (Somnambulism)

(١) مرض يصيب النساء كثيرا وكان القدماء يظنون أنه من آثار أمراض جهازهن التناسلي فذلك سموه بهذا الاسم المشتق من اسم الرحم باليونانية

### الاحلام وعلم الغيب

الاحلام معروفة والظاهر من الكتب المقدسة خصوصا القرآن أن ما يراه الانسان في النوم قديكون مطابقا للواقع أو لما سيقع كما يستفاد من سورة يوسف مثلاً، وورد في حديث أن الاحلام ثلاثة (١) هو اجس النفس و (٢) وسوسة الشيطان و (٣) الرؤيا الحق، وقال صلى الله عليه وسلم « رؤيا الرجل الصالح جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة » أي فهي تشبه أن تكون جزءاً من الوحي وسبب الاحلام الفسيولوجي هو بقاء بعض خلايا المخ يقظة في أثناء النوم هذا؛ واعلم أن الغيب حقيقي وإضافي - فالحقيقي هو ما ليس له وجود في الكون مطلقاً ولا يمكن الاستدلال عليه بشيء موجود. وهذا الغيب الحقيقي هو الذي استأثر بعلمه الله تعالى فلا يعلمه أحد الا باعلام من الله. وليس كل ما غاب عنك وهو موجود يعتبر غيباً حقيقياً فإن الانسان خصوصاً في العصر الاخيرة أمكنه العلم بأشياء غير واقعة تحت حواسه، ومن أمثلة ذلك تلغراف ماركوني <sup>(١)</sup> (Marconi) أو التلغراف اللاسلكي، وهو مبني على نظرية شهيرة في العلم الطبيعي وهي أن هذا العالم مملوء بالايثير، ولولا وجود هذا الاثير ما أمكن الجسم أن يؤثر في جسم آخر بعيد عنه ففي هذا الاثير تحصل موجات عديدة ينشأ منها النور والكهرباء والجذب وغيرها ذلك. فلذا التلغراف آتاه آلة تحدث الموج الكهربي والآخرى تتأثر به معها بعدت عنها. فان هذا التأثير الكهربي يسي في الاثير

وكذلك عرفت الآن أشياء تخترق حجب المادة الكثيفة وتصل الى باطنها بواسطة الاثير أيضاً مثال ذلك أشعة الراديو وأشعة رونتجن Röntgen وهو عالم ألماني من مدينة ورزبرج Würzburg اكتشفها في سنة ١٨٩٥م وهي عبارة عن أشعة لم يعرف عنها تنبعث من القطب السالب اذا مرت الكهرباء في أنبوبة مفرغة وهي لا تضيء فلا ترى ولكنها تخترق كثيراً من الاجسام فتتسم صورها على حائل يوضع خلفها، وهذا الحائل مصنوع من لوح زجاجي مغطى بمادة كبريتية هي بلاتينو - سينور - الباريوم Platinocyanide of Barium أو البوتاسيوم

بدل الباريوم أو غيره، وفوقها غطاء من الورق يوضع عليه الجسم المراد رؤيته. ومن خواص هذه المادة أنها تضيء إذا مرت فيها تلك الأشعة المظلمة، فإذا وضعت اليد مثلاً أمام هذه الأنبوبة المفرغة خرجت الأشعة منها واختزقت اللحم والشحم وغيره فيرتسم ظل العظم على الوجه الزجاجي للحائل لأن العظم يقاوم مرور الأشعة فيه أكثر من غيره من الانسجة الرخوة فيظهر مظلماً. ويمكن طبع الظل وحفظه بطريقة التصوير الفوتوغرافي حتى بدون واسطة الحائل المذكور. ومثل هذه الأشعة في تأثيرها أشعة الراديوم وهو عنصر اكتشف حديثاً تنبعث منه أشعة متنوعة كالكهرباء والحرارة والنور وأشعة تحترق العجيب كالخترق أشعة رونتجن. ولجلل مكتشف هذه الأشعة الأخيرة بحقيقتها سماها أشعة X أو الأشعة المجهولة كما تقول في اللغة العربية لكية الحساب المجهولة في بعض المسائل الرياضية الكية (س)

إذا علم ذلك أمكننا الآن أن نشبه مخ الانسان بألة كهربائية تنبعث منها في أثناء العمل تموجات مخصوصة كتتموجات تلغراف ماركوني وهذه التموجات قد تتلغاها مخاخ بعض الناس بعد أن تغدلى باطن جهاجهم، ومن المعلوم في علم الفسيولوجيا أن جميع أعمال الجسم الكبيرة والصغيرة ليست الا حركات متنوعة في ذراته وفي جواهره الفردة. ففي أثناء النوم إذا اقتطع عن الانسان ما يشغله مما يوجد في هذا العالم واستراح مخه كان حينئذ صالحاً لتلقي بعض تموجات أثرية مما ينشأ من حوادث هذا العالم، ف رؤية شخص لشخص يمشي في مكان خطر أو يستقط في البحر مثلاً قد تكون مطابقة للواقع ونفس الامر، هذا في الاشياء الحاصلة في العالم، وقد يستدل من بعضها المخ على البعض الآخر الذي لم يوجد فيخيل له أنه واقع بالفعل فبراه، ولكن كل ذلك لا يدل على انه علم الغيب بمقتضى التعريف السابق أما حوادث العلم في المنام بالغيب الحقيقي فلا يمكن تعليلها بهذا التعليل السابق وإنما هي من إلهام الله لبعض النفوس الصافية فان الغيب الحقيقي لا يعلمه الا الله كما نص على ذلك القرآن وهو الذي يطلع من يشاء من عباده على ما يشاء فلا يعلمه أحد من ذاته بل باعلام الله، ومثل ذلك الوحي والنبوة (اقرأ آخر سورة الجن)

والاحلام منها ما يحدث بسبب وداعية ومنها ما يحدث بغير سبب معروف .  
والسبب اما أن يكون كثرة اشتغال العقل بشيء في اليقظة واما أن يكون شيئا طرا  
على الانسان في نومه، كأن توضع شمعة مشتعلة أمام عين النائم فانه ربما يحلم بحريق  
أورعد أو برق أو نحو ذلك

ويؤيد ما قلناه في الاحلام وما تنبئ به من الغيب مسألة التنويم المغنطيسي  
التنويم المغنطيسي

يحدث هذا التنويم لانواع الحيوانات المختلفة اذا انحصر فكرها في شيء واحد  
مخصوص وأطاعت النفس شعورها بالميل لهذا النوع من النوم، فاذا حصر الانسان  
أو غيره فكره في جسم مضيء مثلا حصل له هذا النوم ، وكذلك يمكن تنويم  
مثل الديكة والخليل وغيرهما ، وينوم الديك برسم خط طويل امام عينيه ويوضع  
مناقره عليه ويمسك برأسه في هذا الوضع مدة فانه ينام نوما مغنطيسيا . ويمكن  
أحيانا تنويم الاطفال الرضع بإلقائهم على ظهورهم  
والنائم هذا النوم يمكن ايدأؤه بأشياء كثيرة وهو لا يشعر بها حتى قد تعمل له  
بعض العمليات الجراحية وهو لا يدري

وهذا النوم له درجات ست (وقسمها بعضهم الى ثلاث فقط ) وآخرها من أغرب  
ما يكون ، فان النائم يرى فيها البعيد كما يرى القريب ويسمي الافرنج تلك الحالة  
[ Clairvoyance ] ومعناها الحرفي « الرؤيا الواضحة » وفيها يشعر الانسان أيضا  
بالاشياء وإن كانت عيناه مغمضتين بل يمكنه القراءة بأي جزء من جسمه فقد حدث  
في محام مصر بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ أن نومت فتاة قبطية نوما مغنطيسيا  
فكانت تقرأ الساعة بعدتها أمام القضاة وكانت ترى من خلفها ورأت ما بيد أحد  
المحامين وأعينها معصوبة ويد المحامي مقبوضة

ومن فوائد هذا التنويم أنه قد يستعمل لشفاء بعض الامراض فمثلا اذا أصيب  
الانسان بمرض جلد عميرة ( الاستمناء باليد ) حتى إنه لم يقدر على كبح جاح نفسه  
ونوم وأمر أن لا يأتيه فانه يشفى من ذلك شفاء تاما، وكذلك من تعود التدخين أو  
تعاطي الافيون مثلا

وفي التويم المظطيسي يمكن للانسان أن يخاطب غيره اذا كان نائما مثله على بعد شاسع ويسمى ذلك بالتلفراف الانساني أو انتقال الافكاره وتسميه الافرنج [Telepathy] ومضاه الحرفي « الشعور على بعد » وهذا التأثير على البعد قد يحصل حتى للإيقاظ، فإذا اتفق شخصان على التخاطب على بعد في وقت ومكان معينين أمكن ذلك بالمرأولة والريضة الطويلة . وقد يؤثر الشخص في شخص آخر بعيد عنه بدون اتفاق بينهما أيضا ولكن ذلك نادر جدا

وهذه المسألة تقسمنا تأثير العين <sup>(١)</sup> الذي ورد فيه بعض الاحاديث النبوية وتواترت روايات أم العالمين على حصوله وان أنكره بعض المتأخرين . على ان إنكار تأثير العين مطلقا مكابرة ، فن ذا الذي ينكر تأثير نظرة الرضا والحقد أو الحبة والبغض في النفوس وتأثير النظر الى الجليل والقيبح أو الفرح أو الحزين والى النشاط والسكلان المتضائب الى غير ذلك مما هو معروف . ولذلك قال (ص) « العين حق » وأما ما زاد عن ذلك القدر من الحديث فإما أنه لم يثبت عنه عليه السلام أو أنه يراد به تأكيد ما للعين من التأثير في النفس أو المبالغة فيه

ومثل التأثير على البعد أيضا بعض أنواع السحر كالنوع المسمى بمصر (بالشبهة)

ومن النوادر التاريخية التي لا بعد صحتها ما روي أن عمر رضي الله عنه كان يخطب بالمدينة فصاح في أثناء خطبته (ياسارية ، الجبل ، ياسارية الجبل ، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم) ثم عاد الى الخطبة حتى قال فيه بعض الصحابة إنه جن ، ولما سئل رضي الله عنه عن ذلك أجاب بأنه رأى جيوش المسلمين تكاد تفكك بها الاعاجم على أبواب (نهاوند) فصاح بقائدهم — ولم يتالك نفسه — ليتحصن بالجبل . وبعد ذلك جاءت الاخبار بأن المسلمين كادوا ينهزمون ، ولولا أن سارية القائد سمع مع بعضهم هاتفايرشدهم الى الجبل ، فدهش الناس لذلك وعلموا

(١) هذا التأثير قاصر على التأثير النفساني أو العصبي فقط ، والذي نعتقد أنه لا يحدث مباشرة مرضا جوهريا عضويا فهو كتأثير وسوسة الشياطين .

منه مقدار نفس عمر وكبر روحه . وهذه من أعظم مناقبه (رض)  
واعلم ان جميع هذه التأثيرات تصل بين النفوس بعضها ببعض بواسطة  
الاثير - كما سبق - والظاهر أن جميع المخلوقات ليس فيها شيء آخر سوى المادة  
الكثيفة أو اللطيفة ، وهي التي تأتي بكل ما في هذا العالم من المشاهد العجيبة  
أما اعتقاد عامتنا وبعض خاصة الملايين بأن في الانسان أو في هذا العالم شيئاً  
آخر مخلوقاً يغير مادة الكون فأرى أنه بعيد عن الصواب بعيد عن القرآن ،  
فان هذا الكتاب الشريف لم يثبت وجود شيء مما يغير مادة الكون سوى الله  
(٢ : ١١٤) حتى أنه نص على أن بعض ما يسمونه بالارواح كالجن مخلوق من  
مارج النار ، وهو من مادة هذا الكون <sup>(١)</sup>

(١) المنار : مادة الكون مؤلفة من عناصر كثيرة ما أحاط البشر بها علماً ،  
ولما اكتشفوا من ستين قليلة الراديوم بدا لهم من العلم الجديد بها ما لم يكونوا يتصورون  
ولا يصدقون ، فرجعوا به عن كثير مما كانوا يظنون . ولا يبعد أن يكون في غير  
هذه الارض من عوالم الكون ما ليس فيها . ولم أرفأدة لحرص السكاتب على  
الاثبات ان أرواح البشر والملائكة والجن من مادة الكون التي يعد منها الاثير  
الذي عرف بالعقل لا بالجس . ولم يقل أحد من علمائنا ان هذه الاشياء ليست  
من مادة الكون ، وكيف يقولون ذلك وهم مجمعون على أن الوجود قسمان : واجب  
أزلي وهو خالق الكون ، ويمكن مخلوق وهو الكون . وأكثرهم يعرف الملائكة  
بانهم أجسام نورانية . فإذا كانوا يعبرون عنهم بالأجسام فهل يمكن ان يقولوا انهم  
ليسوا من الكون ؟ أما النسبة بين الملائكة والجن فهي العموم والخصوص  
المطلق ، فكل الملائكة من الجن وليس كل الجن من الملائكة . وليس المراد  
بكونهم من الجن ان كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة ، بل معناه ان كل  
ذلك من العوالم الخفية المحتنة . واما القرآن فانه يثبت ان العالم قسمان : عالم القيب  
وعالم الشهادة ، والملائكة والجنة والعجيج من عالم القيب الذي لا نعلم من أمره  
الاما عرفنا الوحي ، وانما نعرف بكسبتنا شيئاً قليلاً من أحوال عالم الشهادة ،  
فعلينا ان نجتهد لزداد علماً فيما ينفعنا منه ، ونكتفي من أمر عالم القيب بما صح  
خبر الوحي به ، ولا نقيس ما نحصل كنهه ، على ما لا نعلم الا بعض الشيء عنه

واذا لاحظنا أنه نص على أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ثم استثنى الشيطان أمكننا الاستدلال بذلك على أن الشيطان كان أحد الملائكة، وقد نص في آية أخرى (٥٠: ١٨) على أنه كان من الجن؛ فيستنتج من ذلك أن لفظ الجن يطلق على جميع ما استتر من هذه العوالم، فإن مادته تطلق على كل ماخفي كالجنين مثلا. وما يؤيد كون الملائكة من الجن قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) مع أن العرب أشركت بالله الملائكة، فلولا أن لفظ الجن يطلق عليهم أيضا لما صح هذا التعبير في الآيتين السابقتين

ولا ينافي ذلك نسبة الذرية للشيطان مع العلم بأن الملائكة لا توصف بالذكورة ولا بالانوثة (قر ٤٣: ١٩) فإن الذرية قد تكون بغير اجتماع الذكركر بالانثى — كما سيأتي بيانه في علم الميكروبات —

نعم ان لفظ الجن اذا أطلق انصرف غالبا الى عالم مخصوص معروف في ذهن غير الملائكة كما في قوله تعالى عن لسان الملائكة (بل كانوا يبدون الجن) الآية

أما مسألة استحضار الارواح فكثير من العلماء الى الآن يشكون فيها، وهي اذا صحت لاتنافي مذهبنا اليه، فان هذه الارواح التي تستحضر لم نخرج عن كونها من عالم الاثير باعتراف مستحضرها أنفسهم، حتى زعم بعضهم امكان تصويرها بالآلة الفوتوغرافية، بل حاولوا ذلك فعلا، وقد رأيت بنفسى هذه الصورة في بعض المجلات العلمية

والارواح التي تستحضر منها ماهو للبشر ومنها ماهو من العوالم الاخرى كالشياطين

ومسألة استحضار الارواح — اذا صحت أيضا — كانت دليلا بينا على صحة ما ورد في القرآن الشريف وصحة الاخبار والآثار عن الكهنة، فان الكاهن العربي أو غيره كان يسعى في إحداث علاقة بينه وبين الشياطين فيخبرونه عن بعض أشياء غيبية أو يعملون له بعض الأعاجيب كأن يحضر له شيتا بعيدا عنه ويؤيد ذلك أيضا ماورد في أسفار موسى (ص) كما في سفر التثنية ١٨: ١١

وكذلك القصة الواردة في سفر صموئيل الاول ٢٨: ١١ و ١٢ فكل هذه الاشياء تضافرت على القول بإمكان الاتصال بذلك العالم الاثيري وليس ثم مانع في العلم الحقيقي منه

واعلم ان الاثير هو مادة العالم الاصلية التي خلقت منها العناصر والا كون وهي لاشك حادثة كما سيأتي اثباته ان شاء الله تعالى في الجزء الثالث

### الرياضة البدنية

من قوانين الكون أن العضو المستعمل ينمو ويحسن حاله ، والعضو الذي يهمل يضمر شيئا فشيئا حتى قد يزول من النسل بعد حين من الدهر ، لذلك كانت الرياضة البدنية من أوجب الواجبات لبقاء الجسم في الصحة والعافية ، حتى ان الاطفال يجدون أنفسهم مدفوعين بالهام إلهي الى كثرة اللعب ، لما في ذلك من الرياضة لابدانهم

وتأثير الرياضة أنها تسرع في دورة الدم فيقوى القلب والعروق، وتكثر تغذية جميع الاعضاء ويتم الاحتراق بها وتذهب عنها الفضلات الضارة التي يكثر إفرازها في البول والعرق وفي الهواء الخارج من الرئتين، ولذلك يحتاج الانسان الى الاكثار من الطعام والشراب واستنشاق أكسجين الهواء ، وتقوى جميع عضلات الجسم وتسمن ويزول التشحم الذي قد يتراكم على القلب حتى يضعفه بل قد يكون سببا في الموت الفجائي بالسكتة القلبية

وتعام الاحتراق الذي يحصل بالرياضة يمنع تراكم حامض البولييك في الدم ، وهذا الحامض هو الذي يسبب أعراض المرض المسمى بالثقرس وقد يرسب في بعض الاعضاء كالسكليتتين فيتكون فيهما حصيات ضارة جدا وكثيرا ما تؤدي الى الهلاك. وبالجملة فان الرياضة تقوي جميع أعضاء الجسم وتذهب عنها المواد الضارة فتصح ويجب أن تكون الرياضة في الهواء النقي والا لاستنشاق الانسان ما يضره من العفونات

ولا يصح أن تعمل في وقت الحر الشديد ، فان الحر كثيرا ما يقتل الانسان . ولا يجوز أن يتعرض الانسان بعد الرياضة وكثرة العرق للهواء فان ذلك من



أعظم الاسباب لاجداث التهاب الاعضاء والنزلات المتنوعة ، كذلك لا يجوز شرب الماء البارد عقبها ، فان من الناس من مات بسبب ذلك لحصول سكتة قلبية له .  
 وإذا أحس الانسان بتعب منها فالواجب أن لا يأكل الا بعد الراحة فان المعدة تشتبك مع الجسم في التعب ، فاذا وضع فيها الطعام حينئذ فانها لا تقدر على الهضم ، وكثيرا ما يحصل القيئ بسبب ذلك ، وان لم يتقيأ الشخص نزل الطعام الفاسد الى الامعاء فأحدث فيها تهيجا من آثاره المغص والاسهال .  
 ومن الخطأ الكبير الجماع أيضا عقب الرياضة مباشرة فان ذلك يزيد في إنهاك قوى الجسم ، فالواجب أن يتبع الرياضة الراحة أو النوم فان ذلك نافع جدا .  
 ولا يجوز عمل الرياضة الشاقة عقب الاكل مباشرة كما سبق بيانه .  
 والاعتدال في الرياضة ضروري جدا — كما في سائر الاشياء — ومدتها للشبان الاصحاء نحو من ساعة في اليوم نصف في أوائل النهار ونصف في آخره ، هذا اذا كانت بالمشي السريع ، أما اذا كان المشي معتدلا فتكون ساعتين . ومن الامراض ما لا توافقه الرياضة كأمراض صمامات القلب .  
 وأنواع الرياضة عديدة منها المشي ومنها العدو ومنها السباحة وركوب الخيل وغير ذلك ، ولا يتوهم أحد أن المشي لا يكفي ، وكيف لا يكفي وبه تتحرك جميع العضلات تقريبا ويسرع القلب والتنفس .

## النبة الرابعة

في علم الانسجة أو التشريح الدقيق

Histology المستولوجيا

المستولوجيا كلمة يونانية ومعناها [ علم الانسجة ] وبعبارة أخرى علم التشريح الدقيق للجسم ، وقد سبق ذكر أشياء كثيرة منه في النبة الثالثة .  
 وهذا العلم لا يمكن دراسته الا بالمجهر المسمى بالميكروسكوب أي المنظار الدقيق

ليتيسر للإنسان الوقوف على جميع دقائق الجسم  
أما المجهر فهو مبني على الحقيقة الطبيعية الآتية وهي أن الجسم إذا وضع على  
بعد مخصوص من العدسة المحدبة تجمعت الأشعة المنبعثة منه ورسم كبيراً في الجهة  
الأخرى، وهذه الصورة الكبيرة تمكن رؤيتها بالعين المجردة، وقد ترى بعدسة أخرى  
تزداد كبراً، لذلك كان الميكروسكوب عبارة عن أنبوبة معدنية في طرفها عدسة محدبة،  
وكذلك في الطرف الآخر، الآن الغالب أن تكون العدسة التي في الطرف الأول  
محدبة من الجانبين وفي الطرف الثاني محدبة من الجهة الداخلية فقط

وتكون العدستان على أبعاد مخصوصة معروفة في علم الطبيعة، فإذا أريد رؤية  
أي جزء من أجزاء الجسم قطعت منه طبقات رقيقة بالة كاللوسى وتوضع القطعة  
منها على لوح من الزجاج بعد أن تلون بألوان مخصوصة أو بدون تلوين  
ثم يوضع هذا اللوح على حامل في المجهر له ثقب مستدير في وسطه وتحت هذا  
الثقب مرآة لعكس الأشعة لتنفذ خلال القطعة الرقيقة التي فوق اللوح الزجاجي  
فتكبر صورتها بالعدسة الأولى ثم تكبر هذه الصورة بالعدسة الثانية فيراها الإنسان  
كبيرة جداً

وبهذه الآلة يمكن الوقوف على دقائق عالمي الحيوان والنبات وبها اكتشفت  
الميكروبات، فلها الفضل الأكبر في علم الطب الحديث  
فإذا نظر بالمجهر إلى أجزاء الجسم المختلفة وجد أنها تتركب من الأنسجة الآتية: —  
(١) إبيثيلوم [ Epithelium ] وهذه كلمة يونانية معناها الغطاء لأن هذا  
المنسوج يغطي جميع أجزاء الجسم من الظاهر والباطن كما في الجلد وفي قناة  
الهضم وغير ذلك

(٢) المنسوج الضام وهو الذي يربط أجزاء الجسم بعضها ببعض  
(٣) المنسوج العضلي وهو الذي تحصل به الحركة — كما سبق —  
(٤) المنسوج العصبي وهو المخ والنخاع وسائر الأعصاب  
وكما أن جميع المنسوجات كالأقشة مثلاً تتركب من أجزاء دقيقة جداً وهي الخيوط  
كذلك هذه الأنسجة تتركب من خيوط تسمى الألياف، ومن كبل صغيرة جداً

تسمى الخلايا، وبينها مواد تربط الواحد منها بالآخر. وأصل جميع ما في الجسم من الألياف وغيرها ناشئ من الخلايا. فالخلايا في الحقيقة هي عنصر الاجسام الحية نباتية كانت أو حيوانية. إذ من الثابت أن الانسان يتكون من بيضة واحدة، وهي في الحقيقة خلية حية

ففي بعض أجزاء الجسم نجد أن هذه الخلايا منضودة صفوفًا بعضها فوق بعض ويتكون منها الايثيلوم المذكور، وفي الأجزاء الأخرى تمتط هذه الخلايا فيتكون منها العضلات أو الأعصاب أو المنسوج الضام بتغيرات مختلفة تحصل فيها، وقد يتكون في داخلها مواد دهنية فينشأ من ذلك منسوج الشحم

ومن الناس من يعتقد أن ألياف المنسوج الضام كانت خلايا فامتطت — كما قلنا — ومنهم من يرى أنها إفرازات من الخلايا ترسب فيما بينها كما ترسب بعض الاملاح في السوائل والقول بأنها رواسب هو الراجح الآن عند العلماء

أما الخلية فهي الأصل لجميع الأحياء — كما سبق — وتركب من البروتوبلازم<sup>(١)</sup> Protoplasm وهو مادة يدخل في تركيبها جميع ما ذكرناه سابقًا من العناصر التي في جسم الانسان فهي كائنات صغيرة. ففي الماء والزال والدهن والمواد الكربوهيدراتية وأملاح عديدة وغير ذلك. ولها جميع خواص الحياة وهي التنفس والتغذية والإفراز والحركة. وجميع هذه الأعمال يمكن لكل جزء من أجزاء جسمها أن يقوم بها على حد سواء، فثلا التغذية يحصل بجميع جسمها، وفي حركتها ترسل من أي جزء من جسمها أذنانا تتحرك بها كالعجاف. وكلما ارتقت الحيوانات تخصصت بعض هذه الخلايا بعمل مخصوص كما نرى في الانسان؛ فثلا نرى أن الحركة في الانسان خصت بها أعضاء، وكذلك القول في التغذية إلا أن الخواص المذكورة للحياة تبقى لكل خلية وإن لم تظهر فيها ظهورًا بيا، بمعنى أن بعض الوظائف قد يبقى كامنة في الخلايا وتظهر بعض الخواص الأخرى ظهورًا بيا كالاحساس مثلاً فإن جميع الخلايا الحية تحس إلا أن الاحساس في المجموع

(١) كلمة يونانية معناها المكون الأول لاعتقاد العلماء أنها أول مظهر من مظاهر الحياة في هذا العالم

العصبي أظهر بكثير مما هو في المنسوج الضام مثلاً  
وأول الأحياء كانت قطعاً بروتوبلازمية مجردة من كل شيء آخر، وفي  
الأحياء التي أرقى من ذلك يتكون في وسط الخلية بقعة قائمة تسمى «النواة» وهي  
تتغير في تركيبها بعض التغيرات لمواد البروتوبلازم ويصير لهذه النواة التأثير في تغذية  
الخلايا وفي انقسامها فلا يبدأ الانقسام في الخلية إلا إذا انقسمت نواتها وإذا فصل  
جزء منها عن النواة أصابه الفساد، وفي وسط هذه النواة نواة صغرى تسمى النوية  
و يتصلب الجزء الذي على سطح البروتوبلازم حتى يصير كحائط للخلية  
والخلايا تتكاثر بالانقسام وهذا الانقسام يبدأ بانقسام النواة ثم ينقسم  
البروتوبلازم فنصير الخلية الواحدة خليتين، والخلايا التي لا نواة لها لا يكون جزء  
منها مسيطراً على الباقي

ومن الخلايا ما ينقسم داخل الغشاء الكاذب المحيط بالخلية، ومنها ما ينقسم  
مع نفس هذا الغشاء فتال الأول جين الإنسان فإن البويضة تنقسم بدون انقسام  
الغلاف، ومثال الثاني الحيوان المسمى (الأميبا<sup>(١)</sup>) وهو مركب من خلية واحدة  
تنقسم كلها فيصير الواحد اثنين ثم أكثر فأكثر وهو يوجد في بعض المياه الآسنة  
والفرق بين أبسط النباتات وأبسط الحيوانات هو عسر التحديد إلا أنه يمكن  
أن يقال فيه ما يأتي (١) أن خلايا النباتات محاطة بطبقة من مادة السيلولوز وهي  
المادة التي يتكون منها الخشب وتشبه في تركيبها الكيماوي النشاء، ولكن من  
الحيوانات ما فيه هذه المادة أيضاً (٢) في خلايا النباتات الرقيقة مادة خضراء تسمى  
(الكلوروفيل) وهي كلمة يونانية معناها «خضرة الورق» (٣) أن الخلايا  
النباتية تكون - بواسطة الكلوروفيل مع تأثير أشعة الشمس - من بعض العناصر  
البسيطة أجساماً عجبية التركيب مثل السكر الذي تولده النباتات من غاز ثاني  
أكسيد الفحم الموجود في الهواء، والنباتات تولد أيضاً من الاملاح النيتروجينية  
البسيطة - مثل نترات الصوديوم - مواد زلالية معقدة التركيب. أما الحيوانات فلا  
يمكنها هذا العمل وهي تعتمد في غذائها بالمواد الزلالية وغيرها كل الاعتماد على

(١) كلمة يونانية معناها المتغير لتغير شكله دائماً كما سبق في حاشية ص ٢٨

النباتات التي لولاها لهلك جميع الحيوانات  
هذا وقد سبق ان الجسم الانساني كله مولد من البويضة بانقسام نواتها  
وبروتو بلازمها كله، ومن الحيوانات كاللجاجة مثلا ما يتولد بانقسام النواة مع جزء  
صغير مما يحيط بها من البروتو بلازم وتتغذى بالباقي منه  
والايشليوم مركب — كما قلنا — من خلايا مرصوص بعضها بجانب بعض، وقد  
يتكون منها عدة طبقات أو طبقة واحدة كما في ايشليوم البريتون، وفي الجلد طبقات  
عديدة منه، وفي غشاء المثانة تكون الطبقات أقل من طبقات الجلد. وفي بعض أعضاء  
الجسم يكون خلايا الطبقة العليا منه أهداب تتحرك بنفسها وهي عبارة عن زوائد  
ممتدة من نفس البروتو بلازم — كما تقدم —  
أما المنسوج الضام فيراد به أشياء كثيرة، منها أربطة المفاصل وأوتار العضلات  
والعظام والمضاريف والشحم؛ ومن الناس من يعد الدم من المنسوج الضام أيضا.  
وأعظم ما يتميز به العظم عن غيره رسوب مواد جيرية في المادة التي بين خلاياه  
وأما المنسوج العصبي — وهو اللحم — والمنسوج العصبي فقد سبق الكلام  
عليها فلا حاجة الى التكرار. وتبارك الله الذي خلق الخلق في هذه الاطوار

﴿ انتهى الجزء الاول ﴾



## الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة ، ومعلم الحكمة ، وعلى آله وصحبه هداة الأمة ( وبعد ) فقد جعلت هذا الجزء الثاني من محاضراتي خاصا بالكلام على الأحياء التسليقية من ميكروبات وديدان وغيرها وما ينشأ عنها من الأمراض المعدية وأعراضها وعلاجها وطرق إقائها - إلى غير ذلك من المباحث العالية الضرورية لحياة الأفراد والأمم

ولما كانت لغتنا العربية في أشد الحاجة إلى مثل هذه المباحث الراقية التي قتلها الأفرنج بحثا وتمحيصا - لم أقتصر في هذا الجزء على ما ألقى منها على طلبة مدرستنا ( دار الدعوة والارشاد ) بل توسعت فيها بما سيكون إن شاء الله نافعا حتى للخاصة ، ونقلت إلى لغتنا الشريفة أهم ما كتبه الأفرنج في هذه المسائل راجيا بذلك خدمة اللغة والأمة بارشادها إلى ما يجب اتباعه لاتقاء شر تلك الأمراض المعدية التي تقتل كثيرا من الناس في كل يوم ، وتضعف الأمم التي لم تلتفت إلى سنن الله تعالى فيها وأهملتها إهمالا شنيعا

وقد جريت في هذا الجزء على طريقتي في الجزء الأول من التدقيق في التعريب واختيار أوضح العبارات وأقربها إلى تناول جمهور القراء ليسهل على كل مطلع على الكتاب فهم المراد منها ، مراعيًا في كل ما أكتب نصوص الشريعة الإسلامية الغراء وأساليها معصما لها ، وموفقا بين تلك النصوص وبين الحقائق العلمية ، والله الهادي إلى أقوم طريق

## البكتيريولوجيا

Bacteriology

علم الاحياء الدقيقة الخفية

البكتيريولوجيا لفظ يوناني معناه علم البكتيريا . والبكتيريا معناها العصي ( جمع عصا ) ويراد بها غالبا الاحياء الدنيئة النباتية التي أ كثرها مركب من خلية واحدة ، وأما سميت بذلك لكون شكل كثير منها مستقيما كالعصا . ولفظ ميكروب معناه الحلي الدقيق <sup>(١)</sup> والذي وضع هذا اللفظ شخص يسمى سيدلوت Sédillot في سنة ١٨٧٨ م ويطلق على جميع الاحياء الدنيئة سواء أ كانت نباتية أم حيوانية أم في المنطقة التي بينهما . وجهور العلماء يطلقون لفظ ( البكتيريولوجيا ) على علم الميكروبات كلها مع اختلاف أنواعها

أما علم البكتيريولوجيا الحالي فؤسسه الحقيقي هو العلامة لويس باستور Louis Pasteur الفرنسي عاش بين سنة ١٨٢٢ و ١٨٩٥ م واشتغل كثيرا بالبحث في داء السكلب والهيفة ( الكوليرا ) فهذا العلم تأسس في القرن التاسع عشر ، وأما وما كتب فيه من قبل فلم يكن مما يعول عليه كثيرا

ومن نبغ فيه أيضا الأستاذ روبرت كوخ الألماني Robert Koch وكان من أعلم علماء عصره واكتشف ميكروب الدرن وبحث بحثا دقيقا في الهيفة والطاعون ، عاش بين سنة ١٨٤٣ و سنة ١٩١٠

وقد عرف الآن ان الميكروبات هي السبب في أكثر الامراض . والذي هدى الناس الى العلم بهذه الاحياء هو الميجور ( الميكروسكوب ) ، ولكن اختراعه الذي كان في سنة ١٥٩٠ قد سبق علم البكتيريولوجيا بضممة قرون ، ولم يكن في

(١) المنار : اختار بعض كتاب العصر اسم الجراثيم للميكروبات ، واستحسننا من قبل اطلاق اسم الجن او الجنة عليها لخفاها

ذلك الوقت مرتقيا الى حيث يكشف لنا عن أكثر هذه الاحياء الدينية . وأقوى أنواعه الآن ما يكبر الشيء ١٠,٠٠٠ ضعف

### كيفية دراسة الميكروبات

لدراسة الميكروبات توضع على لوح من الزجاج ، ثم تثبت بإحدى الطرق المشهورة في هذا الفن ، ثم تلون بألوان مخصوصة لظهارها جيدا ، وإن كان يمكن رؤيتها حية بدون تلوين . وطريقة ذلك أن يصنع لوح سميك من الزجاج به حفرة صغيرة ( تعمير ) في وسطه ، ثم يؤتى بلوح آخر رقيق جدا وتوضع قطعة من السائل الذي فيه الميكروب على هذا اللوح ثم تغطى الحفرة بهذا اللوح الرقيق ، بحيث تكون النقطة متجهة الى الأسفل أي تكون في تجويف الحفرة المغطاة باللوح الرقيق . ويسمى علماء هذا الفن هذه الطريقة ( بطريقة النقطة المعلقة ) وفائدتها أن تحفظ السائل من التبخر وتوجد هواء محيطا به لتنفس الميكروب ، وبهذه الطريقة يمكن مراقبة نمو الميكروب وحركاته — ان كان متحركا — وغير ذلك

أما المادة الملونة فهي تكون غالبا ما يسمى بالانيلين [ Aniline ] وهي كلمة برتغالية معناها النيلة ، وتلك المادة من مستخرجات قطران الفحم الحجري . وسميت بذلك لأنها صنعت في أول الامر من النيلة التي تستخرج من ورق شجرة معروفة وعيدائها . ومادة الانيلين هذه بتأكسدها يستخرج منها ألوان عديدة كالأخضر والأصفر الخ

### تعريف الميكروبات

أكثر ميكروبات الامراض أحياء بين عالمي الحيوان والنبات ولكنها أميل الى النباتية منها الى الحيوانية ، وهي في الغالب مركبة من خلية واحدة لانواة<sup>(١)</sup> لها ، ومحاطة بغلاف من السللوز<sup>(٢)</sup> ولكنها خالية من مادة الكلوروفيل مطلقا ، ولذلك اختلفت الميكروبات عن النباتات العالية ، فلا يمكنها تحليل غاز ثاني أكسيد

(١) يرى الآن بعض العلماء أنها ليست مجردة من النواة خلافا لما كان قد ذهب اليه الجمهور (٢) كون هذا الغلاف من السللوز فيه نظر ، حتى أنكر ذلك الآن بعض العلماء



الفهم الموجود في الهواء فهي في ذلك تشبه المواد الفطرية المركبة من عدة خلايا نباتية . وأيضاً بعض الميكروبات يمكنها أن تتركب مواد أزوئية عضوية من مثل النوشادر وحامض النيتريك وهي مواد غير عضوية ، فأشبهت بذلك النبات شيها عظيماً وغيارت الحيوان بذلك وبغلافها السلولوزي ، ومنها طائفة تأخذ الأزوت الضروري لها من الهواء

والمواد العضوية منسوبة الى أعضاء النبات والحيوان لأنها تتولد بواسطة هذه الاعضاء ، مثال ذلك غرقى ( زلال ) البيض والسكر وغيره  
وأما المواد غير العضوية فهي التي توجد في الكون بدون واسطة النبات أو الحيوان كالحطام

فقرى من هذا أن أهم مميزات النبات عن الحيوان أنه يمكنه توليد المواد العضوية من المواد غير العضوية مباشرة ، والحيوان لا يمكنه ذلك البتة . وهو في غذائه مضطر الى أكل النبات . ولتوضيح ذلك نقول : يوجد في الارض أملاح نسمى النترات أي يوجد فيها النيتروجين ( الأزوت ) والا كسجين متحدين معا ومع معدن من المعادن كالپوتاسيوم مثلاً ، فإذا صب عليها الماء ذابت فيه فيمتصها النبات ويتغذى بها ويحولها الى مواد زلائية ، وبذلك يمكنها أن تعيش بالاسقلال عن سائر الاحياء الاخرى ؛ وفي الهواء آثار من مادة النوشادر وهي مركبة من النيتروجين والهيدروجين وسهلة الذوبان في الماء فتسحب في ماء المطر وتسقط الى الارض فيتغذى بها النبات أيضاً ويولد منها مواد زلائية

وأما الحيوان فإذا منعت عنه المواد الزلائية فإنه يهلك بسرعة  
وعليه فأصل الوجود الحيواني متوقف على النباتات وهي لاشك خلقت قبله .  
ولنرجع الى ما كنا فيه :

### أشكال الميكروبات

للميكروبات أشكال عديدة أهمها : —

(١) الشكل الباسيلي أي المستطيل ، وكلمة باسيل [Bacillus] [لاتينية معناها

العصية ( تصغير عصا ) وذلك لان ميكروبات هذا النوع تحاكي خطوطا مستطيلة صغيرة جدا ، فاذا قيل باسيل الدرن فعناه عصيات الدرن أي ميكروبه الذي شكله مستطيل

(٢) البزور [Cocci] وميكروبات هذا الشكل كنقط صغيرة ، وهذه النقطة قد يلتصق بعضها بجانب بعض فيتكون منها خيوط تسمى البزور السلسلية [Streptococci] وقد تجتمع ثنائي مثل ميكروب الالتهاب الرئوي والروماتزم والالتهاب السحائي الوبائي والسيلان إلا أن هذا الأخير شكل بزوره كاوي ( أي كشكل الكلية ) وقد تجتمع رباعي ؛ وقد تجتمع على أشكال غير منتظمة فيتكون منها ما يسمى بالبزور العنقودية [Staphylococci]

والبزور المربعة توجد عادة في القيح الناشئ من تمدد المعدة ، والبزور الأخرى السلسلية والعنقودية توجد في الالتهابات والحراجات ونحو ذلك ، وأشدها خطرا البزور السلسلية فانها هي التي تحدث المرض المعروف بالحمرة ، وهو من الامراض المعدية الفتاكة ، وتوجد أيضا في بعض التهابات الرحم العفنة عقب الولادة

(٣) الشكل الخلزوني [Spirilla] وميكروبه يكون دقيقا مستطيلا ملتويا على نفسه كالثعبان ، ومن هذا الشكل ميكروب الهیضة ( الكوليرا ) وهذا الميكروب كثيرا ما يشاهد مقسما الى قطع صغيرة كل قطعة منها تشبه الضمة أو الشولة ، ولذلك يسمونه بالباسيل الضمي [Comma] فاذا اجتمع من هذا الميكروب اثنان مثلا فقد يتكون منهما شكل يشبه حرف (S)

ومن الشكل الخلزوني أيضا ميكروب الزهري وميكروب الحى الراجعة . والجهرور بعد الآن بعض الخلزونيات من نوع الحيوان لان نوع النبات وهو الراجح وبعض الميكروبات لها أهداب [Flagella] تتحرك بها ، فمثلا ميكروب الحى التيفودية له أهداب عديدة تبلغ ٨ أو ١٢ وطول كل منها نحو من ضعف طول الميكروب نفسه ، وهو يتحرك بهذه الأهداب حركة شديدة ، ولضمة الكوليرا هذب أو اثنان في طرف واحد منها ، وكذلك الأشكال الأخرى قد يكون لبعضها أهداب ويقال ان لميكروب الحى الراجعة أربعة أهداب اثنان في كل طرف . ولا

فرق بين طرف وطرف في هذه الميكروبات بل يمكنها أن تسير بأي شأء  
تربية الميكروبات

والميكروبات يمكن تربيتها تربية صناعية ويسمى ذلك في اصطلاح هذا العلم  
«زرع الميكروب» أو إنباته لانها نباتات — كما قلنا —

ومن السوائل المستعملة في تربية الميكروب المرق واللبن والبول ومصل الدم  
وأما المياه الجيدة فقد شوهد أن الميكروبات لا تعيش فيها أكثر من ١٤ إلى  
٤٠ يوما ، وربما كان ذلك لقلة المواد المغذية لها فيها

ويمكن تربيتها أيضا على الجلوتين وهو مادة تستخرج بفلي العظام والأنسجة  
الضامة كالاربطة وغيرها . وكلمة جلوتين إيطالية معناها الدودج ، ويمكن تسمية  
هذه المادة في لغتنا (بالودك) وهي مادة تشبه المواد الزلالية في تركيبها أي انها تشتمل  
على النيتروجين

ومن المواد الصلبة أيضا التي تربي عليها الميكروبات ما يسمى ( بالأجار أجار )  
[Agar - agar] وهو صمغ يستخرج من نباتات بحرية تنبت في الشرق كاليابان  
وجاوة . ومن هذه المواد أيضا البطاطس وغرقى البيض المسلوق ( زلاله )

والميكروبات الموضوعة تحتاج في نموها الى حرارة مثل حرارة الانسان تقريبا  
( أي نحو ٣٥ — ٣٩ ) ولذلك توضع في آلة مخصوصة تسمى آلة التفريخ  
[Incubator] تكون الحرارة فيها مرتفعة الى درجة مخصوصة

ومن الميكروبات ما يحتاج لأكسجين خالص أي غير متعبد بشيء كما في  
الهواء ليستنشقه ومنها ما يضره الأكسجين الخالص ويمنع نموه

وهذه المسألة من أغرب مسائل العلم الطبيعي ، فان الناس كانوا يظنون أن  
الهواء ضروري لجميع الاحياء كضرورة الماء لها وقد ظهر بطلان ذلك ، ومن آيات  
بيان القرآن للحقائق أنه قال ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) ولم يقل في موضع  
مأمته إن الهواء ضروري للاحياء

ومن الميكروبات ما يعيش في الهواء وفي غير الهواء ، وهذا النوع هو والنوع  
الذي يضره الأكسجين يمكن زرعته ( تربيته ) في الفراغ

ومن أمثلة مالا ينمو في الهواء باسيل التيتانوس ، وهو مرض يحدث من دخول هذا الميكروب في أي جرح في الجسم فيصاب الجسم بالتشنج الذي يتبدئ بتقلص عضلات العنق وابتقاض الفكين حتى لا يمكن للإنسان أن يفتح فاه ، ولذلك يسمى هذا المرض بالعرية الكزاز ، وميكروبه يعيش في الطين والوحل والأتربة الخثبثة في الاماكن المظلمة وتعرض هذا الميكروب للهواء يضعفه ويمنع نموه. أما ميكروب الدفتيريا مثلاً ( التي منها الخناق ) فإنه يعيش في الأكسجين وفي غيره

توالد الميكروبات

وأشهر طرائق توالد الميكروبات اثنتان : الطريقة الأولى الانقسام — وهي عامة في الجميع — فتقسم كل خلية منها بالعرض <sup>(١)</sup> الى اثنتين والاثنتان الى أربع وهلم جرا

والطريقة الثانية تكون بتولدحيية [ Squire ] في داخل كل ميكروب وبعدها ينفلق الميكروب وتبقى هذه الحبيبة قابلة للنمو مرة أخرى

وهذه الطريقة تحصل في بعض الأشكال الباسيلية وفي قليل من الخلزونية. والحبيبات تقاوم درجة الغليان ( ١٠٠ سنتيجراد ) لمدة تختلف من خمس الى عشر دقائق ، وهي تقاوم المواد المطهرة كالسليمانى والفنيك مقاومة كبيرة ، ولذلك يجب أن تكون نسبة السليمانى الى الماء أكبر من النسب المعتادة لإبادة حبيبات تلك الميكروبات ، وكذلك يجب إبقاء الشيء المراد تطهيره في المحلول مدة طويلة وطريقة التوالد الأولى تكثر الميكروبات ، والثانية تبقى النوع فقط ولا تكثره

(١) هذا في الميكروبات النباتية أما الحيوانية كميكروب الزهري والحى الراجمة فيقسم بالطول. وفي البيئة الصالحة قد يحدث انقسام الميكروبات مرة في كل عشرين أو ثلاثين دقيقة

## أثارة من تاريخ العرب

في الاندلس

تنبئ عن هدي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وجهه بين الدين والدنيا، ومكانة علماء الدين في عهده، وقبوله منهم الأغلاظ في وعظه، - وعن سيرة قضية العدل وعلماء الآخرة، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يخافون في الحق صولة حاكم، على ورع يزينة ظرف ولطف، ودعابة لامهانة فيها ولا سخف، يمثل ذلك كله في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان للقاضي البلوطي في كتابه مطمح الانس، ومسرح التأنس، في ملح أهل الاندلس. قال عفا الله عما تكلف من إبداع، وما صنعه من اسجاع:

( الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى )

اية حركة في سكون، وبركة لم تكن معدة ولا تكون ا واية سفاهة في علم، وجهامة ورع في طي تبسم اذا جد تجرد، واذا هزل نزل، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب، ولا اكنسب إنما ولا احقرب؛ ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن، وناهيك من عدل أظهر، ومن فضل اشهر، ومن جور قبض، ومن حق رفع، ومن باطل خفض؛ وكان مهيبا طيبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم. واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله، ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي، بعد ان استغنى مرارا فما أعني، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور، ولا عدت عليه في حكمته زلة. وكان غزير العلم كثير الادب، متكلم بالحق، متبينا بالصدق، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الاهواء والبدع؛ وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا. ولد سنة ثلاث وعشرين ( ومائتين ) عند ولاية المذنب بن محمد. وتوفي يوم الخميس ( المنار: ج ٧ ) ( ٦٨ ) ( المجلد الثامن عشر )

اليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

﴿ومن شعره في الزهد﴾

كم تصابى وقد علاك المشيب	وتعاضى عمدا وانت اليب
كيف تلهو وقد أتاك نذير	ان يوم الحام منك قريب
ياسفيا قد حان منه رحيل	بهذا لك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارقتها	لا يداويك ان أتتك طيب
كم تراني <sup>(١)</sup> حتى تصير رهينا	ثم تأتيك دعوة فتعجب
بأمور المصاد أنت عليم	فاعلمن جاهدا لها يارتب
وتذكر يوما تحاسب فيه	ان من يدك كرفوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا	الغنايا عليك فيها رقيب

#### الخطابة في الاحتفالات الرسمية

وذكر ان أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه ، ان الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، وانهر أمره ، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده ، ووصف ماتمياً له من توطد الخلافة ورمي الملوك بأمالها ، وتقدم الى الامير الحكم ابنه باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه امام نشيد الشعراء ،<sup>(٢)</sup> فتقدم الحكم الى أبي علي البغدادي<sup>(٣)</sup> ضيف الخلافة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ان يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم اقتطع ، وبهت فواصل الاقطع ، ووقف ساكناً متفكراً ، وتشوف لاناسيا ولا منذ كرا

(١) كذا وربما كان الاصل « كم توانى » (٢) يعلم من هذا أن عاداتهم في الاحتفالات كمادة أهل هذا الزمان في الخطابة . وكان منظم هذا الاحتفال الحكم ولي عهد الخليفة (٣) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم الغريب عن البلاد على أمثاله من أهلها اذا كان أهلاً وان كان تابعاً للحكومة أخرى ، ولا يكون مثل هذا في مصر الآن ، لان التخصيب للبلاد أضعف وحدة الأمة

## ارتجال العلماء الخطابة حتى في السياسة

فلما رأى ذلك منذرين سعيد قام بذاته ، بدرجة من مراقته ، فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب ، ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل محب ، وقال : اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال ، وليس يمد الحق الا الضلال ، واني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصفوا لي بأسماعكم ، وامنوا علي بأفئدتكم ، معاشر الملا ! ان من الحق ان يقال للمحق صدقت . وللمبطل كذبت ، وان الجليل تعالى في اسمائه وتصدق بصفاته <sup>(١)</sup> أمر كريمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ان يدكر قومه بنعم الله عز وجل عندهم ، وأنا اذ كركم نعم الله تعالى عليكم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي امننت سربكم ، ورفعت خوفكم ، وكشمت قليلا فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولاه الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، واحاطت بكم تشمل النفاق ، حتى صرتم في مثل حذقة البعير ، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدتكم بخلافته من الشدة بالرخاء ، واتقلمت يمين سياسته الى كنف العافية بعد استيطان البلاء ، ناشدتكم بامعشر الملا ! ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والاموال متبهة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثنور المسلمين مهتزمة فجها ونصرها ؟ فازكروا آل الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته ، حتى اذهب عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يداعلى عدوكم بطوية خالصة ، وبصيرة ثابتة وافرة ، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات ، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات ، وصارت وفود الروم وافدة عليكم ، وآمال الاقصيين والادنين اليكم ، يأتون من كل فج عميق ، و بلد سحيق ، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا . وان يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة ، دليلها قائم ، وغيبها عالم ( وعاد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليجنكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،

(١) لعل الاصل وتقدس بصفاته

وليبدلهم من بعد خوفهم امانا ) وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارتياب ،  
ولكل نأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وسأله  
المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة  
والسداد ، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم ،  
بالمناصحة لآمالكم ، والتزام الطاعة لخلافتكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن  
من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة ، وفر من الديانة ، فقد خسر الدنيا  
والآخرة ، الا ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه  
من ضروب الشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم ، وتفريق  
ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين  
والمرسلين ؛ أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين . وأنشد يقول

مقال كحد السيف وسط المحافل	فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترتقي جنباته	كبارق رعد عند نقش الاناصل
فا دحضت رجلي ولا زل مقولي	ولا طار عقلي يوم تلك البلايل
بخير امام كان أو هو كائن	لمقبل أو في العصور الاوائل
وقد حذقت نحوي عيون إخالها	كمثل سهام اثبتت في المقاتل
ترى الناس أفواجا يؤمون داره	وكلهم ما بين راض وآمل
وفود ملك الروم وسط فئاته	مخافة بأس أو رجاء لسانل
فعض سالما اقصى حياة معمر	فأنت غياث كل حاف وناعل

فقال العليج: هذا والله كبش الدولة. وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه،

وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه

خطبة ارجالية قربت عالما من الخليفة

وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه واقبل على ابنه الحكم ولم يكن  
يثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال الحكم : هذا منذر بن سعيد البلوطي ؟  
فقال والله لقد أحسن ما أنشأه <sup>(١)</sup> ، وإن ابقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع

(١) لعل الاصل : أحسن ما شاء



يدك يا حاكم واستخلصه وذكرني بشأنه، فلما لصنعة مذهب عنه، فلما انتهى الناصر الى الجامع بالزهراء، ولله الصلاة فيها والخطبة، ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بترطبة وأقره على الصلاة بالزهراء

#### جهر القاضي بانكار اسراف الخليفة

وكان الخليفة الناصر كلما بهارة الارض، واقامة معاملها، وتكثير مياهها، واستجلاها من ابعاد بقاعها، وتحليلد الاستكر الدال على قوة ملكه، وعزة سلطانه وعلوهته، فافضى به الاغراق في ذلك الى ابتناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الدائم خبره، المنشرف في الارض أثره، واستفرغ وسعه في تمجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها؛ فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذوه، فاراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التأنيب، ويقص منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطابة، والتذكير بالانابة

فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى ( أتنبون بكل ريع آية تعبثون \* وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون \* وإذا بطشتم بطشتم جبارين \* فاتقوا الله وأطيعون \* ) واتقوا الذي أمركم بما تعبدون \* أمركم بأنعام وبذنات وعبون \* ) أي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ) ووصل ذلك بكلام جزل، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على لسانه بحره، وأفضى في ذلك الى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والاسرف في الانفاق عليه، فخرى في ذلك طلقا، وتلا في ذلك قوله تعالى ( أفمن أمس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين \* ) لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ) وآتى بما شاكل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء الى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية والخض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب في الآخرة وبقاها، والتقصير عن طلب الدنيا، ونهي النفس عن اتباع الشهوات، وتلاذد القرآن العظيم ما يوافق، وجاب من الحديث والاثم ما يشاكله، ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا، وضجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء الى الله تعالى

فعلم انطليقة أنه المقصود به، والمتعمد بسببه، فاستجدي وبكى، وندم على ما سلف منه من فوطه، واستعاذ بالله من سيخطه، واستعصمه برحمته؛ إلا أنه وجد على منذر بن سعيد اللفظه الذي قرعه به، فشكا ذلك الى والده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وأسرف في ترويعي، وأفراط في ترويعي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصيأتي عن توبيخه، ثم استشاط، وأقسم أن لا يصلي خلفه الجمعة ابدًا، فقال له الحكم: وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به؟ فزجره وانتهره، وقال: أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشده، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، واني لاستحيي من الله تعالى أن لا أجعل بيني وبينه شفيعا في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد، ولكنه وقد نفسي وكاد يذهبها والله لوددت أن أجده سييئًا لا الى كفارة يعني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبدًا.

وعذله قوم من اخوانه لتسكينته ارجل كان يسبه فقال :

لا تعجبوا من أنني كنيته      من بعد ما قد سبنا وهجانا  
فإنه قد كنى أبا لهب وما      كناه الا خزية وهوانا  
﴿ ومن قوله في الزهد ﴾

ثلاث وستون قد حزنها      فإذا تؤمل أو تنظر  
وحل عليك نذير المشيب      فما ترعوى بل وما تزدجر  
نمر لياليك مرًا حثيثا      وأنت على ما أرى مستمر  
فلو كنت تعقل ما ينقضي      من العمر ما اعتضت خيرا بشر  
فإلك لا تستعد إذا      اذار المقام ودار المقر  
أترغب في فجأة المنون (؟)      وتعلم ان ليس منها وزر  
فاما الى جنة أزلقت      واما الى سقر يستقر

استسقاء القاضي بالناس مع الخليفة

وقبض الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر

القاضي منذر بن سعيد بالبروز الى الاستسقاء، فذهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تغللاً وأناة واستجداء ورهبة، واجتمع الناس له في مصلى بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانع القصر المشرفة ليشرك الناس في الدعاء الى الله تعالى والضراعة - فلما سرح طرفه في ملائ الناس وقد شغصوا اليه بأبصارهم قال :

يا أيها الناس - وكررها مشيراً بيده في نواحيهم - ثم قال ( سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصبح فانه غفور رحيم - أتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد \* ان بشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الاصوات بالاستغفار والتضرع الى الله تعالى بالسؤال والرغبة في ارسال الغيث ، ووصل الحال <sup>(١)</sup> ومضى على تمام خطبته فافزع النفوس بوعظه وانبعث الاخلاص بتذكيره ، فما أتم خطبته حتى بلّاهم الغيث

وذكروا ان الخليفة الناصر ادين الله جاء غداة ذلك اليوم، فخره للخروج وذكر له عزمه عليه، والسابقون متسابقون الى المصلى، فقال للرسول - وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه: يا ليت شعري! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا؟ فقال له مارأينا قط أخشع منه في يومنا هذا انه لمتبذحائر منفرد بنفسه لابس أخشن الثياب مقترش التراب، قد رمى به على رأسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني؟ <sup>(٢)</sup> قال فتبهرل وجه القاضي منذر بن سعيد عند ما سمع من قوله، وقال يا غلام! احمل المطر <sup>(٣)</sup> معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء، وكان كما قال فلم تنصرف الا عن السقيا

(١) لعل الاصل: ووصل الكلام (٢) إنما لم يقل وانت أرحم الراحمين مع كونه المناسب لتمام الاستسقاء، لأن مراده ان تعذب الرعية بذنبي اذا انا حاكمهم، وانت الحاكم علي وعليهم، لو شئت ان تعاقبني على ذنوبي فيهم لتعلمت، واذا عاملتني بالرحمة والفضل فالرعية أولى بذلك. هذا مراده قطعاً  
(٣) المطر الغوب الذي يتقى به المطر

\*

## استغلال القضاء وإثارة القاضي مصلحة اليتيم على رغبة الخليفة

قال وكان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في أحكامه والهابطة في أفضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما يجري على يديه، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه. ومن مشهور ماجرى له في ذلك قصته المشهورة في إيتام أخيه نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية. وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نساؤه تكرم عليه، فوقع استعسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخيه نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة له من قيمتها بعدد ما طابت به نفسه، وأرسل ناسا وأمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بامر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجه - منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد<sup>(١)</sup> ومنها الغبطة<sup>(٢)</sup> فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع، واما الوهي فلايس فيها، واما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما يستبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع والأفلا. فنقل جوابه هذا إلى الخليفة فأظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن تراخي رغبته فيها، وخاف القاضي أن تبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سورتها، فأمر وصي الأيتام بقبض الدار وبيع ألقاضها ففعل ذلك، وباع الألقاض وكانت لها قيمة باكثر مما قومت به للسultan، فأنصل الخبر به فمز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي وقال له: أنت أمرت بقبض دار أخيه نجدة؟ فقال له نعم، قال له وما دعائك إلى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيها وكان وراءهم

(١) الضعف كأن تكون الدار متداعية (٢) الغبطة تتحقق بما فيه مصلحة الأيتام وهو الزيادة على ثمن المثل

ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فبقومك لم يقدرها الا بكذا وبذلك تعلق وهك  
 فقد نص في انقاضها أكثر من ذلك<sup>(١)</sup> وبقيت الدار والحمام فضلا. ونظر الله  
 تعالى للايتام. فصبر الخليفة على ما أتى من ذلك، وقال نحن أول من اتقاد الى الحق  
 فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا  
الوقار والديانة، مع الظرف والدعابة

قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من  
 لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه شرة ثار عليه ثورة الاسد الضاري  
 فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم  
 مع أينا للافطار بداره البرانية فاذا بسائل يقول يا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا  
 من عشاءكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة، وأكثر من ذلك. فقال  
 القاضي ان استجب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد  
 وحكى عنه قاسم بن أحمد الجيني انه ركب يوما حيازة أرض محبسة في ركب  
 من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي، قال فسرنا نفقهوه وهو  
 أمانا وأمامه امامه يحملون خرائطه<sup>(٢)</sup> وعلى ذويه السكينة والوقار، وكانت القضاة  
 حينئذ لا تراكب ولا تمشي<sup>(٣)</sup> فعرض له في بعض الطريق كلاب مستوحجة وهي تلعق  
 منها وتدور حوله، فوقف وصرف وجهه الينا وقال: ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب  
 بالهن الذي تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك!! ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا  
 وبقينا متعجبين من هزله  
 وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة

(١) يريد ان الذي قوم الدار للخليفة حبابه وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي مع  
 أن نمن انقاضها وحده قد زاد على ذلك، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الايتام  
 (٢) لمل أمهله: وأمامه خدمه الخائض والخرائط أوعية من الجلد أو غيره لها عرى  
 تشد وتر بط على ما يوضع فيه من المتاع واحدها خريطة  
 (٣) أي كانوا يقتدمون الناس فلا يركب ولا يمشي معهم أحد مساويا لهم  
 (المنار: ج ٧) (٦٩) (المجلد الثامن عشر)

ماء طائفة ، وسط روضة ناعمة ، في يوم شديد الوهج ، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا إلى الخليفة من وهج الحر الجهد ، وبث منه ما يتجاوز الحد ، فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه ، ففعل ولم يطفى ذلك مابه ، فقال له : الصواب أن تغمس في وسط الصهريج انفاست يبرد بها جسمك ، ولم يكن مع الخليفة إلا الحاجب جعفر الخادم الصقلي أمينه والحكم لأربع لهم ، فكانه استحيا من ذلك ، وانقبض عنه وقارا ، واقصر عنه إقصاء ، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهريج ليسهل الأمر فيه على القاضي ، فيادر جعفر لذلك وأتى بنفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة ، فجعل يحول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي إلا انفاذ أمر الخليفة ، فقام وأتى بنفسه خلف جعفر ، ولاذ بالقعود في درج الصهريج ، وتدرج فيه بعض تدريج ، ولم يتبسط في السباحة ، وجعفر يمر مصعبا ومصوبا ، قدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم — فهو يعجزه في إخلاذه إلى القعود ، ويماتبه بإلقاء الماء عليه ، والاشارة بالجذب إليه ، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه ، إلى أن كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتقفز معه ، وتثقل صنعه ، فمن أجلك نزل ، وبسبك تبذل ؟ فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هو جل<sup>(١)</sup> معه وأنا بهذا الهوجل الذي معي يمقلتي ويمعني من أن أجول معه بحاله . فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تمريره لجعفر ، وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف . وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع وصلهما بصلات سنية تشا كل كل واحد منهما

وذكر أن الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني أنك لا تجتهد للايتام وإنك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم . قال نعم وإن أمكنهم . . . أمهاتهم لم يعفوا عنهم ؟

(١) الهوجل النحور الثقول الذي ترسى به السفينة ، وفي العبارة من حسن الاستعارة ونزاهة التمرير ما نرى ، هذا وقد خجل منه الحاجب وغضب حتى أنه لم يملك لسانه أن سب القاضي والأشراف على مسمع من الخليفة ! وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة وبعدم عن الجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الاعجمي الاصل في فهم اللغة العربية .

قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن احاذني على اللوثوي وأبي  
ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع الا خيرا  
إنكار القاضي على الخليفة وأنصاف الناصر وقوة دينه

ومن اخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في إنكاره عليه  
الاسراف في البناء — ان عبد الرحمن كان قد اتخذ الى السطح العتبة الصغرى التي  
كانت ماثلة الى الصرح الممرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بان له قرامد ذهب  
وفضة أنفق عليها مالا جسيما وجعل سقفا صفراء فاقعة ، الى بيضاء ناصعة ، تسلب  
الابصار بطارح أنوارها المششعة ، وجعل فيها اثر إتمامها لاهل مملكته مشهرا فقال  
لقرباته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مقتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع  
ما يتصل به من البدائع الثلاثة : هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا أو  
قدر عليه ؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين ، انك لأوحد في شأنك كله ، ولا سبقك  
في مبتدعاتك هذه ملك رأياء ولا انتهى إلينا خبره ، فابوجه قولهم

وبينا هو كذلك سارضا حاك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكسا  
ذقنه ، فلما أخذ محله قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه ،  
فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيتيه ، وقال والله يا أمير المؤمنين ما ظننت  
ان الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكن ،  
مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى أنزلك منزل الكافرين !! قال فاقشعر  
عبد الرحمن من قوله ، وقال انظر ما تقول ! كيف أنزلني منازلهم ؟ قال نعم أليس  
الله تبارك وتعالى يقول ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن  
ليبوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون \* وليبوتهم أبوابا وسررا عليها  
يتكئون ) قال فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيتيه خشوعا لله  
تبارك وتعالى ، ونادى اليه ، ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي  
خيرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو والله  
الحق . وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنفض سقف القبة وأعاد  
قرامدها ترابا اه

## المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية<sup>\*</sup>

الكلمات المبدوءة بهذا الحرف **هـ** وهونسر يقرأ ألفا أو كسرة أو همزة أو واوا وهذا الأخير نادر  
 أب — أبأ وأبابةً وأباباً : اشتاق إلى الشيء. قالوا « أبٌ لِّي لِمثك »  
 أي اشتاق قلبي إلى رؤيتك (قرطاس رند لوحة ١٢ سطر ٢٢) ومنها  
 ابابة — قصد

أبَحَ — يقابلها في العربية عَبَقَ لأن الخلاء تنوب عن القاف والكاف ،  
 فيقولون خَبَّ وَكَبَّ لكف اليد : عبق المكان بالطيب انتشرت رائحته  
 فيه ، فيقال في المصرية « أَبَحَ شَمَامَتَا » أي عبق وانتشر كل ما يشم من  
 الروائح الطيبة . عبق به : لرق ، وقالوا « عبق المعبود متوفي حذتك » أي  
 لمحك . و « عبقت المشاة بالمشاة » أي التصقت والتحمت (عن حجر الملك  
 يعنخي الزنحي) وعبق بالمسكان : أقام ، نحو قولهم « عبق الأَرْضَانِ في عيشة  
 الملك السليمة » أي بقي القطران وهما الوجه القبلي والبحري في عيشة راضية  
 أَبَحَ — يقابلها في العربية أَبَقَ : هرب ، قالوا « تَأَبَقُ مَطْوَلُ الرَّئِثَةِ »  
 أي تأبق حال كونك مطولا الخطوة في سيرك (عن نقوش الملك تيتي)  
 آبدة — ج أوابد وهي الطير المقيمة بأرض شتاها وصيفها ، يكثر

(\*) مختارات من معجم أحمد كمال بك الأثري المصري للغة المصرية القديمة فما وافقت فيه اللغة العربية بالنص أو ضرب من القلب والاببدال، فالكلمة الأولى من هذه الكلم المرتبة على حروف المعجم هي المستعملة في النصوص المصرية القديمة مما هو عربي فإن كان فيه قلب أو إبدال يذكر بعده الأصل العربي ، وما بعد التقطتين هكذا : تفسير لما قبلهما



ذكرها في النصوص المصرية ولا سيما فيما كان على صفايح القبور. ومنه قولهم «آبد دَيْصَة» أي سمينَة، و«آبد مائية» والاثريون يصرفونها إلى جماعة الطير اذ وجد بجانبها رسم طيور متنوعة اتباعا لقاعدة الخط عندهم، لأن كل اسم جنس يرسم بعده بعض أنواعه للدلالة عليه، مثال ذلك كلمة حَمَس - وأصلها في المصرية حمت لأن التاء تنوب عن السين - واحده حَمْسَة اسم لدواب البحر، فترام يرسمون بعده ثلاث سمكات متنوعة، كما أنهم يرسمون بعد كلمة «أعضاء» بعض أجزاء الجسم. وبعد كلمة «كراع» - وهو السلاح في اللغتين - بعض أنواع الاسلحة وهلم جرا - آبي - قيل عنه في كتب اللغة العربية انه اسم للأسد، وصوابه النمر لوجود صورة هذا الحيوان مرسومة بعد الكلمة في النصوص المصرية

أنا - عتعتوا: استكبر وجاوز الحد

أث - وبالربية أث أنا وأثونا وأثانة: التف وكثر. ويقال لها

بالقبطية أنا

أف - وبالربية عطاف ج عُطَف وأعطَفه: السيف (عن العدد ١٣٧٧ من الجزء الأول من كتاب الجغرافية)

أجاب - والقبطية أجَب - وجب وجوبا: سقط ومات؛ وأصل الوجوب السقوط والوقوع. والوجبة السقطة

أجاب - أجابة وأجاب جوابا: رد الجواب (عن لوح قبر موجود في متحف مدينة مَينِيخ)

أجر - وأجراء وأجرية واحده جرؤ - وهو ولد الكلب

إجانة - ج أجاجين هو صركن من خشب، ومنه قولهم «إجانة

ماء تحمد اللوب « أي الظمأ ( عن قرطاس پريس اللوحة ١ والسطر ٥ )  
 آخ . أش — مقلوبة ومحرقة عن شيء بالعربية ( عن قاموس بروكش  
 الجزء ١١ والصفحة ١١٧ والجزء الخامس الصفحة ١٢ ) وفي الغالب  
 يقولون : خ — أو — ش بالامالة بمعنى شيء

اخ — وفي العربية آق عليهم أو قاً : أ تاهم بالشؤم فيقولون « معت  
 (أي العدل) يؤخ عليك لو مشى عن سأوه »<sup>(١)</sup> والمعنى : لو حاد العدل  
 عن وطنه لآق عليك أي لأتاك بالشؤم ( عن شكايه الفلاح الصحفية ٩٢ )  
 اخط — وفي العربية خطا خطوا واختطى ( عن قرطاس في متحف فينا )  
 أخط — ويقابله في العربية خطّ خطا : رسم . وخط : كتب ويقال  
 بالمصرية خطّ أيضاً وهو الأكثر في آثارهم<sup>(٢)</sup>

أخف — قفية : طعام، ومثلها قفية ج كفى  
 أدأبه — لغة في أتأبه : أغضبه ( عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١ )  
 أد — الرجل في الارض أدأ : ذهب وسار سيرا شديدا ( عن رحلة  
 أسنوهيت الصحفية ٤٤ )

أذا — ابذاء : أضرّ ( عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١ )  
 أر — ألؤ : البعيدة المرعى . ويقال انها عين واحد العليين وهو اسم  
 لأعلى الجنة ، وفي المصرية تكتب بالراء وباللام ( عن نقوش هرم أناس  
 السطر ٥٨٨ )

( ١ ) المنار : في هذه الجملة المصرية ثلاث كلمات عربية وهي يؤخ المحرف عن  
 يؤق ومشى والسأ وهو الوطن ( ٢ ) علم من هذه الأمثلة ومما سيأتي ان معتل  
 العين أو اللام وكذا القاء أو المضاعف بالعربية يقلب حرف العلة أو المضاعفة فيه  
 بالمصرية همزة وينقل الى القاء ان لم يكن هو القاء

أرجا — أرجاء جمع رجا وهو الجانب والناحية ، وبالقبطية أفريجو  
(راجع قاموس بيتره الصحيفة ٣ نقلا عن كتاب باريس)

أرض — ج أرضون وأروض وأراض

أرف — (وتكتب عند المصريين بالعين أيضا لأن الالف عندهم  
تنوب عن العين) عَرَفَ يقال أَرَفَ الحبل أي عقده . ويقرب منها في  
العربية أَرَبَ العقدة : شدها لان الباء تنوب عن الفاء. ويقابلها في القبطية  
أَرَفُ . أَرَبُ (عن نقوش منتوحيتب  
أراق — وريق : أسال وأهرق

اسد - ويقابلها في العربية زأد — فهي مقلوبة وسينها زاي — رَأَدًا  
وزؤدا : أفرع (عن نقوش هرم أناس السطر ٣٧٩) ويقابلها في اللغتين  
شَمَف وجَأَف : خاف . وهاد في الشيء هيدا أفرع وأكرب . وحذر :  
أرهب . كلها ألفاظ عربية ومصرية

أسن — هي مقلوب ساء سأوا : عدا . وسأي يسأي سأيأ : عدا في  
المشي (عن نقوش هرم ييني السطر ٢٩٦)

أس — أسًا : سلح (عن قرطاس برلين الطبي ٢٦١٩) وساحَ أيضا  
كلمة مصرية وعربية كالألفاظ أخرى بمعناها

أسي — : خرنى الدار أي متاعه (عن نقوش إدفو)

آشى — أوشى المكان : ظهر فيه وشي من النبات

أشى — وبالعربية عشا وعسى الليل : أظلم واغشى يغشي : اظلم

أصب — وبالعربية قَصَبَ عَصَبًا : احمَرَّ في النار (عن كتاب

الموتى)

اطاب - للضيف إطابة : قدم له طعاما طيبا ( قاموس ليني الجزء ٨ ص ١٢ )

إطل - وإطال - وإيطل : الخاصرة ، الجنب . قال امرؤ القيس في وصف ناقته \* لها أَيْطَلَا ظبي وساقا نعامه \*

افا - مقصور . وبالعربية فاء فيثا : اخذ الغنيمة واغتنمها ( عن جريدة السيتشرقت لسنة ١٨٧٢ ص ٢٥ )

أفت - أبت الشمس وآفت لغة في غابت ( عن قاموس بروكش الجزء ١ ص ٧ )

أف - أوفًا : اضرّ وافسد

أفیه - كثير الاكل ، وبالعربية فية وفيهة . والفوه النهم الذي لا يشبع ، واستفاه الرجل اشتد اكله بعد قلة يستفيه في الطعام والشراب ( راجع قرطاس پريس اللوح ١ ص ٨ )

أفح - وبالعربية اوكح : حفر ( عن قرطاس ايرس الطبي عدد ٢ اكهي - حجر لاصدع فيه

افس - عكس . قلبت عينه همزة ونفخت كافه فصارت قافًا . يقال بالعربية عكس البعير اذا شد حبلًا في خطمه الى رسغ يده ليسنزل . وعكس الخيل اقدعها ( عن تابوت سيني المحفوظ بمتحف لندرة )

أق - عج . يقال : عجت المرأة صبيها عجا لغة في عجته عجوا ، اي اسقته اللبن . ورسم بعد الكلمة امراة ترضع ابنها

اكن - الشيء - وكنه كئنا وكئونا وكئنه : ستره في كنه وغطاه وأخفاه وصانه . واكتي : استتر ( عن نقوش الملك يبي الأول السطر

(١٤٦) ومنها الكَنّ وجمعه أكنان واكنة  
 أكَ: ضاق صدره؛ ومنه قولهم «أَكَ لَهُ وَخَسَى حَزَهُ» أي ضاق  
 صدره ونقص لحمه (عن ورقة پريس اللوحة ٨ والسطر ١٢)

ألب - ولبّ لبّاً أقام (عن ص ٣؛ من رحلة سنو هيت لماسيرو)  
 أَلَقَ - وثألت: لمع وفي المصرية تكتب بالراء أيضاً (عن جريدة  
 مجموعة أعمال العاديات جزء ٥ صحيفة ٩٤)

أَلِكَة - وبالقبطية أليكو وبالمرية عَلِيقُ عَلِيقَى: نبت يتعلق بالشجر  
 (عن القرطاس الثاني السحري)

أَل - أَلَة أَلَاءٌ: طعنه بالآلة أي الحربة (عن قرطاس اسوريس  
 بمتحف فينا)

أَمَأ - (بين القوم): أفسد، مقلوب مأي مأيًا ومأوآ (واوي يائي  
 بالمرية) (عن رحلة سنو هيت السطر ١ من الصفحة ٢ لماسيرو)

امر - الشيء: شده بالمرار وهو الحبل. وبالقبطية مُور  
 أماء - ماه الشيء وأماهه: خلطه، كلمة تذكر كثيرا في قراطيس الطب  
 القديمة فيقولون: «يُنْحَزُ ويماء في المروخ» أي يُصْحَنُ في الهاون<sup>(١)</sup>

أَمِي - عمي يعمى: ذهب بصره كله من عينيه، قلبت العين همزة  
 أنأى - إناء أبعد (عن القرطاس السحري السطر ٧ من ظهره)  
 أنأى ونأى واتأى - حفر أو عمل النؤيا أي الحفرة (عن نقوش  
 مقبرة في الكاب)

(١) نَحَزُ الشيء دقه بالمنحاز وهو الهاون، والمروخ (كصبور) ما يبرخ به البدن  
 من دهن وغيره

أَهْد - وفي العربية هود تهويداً : رجع الصوت في لين . وغنى (عن تنية قاموس ليني ج ٢)

أَهْد - وفي العربية هَدَّ البناء هَدّاً وهُدوداً هَدمه : ويقال هَدمته المصيبة أي أوهنت ركنه (عن كتاب نافييل في إبادة الجنس البشري بالشمس) اهط - وهط وفي العربية وهط : الأرض المطمئنة التي تزرع . (عن نقوش معبد دندره)

أَهَّ - أَهَّاءَ وَهَّاءَ : توجَّع (عن نقوش دندرة وقرطاس باريس - السطر ١ من اللوح ١٥)

أَوْقَم - وقم الرجل ووكه : قهره وأذله، وحزنه أشد الحزن فهو موقوم . ووكم له : اغتم وجزع (عن جريدة السيشرفت لسنة ١٨٧٨ الصفحة ٤٩) ومنه قولهم « أقوال موكمة لاختلال سخت »<sup>(١)</sup> آوى - (الانزل أو الى المنزل) وغيره أويّاً نزل به ولجأ اليه . وتأوى .

اجتمع (عن قرطاس برلين اللوح ١ ١/٩)

إي - حرف جواب بمعنى نعم ( يقع قبل القسم في العربية ) ويقال به في اللغة العامية (إيو)

أَيَّا - تَأَيَّا (المتعدي بعلى) : انصرف في تَوَدّة (عن نقوش الملك مرنرع السطر ٧٤٨)

أَيْلٌ - وَأَيْلٌ : الأيل (وبالقبطية إيلول) وهو الحيوان المعروف الذي يشبه الوعل

(١) سخت معبودة من معبوداتهم

## الخطب الدينية

اشتغالنا بآقتادها واصلاحها

قد كان مما وفقنا الله تعالى له في أثناء الاشتغال بطلب العلم انتقاد خطباء المساجد ودواوينهم التي يحفظون خطبها ويقرؤونها على المنابر غيباً أو في الاوراق المخطوطة او المطبوعة؛ فان كل هذه الخطب أو جلها في ذم الدنيا والزهيد فيها والتذكير بالموت ومدح الشهور والمواسم حتى المبتدعة منها، وأكثر ما فيها من الاحاديث ضعيف أو موضوع، وقد عقدت في كتاب (الحكمة الشرعية) الذي ألفته في ذلك المهد فصلاً طويلاً في الخطابة بينت فيه حكمتها ومنفعتيها وكيفية تحصيل ملكة الارتجال فيها، وما ينبغي أن تشتمل عليه الخطب الدينية في المساجد، وأنشأت عدة خطب خرجت فيها من المضيق الذي حبس خطباءنا فيه أنفسهم، واخترت لاحد الخطباء أحاديث صحيحة وحسنة لديوان أنشاء عزوتها الى مخرجيها فكان أول خطيب سمعناه في بلادنا يلتزم الاحاديث الصحيحة والحسنة في خطبه معزوة الى مخرجيها، على ان التزام الاحاديث في آخر الخطبة غير واجب ولا مسنون، بل هو عادة ينبغي تركها أحياناً لئلا يظن أنها مشروعة فيكون الالتزام من البدع التي سماها صاحب الاعتصام البدع الاضافية

ثم اننا بعد انشاء المنار نوهنا فيه بهذه المسألة مراراً، واتفق لنا أن خطبنا في بعض المساجد خطباً مرتجلة مناسبة لحال عصرنا موافقة لما كان عليه سلفنا الصالح فكان هذا وذاك باعثاً لكثير من محبي الاصلاح

على مطالبتنا بإنشاء خطب اصلاحية تنشر في المنار عسى أن يقتبسها أو يقتبس منها الخطباء، فلم نجيبهم الى ذلك لاعتقادنا ان الغرض منه لا يتم الا اذا جاء من جانب السلطة الرسمية

مثال ذلك أننا أنشأنا خطبة في الاقتصاد في المال وقضاء الدين اقترحها علينا الشيخ علي يوسف وأخذها منا . ثم علمنا انها نشرت في القطر بأمر الحكومة بعد استحسنان شيخ الازهر وإجازته .

وكنا قد مهدنا السبيل الى مثل ذلك في ديوان الاوقاف ولكن علمنا أنه لا ينفذ الا اذا اقتنع به الامير واجب تنفيذه ، فكنا ننتظر الفرصة لعرض ذلك عليه واقناعه به ولم تسنح لنا ، ثم شرعنا فيما هو خير من ذلك اصلاحاً وهو مدرسة الدعوة والارشاد التي يتربى فيها الخطباء المرتجلون ، ولا تزال نعاني في هذه السبيل من تمهيد العقبات ، ومكافحة الحساد واعداء الاصلاح ، ما نرجو أن ينتصر فيه الحق على الباطل والاخلاص على النفاق

#### ديوان خطب المصلح القاسمي

اطلنا في هذه الايام على ديوان خطب عالم الشام صديقنا المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي تغمده الله تعالى برحمته ، وكان أهدي لنا مطبوعاً منذ اعوام فلم يتح لنا التأمل فيه ، فرأيناه أفضل ما نشر من دواوين الخطب ، بخلوه من البدع والخرافات ، ومن الاحاديث الواهية والموضوعات ، واشتماله على الموعظة الحسنة التي يحتاج الناس اليها في جميع الاوقات ، ولو كان للخطابة والتأليف حرية في بلاد الشام ايام انشاءه رحمه الله تعالى لتلك الخطب لأودعها كثيراً من المسائل الاجتماعية والادبية



التي اشتدت الحاجة إليها في هذا العصر، وقد رأينا أن نقتبس بعض مقدمات هذا الديوان النفيس وخطبه فيما يلي فهاكها بنصها :

« المقدمة الأولى في المهدي النبوي في الخطبة »

قال الامام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد في هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه : كان صلوات الله عليه اذا خطب اجرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش . وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر ويقصد الكلمات الجوامع . وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعها . ويأمرهم وينهاهم في خطبته اذا عرض له أمر أو نهي . وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فاذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها . وكان يعمل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس، فاذا اجتمعوا خرج اليهم . فاذا دخل المسجد سلم عليهم . فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس ويأخذ بلال رضي الله عنه في الاذان، فاذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب، وكان في الجمعة يعتمد على عصا أو قوس . وكان منبره صلوات الله عليه ثلاث درجات . وكان يأمر الناس بالدنوا منه ويأمرهم بالانصات . وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة دخل الى منزله فصلّى ركعتين، وفي رواية كان اذا صلى في المسجد صلى أربعاً وان صلى في بيته صلى ركعتين. انتهى ملخصاً

« الثانية في سنن الخطبة »

قال الامام النووي في الروضة في سنن الخطبة : منها أن تكون على منبر. والسنة أن يكون المنبر على يمين الموضع الذي يصلي فيه الامام . ويكره المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين اذا لم يكن المسجد متسعاً للخطبة، فان لم يكن منبر فخطب على موضع مرتفع، ومنها أن يسلم على من عند المنبر اذا انتهى اليه. ومنها اذا بلغ في صعوده الدرجة التي تلي موضع القعود أقبل على الناس بوجهه وسلم عليهم . ومنها أن يجلس بعد السلام . ومنها انه اذا جلس اشتغل المؤذن بالاذان، ويدعى الجلوس الى فراغ المؤذن. ومنها أن تكون الخطبة بلية غير مؤلفة من الكلمات المتبدلة ولا من الكلمات

الوحشية بل قريية من الافهام . ومنها أن لا يطولها ولا يحققها بل تكون متوسطة . ومنها أن يستدير القبلة ويستقبل الناس في خطبته ولا يلتفت يمينا ولا شمالا . ومنها أنه يستحب أن يكون جلوسه بين الخطبتين قدر سورة الاخلاص . ومنها أن يعتمد على عصا أو نحوه . ومنها أنه ينبغي للقوم أن يقبلوا على الخطيب مستمعين لا يشتملون بشيء آخر ، حتى يكره الشرب للتلذذ ولا بأس به للمعطر لا للخطيب ولا للقوم . ومنها أن يأخذ في النزول بعد الفراغ ويأخذ المؤذن في الإقامة ويتدر ليبلغ المحراب مع فراغ المقيم . اهـ

« الثالثة فيما يكره في الخطبة وفروع أخرى »

قال الامام النووي رحمه الله في الروضة . يكره في الخطبة أمور ابتدعها الجهالة منها التفاتهم في الخطبة الثانية . والدق على درج المنبر في صموده . والدعاء اذا انتهى صموده قبل أن يجلس ، ومنها مباغتتهم في الاسراع في الخطبة الثانية . ويستحب اذا كان المنبر واسعا أن يقوم على يمينه ، ويكره للخطيب أن يشير بيده . ويستحب أن يحتم الخطبة بقوله : أستغفر الله لي ولكم . وذكر بعضهم انه يستحب للخطيب اذا وصل المنبر أن يصلي تحية المسجد ثم يصعد ، وهو قول غريب وشاذ مردود . فانه خلاف ظاهر المقول عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والاطفاء الراشدين فمن بعدهم ، ولو أغني عن الخطيب قبل يمين غيره على خطبته أو يستأنفها ؟ قولان . اهـ ملخصا

ويكره أن يتخطى المصلي رقاب الناس لما فيه من سوء الادب والاذى . ويحرم الكلام في الخطبتين والامام يخطب . وله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعها ويسن سرا ، ويجوز تأمينه على الدعاء . ورفع الصوت قدام بعض الخطباء مكروه اتفاقا . كذا في الاقناع <sup>(١)</sup>

(١) المنار : لأهل هذا العصر بدع ومنكرات أخرى كثيرة قبل الخطبة وبعدها وفي أثناءها ، بعضها من البدع الحقيقية وبعضها من الاضافية ، فمنها التزام ذكر الخطباء الملوك والولاة في الخطبة الثانية بالتعظيم ورفع المؤذنين أصواتهم بالدعاء لهم وإطاعتهم في ذلك والخطيب مسترسل في خطبته وفي ذلك عدة منكرات =

### الرابعة (حكم تعدد الجمعة)

الحاجة في هذه البلاد في هذه الاوقات تدعو الى أكثر من جمعة اذ ليس للناس جامع واحد يسعهم ولا يمكنهم جمعة واحدة أصلاً إلا أن خروجها الى حد أن لا فرق بينها وبين بقية الصلوات في كثير من المساجد الصغيرة التي لم تشيد لثلاثها قد هوّل فيه السبكي في فتاويه لانه مما تأباه مشروعيّتها وما مضى عليه عمل القرون الثلاثة بل وتسميتها جمعة فإن صيغة فُعْلة في اللمة للمبالغة وبالجملة فالجامع الكبار التي تؤمها الافواج يوم الجمعة، ويحتاج لاقامتها فيها حاجة بينة لجواربها، هي التي لاخلاف في جوازها مهما تعددت، والتي لا تعاد الظهور بعدها، كما أشار له العلامة البجيرمي رحمه الله تعالى. وقد بسطناها في كتابنا [اصلاح المساجد من البدع والعوائد]

### الخامسة ما يسن يوم الجمعة

يسن تنظيف يوم الجمعة وتطيب ولبس أحسن الثياب واكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لذكر الرحمة بعبته، والفضل بهدايته، والمثبة باقضاء هديه وسنته، والصلاح الاعظم برسائه، والجهد للحق بسيرة، ومكارم الاخلاق بحكمته، وسعادة الدارين بهوته، صلى الله عليه وعلى آله ما ذاق عارف سر شريعته، وأشرق ضياء الحق على بصيرته، فساعد في دنياه وآخرته، آمين

### ﴿ فواتح الخطب النبوية ﴾

١

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله — رواه الامام أحمد ومسلم عن ابن عباس — مبتدعة، ومنها ان بعض الحاضرين يقومون في أثناء الخطبة الثانية فيصلون، ومنها الدعاء برفع الايدي بين الخطيبين والاستمرار على ذلك بعد شروع الخطيب في الخطبة الثانية، ومنها صياح بعضهم في أثناء الخطبة باسم الله أو أسماء بعض الصالحين، ومنها المصافحة عقب السلام من الصلاة — الى غير ذلك

٢

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونستهديه ونستغصره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفيء الى أمر الله — رواه الشافعي والبيهقي عن ابن عباس —

٣

ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا (اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا — يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون — يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا \* يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ) — رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن مسعود —

## السيد محمد شفيع آل رضا

في ضحوة يوم الاثنين أول أيام العشر الاخير من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٣ هجرية قرية — وأواخر العشر الأول من شهر الصيف الأول (الدرجة التاسعة من برج الاسد) سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية — الموافق لليوم الثاني من شهر يوليو (تموز) ١٩١٥ مسيحية — وهب الله تعالى لصاحب هذه الجلة غلاما سويا أطلق عليه اسم (محمد شفيع) ولد بمحمد شفيع تام البنية، يمتلئ الجسم، أبيض اللون مشو بابصفرة كما هي المادة، أحر الشعر، اسود العينين الى زرقه بارز الجمية ، طويل القرة ، رافعا أصبعه السبابة، ولم يلبث أن رضعها ، ولم يتقضى الاسبوع الاول الا وقد تبدلت الصفرة حمرة فصار أزهر اللون ،

فأله أسأل أن ينبتة نباتا حسنا ، ويوقنا لتربيته تربية صالحة ، ويجعله قرة عين لوالديه وآل بيته وأمتة ، ويستجيب لنا به ويقهره ، ما دعوانه وندعوه به من أدعية كتابه (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الابواب  
أوتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد

# المجلد الثامن

١٣١٥

أوتى عباده الذين يستحقون القول فبشروا أولي  
الابواب الذين هداهم الله وآتوا له من آتوا له الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كثر الطريق

مصر ٣٠ شوال ١٣٣٣ — ١٧ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٠ سبتمبر ١٩١٥

## حال المسلمين مع غيرهم في العصر الاول

ان حالة الامم الاجتماعية والسياسية والادبية لها شأن كبير في تطبيق الاحكام على الوقائع وهو ما يسميه علماء الاصول « تحقيق المناط » ومن عرف التاريخ وقه قواعد علم الاجتماع منه فانه هو الذي يفقه سبب اعراض الفقهاء والحكام عن قبول شهادة غير المسلمين عليهم . وأحق ما يجب فقّه من تلك القواعد أربع ينبغي التأمل فيها بعين العقل والانصاف

(أحدها) ما كان عليه المسلمون في القرون الأولى للإسلام من الاستمسك بمروءة الحق ، وإقامة ميزان العدل ، وعدم المحاباة والتفرقة في ذلك بين مؤمن وكافر ، وقريب وبعيد ، وصديق وعدو ،

(ثانيها) ما كانت عليه جميع الامم التي فتحو بلادها وأقاموا شريعتهم فيها من ضعف وازع الدين ، وفساد الاخلاق والآداب ، وقد قرر ذلك مؤرخو الإفرنج وغيرهم وجعلوه أول الاسباب الاجتماعية لسرعة الفتح الاسلامي في انطاقيين

(ثالثها) ما جرى عليه الفاتحون من المسلمين من المبالغة في التوسعة على أهل ذمتهم في الاستقلال الديني والمدني ، اذ كانوا يسمعون لهم بأن يتحاكوا الى رؤسائهم في الامور الشخصية وغيرها - فكان من المعقول مع هذا أن لا يشهدوا على قضايا

أنفسهم الخاصة ، وان يمنهم نظرم الى ما يفهم من التفاوت في الاحوال الدينية والادبية التي أشرنا اليها آنفاً من قبول شهادتهم على أنفسهم ، مع عدم تقصير بتدنيهم وعدالتهم

( رابعها ) تأثير عزة السلطان وعهد الفتح الذي كانت الاحكام فيه أشبه بما يسمونه الآن بالاحكام العسكرية . واعتبر ذلك بأحكام دول الافرنج في أيام الحرب ، بل في المستعمرات التي طال عليها عهد الفتح أو ما يشبه الفتح ، يتبين لك ان أشد أحكام فقهاء المسلمين وحكامهم على غيرهم هي أقرب الى العدل والرحمة من أحكام أرقى أمم المدنية من دونهم

وقد علم من حال البشر ان الغالب قلما يرى شيئاً من فضائل المغلوب وان كثر ، فكيف يرجى ان يرى قلبها الضئيل الخفي ؟ والجماعات الكبيرة والصغيرة كالافراد في نظر كل الى نفسه والى أبناء جنسه بعين الرضا والى مخالفه بعين السخط . مثال ذلك ان امرأة من فضليات نساء سويسرة دينا وأدبا وعلماً راقبت أحوال الاستاذ الامام وسيرته مدة طويلة اذ كان يختلف الى مدرسة (جنيف) لتلقي آداب اللغة الفرنسية ، وكلمته مراراً في مسائل من علم الاخلاق والتربية — وكانت بارعة ومصنفة فيها — فأعجبها رأيه ، كما أعجبها فضله وهديه ، ثم قالت له بعد ذلك : انني لم أكن أظن قبل ان عرفتك ان القداسة توجد في غير المسيحيين

فمن تأمل ما ذكر نجلت له الاسباب المعنوية والاجتماعية التي صدت الاحكام وافقها عن قبول شهادة غير المسلم على المسلم ، وتعجب من سعة أحكام القرآن ، التي يتوهم الباطليون انها ضد ما هي عليه من الاطلاق وموافقة كل زمان ومكان ، فتراهم ينسبون الى القرآن كل ما ينكرونه على المسلمين من آرائهم وأعمالهم وأحكامهم بالحق أو بالباطل ، ولو كان المسلمون عاملين بالقرآن كما يجب لما أنكر عليهم أحد ، بل لاتبعهم الناس في هديهم ، كما اتبعوا سلفهم من قبلهم ، بل لكانوا أشد اتباعاً لهم ، بما يظهر لهم من موافقة هدايته لهذا الزمان ، وموافقتها لأرقى ما وصل اليه من نظام وأحكام ، وهذا من أجل مميزاته التي تتجدد بتجدد الأزمان .

## ﴿ اعراب الآية الثانية الذي اضطرب فيه النحاة ﴾

قد تبين مما فصلناه ان الذين عدوا الآيتين في غاية الصعوبة لمخالفة مذاهبهم لها مخطئون ، وان الواجب رد المذاهب اليهما لا تأويلهما لتوافقا المذاهب ، وأما الذين استشكلوا اعراب جملة من الآية الثانية ، وعدوا لاجلها الآية أو الآيات في غاية الصعوبة — فانما أوقعهم في ذلك احتمال التركيب لعدة وجوه من الاعراب ، بما فيها من تعدد القراءات ، مع اعتيادهم تقديم الاعراب على المعنى وجعله هو المبين له ، وقد استحسننا بعد ايضاح تفسير الآيات بما تقدم ان نذكر ملخص ما قيل في اعراب تلك الجملة قلا عن (روح البيان) الذي يلتزم بتحقيق المباحث النحوية في جميع الآيات ، عسى ان يستفي القارئ به عن مراجعة تفسير آخر . ونبدأ بجواب الشرط لانه مبدأ ما استشكلوه من الاعراب . قال المؤلف رحمه الله تعالى :

(فأخران) أي فرجلان آخران وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يقومان مقامهما) والفاء جزائية وهي إحدى مسوغات الابتداء بالنكرة ولا محذور في الفصل بالخبرين المبتدأ وصفته وهو قوله سبحانه (من الذين استحق عليهما الاوليان) وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أي فالشاهدان آخران ، وجملة يقومان وصفته والجار والمجرور صفة أخرى . وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من ضمير يقومان وقيل هو فاعل فعل محذوف أي : فليشهد آخران . وما بعده صفة له . وقيل مبتدأ خبره الجار والمجرور والجملة الفعلية صفته وضمير مقامهما في جميع هذه الواجه مستحق للذين استحقا ، وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي توليها ولم يؤديها كما هي بل هو مقام الحبس والتعطيف . واستحق بالبناء للفاعل على قراءة عامم في رواية حفص عنه وبها قرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وأبي رضي الله تعالى عنهم ، وفاعله «الاوليان» والمراد من الموصول أهل الميت ، ومن الاوليين الاقربان اليه الوارثان له الاحقاق بالشهادة لقربهما واطلاعها ، وها في الحقيقة الآخران القائم مقام الذين استحقا ايما ، الا أنه أقيم المظهر مقام ضميرها للتنبيه على وصفها بهذا الوصف ، ومفعول استحق محذوف

واختلفوا في تقديره فقدرة الزمخشري أن يجردوها للقيام بالشهادة ليظنوا بهما كذب الكاذبين، وقدرة أبو البقاء وصيتها . وقدرة ابن عطية ما لهم وتركهم، وقال الامام : ان المراد بالاوليان الوصيان اللذان ظهرت خيانتها وسبب أولويتها أن الميت عينها للوصية . فعنى «استحق عليهم الاوليان» خان في ما لهم وجنى عليهم الوصيان اللذان عثر على خيانتهم، وعلى هذا لا ضرورة الى القول بحذف المفعول، وقرأ الجمهور «استحق عليهم الاوليان» بناء استحق للمفعول واختلفوا في مرجع ضميره والاكترون انه الاتم والمراد من الموصول الورثة لان استحقاق الاتم عليهم كناية عن الجناية عليهم، ولا شك ان الذين جُني عليهم وارثك الذنب بالقياس اليهم هم الورثة، وقيل انه الايصاء، وقيل الوصية لتأويلها بما ذكر . وقيل المثل . وقيل ان الفعل مسند الى الجار والمحرور، وكذا اختلفوا في توجيه رفع الاوليان فقيل انه مبتدأ خبره «آخران» أي الاوليان بأمر الميت آخران، وقيل بالعكس، واعترض بأن فيه الاخبار عن النكرة بالمعرفة وهو مما اتفق على منعه في مثله، وقيل خبر مبتدأ مقدر أي هما الآخران على الاستئناف البياني، وقيل بدل من آخران، وقيل عطف بيان عليه، ويلزمه عدم اتفاق البيان والمبين في التعريف والتشكيك مع انهم شرطوه فيه حتى من جوز تنكيره، نعم نقل عن نزر عدم الاشتراط، وقيل هو بدل من فاعل يقومان وكون المبدل منه في حكم الطرح ليس من كل الوجوه حتى يلزم خلوتك الجملة الواقعة خبراً أو صفة عن الضمير على انه لو طرح وقام هذا مقامه كان من وضع الظاهر موضع الضمير فيكون رابطاً، وقيل هو صفة آخران، وفيه وصف النكرة بالمعرفة والاخفش أجازه هنا لأن النكرة بالوصف قربت من المعرفة، قيل وهذا على عكس \* ولقد أمر على التثنية يسبني \* فانه يؤول فيه المعرفة بالنكرة . وهذا أول فيه النكرة بالمعرفة أو جعلت في حكمها للوصف، ويمكن — كما قال بعض المحققين — أن يكون منه بأن يجعل الاوليان اهدم تعينهما كالنكرة، وعن أبي علي الفارسي انه نائب فاعل «استحق» والمراد على هذا استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة كما قال الزمخشري، أو اثم الاوليين كما قيل . وهو تنزية الاولى قلبت ألفه ياء عندها، وفي على في «عليهم» أوجه الاول انها على بابها، والثاني انها بمعنى في، والثالث انها بمعنى من . وفسر استحق بطلب الحق ( المنار : ج ٨ ) ( ٧٤ ) ( المجلد الثامن عشر )



وبحق وغلب . وقرأ بمقبوب وخلف وحزة وعاصم في رواية أبي بكر عنه «استحق عليهم الاولين» ببناء استحق للمفعول والاولين جمع أول المقابل للآخر وهو مجرور على انه صفة الذين أو بدل منه أو من ضمير عليهم أو منصوب على المدح . ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة وقيل التقدم في الذكر لدخولهم في ( يا أيها الذين آمنوا ) وقرأ الحسن «الاولان» بالرفع وهو كاقدمنا في الاوليان، وقرأ «الاولين» بالتثنية والنصب، وقرأ ابن سيرين «الاولين» بياءين تثنية أولى منصوبا وقرأ «الاولين» بسكون الواو وفتح اللام جمع أولى كأولين واعراب ذلك ظاهر

## البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد على أبو زيد  
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

٢

يزيدك بيانا لهذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة» خرجه مسلم<sup>(١)</sup> ولا يحتاج بمده الى شرح وبيان،

(١) المنار : رواء مسلم عن جابر بن عبد الله من طريق أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس وهو ثقة عند الجمهور روى له الا البخاري فانه لم يرو له الا متابعة . وكان ابن حزم يرد من حديثه ما يقول فيه : عن جابر ، لأنه مدلس . وههنا صرح بسماعه منه . وطعن فيه شعبة ونهى عن الكتابة عنه قال لأنه لا يحسن يصلي ، ولكونه سيء صلاته . بل قال انه كذب على رجل واعتذر عن ذلك بأنه أغضبه . واحتج =

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة ( واستعينوا بالصبر والصلاة وانها  
لكبيرة الاعلى الخاشعين » الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون )  
تراه في هذه الآية جمل الصلاة يستعان بها ، ولم يذكر ما يستعان  
عليه ، يشمل كل الامور الدينية والدنيوية ، وذلك — كما يننا قريبا — أنها  
تشغل النفس بذكر الله تعالى فتصقلها كصقل الجلاء للمرأة ، فيرى صاحبها  
بقرته من ربه ما لا يراه صديء النفس ، فتقوى فيه الروحانية ، والمرء

= على الشافعي بحديثه فغضب وقال : أبو الزبير يحتاج الى دعامة . وقال أبو زرعة وأبو حاتم  
لا يحتج به . ورواه أيضا من طريق أبي سفيان طلحة بن نافع وقد روى له الجماعة الا  
أن البخاري لم يرو له في الصحيح الامقرونا بغيره ، وقال سفيان بن عيينة : حديثه  
عن جابر إنما هو حيفة . أي لم يسمع منه مع أنه صرح بالسماع في رواية مسلم . وقال  
ابن معين فيه : لا شيء . وقال ابن المديني . كانوا يضعفونه .

أما لفظ الحديث من الطريق الاول فهو « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر  
ترك الصلاة » ومن الطريق الثاني « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »  
قال النووي في شرحه : هكذا هو في جميع الاصول من صحيح مسلم — الشرك  
والكفر بالواو — وفي مخرج أبي عوانة الاسفرايني وأبي نعيم الاصبهاني — أو الكفر  
باو . ولكل منهما وجه . ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة — ان الذي يمنع  
من كفره كونه لم يترك الصلاة فاذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل . ثم ان الشرك  
والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص  
الشرك بعبد الاوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ،  
فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم . وذكر قبل ذلك أن الجمهور من السلف  
والخلف لا يقولون بكفر تارك الصلاة الا اذا جهد وجوبها ، وحملوا مثل هذا الحديث  
على ما رأيت في تفسيره له من كون تركها قد يفضي الى الكفر أو اذا كان جاحدا .  
وقال بعض السلف بكفره وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه وعن عبد الله بن  
المبارك واسحق بن راهويه ، قال النووي : وهو رواية عن أحمد ، ووجه لبعض أصحاب  
الشافعي ، وسيأتي جمعنا بين الاقوال

مقي قويت روحه ، قويت إرادته واشتدت عزيمته ، قسمل أمامه كل صموبة، ويفوز في كل عمل تطلبه الحياة، وهذا كله هو حظ الشارع الحكيم، ممن يخضع لأمره ، ويؤمن بشوابه وعقابه

وقد أفاد جل شأنه بقوله ( وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقون ربهم ) الآية ان الصلاة إنما تكبر وتشغل على من لم يؤمن بالآخرة ، ومن لم يصدق بملاقاة ربه وجزائه ، (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله ) وحده

وما هنا نكتة بلينة في قوله ( يظنون ) فإنه لم يقل « يوقنون » ليفيد أن الظن — وإن كان لا يفني من الحق شيئاً — يكفي حاملاً للمرء على العمل احتياطاً، ما دام يرجح عنده أنه سيرجع الى الله فيحاسبه ويمجازه. فكأنه تعالى يقول : إن من يعتقد اعتقاد ظن ورجحان<sup>(١)</sup> لم يصل فيه الى درجة اليقين بالبرهان ، أنه سيلاقي ربه فيحاسبه ويمجازه، لم تشغل عليه الصلاة ولا تشق ، بل يقيمها بنشاط على خشوع وراحة

وهذا مبني على سنة الله تعالى في النفس ، متى ترجع عندها الاجر والمنفعة في العمل نشطت اليه ، وهشت له ، وإن كان سخرة أو ضراً ، كبر عليها ، وجزعت منه . وإذا كان ذلك حال الظان — لا يترك الصلاة ولا تشغل عليه اقامتها ، بل يحافظ عليها ، ويرتاح بها — فما بالك بالواقع هل يترك الصلاة ، أو يتقل عليه شيء منها ؟ أم ينتظر أوقاتها ، ويقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرحنأ بها يا بلال » ؟

ومنه قوله تعالى في سورة الانعام ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك

(١) الظن الاعتقاد الراجح ، ولا يشترط فيه تصور مقابل مرجوح

مصدق الذي بين يديه ، ولتندرام القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون  
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون )

جعل سبحانه المحافظة على الصلوات شأنا من شؤون أهل الإيمان  
بالآخرة وبالقرآن ، وجعل هذا الإيمان داعيا إليها ، وباعثا عليها ، وذلك  
أن قوله « وهم على صلاتهم يحافظون » يفيد أن الذي يؤمن باليوم الآخر  
ويصدق بأن فيه الجزاء الأوفى — الطيب للطيب ، والخبيث للخبيث ،  
لا بد أن يصدق بالقرآن ، ولا بد أن يكون على تلك الحالة ، ومتصفا  
بتلك الصفة — المحافظة على الصلاة

واختيار التعبير بالفعل « يحافظون » على الوصف « يحافظون » يدل  
على الدوام والاستمرار . أي أنه لا ينفك عنها في وقت من الأوقات .  
والآية وما قبلها نص في أن الإيمان بالآخرة يستلزم الإيمان بالقرآن ،  
والإيمان به يستلزم إقامة الصلاة ، ومفهومه أن من لم يحافظ عليها كافر ،  
وعلى هذا يكون القرآن قد بين أن الصلاة هي الفارق بين المؤمن والكافر .  
ويجلي لك هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة »  
رواه مسلم وابو داود والترمذي ، وفي رواية « بين العبد وبين الكفر ترك  
الصلاة » وقوله (ص) « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »  
رواه الترمذي والنسائي وصححه ، فأمل هذه التصريحات في هذه الأحاديث ،  
وانظر التحقيق من النبي (ص) بلفظة « فقد كفر » وكلها في معنى الآيات  
التي سمعت

وأزيدك أن النبي (ص) قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط  
عمله » رواه البخاري والنسائي ، ومن المعلوم في الشرع أن الذي يحبط

عمله هو الكفر، قال تعالى في سورة المائدة (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) فإذا كان تارك العصر كافراً، فما ظنك بتارك جميع الصلوات؟ ولما جاء وفد ثقيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلموا. قالوا: اسمع لنا في أن ندع الصلاة، وألا نكسر أصنامنا بأيدينا. فقال صلى الله عليه وسلم «أما كسر أصنامكم بأيديكم فقد عفوناكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه» وأبى صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم الإسلام إلا بالصلاة، وأنت ترى أن في قوله «لا خير في دين لا صلاة فيه» أن تارك الصلاة لا يعتمد بتدينه - وعلى هذا قد درج الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق<sup>(١)</sup> أنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفراً إلا الصلاة؛ وذلك لما قدمنا من أن الصلاة أصل، فالمحافظة عليها تستلزم المحافظة على كل الدين

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة. رواه مالك وغيره

من أن ما تقدم من الأدلة كله صريح في أن تارك الصلاة غير مسلم مطلقاً، ولا أراني أشك بعد في ذلك، إذا ما معنى قول بعضهم: من

(١) المنار: قد كان عبد الله هذا ناصبياً يفيض علياً عليه السلام وقد صرح الحديث عن مسلم أنه لا يحبب المؤمن ولا يغيضه إلا منافق. فآخذ الكاتب بظواهر مثل هذا الحديث يقتضي ألا يخرج بما روي عن عبد الله بن شقيق ولا يعتمد بإيمانه، وما تقدم عن النووي فيد أن جمهور الصحابة لا يعدون مجرد ترك الصلاة كفراً بمعنى الردة عن الإسلام، وحسب التارك لها أنهم اختلفوا في إيمانه، وسيأتي الجمع بين الأقوال في ذلك

تركها كسلا لا يكفر . وما معنى التفريق بين من يتركها بكسل أو غيره؟  
 ج لا معنى لذلك الا مخالفة النصوص الصريحة ، وعدم تدبر القرآن  
 والسنة الصحيحة<sup>(١)</sup> وما دمننا نقول كما قال القرآن : ان المحافظة  
 على الصلوات من شأن المؤمنين ، ومن صفاته الملازمة له ، فالجهد منها ،  
 المتخلى عنها ، غير مؤمن ضرورة ، لكونه عري من صفة الإيمان الفعلية .  
 على أن الله سبحانه قد صرح بأن الكسل في الصلاة من شأن المنافقين  
 وصفاتهم ، فقال عز شأنه في سورة النساء ( ان المنافقين يخادعون الله وهو  
 خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى )

وليس المنافقون بأقل من الكافرين ، قال تعالى في سورة براءة  
 ( ان المنافقين هم الفاسقون — أي الخارجون عن الدين — وعد الله  
 المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله  
 ولهم عذاب مقيم )

قرن الله تعالى في هذه الآية المنافقين مع الكافرين ، ووعد الجميع  
 ممّا الخلود في جهنم والعذاب الدائم ، بل قد حطهم عنهم فقال في سورة  
 النساء ( ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا )

الى هنا انتهينا من أدلة الصلاة وحدها

فاليك ما جاء في الزكاة أختها

قال الله تعالى في سورة فصلت ( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما  
 ألهمكم إليه واحدا فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون  
 الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ) فتأمل كيف جعل منع الزكاة من صفات

(١) المنار: هذا تهوّر عظيم والصواب أن سببه تعارض النصوص كما سنبينه بعد

المشركين وشأنهم ، وإنما كان منعها من شأن المشرك بربه لأنه يؤثر المال على حبه ، وقد قرن منع الزكاة بالكفر بالآخرة ، لأنهم لو كانوا واثقين بخبر الله ، ومؤمنين بجزائه ، لأنفقوا من مالهم رغبة في ثوابه ، وخوفاً من العيذاب . قال تعالى ( يوم يحصى عابها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون ) ( وقال ) جل ثناؤه في سورة آل عمران ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) علق نيل البر على الانفاق مما يجب ، فمن لم ينفق مما يجب ، لا حظ له من البر ، والبر نعيم الله ورضوانه . فإناع الزكاة — وهي أول مقصود بالانفاق — محروم من نعيم الله ورضوانه كافر<sup>(١)</sup>

ولعلك تلاحظ الحكمة في تقييده الانفاق بأن يكون المنفق منه محبوباً عند المنفق ، إذ المرء لو أتفق لله ما يكره ، لا يكون اتفاقه له بسبب حبه إياه ، بل يعتبر غرماً ومظلمة ، أو شيئاً كرهاً رغب الخلاص منه بهذه الطريقة رياء ، أما لو أتفق من شيء محبوب له ، يكون حبه الله قد رجح في نفسه على حبه المال ، فدعاه الى بذل المال على حبه إياه ، وهناك يظهر الفضل بالتوحيد والاخلاص

( وقال ) تعالى في سورة الأعراف ( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ) بين أن رحمته واسعة ، ولكنها لا تكتب لكل الناس ، بل كتابها وإيجابها خاص بالأتقياء المعطين الزكاة ، فالذي يمنع الزكاة ، يمنع كتابة الرحمة له ، فلا يكون له حظ فيها ، بل يكون بعيداً عنها ، ومحروماً منها ( لها بقية )

(١) المنار: الآية لا تدل على ذلك فالعمل بها يتم بما دون الزكاة الشرعية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَشْيَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٩٠

#### سموم الميكروبات

تحدث بنمو كل نوع من الميكروبات مواد عديدة في السائل الذي تربي فيه. ومن أضرها مواد زلالية ومواد آزوتية تشبه المواد الآزوتية النباتية المسماة [Alkaloids] أي الشبيهة بالقلوية بكثرة الاستر كين، وهي مواد تقتك بالاحياء فتكا ذريعا مهما تكن قليلة. وهذه المواد تتولد بطريقتين: الأولى أنها تتولد في نفس جسم الميكروب ثم تخرج منه شيئا فشيئا، والثانية أنها تتولد في السائل نفسه وذلك بافراز الميكروب مادة (خبرة) تشبه الخاثر - المذكورة في الجزء الاول - وهذه الخبرة لها تأثير كيميائي مخصوص في المواد المحيطة بها، فتحدث فيها تركيبا وتحليلا ينشأ منه مواد متنوعة ومن الميكروبات ما يبقى جل سمه في جسمه ولا يخرج الا اذا استخلص منه ببعض الطرق العلمية، وذلك مثل ميكروب الطاعون والسكوليرا والحمى التيفودية، ويسمى مثل هذا السم «بالسم الكامن» [Endotoxin] وفي الجسم المريض تنحل بعض هذه الميكروبات فتخرج منها سموها وتسري فيه فتحدث المرض ومن المواد التي تتولد في السائل الذي يربي فيه الميكروب ما يقتل الميكروب نفسه، فانه قد تولد حامض الفينيك أو الفول (الكحول) أو الحل الى غير ذلك من المواد التي تستعمل مطهرات لقتل الميكروبات

#### الميكروبات والبيئة

تنقسم الميكروبات - باعتبار ما تعيش فيه - الى ثلاثة أقسام: فمنها ما لا ينمو عادة الا في الحي (١) ومنها ما لا ينمو الا في الميت، ومنها ما يمكنه أن ينمو في الاثنين (٢) هذا لا ينافي أن أكثرها يمكن تربيته تربية صناعية على أشياء غير حية كالمرق - كما تقدم -



مما، فمثال الاول ميكروب الحى الراجعة ، ومثال الثاني بعض ميكروبات الحى  
النافسية وهى التى تعيش فى الدم والسوائل المنقنة التى تختلف أحيانا فى الرحم  
عقب الولادة

ومن هذا النوع الميكروبات التى تحدث تحليل جثث الموتى والتى تفسد اللبن  
فيغتر ، ومنها ما يحول البولينا الى كربونات النوشاد والحر الى خل . ولهذا  
الميكروبات فائدة كبرى فى العالم فانها تحول الاجسام المركبة الى بسائط فتمود  
الى عالمي الحيوان والنبات فينتفعان بها . ولذلك وجد العلماء طريقة عظيمة لتحليل  
المواد البرازية ، فانها تلقى فى مستودعات مخصوصة فيفسط عليها فى اولها الميكروبات  
التي لا تنمو فى الاكسجين ، وفى الثانية الميكروبات التى تنمو فيه ، فبذلك تتحلل  
جميع المواد البرازية وتستحيل الى ماء ، وغاز ثاني أكسيد الفحم وأملاح النترات  
وهذه الاشياء كلها صالحة للنبات فيستقى بها الزرع وفيه تتحول مرة أخرى  
الى مواد مضاعفة التركيب ضرورية للحيوان والنبات ، فكان نظام هذا العالم موقوف  
على عمل الميكروبات والنبات ، ولولاها لفسد وبطل

فالنباتات الدنيئة ( البكتيريا ) تركب قليلا وتحلل كثيرا ، والنباتات الكبيرة  
تركب كثيرا وتحلل قليلا كتحليلها بعض غازات الهواء ، فعلى النبات مدار الحياة  
ومثال الميكروب الذى يعيش عادة فى الحى والميت باسيل التيتانوس ، وكذلك  
باسيل الدفتيريا (والتي منها الخناق) فان هذين الميكروبين يعيشان كثيرا فى الطين ، وقد  
ينفقلان منه الى الانسان ، الا ان ميكروب التيتانوس لا يعيش فى جسم الانسان  
بعد ظهور أعراض هذا المرض الا قليلا . ومن طرق وصول ميكروب الدفتيريا الى  
الانسان أنه يكون مختلطا بالطين فاذا زادت المياه التى فى جوف الارض كما يحصل  
عند فيضان الانهار ضغطت على الهواء الموجود خلال الطين فيندفع منها الى جو  
المدن حاملا لهذا الميكروب الخبيث فيصاب كثيرون بهذا المرض

والميكروبات لا تموت مالم يقتلها شيء ، وأكثرها مقاومة للطوارئ ما كان له  
حييات ، وهذه الحبيبات نفسها تعيش مدة طويلة من الشهور أو السنين حتى  
فى الاحوال غير المناسبة للحياة كالجفاف والبرد . ولاعجب فى ذلك ، فقد عرف

أن بعض حبوب النباتات الكبيرة عاش نحو مئة سنة ولا يعلم بالتحقيق أن الحبوب يمكنها أن تعيش (أعني تبقى حية) أكثر من ذلك وما قيل من أن حبوب بعض الهياكل أو القبور القديمة نبت بعد ألوف من السنين فهو كذب محض، وقد ثبت أن حبوب القمح تعيش نحو سبع سنين على الأكثر، وعليه فالقمح الذي خزنه المصريون في زمن يوسف عليه السلام كان يمكن إنباته في نهاية السنة السابعة. وأكثر الميكروبات التي لا حبيبات لها تقتل عادة بحرارة ٦٥ سنتراد في نحو نصف ساعة

وميكروبات التعفن تقتل الميكروبات المرضية عادة، وهذه الميكروبات التطفلية تكون في الغالب من النوع الباسيلي (المستطيل) فإذا أصيب إنسان بالتسمم البديدي انشأ على الأكثر من البذور السلسلية ومات فأراد طبيب أن يشرح جسمه عقب الوفاة مباشرة كان من أشد الخطر على هذا الطبيب أن يخرج ويتلفح جسمه بشيء من الجثة، وأما إذا تركت هذه الجثة زمنا حتى تعفن فإن ميكروبات المرض التي فيها تقتلها ميكروبات التعفن شيئا فشيئا حتى تزول من الجثة، وحينئذ لا يكون في تشريحها خطر على حياة الطبيب

#### أبواب دخول الميكروبات الى الجسم

لدخول الميكروبات في الجسم أبواب عديدة، وهي الرئتان (لمثل ميكروب الحصى القرمزية) والجهاز الهضمي (لمثل ميكروب الحصى التيفودية) والجلد (لمثل الزهري) والأغشية المخاطية كغشية أعضاء التناسل أو العين وغيرها (لمثل السيلان والدفتيريا)

ولا يشترط أن يكون سطح الجسم أو الأغشية المخاطية مجروحة، فقد يدخل الميكروب من الأماكن ذات الجلد الرقيقة أو من مسامها، ولكن الجرح أو السحج مما يسهل دخوله كثيرا كما هو ظاهر

فإذا دخل الميكروب الجسم من هذه المنافذ فته ما يبقى في مكان دخوله، ومنه ما يصل الى الدم أو المادة اللعناوية ويدور معها حيث دارت. وفي كلتا الحالتين يولد الميكروب سمًا زعافًا وهو الذي يقتل الحيوانات ويحدث فيها جميع الحيات،

الان بعض هذه الميكروبات يحدث أمراضا ليست الحى شرطافيهاء مثل مرض (الكزاز)  
فثال ما يدور في الدم ميكروب (التسمم الصيدي وميكروب الحى الواجمة)  
ومثال الذي لا يدور في الدم (التيتانوس والدفتيريا) فان ميكروبهما يبقى على الاكثر  
في مكان التلقيح الا انه بعد الموت قد ينفذ الى جميع أجزاء الجثة ، واذا نفذ الى  
الدم في أثناء الحياة التهمته كريات الدم البيضاء أو بقي في بعض الاعضاء التي  
تعتقه فيها وتقتله غالبا بخلاياها ، كالسكب والطحال

### زمن التفريخ

اذا دخل الجسم أي نوع من الميكروبات لا يحدث المرض فيه في الحال ،  
بل لا بد من أن يمكث زمنا يتراوح بين يوم أو عدة أسابيع أو عدة سنين (كافي  
داء الكلب والجذام) فانهما أطول الامراض مدة<sup>(١)</sup> وفي هذا الزمن يكثر الميكروب  
في الجسم ويحمل عليه بسمومه فاذا بلغت درجة مخصوصة ابتداء المرض في الظهور .  
فن الناس من يختلط مثلا بمصاب بالجدري ولا يظهر فيه المرض إلا بعد نحو ١٢  
يوما عادة . وهذا الزمن يختلف باختلاف الامراض فان اكمل منها زمنا مخصوصا ،  
ويسمى هذا الزمن بزمن التفريخ أو الحضانة

وقد عرفت ميكروبات كثير من الامراض ، ولبعضها ميكروبات لم تعرف  
الى الآن (كالخسبة) فان الدلائل تدل على أن لها ميكروبا لم يكتشف الى الآن  
وهذه الامراض التي عرفت ميكروبا منها ماله ميكروب مخصوص كمرض  
الدرن ومرض الحى التيفودية . ومنها ما يشترك فيه عدة ميكروبات كمرض (التهاب  
الغشاء المبطن للقلب) و (الخراجات) فانهما يحدثان من ميكروبات مختلفة

### امارات اختصاص الميكروب المعين بالمرض المعين

يدل على اختصاص بعض الميكروبات بمرض الامراض أمور كثيرة منها :

- (١) وجود الميكروب دائما في هذا المرض (٢) اذا حقن حيوان بهذا الميكروب  
وكان مستعدا للمرض حصل له ، ووجد هذا الميكروب الخصوص في جسمه
- (١) قد تمتد مدة التفريخ في الجذام الى عشر سنين وفي الكلب الى عشرين

(٣) عدم وجود هذا الميكروب في الجسم السليم ، أو المريض بغير هذا المرض ؛ ويستثنى من ذلك بعض الميكروبات كالغزور المزوجة المسببة للالتهاب الرئوي ، فإنها توجد في قم الصحيح وأنفه ، وتوجد أيضا في غير الالتهاب الرئوي كما في التهاب الشغاف (الغشاء المحيط بالقلب الذي يسمونه الآن بالتامور) وكذلك تستثنى مسألة حامل الأمراض التي سنفصلها

#### مصادر الميكروبات

تصل الميكروبات بالإنسان من عدة جهات (١) الهواء (٢) الشراب (٣) الطعام (٤) التراب (٥) سائر أجسام الأحياء والجملادات كالملابس مثلا ، وسيأتي إن شاء الله في باب الحيات بيان طرق وصول الأمراض المختلفة إلى الإنسان تفصيلا

#### شرط تأثير الميكروبات والوقاية منها

ما كل أحد يتصل به ميكروب مرض يصاب بذلك المرض ، بل هناك وقاية للحيوانات من تلك هذه الميكروبات بها دفعة واحدة ، ولولا ذلك لهلك الأحياء في زمن قصير

وهذه الوقاية (ونسمى أيضا المناعة) منها ما هو فطري (أي يولد بها الإنسان) ومنها ما هو مكتسب. أما المناعة الفطرية فقد تكون خاصة بالجنس أو النوع كـ بعض الأمراض فالجدام مثلا خاص بالإنسان لا يصيب أي حيوان آخر، وبعض الأمراض يصيب بعض الأنواع دون بعض، كالحمى الصفراء، فإنها لا تصيب السود إلا قليلا، وبعض الأمراض تصيب بعض البيوت (الأسر) أو الأفراد دون البعض الآخر، وكل ذلك لأسباب لا نعلمها على وجه التحقيق. وخبر الوقاية ما كان فطريا: وقاية الله أغنت هن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم وما يهي الجسم للعدوى التعب والجوع والبرد وكل ما ينهك القوى والادمان على الخمر، إلا أن بعض الأشخاص قد يكونون سليمين من كل عيب ومع ذلك يصابون ببعض الأمراض. فمثلا قد نجد أن أسمن الأطفال وأحسنهم صحة يصابون بالقرمزية وتفتك بهم كثيرا، إلا الأطفال الآخرون الضعاف لا يصابون بها أو إذا أصيبوا كانت أصابتهم خفيفة

أما المناعة المكتسبة وما في معناها كالمراضة بسبب يشبه الكسبي فتكون بما يأتي:

(١) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان مرة واحدة حتى جسمه من

الاصابة بهذا المرض مرة أخرى كالزهرى والحصبه والجذري مثلا

(٢) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان حتى جسمه من أمراض أخرى

تقايره بعض المفايرة ، فمنها جُدري البقر إذا أصاب الإنسان أو لُتَح به حماء من

الجذري الانساني ، ومنها الحى الراجعة إذا أصيب بها شخص حمته غالبا من

التيفوس ولكنها لا تحمي من نفسها

(٣) بحقن سم الميكروب أو مصل يستخرج من الحيوانات بطريقة مخصوصة

كما في مرض الدفتيريا مثلا . ويان ذلك أن يزرع ميكروب الدفتيريا في سائل

( كالمرق ) ثم يصفى هذا السائل من الميكروب ويحقن حصان بجوز صغير من هذا

السائل المصفى ، ونظرا لوجود سم ميكروب الدفتيريا في السائل المحقون به يصاب

الحصان ببعض أعراض مرضية خفيفة تزول سريرا كالحمى وورم في مكان الحقن ،

ثم يحقن هذا الحصان بمقدار من السائل أكبر فأكبر حتى يصل الحصان الى حالة

لا يتأثر معها بهذا السم المحقون فيه ، وعندئذ يتولد في دمه مادة مضادة لسم

الدفتيريا . فاذا أخذ دم هذا الحصان واستخرج مصله كان هذا المصل نافعا لإفساد

سم الدفتيريا ، وإذا حقن به الإنسان وقت انتشار هذا المرض حفظه منه لمدة ثلاثة

أسابيع عادة ، وكذلك إذا حقن به المصاب بالدفتيريا نفعه نفعاً عظيماً وأدى الى شفائه

(٤) حقن ميكروب المرض نفسه ميتا أو بعد اذ اف تأثيره بطرق سيأتي

السلام عليها في داء الكلب ، وتسمى المادة المحقونة « باللقاح » ومن ذلك حقن

ميكروب التيفود بعد قتله وحقن ميكروب الكلب به . إضافة ، وان كان ميكروب

الكلب الى الآن لم يكتشف بمعنى أنه لم يره أحد ولكننا موقنون بوجوده ، فاذا

لقح الشخص تولدت في جسمه مادة مضادة لهذا الميكروب المحقون ، وبذلك لا يكون

له تأثير في احداث المرض . وقد يحقن الميكروب بدون اضافته ولكن بمقادير قليلة

جدا تزداد تدريجيا

والميكروبات التي تزرع بقصد الحقن منها ما يفرز سما في السائل المزروع فيه ،

ومنها ما يكون سمة كامنة في جسمه - كما تقدم - وذلك مثل سم ميكروب الطاعون ولا بد من ملاحظة هذه المسألة قبل الحقن، فإذا أريد حقن حصان لاستخراج مصل منه نافع الطاعون فلا يجوز حقنه بالسائل الذي يربى فيه الميكروب فإنه يكاد يكون خاليا من السم إذا لا يخرج منه شيء يذكر من جسم الميكروب، ولذلك يجب أن تستعمل طريقة أخرى للوقاية من الطاعون كأن يحقن الشخص المراد وقايته بنفس السائل بدون تصفيته بعد قتل ميكروب الطاعون الذي فيه، وذلك بتمريره مدة ساعة حرارة درجتها ٦٥° بالمقياس الثنائي، ولا يصح قتل الميكروب بالقلبي فإن ذلك يفسد سمة أو يغيره تغييرا يجعله غير صالح لما نريد.

وقد ذهب علماء هذا العلم في تفسير مسألة الوقاية مذاهب عديدة، نذكر هنا أشهرها: -

(١) مذهب القائلين (بنفاذ السماد) ومعنى ذلك أنهم يقولون أن في جسم الانسان بعض مواد لازمة لحياة الميكروبات تكون كالسماد لها فإذا أصيب الانسان بمرض ما كالجدري مثلا فقد هذا السماد الضروري لحياة ميكروبه من جسم الانسان ولذلك لا يصاب به عادة مرة أخرى. وهذا التفسير أصبح الآن مردودا عند جمهور العلماء.

(٢) مذهب القائلين باحتباس سم الميكروب في جسم الانسان، وذلك أن الانسان إذا أصيب بمرض ما تولد من الميكروب سم يهلك نفس هذا الميكروب ويفسرون بذلك سبب شفائه من المرض، ويقولون أن هذا السم يبقى في جسمه بعد ذلك ويقتل هذا الميكروب الخاص إذا دخل في جسمه مرة أخرى.

(٣) مذهب الفرنسيين، وهم يقولون أن الكريات البيضاء في دم الانسان تقتل الميكروبات لا سيما إذا تعودت أكل نوع مخصوص منها فإنها تلتهم به بشراهة قوية.

(٤) مذهب الألمانيين، وهم يقولون: أن الانسان أو الحيوان إذا أصيب بمرض ما أفرزت منسوجات الجسم المختلفة مواد تجري في دمه، وهذه المواد منها ما يهلك الميكروب ومنها ما يفسد سمة، كالإداة المتولدة في مصل الحصان التي ذكرت سابقا للوقاية من الدفتيريا أو لشفائها.

والحق شائع بين مذهبي الفرنسيين والالانيين . وأحسن المذاهب مذهب من يجمع بينهما كذهب بعض علماء الانكليز وغيرهم بأن يقول : ان الانسان اذا أصيب بمرض تولدت في جسمه تلك المواد التي قال بها الألمانيون، وهذه المواد تفقد سم الميكروب أولا وتضعف نفس الميكروب أو تقتله ثانيا حتى تقوى عليه كريات الدم البيضاء فيسهل عليها أن تلتهمه وتهضمه هضمًا

وقد عرف من عهد قريب أنه يوجد في دم الانسان في الحالة الطبيعية مواد تسمى المواد الإدمية [ Opsonins ] وهذه المواد تؤثر في الميكروب وتؤديها لخصوصا حتى تجعلها كأنها طعام لذيذ للكريات البيضاء، ولذلك سميت بهذا الاسم تشبها لها بالادام

ومقدار هذه المواد يختلف باختلاف الأشخاص والاحوال، وكلما كثرت كانت البنية أشد مقاومة للميكروب، وهي تزيد بالحقن باللقاح وبالمرض اذا قاومت البنية أو غلبته

ومدة الوقاية من الامراض تختلف كثيرا، فاذا أصيب الانسان بالزهري أو الجدري فقل أن يعود اليه هذا المرض طول حياته واذا أصيب بالدفثيريا أو الالتهاب الرئوي فقد يعاوده المرض

ومن الناس من يجتمع في جسمه مرضان أو أكثر كاجتماع الدفثيريا مع الحمى القرمزية. وكانوا يظنون سابقا ان ذلك غير ممكن ولكن الحقيقة ان الجسم اذا أصيب بمرض كان أكثر تعرضا للامراض الاخرى مما اذا كان سليما وذلك لضعف قوة المقاومة

ومن الامراض ماتورث إما بنفسها كالزهري وإما بالاستعداد لها كالسل، فاذا كان أب الانسان مثلا مصابا بالزهري ولد ابنه مصابا به أيضا، واذا كان مصابا بالدرن الرئوي ( السل ) كان ابنه غالبا خاليا من ميكروب هذا الداء ولكن جسمه يكون مستعدا له كل الاستعداد فيصاب به عادة عاجلا أو آجلا

#### حاملو الامراض

اذا أصيب المرء بمرض كالحمى التيفودية أو كان جسمه ممتلئا عليه لسبب ما

ودخلت الميكروبات في أمعائه فمن الجائز أن تعيش في جوفه أشهر عديدة أو سنين كثيرة ربما بلغت الخمسين بدون أن يشعر بمرض منها ، ولكنه يكون خطر على غيره من المستعدين لهذا الداء ، وذلك لأن الميكروب يتكاثر في بعض أحشائه كالأمعاء أو المرارة أو الكلى والمثانة ويخرج في برازه أو بوله فيصل الى طعام الآخرين أو شرابهم ويوردوهم موارد الهلاك . ويسمى العلماء أمثال هؤلاء الناس [ حاملي الامراض ] ومنهم من يتكون عنده حصيات في المرارة بسبب هذه الميكروبات. وبعض الامراض الاخرى حاملون كالذئبوريا والكوليرا وغيرها ومن ذلك يعلم أن الحاملين نوعان : (١) الحاملون الاصحاء وهم الذين لم يصابوا بالمرض مطلقا وإنما كن فيهم ميكروبه من غير أذى و (٢) الحاملون الناقمون ، وهم الذين يوجد فيهم الميكروب في أثناء النقاهة من المرض أو بعدها بمدة مديدة ، ويسمون حينئذ بالحاملين المزمنين

## الفطر

نوع من الميكروب له خلايا عديدة وهو أيضا من فصيلة النبات الا انه خال من الكاڤوروفيل ، ويتركب من خيوط دقيقة جدا مشبك بعضها ببعض الآخر بنمى نظام - وهو الاكثر - كميكروب القرع ، أو بعض نظام - كما في الفطر الشعاعي [ Ray - fungus ]

وبين هذه الخيوط أو عند مركزها توجد حبيبات كالتى ذكرت في الميكروبات السابقة وهي بزور الفطر ومن الفطر ما يصيب الجلد فيحدث فيه أمراضا متنوعة كالقرع ومنه ما يصيب الفم أو الرئتين وغير ذلك مما سيأتى بيانه في باب الامراض المعدية وتخلو الفطر من الكاڤوروفيل لا يمكنه تحليل غاز ثاني أكسيد الفحم فهو بذلك يشبه البكتيريا

### ضرورة الكاڤوروفيل والشمس للحياة

إعلم أن الكاڤوروفيل من أوجب ضروريات الحياة في هذا العالم اذ بوجوده في ( المنار: ج ٨ ) ( ٧٦ ) ( المجلد الثامن عشر )



النبات يمكنه تركيب النشاء الضروري لتكوين مواد أخرى كثيرة مما في النبات وهي ضرورية للحيوانات أيضا ، وذلك بتأثير أشعة الشمس معه في الأجسام . ويحتاج الكلوروفيل لوجود مادة الحديد في الأرض وإن كانت لا تدخل في تركيبه بخلاف حمرة الدم فإن الحديد داخل فيها

وإذا تأمل الإنسان في هذا العالم وجد أن الحياة تفاعل في قوى المادة كتفاعل النار تبعا لسنن مخصوصة . ومن الصعب أن يضع الإنسان تسريفا لها جامعا مانعا لدخول مثل النار فيه فانها تشبه الاحياء في احتياجها الى غذاء (وقود) وتخرج منها أجسام كما تخرج إفرازات الاحياء . ونقسم كاتقسامها وتتحرك كحركتها الى غير ذلك من الصفات المشتركة إلا أن حركتها لا تدل على شئ من الارادة كحركة بعض الاحياء (راجع صفحة ٤٢ و ٤٣ من الجزء الاول)

هذا — وكان المتقدمون يرون أن الشمس ضرورية لتكوين الكلوروفيل في النبات ولكن وجد أنه قد يتكون بحرارة عالية في الظلام التام ، ومن هذا نرى أن الحرارة أو النار سواء أكانت من الشمس أم من غيرها هي الاصل الاصيل للاحياء قاطبة ويصعب فصل مفهوم أحدهما (الاحياء والنار) عن الاخرى بالدلائل المتقدمة

## الملائكة

كان القدماء لصغر عقولهم لا يقدرّون على الاعتقاد بأن إلهًا واحدًا يمكنه تدبير هذا الكون العظيم كله فلهذا أشركوا به تعالى غيره فجعلوا لكل شيء إلهًا وكذلك لكل قوة من قوى هذا الوجود حتى جعلوا لبعض أفعال الانسان آلهة . ومن ذلك ما نراه من أساطير اليونان مثلا فإن لهم إلهًا للرياح وآخر للحرب وثالثًا للنوم ورابعًا للنار وخامسًا للزواج الى غير ذلك من الآلهة التي تكاد لا تعد . ولكل من هذه الآلهة اسم باليونانية يعرفه العالمون بتلك اللغة

ولما جاءت الرسل الى الناس كان من أكبر مقاصدهم أن يردوهم عن الشرك الى التوحيد فأبى أكثرهم ترك ما هم عليه ، ومن آمن منهم صعب عليه أن يترك جميع هذه الآلهة مرة واحدة ، فأخذوا يسمونها بأسماء أخرى ولكنهم بقوا معتقدين بوجودها

وتدبيرها لهذا الكون العظيم ، ومن ذلك ما نراه في اسرائيليات اليهود فانهم ذهبوا الى أن لكل شيء في هذا العالم ملكاً قائماً بتدبيره فقالوا ان للعرض ملكاً وكذلك النار والماء والوحوش والطيور والساكنات والحيوانات والريج والورد وللشجر لكل منها ملكة والموت ملكان واحد يقبض أرواح القاطنين بأرض اسرائيل وآخر يقبض أرواح غيرهم من الساكنين في سائر البقاع الأخرى. ولم يكفهم ذلك بل زعموا أن الرباء (الطاعون) اذا انتشر فيهم كان بسبب ملائكة يرسله الله تعالى اليهم؛ ومن ذلك ما روي في سفر صموئيل الثاني (اصحاح ٢٤: ١٥ - ١٧) ان داود رأى الملائكة الذي ضرب في اسرائيل بالوباء فأتى منهم ٧٠ ألف رجل

وقد دخلت نفذه الاسرائيليات في الاسلام مع من دخلوا فيه من أهل الكتاب وقال المساهون بملائكة كملائكة اليهود مع أن القرآن الشريف لم يثبت الوجود القليل منها كما هو معلوم . على أن لنا في فهم معنى كلمة «ملك» وجها آخر غير ما يفهمه أكثر الناس، وذلك أن هذا اللفظ مشتق من (مألك) يضم اللام وقبحها ، وهو اسم الرسالة ، وقيل مأخوذ من لفظ (لأك) اذا أرسل ، وعليه فكلمة ملك تطلق على كل رسول<sup>(١)</sup>

(١) المنار: مقاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لئنه وشرعا ، الا انه مذهبه واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لأجلها اجزنا نشره ، وهي أن المفوردين بما أصابوا من علم البشر القليل بشؤون الكون يتوهمون أنهم بذلك القليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وخالفه أيضا ، وان ما لا ينطبق على علمهم لا يكون صحيحا وان كان يمكننا في نفسه فنل هذه التأويلات تقطع السنة هؤلاء الواهين المفوردين دون الاعتراض على النصوص ، أو تنزيل شبهاتهم فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولأن يكون أحدهم متدينا مؤولا ، خير من ان يكون زنديقا معطلا

أما يان ضعف ما ذكر لئنه فلان الألفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية لا يجوز أن يدخل في مفهومها كل ما يناسب الأصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم الشيب الذي يجب على كل مؤمن الإيمان به كما ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه مكتنا عقلا ، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان والأول هو الإيمان بالله =

فما يرسله الله تعالى الى هذا العالم من المادة أو قواها يصبح لغة أن يسمى ملكا بلا نزاع ، فالريح يسمى ملكا أو رسولا من الله ، ولذلك قال تعالى في الرياح ( والمرسلات عرفا ) والرعد كذلك ملك لأنه يرسله الله تعالى لتخويف عباده وهكذا مما في هذا الكون من قوى المادة العظيمة كالغضائيس والكهرباء ، وإلى هذا الرأي يشير قوله تعالى ( ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ) فان الواجب أن تكون بين المعطوفات مناسبة فطفت الملائكة على الرعد يشير الى ان المراد منها بعض القوى الطبيعية كالكهرباء التي تحدث الرعد والبرق ولعدم فهم المفسرين هذه المناسبة في هذا العطف زعموا أن الرعد ملكا بالمعنى الذي يفهمونه <sup>(١)</sup>

ونحن اذا سمعنا قوله تعالى ( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ) لا يتعين عندنا ان نفهم منه ما يفهمون فعزرايل <sup>(٢)</sup> لم يرد ذكر اسمه في القرآن ولا في سنة صحيحة ، وانما هو اسم مشهور عند اليهود كانوا يسمون به بعض الناس وله عندهم عدة صيغ أخرى ولذلك لانؤمن بوجوده

والذي أراه أن الميكروبات هي من رسل الله في هذا العالم فيجوز أن تسمى ملائكة ، ومنها ما يحدث الامراض المختلفة ، ولا نتحلل بحث جميع الموائى الا

---

= تعالى ، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها الكاتب بالذئبة الخفية ؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس يعمد لغة ولا ممنوع شرعا فقد ورد في الآثار ان الجن أنواع ومنه ماهو من خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلها ببعض شؤون الكون وسببها له . وتفصيل هذا البحث لا يتسع له هذه الحاشية

(١) ان قول بعض المفسرين بان الرعد ملك لم يكن مخترعا ومستنبطا بسبب عدم فهم ما فهمه الكاتب بل هي رواية نقلها أهل التفسير المأثور الذين ينقلون كل ما بلغهم وتلك منة لهم علينا وهم لم يصرحوا بها . وتسييح الرعد من قبيل تسييح الجبال في سورة ص وتسييح كل شيء في سورة بني اسرائيل  
(٢) معناه في العبرية من يمينه (سوءه) أي الله

الميكروبات، فاذا انحلت الجثث خرجت منها غازات وعناصر وأجسام متنوعة؛ وإذا ذهبنا إلى أن الروح عبارة عن جزء من مادة الاثير متحد بالجسم لانسبغده خروج الروح عند انحلال الجسم بسبب عمل الميكروبات فيه، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون) الآية

فغمرات الموت من (غمر) ومعناها وجود الجسم في أشد دركات الموت التي تغمره وهو وقت انحلال الجنة؛ وبسط اليد كناية عما تفعله الميكروبات بها من التحليل والافساد، وقد ورد مثل هذه العبارة كناية أو مجازاً حتى في حق من هو منزّه عن الاعضاء والجوارح فقال تعالى (بل يدها مبسوطتان) (وراجع ٣٠: ١٧) وقوله (أخرجوا أنفسهم) هو ما تقوله الميكروبات بلسان حالها كما قالت السموات والارض (أتينا طائعين) والتعبير عن الميكروبات بضمير العاقل هو سنة القرآن من أوله إلى آخره فإنه يعبر غالباً عن كل ما يعمل عملاً من أعمال العقلاء بضميرهم، ومن ذلك قوله تعالى في السكواكب وهي أجرام جامدة (وكل في فلك يسبحون) وقوله في الاصنام (فراغ عليهم ضرباً باليمين) لان المشركين كانوا يعتقدون أنها عاقلة مدبرة

ولرفع التناقض الظاهري بين قوله تعالى (ملك الموت) بالافراد وبين قوله تعالى (توفته رسلنا) بالجمع نقول إن المفرد المضاف يعم كقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام) أي لياليه فكذلك يصح أن يكون المراد من ملك الموت ملائكته أو رسله أي ميكروباته، وهي عادة من النوع الباسيلي — كما تقدم —

ومن أمثلة ذلك قولهم «حلت دودة القطن بأرض فلان» أي دوده فالمراد الجنس لا الفرد

ولا يقوم أحد مما ذكر أننا نشكر وجود بعض أنواع أخرى من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، كلا؛ ثم كلا؛ فإن الايمان بالملائكة بالمعنى المشهور فرض على المسلم. وما يجب علينا الايمان به أن لالوحي ملكا (جبريل) وهو ليس من قبيل ما ذكرناه، وإنما مرادنا أن الميكروبات مما يدخل تحت لفظ الملائكة وليسوا هم كل الملائكة وآية فاطر التي ورد فيها ذكر الاجنحة للملائكة يمكننا أيضاً تطبيقها على

الميكروبات، فقد سبق أن لبعض الميكروبات أهداباً مشي (كافي ميكروبات الكوليرا) فإن لها هذين أحياناً في طرف منها وإذا اجتمع اثنان منها والتصفا معا جاز أن يكون لهما ثلاثة أهداب، والميكروب الحلي الراجعة أربعة أهداب، وللتيفود أهداب عديدة يزيد في الحلق ما يشاء، ولا شك أن الجناح يطلق على الجنب واليد والمضد والابط ومنه قوله تعالى ( واضمم يدك الى جناحك ) فلا مانع من إطلاقاً على هذه الأهداب التي هي بمثابة الأيدي للميكروبات . على أننا لسنا في حاجة الى تطبيق هذه الآية على الميكروبات ، فإنه ليس المراد من كون الميكروبات من الملائكة أن كل ما يسهى ملكاً يكون له أجنحة ويكون عاقلاً مكرماً عند الله بل المراد أن كل ما هو خاضع لأمر الله يرسله متى شاء فهو من ملائكته أي رساله

هذا — ولا يتوهم من قوله تعالى في سورة العنكبوت مثلاً عن لسان الملائكة (إنا مهلكو أهل هذه القرية — ونحن أعلم بمن فيها — إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) الآيات أن القرآن — ككتب الأمم الأخرى — ينسب الى الملائكة الأعمال التي تجري في هذا العالم حسب السنن الإلهية المعتادة كنسف القرى وقلب الأرض بالثورات البركانية ، فإن هؤلاء الملائكة كانت وظيفتهم قاصرة على أخبار إبراهيم ولوط بما قدره الله لقوم لوط ولزوجه وعلى إرشاده الى ما يجب عمله حتى ينجوا مما سيحل بهم ، وإما عبروا بتلك المبارات التي يفهم منها أنهم — أنفسهم هم الفاعلون ليكبت وكبت لانهم رسل الله أرسلوا بأمره وإرشاده ليكونوا نائبين عنه تعالى في تبليغ ما أراد لوط فهم مشكلون عن الله ولسانه جل شأنه ، فالمهلك والعالم بحال الناس والمنزل الرجز هو الله الذي أمرهم أن يقولوا عنه ذلك، وقد تقدم لهذه المسألة نظير في قصة مريم وجبريل عليهما السلام ( راجع صفحة ١١٨ من الجزء الاول ) ولذلك قالت الملائكة لوط ( ألا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين ) كافي سورة الحجر مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الذي قدر كل شيء ، وإنما هم مبلغون بأمره عن قدره وعليه فالتقدير في سورة العنكبوت هو هكذا : ( ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا) تبليغا عنا (إنا مهلكو أهل هذه القرية . . . قال ان فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها ) أي قالوا عنا اننا نعلم بمن فيها ( وقالوا لا تخف ولا تحزن انا

منجوك وأهلك الامراتك كانت من الغابرين \* إنا منزلون على أهل هذه القرية  
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون \* ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون ) فالتكلم  
الحقيقي في كل هذه الآيات هو الله تعالى كما هو ظاهر من آخرها ، والملائكة إنما  
يرددون هذه العبارات لتبليغها الى لوط بالنيابة عن الله تعالى ، فافهم ذلك ولا تكن  
من الجاهلين

## الجن

هذا اللفظ مشتق من مادة الجيم والنون، وهذه المادة تفيد معنى السر ومن  
ذلك قوله تعالى ( فلما جن عليه الليل ) أي ستره ، وأجن الشيء في صدره أي  
أكنه ، والجنين المحلوق مادام في البطن ؛ والجنة السترة والجنان القلب لاستتاره  
واستجن أي استتر بستره ، والجن الترس وكلها تفيد معنى الحفاء والاستتار؛ فلفظ  
الجن يطلق أيضا على الميكروباب لاستتارها فهي ملائكة مرسلة من الله ومستترة  
عن أعين البشر

ومن ذلك حديث ( الطاعون وخز أعدائكم من الجن ) وفيه إشعار بأن  
للإنسان أعداء من غير الجن وهو صحيح

وتقول في خلقها إنا اذا لاحظنا أن الميكروبات نباتات والنباتات سابقة  
لجميع الحيوانات فهي مخلوقة من الأرض بعد أن أخذت في البرودة  
واذا لاحظنا أن القرآن الشريف نص على أن الله تعالى جعل من الماء كل  
شيء حي أمكننا أن نقول إنها خلقت بالتحاد بعض العناصر مع الماء أو بخاره في  
وقت كانت الأرض فيه شديدة الحرارة أو آخذة في البرودة

ولا يخفى على المطلعين على العلوم الطبيعية أن الراجح أن الأرض كانت شعلة من  
النار مشتقة من الشمس؛ فاذا قلنا ان هذه النباتات هي أول ما كوّن من الاحياء في  
الأرض فهمنا معنى أنها مخلوقة من النار إذ ليس معنى هذا الخلق أنها خلقت مباشرة  
منها بل خلقت أطوارا كما أن الإنسان لم يخلق مباشرة من التراب بل خلق منه طورا  
بعد طور . فالحق أن جميع الاحياء مخلوقة من الأرض والأرض مخلوقة من النار

ولما كانت النباتات أول المخلوقات كانت أسبق منا الى طور النار وأقرب بها عهدا منا ، على أنه ليس المراد بكون الميكروبات أو غيرها من الجن أن كل ما يسمى جنة مخلوق من مادة واحدة بل معناه أن كل ذلك من العوالم الخفية المجتمة

## العدوى

قبل الكلام في هذا الموضوع يجب أن نذكر ماورد من الاحاديث المثبتة للعدوى والنافية لها ثم نجتمع بينهما بما يفتح الله به علينا

فن الاحاديث المثبتة للعدوى :- ( قوله ص ) « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين » <sup>(١)</sup> وقوله (ص) « ان كان شيء من الداء يمدى فهو هذا » يعني الجذام ( وقوله ص ) « اتقوا المجذوم كما يتقى الاسد » وقوله (ص) لرجل مجذوم كان في وفد ثقيف « ارجع فقد باعناك » وقوله (ص) « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » وهذا الحديث يصح أن يعتبر مبدأ يجرى عليه الناس في مسألة الحجر الصحي المسمى باللاتينية ( Quarantine ) ومعناه الاصلي « أربعون » لان السفن الآتية من البلاد الموبوءة كانت تمنع من الاقتراب من شاطئ البلاد السليمة مدة أربعين يوما . فالرسول (ص) يريد بهذا الحديث أن يعمل المسلمون أيضا مثل هذا الحجر على البلاد الموبوءة فلا يدخلوا فيها لئلا يصابوا ، ولا يخرج الناس منها لئلا ينشروا العدوى بين الآخرين

وورد أن أبا عبيدة قال لعمر حينما خاف من طاعون الشام : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم فرارا من قدر الله الى قدر الله . وورد أن النبي (ص) قال « لا يُورَدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصْحٍ » وفي لفظ « لا يوردن ذو عاهة على مصحح »

( ١ ) يقول الاطباء إن ميكروب السل ينشر وجوده في الهواء حول المصاب بعد مئتين ونصف منه ، وزجما كان الامر كذلك في الجذام

ومن الاحاديث النافية للعدوى: - قوله (ص) « لا يعدي شيء شيئاً فمن أجرب الاول ؟ لا عدوى ولا صفر ، خلق الله كل نفس فكتب حياتها ورزقها ومصائبها » وفي حديث آخر « فمن أعدى الاول ؟ » وقوله (ص) « لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، ولا يحل الممرض على المصح ، ولا يحل المصح حيث شاء - قيل : ولم ذاك ؟ قال - لانه أذى » وقوله « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة - قيل : يا رسول الله ! أرايت البعير يكون به العجرب فيعجرب الابل كلها ؟ قال - ذلكم القدر ، فمن أجرب الاول ؟ »

هذا شيء مما ورد في هذه المسألة ؛ وقبل الخوض فيها يجب أن نتذكر ما روي عن أنس أن الرسول قال \* أتم أعلم بأمر دنياكم \* فعلى فرض أننا لا يمكننا تأويل الاحاديث النافية للعدوى فالمسلم لا يتحتم عليه أن يأخذ بها - كما سبق في صفحة ١٦٥ من الجزء الاول - فانه أدري بامور دنياه يأخذ منها ما ثبت عنده بالبرهان ، على أننا اذا راجعنا جميع هذه الاحاديث ظهر لنا أن النبي (ص) وأصحابه (رض) كانوا يعتقدون بالعدوى كما هو صريح ما ذكرناه منها أما نفى العدوى فيقال فيه ما يأتي :-

العدوى لغة هي انتقال المرض من شخص الى آخر ، وكانت العرب تعتقد أن المرض لا يأتي الا من مريض ولذلك قال (ص) لهم \* فمن أعدى الاول ؟ \* ولا يخفى أن المرض عرض لا يمكن أن يقوم بذاته وعليه فيستحيل أن ينتقل المرض من شخص الى آخر ، وهذا مما يفهم من قوله (ص) \* لا عدوى \* أي لا ينتقل المرض ، وهذا حق

أما انتقال جراثيمه فهو أمر كانت تجهله العرب فلم يكن حديثهم ولا حديث الرسل فيه . وأيضاً قد ينتقل الميكروب ولا يحدث المرض كما سبق في باب الوقاية ، فليس انتقال الميكروب شرطاً لحدوث المرض . ومن الميكروبات ما يكون منتشراً في الهواء أو الطين أو غيرها وهي التي أصابت الاول المذكور في الحديث<sup>(١)</sup> والميكروبات التي تصل الى الانسان لا تحدث فيه المرض الا اذا كان

(١) المنار : أن من عرض بوصول الميكروب اليه من الهواء أو الطين =



مستعدا له ، والاستعداد يكون بأسباب وأحوال أرادها الله تعالى وجعل السبب فيها على قدر المسبب وذلك ما يسعى بالقدر في الاحاديث ، فالاساس الاصيل في حدوث الامراض هو القدر ولولاه لما فعلت الميكروبات بالجسم شيئا مطلقا . وحكمة ذكر هذه الاحاديث بعد نصه (ص) على وجوب الابتعاد عن المرضى وتعليله ذلك بأنه أذى أي ضرر - هي أن الانسان يجب عليه أن لا يتغالى في أمر العدوى بمجرد اقترابه من المريض فان ذلك يحدث في الجسم وهما ووسوسة قد يؤذيان الى ضعف حقيقي في الجسم أو العقل ، ويؤدي الناس الى الامتناع عن تمرّض المريض أو معالجته لمجرد الوهم وفي ذلك ما فيه من الضرر

ولذلك تجدد الاطباء لا يبالون بالوسوسة في أمر العدوى ويقابلون كل مريض ويتقربون منه أشد القرب بل ويمسكون بأيديهم ما فيه الميكروبات ولا يجنبون فان العاقل يجب أن لا يكون جباناً ولولا ذلك لما تقدمت الابحاث العلمية كل هذا التقدم والغلاصة أن الخوف من العدوى يجب أن يكون في دائرة العقل فلا يجوز أن يفرط الانسان فيها ولا يجوز أن يفرط من الرعب منها فان ما قدر الله للانسان من حيث قوة بنيتة أو ضعفها ومقاومتها للامراض لا بد أن يكون واذا فرض أن أمراً كان مستعداً لمرض ما أتاه المرض من حيث لا يحسب، فلما كان الواجب الاعتدال في العدوى كما هو واجب في كل شيء

وعبرة عمر (رض) السابقة في القدر صريحة في وجوب العناية بأوامر الطب وعدم مخالفتها اعتماداً على القدر وهي من أعلى الحكم الفلسفية ومن مضار شدة الوسوسة في مسألة العدوى أن الموسوس يمتنع عن ملاسة كل شيء مما في هذا العالم الا بشروط مخصوصة توجب الاعياء والاعانات ، فتلا

= لا ينطبق عليه تعريف العدوى السابق

فان قيل: ان الميكروب الذي كان في الهواء أو الطين قد انتقل اليهما من شخص مصاب - تقول : ومن أعدي أول من أصيب بذلك المرض من البشر أو من الحيوان ؟ لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بنفي حصر المرض بالعدوى المعروفة وإثبات أن من المرض ما حدث بأسباب أخرى، الا إن امكن اثبات أن أول البشر مثلاً كان مصاباً بجميع الامراض المعدية ولن يثبت هذا أبداً

يتجنب لمس النقود ونحوها كالأوراق المالية ، ويتجنب محادثة الناس واستنشاق الهواء خوفاً من أن يكون مرّ على مرضى أو موتى ، ويتجنب الاكل أو الشرب أو النوم أو الركوب في الحضر والسفر حيث يفعل الناس كل ذلك ، وفيه من الضرر البالغ ما لا يخفى على المفكر

أما الصَّغَر (بفتح السين) فهو ما كانت تزعمه العرب من أن في البطن حية تعض الانسان اذا جاعه والذئع الذي يجده عند الجوع من عضها . وهذه الحية لا وجود لها في الانسان السليم وإنما قد يوجد في البطن أنواع كثيرة من الديدان ، منها نوع يشبه الثعبان الصغير ولكنه غير موجود في جميع أفراد الانسان كما توهموا ، وليس هو السبب في الاحساس بالجوع كما كانت تزعم العرب ، وقيل : ان معنى (لاصفر) ان الامور الرديئة لا تقع في صفر دون غيره من الشهور بل هو كغيره ، ولا اعتقاد العرب ان هذا الشهر مشؤوم كانوا يحرمونه ويستحلون الحرام بدله

فأنت ترى من كلا التفسيرين أن ليس المراد نفي (صفر) مطلقاً بل نفي ما كان تعتقده العرب فيه ، سواء أكان اعتقادهم أنه دودة في بطن كل امرئ تحدث عنده الجوع أم كان شهراً مشؤوماً دون الشهور ، فكذلك ليس المراد من نفي العدوى نفيها مطلقاً بل نفي ما كانت تعتقده العرب فيها من أن الامراض تنتقل بنفسها وأنه يتحتم حصول المرض بمجرد الاقتراب من المريض وأنه لامرض يحصل الا من مريض سابق ، وكما لوهام باطله فهاها رسول الله (ص) وهو محق في ذلك كل الحق كما نفي الصفر وكما نفي الهامة

وأما الهامة فهي لغة الرأس وطير من طيور الليل يسمى الصدى وهو ذكر البوم وهو المراد في الحديث ، وكانت تزعم العرب أن روح القتل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة وتصيح على قبره — : اسقوني ! اسقوني ! فاذا أدرك بثأره طارت ، وهذا أيضاً من الخرافات التي جاء الاسلام بتطهير العقول منها ( استدرارك على حياة الميكروبات )

ظهر مما سبق أن العلماء يعتقدون أن الميكروبات خالدة — كما يعبرون — وهم كذلك يعتقدون أن المادة وقواها خالدة ، أفليس من أعجب العجائب بعد ذلك

أن يعتقدوا أن الانسان غير خالد مع أنه أرقاها ولم تمنع الطبيعة<sup>(١)</sup> بمخلوق اعتناءها به؟ - كما يقولون - أليس في محافظة الميكروبات على نوعها بالجيبات (Spores) إشارة لنا الى أن روح الانسان هي كحيية الميكروب؟ وكما أن الميكروب ينتقل بذلك من طور الى طور فكذلك الانسان ينتقل بروحه من طور الى آخر فهل بعد ذلك يكون في عقيدة البعث شيء من الغرابة أو المناقاة لسنن الكون حتى ينكرها المنكرون ١٩

## الاحياء الطفيلية أو التسليفية

هي التي تسلق غيرها ( أي تملوه ) وتنتقل عليه فتغذى منه ، وهي نباتية وحيوانية ، والنباتية أكثرها قسكا بالانسان وغيره واشدها خطرا

### النباتية

تشمل بعض أنواع البكتيريا التي يتركب أكثرها من خلية واحدة - كما سبق - والفطر الذي يتركب من خلايا متعددة - وقد تقدم البيان الشافي عنها - ويلاحظ في هذه الاحياء النباتية والحيوانية أنها كلما دقت وصغرت كانت أشد خطرا من الكبيرة، والله في خاتمه شؤون فكأنه تعالى قد وضع سره في أصغر خلقه (كما تقول السامة)

### الحيوانية ، واشهر انواعها : -

(١) ذوات الخلية الواحدة وتسمى بالافرنجية [Protozoa] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي « الحيوانات الاولى » وأشهر أمثلتها جراثية ( الملائريا ) - وتسمى بالعربية [ النافض ] أي ذات الرعدة - وأحد نوعي (الدوسنطاريا) - وتسمى بالعربية [ الزحار ] أي التي تحدث الزحير - وبعض الحارزونات كحارزي الزهري والحجى الراجعة وهذه هي التي تنقسم بالطول - كما قلنا - بخلاف البكتيريا فإنها تنقسم بالعرض ، وذلك من أهم ما يميز الواحد منهما عن الآخر

(٢) حشرات صغيرة مركبة من خلايا عديدة ، تكون حيوانا صغيرا

مثل أكروس الجرب والقردان كما في بلاد السودان [ Ticks ] وهو جمع قُرَاد وكلاهما من الفصيلة المنسكوتية

(٣) حشرات كبيرة كالقمل والبراغيث والبق

(٤) النخف وهو الذي يسميه الاطباء المحدثون [ البَرَقات ] وهي الدود الذي يخرج من بيض بعض أنواع الذباب ويمش في جلد الانسان أو أذنيه أو أنفه

(٥) الديدان بأنواعها والاكياس الدودية ، ومن أشهر أنواع الديدان : —

( أ ) المعوية كالوددة الشريطية

(ب) الدمية كالبهارزية وهي دودة اكتشفها في مصر الباحث الشهير ثيودور بلهارز [ Theodor Bilharz ] سنة ١٨٥١ وهي توجد في بعض أوردة الانسان ( كالوريد الباب ) وهي السبب في ما يصيب أكثر المصريين من البول الدموي أو البراز الدموي أيضا

( ج ) المفاوية كالفلاريا [ Filaria ] وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية ومعناها الخيطية ، وهذه الدودة هي السبب في البول اللبني وداء الفيل

( د ) الصفراوية كالوددة الوبقية [ Distoma Hepaticum ] التي توجد في مرارة البهائم ومجاري المرّة (الصفراء) فيها، وقد توجد في الانسان نادرا، وهي تشبه الورقة الصفيرة شبا تاما وطولها نحو ٢٥ مليمترا وعرضها ١٢ مليمترا وتكون مطوية على نفسها وقد تسد مجرى الصفراء في الانسان فتحدث عنده اليرقان وتنزل الصفراء في بوله

( هـ ) الجلدية كالعرق المدني وهو نوع من الفلاريا يسكن تحت جلد الانسان خصوصا في أوجله وهي كثيرة الوجود في سكان المدينة المنورة وبلاد الهند وغينيا (بأفريقية) والسودان

( و ) العضلية كدودة الشعرة الخلزونية [ Trichina Spiralis ] طول الذكر منها ١٥ مليمتر وطول الانثى نحو ٣ مليمترات وهذه الدودة تسكن كبارها في أمعاء الانسان وصغارها في عضلاته. وإنما ذكرت على حدة لان وجودها في الامعاء لا ينشأ عنه ضرر يذكر وكل الضرر من وجود صغارها في العضلات فانها تحدث

ألمًا شديدًا وحمى تشبه الحمى التيفودية، والمرض الناشئ منها شديد الخطر على الحياة. وصغار هذه الدودة التي تسكن العضلات ترى فيها بالعين المجردة كنقط مبيضة صغيرة جدًا طولها جزء من ثمانية وسبعين جزءًا من البوصة، وهذه النقط هي الديدان وما أحاط بها من الفلف، وتصل هذه الدودة إلى الناس من أكل اللحم الخنزير. ويكثر وجودها بمض الكثرة في بلاد ألمانيا لكثرة أكل أهلها لحم الخنزير. وتصاب الفيران بهذه الدودة أيضًا فتنتشر في عضلاتها، والفيران يأكل بعضها البعض الميت فتنتشر الدودة ينها، وهي تأوى إلى زواجب الخنازير وتموت فيها، والخنازير مولعة بأكلها أيضًا فينتشر فيها المرض لذلك، ومنها يصل إلى الإنسان، وسيأتي إن شاء الله البيان الشافي عن جميع هذه الديدان وتواريخ حياتها والامراض التي تنشأ عنها تفصيلًا

## الامراض التي تنشأ من الاحياء الطفيلية

### ( مقدمة في الحمى )

ذكرنا في الجزء الاول ( صفحة ١١ و ١٢ ) حقيقة الحمى ومنشأها وغير ذلك مما يتعلق بها اجمالاً ونريد الآن أن نفصل القول فيها تفصيلاً فنقول : —  
الحمى هي ارتفاع حرارة الانسان عن الدرجة الطبيعية ، وتكون مصحوبة بأعراض كثيرة تصيب أجزاء الجسم المختلفة واليك تفصيلها :  
الجلد — يكون ساخناً وجافاً غالباً وقد يندى بالعرق وفي بعض الحيات يكون العرق غزيراً ولون الوجه حمراً . وفي بعضها يظهر في الجلد ما يسمى « بالطفح » وهو أنواع كثيرة ، منها نقط حمراء تزول بالضغط عليها أو نقط ناشئة من نزف تحت الجلد وهذه لا تزول بالضغط . ومنها بثور كما في الجدري . والظاهر أن سموم الميكروبات تحدث شللاً في الاوعية الدموية للجلد أثناء محاولتها الخروج من البنية أو تحدث تهيجاً أو التهاباً في الجلد فينشأ من ذلك الشلل أو ذلك التهيج أو الالتهاب أنواع من الطفح تختلف باختلاف كل مرض وسيأتي بيانها . وفي بعض الحيات التي يكثر فيها العرق كالحمى التيفودية والرثية ( الروماتزم ) تشاهد

حبوب صغيرة جدا في الجلد ممتلئة بسائل رائق وهي تتكون من ارتفاع الطبقات العليا للبشرة بتراكم العرق تحتها

الجهاز الهضمي — يكون اللسان مغطى في أول الامر بطبقة بيضاء ثم يجف وتزول هذه الطبقة من مقدم اللسان وحوافه فيرى لونه أحمر ، ثم يشتد الجفاف ويسمر لون اللسان ويشقق ويجتمع عليه وعلى الاسنان والشفتين أوساخ مسودة . ويقعد المصاب شهوة الطعام ، وقد يصيبه القيء ، ويكون الهضم ضعيفا جدا ويمسك البطن ويعظم حجم الطحال

الدورة الدموية — يسرع القلب في ضرباته في أول الامر ثم يضعف ، ويصل النبض الى ٨٠ أو ١٢٠ فأكثر في الدقيقة ، وتتمدد عضلة القلب بسبب الضعف التنفس — يسرع أيضا التنفس فيصل الى ٣٠ أو ٤٠ مرة في الدقيقة وإذا طالت مدة الحمى تحتقن قاعدتا الرئتين وتكثر النزلات الشعبية أو الرئوية

البول — يقل مقداره ويشد لونه وترسب فيه أملاح حواء من حامض البوليك وتكثر البولينا وتكون أملاح الكلوريد ( كملح الطعام ) قليلة عادة خصوصا في التهاب الرئة ، أما في الملاريا فتزيد هذه الأملاح عند ارتفاع الحرارة فيها الجهاز العصبي — يكثر الصداع في أول الحمى ويشعر الانسان بتعكس

في جميع الجسم ويسأم كل عمل جسماني أو عقلي وبعد قليل يصيبه ضعف في قواه العقلية ويميل الى الناس وإذا نام ابتدأ يهذي ، وبعد ذلك يكثر الهيجان ويحول النوم ويشد الهذيان فيكثر المريض من اللغو ويصاب بما يشبه الجنون وقد يقوم من فراشه ويتشاجر مع ممرضيه أو أطبائه وقد يحاول أن يلقي بنفسه من نافذة المكان ، ثم تهدأ قواه ويصاب بالغيوبة فيفقد كل شعوره وقبل تمام الغيوبة يصاب بارتعاش في حركاته وتقلص في العضلات ( يسمى بالاهتزاز الوتري ) ويلتقط أشياء وهمية يراها امامه في الهواء . وينتهي الامر به الى أن يتبرز بدون شعوره ، ولعدم احساس المثانة بما فيها يتراكم البول حتى تفعم به

## ( اختلاف الحرارة اليومي )

كما أن الحرارة الطبيعية تختلف في المساء عن الصباح<sup>(١)</sup> كذلك حرارة المحموم تكون غالباً في المساء أعلى منها في الصباح ، وفي بعض الامراض تكون بالعكس فترتفع صباحاً وتنخفض مساءً . ويسمى ذلك ( بالطرز المقلوب ) [ Typus Inversus ] كما في الدرن العام المسمى بالدرن الدخني

ومن الحرارة ما يكون دائماً الارتفاع بكثير عن الدرجة الطبيعية ومنها ما يقرب في الصباح من الدرجة الطبيعية ، ومنها ما تصل في الصباح الى الدرجة الطبيعية أو تحتها ولكن ترتفع في المساء كثيراً . وعند ارتفاعها يزداد التنفس والتبضع كما سبق ، وقد تحصل للمحموم قشعريرة لاجل حساسه بالبرد وإن كانت درجة الحرارة في الحقيقة عالية، ولكن لا يقباض أوعية الدم التي في الجلد يحصل له هذا الاحساس بالبرد

ومن الحميات ما يزول بالتدرج فتأخذ الحرارة في النقص يوماً بعد يوم حتى تصبح طبيعية، ومنها ما يزول دفعة واحدة فيشفى الانسان في ظرف ١٢ ساعة أو ٣٦ ساعة ، وهنئذ قد يصاب الانسان بالاسهال أو بالعرق الغزير أو يحصل له الرعاف ويسمى انخفاض الحرارة الفجائي ( بالبحران ) وبعد انخفاض الحرارة قد تبقى بضعة أيام أقل قليلاً من الدرجة الطبيعية

## ( درجات الحرارة المختلفة )

درجة الحمود أو المهبوط	٣٥ و ٣٥° أو أقل
الدرجة التي تحت الطبيعية	٣٦ و ٣٦°
الطبيعية	٣٦ و ٣٧° الى ٣٧ و ٣٧°

(١) سبب ذلك أن عمل جميع أعضاء الجسم في هذا الوقت يكون أقل بكثير من عملها في سائر الاوقات . واذا عكس الحال فإن اشتغل الناس ليلاً تصبح الحرارة مرتفعة صباحاً منخفضة مساءً . ويتبدى الارتفاع عادة من الساعة السابعة صباحاً الى الثانية بعد الظهر وتبقى على حالتها الى الساعة أو الثامنة مساءً ثم تنخفض الى الثانية بعد نصف الليل وتبقى كذلك الى الساعة السابعة صباحاً

الحمى الخفيفة ما كانت فوق  $37.5^{\circ}$  قليل

الحمى الشديدة  $39^{\circ}$  الى  $40^{\circ}$

الحمى الأشد  $40^{\circ}$  الى  $43^{\circ}$  وفي النادر جدا  $44^{\circ}$

فاذا زادت الحرارة على  $44^{\circ}$  درجة فلا أمل في الحياة غالبا ما لم تستعمل أشد  
الملاجات الفعالة وهي التبريد السريع بالماء والتلج  
( الموت بالسحيمات )

يحصل الموت — إما من نهك الحمى للقوى بسببها مع طول المرض أو بشدة  
تسمم الدم في أيام قليلة — أو من زيادة الحرارة زيادة فاحشة كأن تصل الى  $44^{\circ}$   
مثلا ، واعلم أن طول التعرض لحرارة فوق  $40^{\circ}$  سنتجراد يقتل ( البروتوبلازم )  
ويجمده ، ويسمى ذلك بتيبس الحرارة [ Heat Rigor ] ( أنظر ص ١٥ من  
كتاب فيسيولوجيا هيلبرتون ) [ Halliburton ] — أو من شلل القلب —  
أو من المضاعفات الرئوية ، أو غيرها

ويكون الدم بعد الوفاة رقيقا مسودا ، وثقل كرياتة الحمراء وتكثر البيضاء ،  
وتشاهد أنزفة قطعية كالذغ البراغيث [ Petechiae ] أو أكبر في الأغشية  
المصلية كالليورا أو الشفاف . أما الأحشاء ( الكبد والطحال والكليتان ) فتكون  
كبيرة رخوة ويحصل في خلاياها استحداثات<sup>(١)</sup> حبيبية أو دهنية وكذلك تصاب  
المضلات بتلف في منسوجها سنكلم عليه في بحث الحمى التيفودية

### ( المضاعفات والمواقب )

كثيرا ما يطرأ على الانسان في أثناء الحمى بعض أعراض أخرى مرضية تزيد  
المرض شدة فوق شدة ، وقد يصاب الانسان أيضا بملحها ببعض أمراض تكون  
كالتنيجة لها . ويسمى النوع الاول بالمضاعفات ، ومثاله التهاب البريتون في الحمى

(١) وذلك بتحول بروتوبلازم الخلايا الى حبيبات دقيقة جدا ، وهي خطوة  
في سبيل الاستحالة الى شحم وبذلك يبطل عمل هذه الخلايا



التيفودية . ويسمى النوع الثاني بالمواقب أو العقابيل ، كالشلل عقب الدفتيريا فانه يصيب المريض بعد شفائه منها ببضعة أيام أو أسابيع

### ( معالجة الحمى )

يوضع المريض على فراشه ليستريح راحة تامة في مكان صحي طلق الهواء وتخفف عنه أغطيته وملابسه — بعكس ما يتوهم الجاهلون — نم ينبغي أن تدفأ الاطراف السفلى خصوصا اذا ضعفت قوى المريض وأصابها البرودة والغذاء يكون من السوائل المغذية السهلة الهضم مثل اللبن والمرق<sup>(١)</sup> وماء الشمير ولا بأس من طبخها بقليل من دقيق بعض الحبوب أو بمسحوق ناعم من الخبز الاسفنجي المش . ويحسن تحلية اللبن بالسكر أو غسل النحل المصفى . ويعطى للمريض أيضا المياه الغازية فانها نافعة للعطش . ومن المستحسن أيضا إعطاؤه بعض الاشربة الحلوة كشراب النمر الهندي والسكر مع الليمون وعصير البرتقال المصفى . ويشترط في هذه السوائل الحامضة أن يفصل بينها وبين تعاطي اللبن بنحو ساعتين ثلاثيتين فينتاياة المريض . ويشرب من الماء ما يريد فانه منعش مفيد غاصل للسموم . واللبن الخاثر ( لبن الزبادي ) نافع جدا . ومن أسهل الاغذية هضمًا وأنفعها أن يمزج بياض بيضتين بنحو ربع لتر من ماء راسخ ويحلى بهسل النحل النقي ويضاف عليه جزء من عصير الليمون ثم يثلج ويشرب منه المريض . ويجب أن تعطى هذه السوائل المغذية بمقادير صغيرة في فترات قصيرة متعددة كأن يعطى له اللبن قدر مل خمسة فناجين كل ساعتين مرة . ويكون مقداره في اليوم نحو ثلاثة أرطال ( مصرية ) أو أربعة . وتبريده بالتلج محمود كثيرا ولا يتوهم أحد انه يوجد لأكثر هذه الحميات الآن دواء قاطع لسيرها في

(١) يقال أن المرق قد يزيد الاسهال في بعض أحوال الحمى التيفودية . وانما تستعمل السوائل السهلة المغذية في الحميات لضعف المريض عن المضغ والبلع ، ولخفاف الاعضاء وضعفها وقلة العصارات الهاضمة

الحال<sup>(١)</sup> بل لا بد أن تتم أطوارها ، وأما يمكننا تخفيف وطأتها وإضعاف شدتها لكيلا تفسد الاحشاء ، وكذلك يمكننا ملافاة كثير من أعراضها الخطرة كالتهاب الرئة أو ضعف القلب أو ما ينشأ من بعضها من الانزفة كالنزف المعوي في الحمى التيفودية

ومن الادوية ما يخفض الحرارة مؤقتا بعد استعماله بساعتين أو ثلاث ككبريتات الكينين ( من ٢٠ الى ٣٠ قسحة ) ولكن استعمال الماء البارد أفضل من جميع هذه الادوية . وطريقة ذلك أن تؤخذ حرارة المريض كل ٣ ساعات مرة وكلما وجدت ٣٩ فأكثر يوضع في الماء البارد مدة ١٥ دقائق أو ١٥ دقيقة ، ثم يرفع منها وينشف جيدا ويوضع على فراشه بالراحة . فنجد أن الحرارة صارت طبيعية أو أقل ولكنها لا تلبث الا قليلا وترفع وكلما عادت عدنا . ويجوز أن يلف المريض مدة ربع ساعة بغزل ملاءة بعد غمسها في الماء الثلوج . ولا ينحفظ من استعمال الماء البارد الا أشياء قليلة جدا وهي الهمود الشديد والنزف المعوي والمضاعفات الرئوية البالغة ، وظاهر أنه في حال الهمود أو النزف الشديد تكون الحرارة منخفضة وإذا يكون استعمال الماء البارد لا مسوغ له من أول الامر . وفائدة هذا التبريد تحسين الاعراض عموما وتقليل حدوث المضاعفات والاستحالة الحيبية للاعضاء

وإذا أصاب المريض هود في قواه بتعين استعمال المنعشات ، وأقر بها الينا القهوة والشاي والحر ، ولكن يشترط في استعمال الحر أن لا تعطى بمقادير كبيرة لايام كثيرة والا حدث منها سرعة في النبض وشدة في الهذيان ، ومقدارها المعتاد من ٢ - ٨ أوقي ( أو فاجين قهوة ) في اليوم

ومن الادوية التي يستعملها الطيب النافعة في الهمود الديجيتالا<sup>(٢)</sup> والنوشادر والاثير

(١) ولكن في مثل الحمى الراجعة تقطع سيرها حقنة ٢٠٦ في ٧ - ٢ ساعة ، والكينين يزيل حمى الملاريا في الغالب  
(٢) هي كلمة لاتينية معناها الاصبع لأن أزهار هذا النبات كالاصابع

والاستركين، ويستحسن اعطاء شي من الپيسين مع حامض الهيدروكلوريك<sup>(١)</sup> لتهوية هضم المعدة لقلعة إفراز هذين الجوهرين في الحميات . ويجب عند ابتداء المرض في جميع الحميات أن يعطى مسهلا كالمح الانكليزي أو زيت الخروع لتنظيف القناة الهضمية والجسم  
وإذا تعذر تغذية المريض في أثناء الغيوبة غذي بالحقن الشرجية المغذية، وحقن بالذهبات وبمحلول ملح الطعام الطبيعي فإنه يمنع من مدر للبول مزيل لبعض سموم الميكروبات . وغرق (ياض) البيضة اذا حقن في الشرج مع جرام ملح امقص منه ونفع المريض

### (تليپيان)

(الاول) في جميع الحميات يجب عزل المريض في مكان خاص بحيث لا يختلط به أحد من الناس مطلقا الا القائمون بتمريضه أو مداواته ، ولا يسمح لأحد بزيارته ، وذلك واجب طباً وقانوناً منعا لانتشار العدوى بين الناس ، وليس فيسه مخالفة لآداب الاسلام في عيادة المريض . فقد ذكرنا من الاحاديث ومن أقوال الصحابة كمر (رض) ما يدل صريحا على أن الانسان اذا خشي العدوى وجب عليه أن يتقي القرب من المريض . على أن الحميات اذا اشتدت أحدثت ذهولا عند المريض بحيث لا يقدر على تمييز زائريه أو محادثتهم بالعقل والحكمة . وأيضا فن آداب عيادة المريض في الاسلام أن لا يطيل العائد للمكث عنده حتى لو كان مرضه غير معد لان ذلك قد يكون سببا في مضايقة المريض . وفي الحديث أن قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم وباء أرضهم فقال «تحولوا فان من القرى التلغ»

(١) لذلك كان اللبن الخاثر (لبن الزبادي) من أفضل الاغذية للمحموم لوجود حامض اللبنيك فيه فيسهل هضمه لذلك ولقلة مائه فلا يضعف العصير المعدي ، وهو مطهر بمحوصته ونافع لنزلات المثانة . والميكروبات التي تحدث حوصته مطهرة للامعاء نافعة في أمراضها خصوصا في التهاب الامعاء الغليظة فتمنع نمو الميكروبات فيها . وما تحدثه من حامض اللبنيك بتأثيرها في سكر اللبن أو العنب قاتل للمكروبات أيضا . وسكر العنب هذا يوجد في الامعاء بعدأ كل النشاء أو سكر القصب (راجع صفحة ٨٢ من الجزء الاول)

[المنار: ج ٨ م ١٨] الميكروبات المحبة للحرارة . شذرة من الخطب النبوية ٦٢١

والقرف مدانة المريض فصرح هذا الحديث يدل على وجوب البعد عن المرضى لاجتناب التلف

( الثاني ) الواجب أن يطهر الطعام الذي يعطى للمرضى بالغلي جيدا ثم يبرد بسرعة فان من الميكروبات ما يسمى « محبة الحرارة » [ Thermophilic ] وذلك لانها تتكاثر في حرارة ٩٠° الى ٧٠° ستجrad فاذا لم يطهر اللبن مثلا بالغلي ولم يبرد سريعا انتهرت هذه الميكروبات فرصة سخونة اللبن اذا ترك يبرد بنفسه فتسكاثر فيه وتحدث مواد تؤذي الصحة . وهذه الميكروبات توجد في الطين والماء وغيرها ومنهما تصل الى اللبن . فلذا يجب قتلها بالغلي

## الخطب الدينية

٢

﴿ شذرة من الخطب النبوية ﴾

مقتبس من مقدمة ديوان خطب القاسمي، والخواشي له الا مازدناه بعداسم «المنار»

١

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله تعالى ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الامور عوازمها ، وشر الامور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الانبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعشى المعى الضلالة بعد الهدى ، وخير العلم مانع ، وخير الهدي ما اتبع ، وشر المعى عصى القلب . واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الصلاة الا دبرا (١) ومنهم من لا يذكروا الله الا هجرا (٢) وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ،

(١) بفتححتين وتسكن الباء وضمها لحن كما في القاموس . أي في آخر وقتها  
(٢) بضم فسكون وهو التبيح من الكلام ( المنار: ضبطوه بفتح الهاء وفسروه بالترك ) والاستثناء منقطع

وخير النفي غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله تعالى ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ؛ والارتياح من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغُلُول من جثاء جهنم <sup>(١)</sup> ، والكفر من النار ، والشعر من مرامير إبليس <sup>(٢)</sup> ، والحجر جماع الأمم ، والنساء حباثل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المال كل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع ، والامر بأخيه ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايات روايا الكذب <sup>(٣)</sup> ، وكل ماهوآت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وكل لجه من معصية الله ، <sup>(٤)</sup> وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألم على الله يكذبه <sup>(٥)</sup> ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به <sup>(٦)</sup> ، ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعبده الله . اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، أستغفر الله لي ولكم ... رواه البيهقي عن عقبة بن عامر والسجزي عن أبي الدرداء ، وابن أبي شيبة عن ابن مسعود



أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فانظروا كيف

(١) الجناء بضم الجيم وكسر هاء ثم مثناة ، ما اجتمع من الحجارة والجذوة ( المنار: الجنى الاكوام والمعنى ان ما يؤخذ من الغلول وهو الحياة في النعمة إما هو اكوام من النار أي ليس رجاء بل خسارة لانه سبب لدخول النار ، كقوله تعالى « اسما يا كلون في بطونهم نارا » (٢) يعني بالشعر معهودا من أفرادهِ وهو ما يتعنى به في محرم أو عليه أو ما يدفع اليه (٣) جمع راوية مبالغة في راو ، وهو من بروي الحديث ( المنار: رجح ابن الاثير أن الروايات جمع روية وهي التزوي والتفكر في الامر . وإذا كان الكذب عن روية كان أشد إثمًا وأشد ضررا ) « ٤ » كناية عن اغتيابه وذكره بما يكره وفي تصوير الاغتيال بأكل لحمه ابراز له على أخش وجهه وأشنع طبعه وعقلا وشرعا « ٥ » تألى أي أقسم بانه يفعل كذا البتة « ٦ » السمعة الشهرة ونشر الذكر

تعملون . فائقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ؛  
 الا ان الغضب جمة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ  
 أوداجه ؟ فاذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالارض الارض . ألا ان خير الرجال من  
 كان بطيء الغضب سريع الرضا . وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء  
 الرضا ، فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الغني وسريع الغضب سريع الغني  
 فانها بها <sup>(١)</sup> ألا ان خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب ، وشر التجار  
 من كان سيئ القضاء سيئ الطلب ، فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب  
 أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فانها بها . ألا ان لكل غادر لواء يوم القيامة  
 بقدر غدريته . ألا واكبر الغدر غدر أمير عامة . ألا لا يمنع رجلاً مهابة الناس أن  
 يتكلم بالحق اذا علمه ، ألا ان أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر - رواه  
 الامام أحمد والترمذي عن أبي سعيد -

## ٣

انما هما اثنتان : الكلام والهدي ، فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي <sup>(٢)</sup>  
 هدي محمد . ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة  
 بدعة ، وكل بدعة ضلالة . ألا لا يطولن عليكم الامة فتفسو قلوبكم ، ألا ان كل  
 ماهو آت قريب وانما البعيد ما ليس بآت . انما الشقي من شقي في بطن أمه .  
 وانما السعيد من وعظ بغيره . ألا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق . ولا يحل  
 لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة . ألا واياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح لا بالجد  
 ولا بالهزل . ولا يعذر الرجل صبيه ولا يفي له . وان الكذب يهدي الى الفجور  
 وان الفجور يهدي الى النار . وان الصدق يهدي الى البروان البر يهدي الى الجنة ،  
 وانه ليقال للصادق : صدق وبر . ويقال للكاذب : كذب وفجر . ألا وان العبد يكذب  
 حتى يكتب عند الله كذابا - رواه ابن ماجه عن ابن مسعود -

(١) المنار : أي واحدة بواحدة جزاء فخير المخلصين يكفر شرهما

(٢) المنار : الهدي بفتح فسكون السيرة والطريقة

٤

يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا فيها كتب ، وكأن الحق على غيرنا واجب ، وكأن الذي نشيع من الاموات سفرنا عما قليل اليها راجعون ، وأولهم أجداهم ونأكل تراثهم كأننا نخلدون ، قد نسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة . طوبى لمن شغله عنه عن عيوب الناس . طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وحسنت علانيته ، واستقامت طريقته . طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة ، وأنفق مالا جمعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم يعد عنها الى البدعة - رواه أبو نعيم عن علي -

٥

ان الحمد لله أحمده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ان أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينته الله في قلبه ، وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على من سواه من أحاديث الناس ، انه لأحسن الحديث وأبلغه . أحبوا من أحب الله . أحبوا الله تعالى من قلوبكم ، ولا تملاوا كلام الله وذكره ، ولا تقسى قلوبكم ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه حق تقاته ، وادعوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله عز وجل بينكم ، ان الله يغضب أن ينكث عهده ، فالسلام عليكم ورحمة الله - رواه هناد عن أبي سلمة مرسلا -

### ﴿ نخب من الخطب النبوية في يوم الجمعة ﴾

كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يخطب في غير يوم الجمعة لمصلحة تعرض أو منكر يظهر ، أو أمر بصدقة أو اصلاح ، كما هو معروف في دواوين السنة ولخدمتها (١) فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أما بعد فوالله اني لأعطي الرجل وادع الرجل . والذي أدع أحب الي من

الذي أعطي . ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والخلع ، وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من التقى والغيرة منهم عمرو بن تغلب — رواه الامام أحمد والبخاري وغيرها —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فإبال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق » — رواه الشيخان في صحيحهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فإبال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي ، أفلا قصد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدي له أم لا ؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يفل أحدكم منها ( أي الزكاة ) شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه » الحديث ( رواه الشيخان )

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أيها الناس اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمنة الا اتقم الله تعالى منه يوم القيامة » — رواه ابن حنبل في مسنده —  
من خطب الصديق رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين أحمدته واستعينه . ونسأله الكرامة فيما بعد الموت . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله . أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضللا ميئا . أوصيكم بتقوى الله والاحتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به ، فإنه جوامع هدى للإسلام بعد كلمة الاخلاص . السمح والطاعة لمن ولاء الله أمركم فانه من يطع والي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى . فقد أفلح من حفظ من الهوى والعلم والنصب . وإياكم والفخر . وما فخر من خلق من تراب ثم الى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاعملوا

( المنار : ج ٨ ) ( ٧٩ ) ( المجلد الثامن عشر )



يومًا بيوم وساعة بساعة . وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدُّوا أنفسكم في الموتى . واصبروا فان العمل كله بالصبر ، واحذروا الفحذر ينفع . واعملوا فالعمل يقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه . وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته ، وافهموا تفهموا ، واتقوا توقوا ، وان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يجب من الاعمال وما يكره ، فاني لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله . واعلموا انكم ما اخلصتم الله من أعمالكم فربكم اطعم ، وحظكم حفظكم واعتبطكم ، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم ، تستوفوا بسلفكم ، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم اليها . ثم تفكروا عباد الله في اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه . وأحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت . ان الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ، ولا يصرف عنه سوءا ، الا بطاعته واتباع أمره . فانه لاخير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته — رواه ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن موسى بن عقبة —

من خطب الفاروق رضي الله عنه (١)

أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله . الذي يبقى ويبقى ماسوا . الذي بطاعته يكرم أوليائه وبمعصيته يضل أعداءه . فليس لهلك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى ولا في ترك حق حسبه ضلالة . تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، فانه لم تبلغ منزلة ذي حق ان يطاع في معصية الله . واعلموا ان بين العبد وبين رزقه حجابا فان صبر أتاها رزقه ، وان اقتحم هتاك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه ، فادبوا الخيل واتصلوا واتعلوا وتسوكوا وتعددوا (٢) واياكم واخلاق المعجم ومجاورة (١) خطبها في الجابية قاعدة بلاد حوران في عهده رضي الله عنه واليها ينسب باب الجابية أحد أبواب مدينة دمشق الشام لان المسافرين الى الجابية يخرج منه وقد خربت وانتقل عمرانها الى ماجاورها من قرية نوى والشيخ سعد (٢) المئار : في حاشية الاصل « أي تزبوا بري معدني نحو شنه ونقشهم » والمراد كونوا مثل معدن بن عذنان فياذ كرفاستعمل التري في التشبه والزبي في التشبه

الجبارين وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بفسير مئزر .  
وياكم والصغار أن تجمعوه في رقابكم . واعلموا أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر<sup>(١)</sup>  
ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام . ومن أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً  
فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . لا يخلو رجل  
بامرأة فإن الشيطان ثالثهما . ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو اماراة المسلم  
المؤمن . وشرا الأمور مبتدعاتها . وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة .  
وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أهون لحسابكم . وزنوا أنفسكم قبل أن  
توزنوا . وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية . عليكم بهذا  
القرآن فإن فيه نوراً وشفاء . وغيره الشقاء . وقد قضيت الذي عليّ فيما ولائي  
الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحاً لكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي  
ولكم — رواه الحاكم وابن عساكر —

#### من خطب ذي النورين رضي الله عنه

أيها الناس اتقوا الله فإن تقوى الله غنم . وإن أ كيس الكيس من دان نفسه  
وعمل لما بعد الموت<sup>(٢)</sup> . واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر . وليخش عبد أن  
يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً . وقد يكفي الحكيم من جوامع الكلم . والأصم  
ينادي من مكان بعيد . واعلم أن من كان الله معه لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه  
فمن يرجو بعده — رواه ابن عساكر —

#### من خطب الامام أبي الحسن على كرم الله وجهه

أما بعد فإن المضار اليوم وغدا السباق . الا وأنكم في أيام عمل . من ورائه  
أجل . فمن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خيب عمله . الا فاعملوا لله في  
الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا واني لم أر كالجئسة نام طالبها . ولم أر كالنار  
نام هاربها . الا وإن من لم ينفعه الحق ضره الباطل . ومن لم يستقم به الهدى

(١) المنار : هذا وما بعده بضمعة مجمل مقتبسة من الاحاديث المرفوعة الى النبي (ص)

(٢) المنار : مقتبس من حديث مرفوع رواه احمد والترمذي وابن ماجه

جار به الضلال . الا وانكم قد أمرتم بالظعن ودلتم على الزاد . الا ايها الناس  
ايما الدنيا عرض حاضر ، يا كل منها البر والفاجر . وان الآخرة وعد صادق ، يحكم  
فيها ملك قادر . الا ان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة  
منه وفضلا والله واسع عليم . ايها الناس احسنوا في عمركم تحفظوا في عقبكم ، فان  
الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه وأوعده ناره من عصاه . انها نار لا يهدأ  
زفيرها . ولا يفك أسيرها . حرها شديد . وقمرها بعيد . وماؤها صديد . وان  
اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل . الا لا يستحي الرجل ان يتعلم  
ومن يستل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم — رواه ابن عساكر —  
ومن خطبه كرم الله وجهه

حمدت وعظمت من عظمت منته . وسبغت نعمته . وسبقت غضبه رحمته .  
وتمت كلمته . وفذت مشيئته . حمد عبد مقرر بر بويته . متخضع لعبوديته .  
ويستعينه ويستشرده ويستديه ويؤمن به ويتوكل عليه . وشهدت له تشهد مخلص  
موقن . وبعزته مؤمن . ووحدت له توحيد عبد مدعن . ليس له شريك في ملكه .  
ولم يكن له ولي في صنعه . جلّ عن مشير ووزير . وعن عون معين ونظير .  
وشهدت بيعت محمد عبده ورسوله . وصفيه ونبيه وحبيبه وخليفه . صلى الله عليه  
صلاة تحظيه . وتزانه وتعليه . وتقر به وتدنيه . بعته في خير عصر . وحين فترة  
وكفر . رحمة منه لعبيده . ومنة لازيده . ختم به نبوته . ووضح به حجته .  
فوعظ ونصح . وبلغ وكده . عليه رحمة وتسليم . وبركة وتكريم .  
وصيتكم معشر من حضري بوصية ربكم . وذكركم سنة نبيكم . فعليكم  
برهة تسكن قلوبكم . وخشية تدرى دموعكم . وثقاة تنجيكم . قبل يوم يذهلكم  
ويبليكم . يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته . وخف وزن سيئته . واتكّن  
مستلثكم وتعلثكم مسألة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع . وتوبة ونزوع . وندم  
ورجوع . وليقتنم كل مقتنم منكم محبة قبل سقمه . وشبيبته قبل هرمه وكبره .  
وسمته قبل فقره . وفرغته قبل شغله . قبل أن تجذب نفسه . ويحفر رمسه . وينفخ  
في الصور . ويدعى للنشور . في موقف مهيل . ومشهد جليل . بين يدي ملك

عظيم . بكل صغيرة وكبيرة علم . حينئذ يلجمه عرقه فعبثته غير مرحومه . وضرمته غير مسموعة . وحجته غير مقبولة . فورد جهنم بكرب وشدة . ندم حيث لم ينفعه ندمه . نعوذ برب قدير من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضي عنه . ومغفرة من قبل منه . فن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنة بقر به . وخلد في قصور مشيدة . وملك حور عين وحفدة . وطيف عليه بكؤوس . وسكن حظيرة قدس في فردوس . وتقلب في نعيم . وسقي من تسليم . هذه منزلة من خشي ربه . وحذر نفسه ، وتلك عقوبة من عصي منشئه . وسولت له نفسه معصيته . لهو قول فصل . وحكم عدل . خير قصص قص . ووعده نص . تنزيل من حكيم حميد . نزل به روح القدس على قلب نبي مهتد رشيد . صلت عليه سفرة . مكرمون برة . يتضرع منضرعكم . ويتهل مبتهلکم . واستغفر رب كل مريبوب لي ولكم . ثم قرأ ( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ) — رواه الخفاف في مشيخته<sup>(١)</sup>

## مختارات من خطب القاسمي

﴿ خطبة في الحذر من التطير والتشاؤم يخضب بها اول صفر ﴾

الحمد لله الذي بسط لنا موائد كرمه وافضاله ، وعمنا بجوده وغمرنا بنباله ، فسبحانه من إله تاهت العقول في سبحات جلاله ، أحمده وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله أن يجعلنا ممن وفقه لصالح أعماله ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة موحد له في غده وآصاله ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي ميز حرام الشرع من حلاله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمنح قائلها الفوز في ما آله ، وسلم تسليما .

أما بعد أيها الناس فانتقوا الله واعلموا أن جميع ما يتقلب فيه الانسان طول

(١) المنار : الظاهر ان هذه الخطبة موضوعة على أمير المؤمنين كرم الله وجهه فأين هذا السجع المتكلف من خطبه التي تعد في أعلى مراتب البلاغة بعد كلام الله ورسوله

عمره ، انما هو بمحض قضاء الله وقدره . ألا وإنه قد دخل عليكم شهر مباركة أوقاته ، مبيونة ساعاته ، لا ينسب اليه شر ولا خير ، بل هو صفر الخير ، وقد كانت الجاهلية يتشاءمون به وهو مبارك ، ويتطهرون منه وليس الله جل جلاله في مشيئته وتقديره بمشارك ، وانما هو من شركهم وشركهم ، وسخافة عقولهم ومحض كفرهم ، وكيف ينسب فعل الى شهر أو زمان ، والله خالق الزمان والمكان ، وقد بطل التطير والتشاؤم ولم يبق له أثر ، بما رواه البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر ، انه قال « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا ظننتم فلا تحققوا ، واذا حسدتم فلا تبغوا ، واذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب - فسل صلى الله عليه وسلم عنهم فقال - هم الذين لا يكتون ، ولا يسترقون ، ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون » <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « الطيرة شرك » فمن اعتقد ما يتشاءم به سبباً مؤثراً في حصول المكروه فقد أشرك ، ولعقيدة التوحيد والموحدين ترك ، اذ لا فاعل الا الله ، ولا مؤثر في الكائنات سواه ، وانما الزمان ليال وأيام ، تختلف بتقدير العزيز العلام ، فلا شؤم لصفر ولا جهود لجأدى ولا بلاء ، ولا نحس ليوم أربعاء ، بل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى ( ما أصاب من مصيبة فبأذن الله ) وقال جل جلاله ( قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون )

﴿ خطبة لاول ربيع في وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ﴾  
﴿ وعلائم محبته ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

(١) الخطبة من أولها الى هنا من ديوان جد جدي لابي الامام الكبير والولي الشهير السيد محمد الدسوقي نسبة الدمشقي امام جامع حسان وخطيبه المتوفى في ١٢٤١ بميزة هدية قبيل المدينة المنورة دها بالي الحجاز وقد بسطت ترجمته في تاريخي « تعظيم المشام في ما » ترجمته في الشام

المشركون ، ومن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له في جلال إلهيته ، ولا مثيل له في عز ربوبيته ، ولا كفوء له في أحديته ، ولا كيف له في صفات مجده وصديته ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي دعا الى ثوابه وبشر ، وحذر من عقابه وأنذر ، وأوضح سبيل الرشاد ، وجاهد فيه حق الجهاد ، حتى ظهر دين الله وعلت كلمته ، وشملت رحمته وتمت نعمته ، صلى الله عليه وعلى آله الابرار ، وصحبه الاخيار ، وسلم تسليما

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واعلموا ان الله تعالى اكل المنة على المؤمنين ، وأتم نعمته عليهم بأرسال خاتم الانبياء رحمة للعالمين ، فهداهم به من الضلالة ، وأتقدهم بمكانه (١) من الجهالة ، وفتح به أعينا عمياء وآذانًا صماء وقلوبا غلفا منة وطولا ، وأرشد به السبيل ، وأقام به معالم البرهان والدليل ، نعمة وفضلا ، ورفع به للتوحيد أعلاما ، ومحا به من الشرك ظلاما ، ثم جعل محبته مشروطة بمحبته ، وطاعته منوطة بطاعته ، وذكره مقرونا بذكره ، وبيعته مقرونة ببيعته ، فقال تعالى ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) وقال تعالى ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) وقال تعالى ( ورفعنا لك ذكرك ) وقال تعالى ( ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ) ثم بنى جل جلاله ان مخالفة أمر نبيه ضلال وخسران ، وأوعد عليه بالعذاب والخسران (٢) فقال تعالى ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) وقال سبحانه ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) فحذر سبحانه وأوعد ، وأقسم واكد ، ليعلموا أن من شرب الايمان ، وكال الاسلام والايقان ، اتباع سنته ، والتسليم لقضيته ، وتوقيره وتعظيمه ، واجلاله وتكريمه ، كما قال تعالى ( يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا « لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه » ) قال ابن عباس وغيره : أي تبالغوا في تعظيمه . ألا وان من تعظيمه وتوقيره المطلوب ، إثارة حبه

(١) المنار : لعله أراد ان يقول « واقتتان » فسبق القلم ، اوقاله غفرة في الطبع

على كل محبوب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم ( لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين ) ومن توقيده وحبه ذكر شمائله التي تهز أعطاف المحبين ، ونشر فضائله التي تزيد في إيمان المؤمنين ، وإيراد سيرته وما كان عليه من الاخلاق تسليكا للمتبعين ، ثم هل تدرون من المحب للنبي صلى الله عليه وسلم . والصادق في محبته واجلال قدره المعظم ؟ المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القائم بامثال أوامره ونشرهديه الاكل ، والاعتصام بسنته والحض عليها واحياؤها بالطلب والعمل . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو المتخلق بأخلاقه الجليلة ، والمتحقق بأدابه الجميلة . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو من تظهر علامات الحب على أحواله ، من الاقتداء به واتباع أقواله وأفعاله ، فليتخلق بأخلاقه الطاهرة من كان صادق الحب ، مخلص اليقين سليم القلب ، ولكن ما أكثر اللدعين وما أقل الخالصين ، عجباً لابن آدم يفهم ما يضره مما ينفعه ، ويسمع ولكن قلما يعمل بما يسمعه ، ويحضره العزم في مجلس الذكر الا انه يقوم ويدعه . فالى كم تهزه العبر وهو كالطفل كلما حرك نام ، ويقبحم المعاصي الكبر ويقول ان الله ذو مغفرة وينسى انه ذو انتقام ، فواجعل المقصرين من التوبيخ في محفل القيامة ، وياسوء منقلب الظالمين عند حلول الندامة ، وياحسرات الهالكين اذا عاينوا اهل السلامة ، وياهوان المتكبرين اذا حرموا دار الكرامة ، فرحم الله امرأ رجع الى ربه سريعاً ، قبل ان يقع لجنبه صريعاً ، وألقى الى الموعظة قلباً واعياً وسمعاً سميعاً ، قبل أن لا يسمع في مقام السؤال الا توبيخاً وتقريراً . اللهم تداركنا برحمتك انك أرحم الراحمين ، وجدد علينا بمغفرتك انك خير الغافرين

﴿ خطبة في شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة ﴾

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله . نبي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم آخذ صفيه وحييه . ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه . وحرّم عن التخلق بأخلاقه من أراد تحييه . فصلى الله عليه وآله الطيبين

الظاهرين وسلم تسلياً . أما بعد فيأبى الله الله اتقوا الله واعلموا أن آداب الظواهر، عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق ، ومن لم يتشبع قلبه لم يتشبع جوارحه ، ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية ، لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، وقد أدب صلوات الله عليه بالقرآن وأدب الخلق به ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتم مكارم الاخلاق » ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق ، ولما أكل تعالى خلقه اتى عليه فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم ) فكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس ، لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه . وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، ولا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه ويضع سائر ذلك في سبيل الله ، ولا يسأل شيئاً الا أعطاه ، وكان يخفف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله ، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر . يغضب لربه ولا يغضب لنفسه . يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد . يركب ما أمكنه ويردف خلفه . يحب الطيب ويحاسب الفقراء ويؤاكل المساكين . ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . يصل رحمه . لا يجفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر اليه . ولا يقول الا حقاً . يضحك من غير قهقهة ، يخرج الى بساتين أحياه ويعود مرضاهم ويشهد جنازتهم ، ما لهن خادماً ولا امرأة . ولا ضرب بيده أحدا الا في سبيل الله . يبدأ من لقاه بالسلام والمصافحة . يكرم من يدخل عليه . حتى ربما بسط له ثوبه يجلسه عليه . وكان أفصح الناس منطقاً وأحلام كلاماً . يتكلم بمجوامع الكلم . ولا يتكلم في غير حاجة . اذا سكت تكلم جلساؤه . وكان أحسن الناس نفمة . يعظ بالجد والنصيحة . وكان اذا لبس ثوباً جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً . وكان أرغب الناس في العفو مع القفرة . أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاه . يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكان أزهر اللون ليس بالطويل ولا بالقصير . بين كتفيه خاتم النبوة . وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه . وبالجملة فأخلاقه السكاملة لا تحصى ، وشماله الحسن لا تستقصى . وكل



من أصنى اليها علم علو منصبه وعظم مكانته . وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما استفاضت به الأخبار ، وكان أعظمها معجزة القرآن الكريم والذكر الحكيم . أعجز البلاء عن مماثلته في عبارته . وأفهم الحكماء عن محركاته في عظمته وهدايته . وتشريعهم للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم مادامت الدنيا . وانتظام السعادة بالمحافظة عليها في الأولى والأخرى ، ولما لم يدع قاعدة من أصول الفضائل إلا جلها . ولا أماناً من أهبات الصالحات إلا أحيائها . ختمت النبوات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتهت الرسالات برسالاته . قال الله تعالى ( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ) وقال تعالى ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ) (الغضب بقية)

## المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية<sup>\*</sup>

٥

### وصفتان طبيتان مصريتان

(الأولى) ورد في القرطاس الطبي - الذي نقلت منه الوصفة الطبية التي نشرت في الجزء السادس من المنار - وصفة أخرى بمعناها ، وهي الثالثة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

تميز ست تمشأ عن ست لا تمشأ

بطيكا<sup>(١)</sup> ينت<sup>(٢)</sup> ويحط<sup>(٣)</sup> على إرد<sup>(٤)</sup> التي مشأت ذكرا

(\*) علامة الاستمرار المصرية احمد بك كمال (١) بطيخ (٢) أي يلت ، فأؤها لام ، من لت الشيء إذا دقه أو سحقه (٣) يحط يقا به في العربية شمع بمعنى خلط (٤) إرد مقلوب در وهو اللين جعل أحد حرفي المضاعفة همزة في أول الكلمة كما مر نظيره في الجزء السابع

يؤري <sup>(١)</sup> مثل سم <sup>(٢)</sup> تسم الست ، ان كرات <sup>(٣)</sup> مشأت وان زعت <sup>(٤)</sup> (١)  
لا تمشأ الى نوح <sup>(٥)</sup>

( المعنى )

لتمييز المرأة التي تلد عن المرأة التي لا تلد — يدهق البطيخ ويخلط على لبن  
امراة ولدت ذكرا ويجعل طعاما تأكله المرأة المراد اختبارها فان قامت ولدت ،  
وان حصل لها رياح في المعدة لا تلد البتة

( الثانية ) وورد فيه أيضا وصفة أخرى وهي الرابعة والتسعون بعد المئة وهذا  
نصها ويليه تفسيره :

بطبكا يخلط على إرد التي مشأت ذكرا ويونح <sup>(٦)</sup> في قطاتها <sup>(٧)</sup> فان جشأت  
مشأت وان قاست <sup>(٨)</sup> لا تمشأ

( المعنى )

بطيخ يخلط على در ( أي لبن ) امراة ولدت ذكرا ويونح في فرجها أي  
يحقن فيه فان غاثت ونقايات ولدت وان وجدت في جوفها رياح لا تلد

(١) أُرْى : جمع الطعام (٢) سمعه : غذاه وسعمه تسعيا : غذاؤه المسعم حسن الغذاء  
والعين المعجمة لغة فيسه والعين في المصرية تنوب عن العين فيقال عني بمعنى غني غناء  
(٣) كرات يقابلها في العربية كزعت بمعنى أمطرت « السماء » وهنا تفيد القيء (٤) زع  
فعل يهضم به خروج الريح الذي يوجد في المعدة ومنه في العربية الزعزاع وهي  
الريح الشديدة (٥) نوح مقلوب حان يحين حيننا : الى حين ، اي الى دهر مديد (٦) ونح :  
أعطى قلبا لاي شيئا فشيئا (٧) قطاة : ما بين الوركين والعجز ومقعد الرديف من الدابة  
وتدل هنا على الفرج (٨) قاس اي غاث وغثي وجاش او جشأ لان القاف تقلب غينا او  
جما كما ان السين تقلب تاءا وشينا فيقال في العربية الدبى « عراقية » مقلوب الدبى فالسين  
فيها بدل التاء وبالمصرية الشدي بالشين المعجمة ومن هنا يعلم ان التاء والشين والسين ينوب  
بعضها عن بعض

## عدل الاسلام

مقالة لا نكتز به مسلمة ترجمت للمؤيد عن مجلة (اسلاميك ريفيو- اى المجلة الاسلامية) التي تصدر في وكينج بانكترة فنشرناها مع تصحيح لبعض الالفاظ وهي :

اذا اخلص قلب الانسان (ضميره) في مطالعة تعاليم الدين الاسلامي وجدها أشد الاديان عدلا وصدقا ، وقد قضت تعاليم هذا الدين بأن العبد يخلق مجردا من كل خطيئة . فهو لا يرث ذنوب والديه ، ولا خبث أجداده

الاسلام يعلم أهله الاستقلال الشخصي ( الاعتماد على النفس ) ويجرد من نفس الانسان حكما عليها ، فهو يمكنه خلاص نفسه أو اهلا كما بأعماله ، فاذا عمل الخير وتحرى الصواب جنى ثمار الجزاء الحق ، واذا عمل سوءا يجزى به

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ( كل نفس بما كسبت رهينة ) ويتطوي في معنى هذه الآية كل ما يقتضيه العدل ، لان من الظلم أن يتحمل الانسان أوزار غيره ويسئل عما ارتكب سواء . وقد قررت جميع الشرائع العادلة الجديرة بهذا الوصف أن من الظلم أن يمد أحد مجرما بجريمة غيره . وهذا من أصول الشريعة المحمدية أيضا ، ولا يزال هذا المظهر مظهر السيد المسيح الذي ينظر اليه المسيحيون باعتباره المحلص للعالم

واذا ولد الشخص من غير ارادة خاصة فيه ، وعجز عن تعرف مواطن الصواب ، ومقاومة الخطأ ، كان في عقابه أو إثابته كل ما يتصوره الخيال من الظلم ، وكان من العبث نفخ روح العقل والضمير فيه . ولكن تعاليم الاسلام صريحة في أن خالق العالم — وهو ربهم الحق — خلق الانسان ارادة واختيارا ( وهديناه للتجدين ) ويسئل عن نتائج الطريق الذي فضله وسار فيه فاذا اهتدى صفا ضميره وصفت سعاده ، واذا شقي وسار في الطريق المعوج كانت عاقبة أمره خسرا ، ولكن الحكم على طفل صغير لا يفرق بين الغث والسمين لا يمكن أن يقال انه عدل . نعم انه ليس من العدل ولا من الشجاعة أن يجعل أحد أوزار غيره ثم يسئل عنها . ومتى وكل الانسان بأمر نفسه تعلم وجوب الاعتماد عليها ، ومن المحتمل أن العبد اذا علم بأن

غيره سيسئل عما اقترفه هو أطاع هواه ولم يحترم نفسه ، فكيف يكون فخورا بمولده وحياته ؟

والجواب على هذا انه يوجد نوعان من الفخر - الفخر الوهمي الخاطيء والفخر الصحيح ، والاول منها هو فخر الغطرسة وغش النفس ، وهو مقبول الطعم بجمل صاحبه أو صاحبه ينظر الى الناس بغير العين التي ينظر بها الى نفسه ، ثم يحقر الجار والفقير ، وهي خطيئة فظيعة طالما حض النبي صلى الله عليه وسلم على اجتنابها أضف الى هذا ان الفخر الخاطيء ، يكون مجلبة للعيرة والطمع الكاذب . وبملا أوداج صاحبه بالفخخة الخارجة عن الحد

والفرق بين هذا الفخر وبين الفخر الصحيح هو أن الذي يبذل مجهوده في أداء الواجب بارضاء الله ومساعدة النوع البشري يثبت في قلبه حب السلام الذي لا يعطيه الله الا للمجتهدين من عباده ، وإذا عمل العبد نهاية الخبر لم يسأله الله أكثر من ذلك ، ولم يؤاخذه اذا قصر طوقه عما ليس في مقدور أمثاله من البشر ، وهو القائل على لسان نبيه ( وما جعل عليكم في الدين من حرج )

الاسلام دين حق يعلم الناس العدل ، وأسست مبادئه على العدل ، فهو يحرم الخمر والمقامرة والزنا

### تاريخ ميلاد ولدنا محمد شفيع

﴿ لصديقي الوفي شيخ الخطباء والمحامين ( وكلاء الدعاوي ) اسماعيل بك عاصم ﴾

تاريخ ميلاد محمد شفيع نجل حضرة صديقي العزيز الاستاذ العلامة السيد محمد

رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزهراء

سر يا بشير التهاني للرشيد وقل

قد لاح نور ابنه نعم الشفيع به

فرع نما عن أصول طاب عنصرها

وكان في رمضان بمن طالعه

محمد دام بسمو للفضائل عن

( بشرى فقد أنجز الأقبال ما وعدا )

( وكوكب السعد في أفق الملاصمدا )

أنعم بمولده أكرم بمن ولدا

كليلة القدر فيها النفوس هدى

أب يقر به عينا وقد شهدا

عساه يأتي بنفع مثل والده وأنه يتحرى مثله رشداً  
وعاصم عن رضاء عنه أرخته رشيد بشارك في نجل سناه بدا

سنة ١٣٣٣ ٥١٤ ٥٢٣ ٩٠ ١١٦ ٨٣ ٧

الشطران الاذان كل منهما بين قوسين هما مطلع أحسن قصيدة قيلت تهنة  
لأحد الخلفاء بميلاد ولده كما قال صاحب كتاب خزانة الأدب وقد ضمنهما هنا  
أحسن تضمين سما عيل عامم

## تقريظ المطبوعات الجديدة\*

### كتاب كشف الكربة في وصف حال أهل القرية

تأليف الشيخ الامام العالم الزاهد أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي  
وهو شرح لحديث « بدأ الاسلام غريباً — » وقد قام بطبعه واعتنى بتصحيحه  
الشيخ أحمد محمد شاكر فطبعة بمطبعة ( النهضة ) طبعا نظيفاً على ورق متوسط  
صفحاته ٣٠ ومثمه قرش واحد ويطلب من مكتبة المنار خاصة

### كتاب المبادئ النافعة ، في تصحيح المطالعة

ألفه الاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق شيخ رواق الصعايدة بالازهر عند  
ما كان مدرسا للعلوم العربية بالمدارس الاميرية . وقد قرر المجلس العالي في اللائحة  
الداخلية للمعاهد الدينية تدريسه لطلبة السنة الاولى  
طبع في المطبعة المصرية في الاسكندرية وصفحاته ٤٠ ومثمه قرشان  
عتوان الظرف في فن الصرف

للاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق المذكور مثمه نصف قرش

### الدروس الاولى في العقائد الدينية

طبع للمرة الثانية في المطبعة السابقة الذكر سنة ١٣٢٦ هجرية وصفحاته ٤٦  
بالقطع الصغير ومثمه قرش واحد

(\*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

ومباحثه هي : - ١ - في حقوق الاستاذ والوالدين - ٢ - في حقوق الله تعالى  
 - ٣ - في حدوث العالم - ٤ - في الوجدانية - ٥ - اجمال الصفات - ٦ - أول ما يجب  
 على الخلق مخالفتهم - ٧ - في الوجود والتقدم والبقاء الى آخر مباحث الصفات - ١٤ -  
 في الصفات والاسماء الحسنى... ٧ - في معرفة الله وطاعته وفي بعثة الرسل وصفاتهم  
 الى آخر المباحث التوحيدية المشهورة

### الدروس الاولى في السيرة النبوية

طبع للمرة الثانية بمطبعة الجمالية بمصر صفحاته ٤٧ بالقطع الصغير ومباحثه هي :  
 نسب النبي ( ص ) ونشأته وبعثته وخروجه من الشعب الى دخول الانصار في  
 الاسلام وبيعتي العقبة الى الهجرة والمهجرة والغزوات وصلح الحديبية ومرضه ( ص )  
 وموته والاهتداء بهديه وخلافة الصديق وعمر وعثمان وعلي ثم دول الاسلام الكبرى  
 وفي ولاية مصر من فتحها الى الآن

### الدروس الاولى في الاخلاق المرضية

طبع للمرة الاولى بمطبعة جاليتي بالاسكندرية صفحاته ٤٨ بالقطع الصغير  
 ومباحثه هي : نصيحة الاستاذ لتلميذه ، الوصية بتقوى الله ، حقوق الله ورسوله ،  
 حقوق الوالدين ، حقوق الاخوان ، آداب طلب العلم ، آداب المطالعة والمذاكرة ،  
 آداب الرياضة والمشى في الطرقات ، آداب المجالس والحديث آداب الطعام  
 والشراب ، آداب العبادة والمساجد وفضيلة الصدق والامانة والعفة ، والمروءة  
 والشهامة وعزة النفس الخ

هذه الرسائل تأليف الاستاذ الشيخ محمد شاكر الذي كان شيخ علماء الاسكندرية  
 ثم وكيل مشيخة الازهر ومن كل منها ١ وتطلب من مكتبة المنار وغيرها

### ديوان غصن النقا

من نظم الشاعر الذكي اللوذعي ، الشيخ رشيد مصويع اللبناني ، طبع بمطبعة  
 المتقطف سنة ١٩١٥ على ورق جيد صفحاته ٨٨ بالقطع الوسط ويطلب من مكاتب  
 مصر ومن ناظمه

عرفنا الناظم من أذكي شعراء العصر، وباريس من أجمل مدن العالم كما هو معلوم بالتواتر، وناهيك بشاعر ذكي عربي أم هذه العاصمة الزاهرة فجمع في مخيلته جمال التصوير المعنوي والحسي، فنظم هنالك ديواناً فاق ما نظم قبله من الدواوين جعل الناظم ديوانه هذا هدية إلى الموسيو دلكاسيه نايفة ساسة فرنسة ووزير خارجيتها وقد نظم معظمه في باريس، فن قصائده ما مدح به الموسيو يشون والموسيو دلكاسيه ومنها ما عنوانه «باريس والجمال» و«وداع باريس» و«وصف باريس وانتقادها» و«الحل وباريس» و«باريس ووقتها» و«في مفتون في باريس» و«موحش باريس» وغير ذلك

وحسبنا نموذجاً من الديوان هذه الأبيات التي مدح بها صاحبه الموسيو دلكاسيه ناظر الخارجية الفرنسية فانما على كونها تعد من المقاطيع لا القصائد تمثل ذوق الناظم في الغزل والثناء والمدح والفخر — قال :

تحكي الامام اليازجي بطلمة	تزهو وبالقد الرشيق العادل
فاذا حزنت عليه قتت مقامه	فأعدت لي فرحي بذلك الراحل
ياطرف ابراهيم أذبلك الثرى	أسفي على طرف الحبيب الذابل
قم وانظر اليوم الرشيد فانه	يختال مثل السميري المائل
يختال في أكفاف دلكاسه الذي	هز الحسام بوجه ذاك العاهل
هذا بفضلك يا حبيب ولم أصل	لولا التفاتك للوزير الفاضل
قلدتني سيف البيان فكان لي	يوم المتى أمضى جميع وسائل
ان كان بدر الوجه عني آفلا	فبدور علمك في غير أوافل
حاكك في الشكل الوزير ودونه	في ود قلبك كان خير مشاكل
فسرنا الي بأعين مملوءة	عطفا علي وكان أكرم باذل
وأجل منزلتي وأعجب بي كما	أعجبتني وأشدت بي بمحافل
ان كان ركن العلم مال فلاهوى	ركن السياسة والعلى والنائل

# المسحاة

١٣١٥

فتشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يقضي الحكمة من بناء ومن يؤمن الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى وه مناره كنار الطريق

مصر ٢٩ ذي القعدة ١٣٣٣ — ١٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٤ هـ ش ٩ أكتوبر ١٩١٥



## البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد على أبو زيد  
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

٣

فها أنت ذافد سمعت من الآيات ما يدل على أن مانع الزكاة مشرك بالله ، لانه آثر المال على الله<sup>(١)</sup> وكافر يوم المعاد ، لانه لو كان عنده جزم بل ظن به لحملة على الاتفاق ، فلا إخالك تشك في أنه محروم من الجنة ، وان ( مأواه جهنم وبئس المصير )

وهاك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الدالة على ما قلنا ، المؤيدة لما ذكرنا

أخرج ابن عساكر عن رسول الله (ص) أنه قال « أقسم الله تعالى ألا يدخل الجنة بخيل » وفي رواية للخطيب « يحلف الله بعزته وجلاله ألا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل »

وأخرج ابن أبي شيبة وهناد والنسائي والحاكم والبيهقي عنه (ص) « لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وفي رواية لابن عدي : « لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا »

(١) المنار : مثل هذا القول لا يمكن حمله على الشرك في الاعتقاد وانما هو من باب حديث « تعسى عبد الدينار » وباب ( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه )

فهذا رسول الله (ص) المبين للدين، الناطق عن الله، أراك أنت البخيل لا يدخل الجنة، ولم يأت بالخبر الا مؤكداً بالقسم عن الله تعالى ولا يخفى أن البخل خلق في النفس يمنع صاحبه من بذل فضله لمن يحتاج اليه. والشح أشد من البخل، فهو أكثر منعاً منه لصاحبه، وكلاهما ضد للايمان الذي يحمل صاحبه على بذل روحه في سبيل ربه، فضلاً عن بذل ماله وفضله، فكيف يكون المانع للزكاة مؤمناً وهو لم يمنع الزكاة الا حرصاً على المال، وإشاراً له، وشحاً به على الله؟ فلا شك في كفره وحرمانه من الجنة كما أخبر الله ورسوله

وهنا بما نقول: أتينا بآيات في الصلاة وصفت تاركها بالشرك والكفر والنفاق، ولم تصف آيات الزكاة مازها الا بالشرك والكفر فقط. فأقول لك: قد جاء في القرآن أيضاً وصف المنافقين بمنع الزكاة. قال عز شأنه في سورة التوبة (المنافقون والمنافقات بمضهم من بعض يأمرن بالنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) فقبض اليد هو امساكها عن الاتفاق الواجب من زكاة وغيرها، وقد علمت حال المنافقين ودرجتهم مما سبق، فلا حاجة الى الاعادة، والى هنا تنتهي من أدلة الزكاة وحدها واني أنلو عليك آيات في الصلاة والزكاة معا

(قال) الله تعالى في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى ان قال: وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فالنظر كيف جمل البر الايمان بالله واليوم الآخر، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء

بالعهد ، والصبر في الشدائد . وتراه قد ابتدأ بالإيمان وعقبه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لانهما تابعان له ، لا ينفكان عنه ، ثم ذكر بعدهما الوفاء بالعهد والصبر في الشدائد ، وهما من الاخلاق التي تدعو اليها الصلاة ، وتثبتها في النفس ، وقد عرفت ذلك فيما تقدم من الحكمة

ولما كان الإيمان يستلزم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وما يتبعهما من الاعمال والاخلاق ، وكان محالاً — بحسب سنة الله تعالى — أن يوجد الإيمان في قلب المرء ويستقر من غير أن يحرك الجوارح لتلك الاعمال ، ذيل الآية بقوله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » أي أولئك الذين أقاموا الصلاة فأتوا بها معدلة مقومة ، وآتوا الزكاة لمستحقها بنفس طيبة ، واتصفوا بهذه الاخلاق الفاضلة ، هم الذين صدقوا في إيمانهم ، وهم الذين فصلوا ما يقيم عذاب ربهم ، دون غيرهم . وهذا نص صريح في أن من يدعي الإيمان من غير أن يكون مصلياً لله مذكياً ، تكون دعواه باطلة كاذبة ، اذ لم يأت عليها من أعماله بشاهد أو بينة <sup>(١)</sup>

وقد قضت حكمة الله تعالى أن يكون الإيمان حياة للروح ، كما أن الدم حياة للجسم ، وكلاهما يحتاج الى ما يمدده ويقويه ، فكما أن الدم يطلب بطبيعته أن تأتي له الاعضاء بمواد تجهزها له ، وتمده بها ليقوى ويزاد صلاحاً وتقوية الجسم على حاجاته ، كذلك الإيمان يطلب عملاً صحيحاً تقوم به الجوارح من الصلاة والزكاة وغيرهما لينغذه ويزيده قوة فتقوى بقوته

(١) المنار : الاستدلال بعدم الاتيان بالبيننة وباستلزام الإيمان بالعمل بمجادل فيه المشتغلون بالعلم بقولهم ان عدم الاتيان بالدليل لا يقتضي عدم المدلول وعدم البينة لا يقتضي كذب الدعوى ، وعدم الملزوم يقتضي عدم اللازم دون العكس ، ويعمدون هذا الاستدلال من الخطايات . وستعلم ان له وجهاً صحيحاً

الروح ، وتستمد بزيادته النفس لأن تكون ملكية صالحة لجوار الله تعالى ، وأهلا للتمتع بجناته ورضوانه

وهذا هو السر في أن الايمان متى قام بالنفس صرف الجوارح في العمل حتما ، وأن الايمان لا يوجد في قلب امرئ لا يصلي أو لا يزكي ، كما سمعت من الآيات التي تقرر الايمان بالعمل على الدوام ، وتكذب من يدعي الايمان ولا يعمل ، لانه لو كان صادقا لآتى بالصلاة والزكاة التي تصدقه وتشهد له ، وقد علمت أن غير الصلاة والزكاة من الفضائل هو تابع لهما بالضرورة ، ولذلك تجدد الآيات تفرقهما بالايمان ، وتذكر غيرهما بعدهما ، وفي كثير من الآيات يستغنى بذكرهما بعد الايمان ، للإشارة الى ذلك (قال) تعالى في وصف المؤمنين في سورة النساء ( والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما )

س لم قال ( والمقيمين ) فآتي بها منصوبة على غير المألوف لنا من قواعد النحو في العطف ؟

ج لئيبه الذهن ، فهو تخصيص يظهر لك به قيمة المقيم للصلاة ، وتأكيده للنساية بها ، اذ هي الاصل للفضائل كما أسلفنا ، والناحية عن الفحشاء والمنكر ، وقد أردفها بأختها الزكاة ، وجعلهما معا وسطا بين الايمان بالكتب المنزل من السماء ، وبين الايمان بالله وبالجزاء ، ليفيد أنهما مظهر الايمانين ، وأن المؤمن لا بد أن يتصف بالصفتين

و كأنه يقول : ان من لم يتحل بالصلاة والزكاة ، لا يكون مؤمنا بالله ، ولا خائفا من عذاب الله . اسمع قوله تعالى في سورة النور ( في

بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيه الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) الآية

تجد أنه جعل خوف هؤلاء الرجال من يوم القيامة وهوله ، وما يلاقهم هناك من حسابه ، سببا في ذكرهم ربهم ، وإقامة صلاتهم ، وإيتاء زكاتهم ، كما أن فعلهم الصلاة والزكاة نتيجة نفعهم بأن الله يشكرهم على فعلهم ، ويمتعم بثمره أعمالهم ، فالآيات تنادي بأن من لم يقيم الصلاة ولم يؤت الزكاة لا يخاف ذلك اليوم - يوم الدين ، ولا يثق بثواب رب العالمين ، إذ النفس مفطورة على فعل الشيء متى ترجع لها فيه الخير ، والابتعاد عنه إذا علمت منه الضرر ، وهذه قاعدة نفسية ، تجري عليها جميع الأعمال البشرية ، فمن ادعى خلافها فهو كاذب . ألا تراك حين تعلم أنك إذا وضعت يدك في جحر الثعبان فإنه يلدغك ، أو أكلت طعاما فيه سم فإنه يقتلك ، لا تستطيع بحسب فطرتك أن تقدم عليه البتة ، اللهم الا إذا زال من نفسك هذا العلم بالضرر ، أو أصابك شيء في العقل فترجع لك النفع في الموت ، ولكن مادام العقل سليما ، والضرر مرجحا ، فانك لن يمكنك الإقدام عليه ، فارجع الى وجدانك ، وحقق منه ذلك ، فانك لا تشك في أن تارك الصلاة ومانع الزكاة ، لم ينمه من أدائها ، الا ما قام بنفسه من ترجيح الخير في تركها ، وعدم يقينه بأن سيعذب على عدم المبالاة بهما ، ولو قرأت قوله تعالى عقب هذه الآية مباشرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الآية - لرأيت أنه يعاين الآية التي قبلها ،

ومن المعلوم في سنة القرآن أن يذكر الكافرين ، في مقابل المؤمنين ،  
فيريك أن من يتخلى عن تلك الصفات إنما هم الكفار ، ولا بد للمؤمنين  
من الاتصاف بها ، فيها يعرفون ، وبها يميزون

( قال ) تعالى في سورة المؤمنين ( قد أفلح المؤمنون \* الذين هم في  
صلاتهم خاشعون \* والذين هم عن اللغو معرضون \* والذين هم للزكاة فاعلون )  
جعل الفلاح للمؤمنين الخاشعين في صلاتهم ، الفاعلين لزكاتهم ، فأفهم  
ألا فلاح لغير المؤمن ، كما أنه لا إيمان لمن لا يصلي خاشعاً ، وبزكي عجا  
س عهدنا من القرآن أن يذكر الزكاة بعد الصلاة من غير فصل ،  
فلماذا فصل بينهما هنا بقوله « والذين هم عن اللغو معرضون » ؟

ج لينبهك الى نكتة جميلة ، وحكمة جليلة ، وهي ان الصلاة التي  
ليس فيها خشوع لا يمتد بها ، وأنها لغو ينزعه المؤمنون عنها ، فليكن لك  
من كلام الله عبرة ، ترجع فيما تطالبك به نفسك اليه ، وتقيس أخلاقك  
وما تأتي به من الاعمال عليه ، فالك من قسطاس مستقيم يزن الاعمال  
بالضبط غيره ، ولا مقياس صحيح يحدد الصفات بالحق سواء ( هذا  
كتابنا ينطق عليكم بالحق — ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون )  
( وقال ) تعالى في سورة النمل ( طس \* تلك آيات القرآن وكتاب  
مبين \* هدى وبشرى للمؤمنين \* الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة  
وهم بالآخرة هم يوقنون )

( وقال ) في سورة لقمان ( ألم تلك آيات الكتاب الحكيم \* هدى  
ورحمة للمحسنين \* الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم  
يوقنون \* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون )

تراه هنا قد حصر الفلاح فيهم؛ وأفادك أسرا آخر وهو أن الصلاة  
والزكاة مع ملازمتها للإيمان بالآخرة، قد يأتي بهما المرء عن غير  
داعية الإيمان، إما للرياء أو الأكرام. وحينئذ لا يكون له حظ في هداية  
القرآن، ولا البشرية بالجنة والرضوان، ومن كان هذا حاله، لا تنفعه  
صلاته، ولا تقبل منه ثقاته

(قال) تعالى في سورة براءة (وما منهم أن تقبل منهم ثقاتهم  
ألا أنهم كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا  
ينفقون الا وهم كارهون) فلا تمجيك أموالهم ولا أولادهم انما يريد  
الله ليمذنبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

أنزل الله ذلك في شأن المنافقين الذين لم تكن صلاتهم عن إيمان  
فينشطوا اليها، ويرتاحوا بها، ولم تكن ثقاتهم عن اخلاص فينفقوا  
عن طيب نفس ورغبة في القبول، فبذلك كفروا، وجعل الله أموالهم  
وأولادهم فتنة لهم، ووبالا عليهم، وسينتقم منهم (يوم لا ينفع مال ولا  
بنون الا من أتى الله بقلب سليم) من عيوب الشرك والنفاق

هذا وقد تضافرت الآيات الناطقة بأن الصلاة والزكاة هما علامتا  
الإيمان بالله، ودليلا الاخلاص له، وأنه لا يصح إيمان بدونهما، كما  
أنهما لا تقبلان من غير أن يكون الإيمان باعثا عليهما، وهما إذا أزيدك  
على ما تقدم منها ما تقطع بمد تدبره بأن تارك الصلاة ومانع الزكاة لم يمس  
الإيمان قلبه

قال العزيز الحكيم في سورة السجدة الم (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا  
ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) تتجافى

جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (وقال) تعالى في سورة الانفال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون \* أولئك هم المؤمنون (حقا) وقد أتى في الآيتين بلفظ «انما» الذي يدل على الحصر، كأنه يقول سبحانه إنه لا يوجد الايمان الصحيح الا فيمن يكون هذا شأنهم، وتلك صفاتهم، فمن لم يهتز قلبه لذكر الله، ولا يخضع ويدعن لا وامره، فيرجو ثوابه، ويخاف عقابه، فليس بمؤمن وإن سعى نفسه مؤمنا، لان المؤمن يدور دائما بين خوف ورجاء، فخوفه عذوب ربه يزجره عن المنكرات، ورجاؤه ثوابه يدفعه الى المسارعة في الخيرات، فمن لم يك كذلك فاعتقد كذبه في دعوى الايمان، وحسبك شهادة الله لمن يقيم الصلاة ويعطي الزكاة بعد ما تقدم بقوله (أولئك هم المؤمنون حقا) بالحصر المؤكد بالحق . فهل بعد هذه أدلة، تشفي من الغلة، أو ينتظر برهان، أرقى من القرآن؟ ولنختم الموضوع بآيات أخرى ودلائل، لاتدع بعدها قولاً لقائل فنتلو قول الله الكريم (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) الآيات، فقيها يقول الله للمسلمين (فاذا انسلخ الاشرار لهم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وفيها يقول (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم — الى أن قال — لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين )



أمرهم ألا يعتدوا بتوبتهم من الشرك والاعتداء الا اذا اتبعوا التوحيد باقامة هذين الركنين للدين ، لانهم بهما يصيرون مسلمين متأخين ، وعلى هذا سار الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، وقتال الخليفة أبي بكر باجماع الصحابة لما نهي الزكاة ، وعده إياهم خارجين بتركها مشهور ، وبه علم أن الاسلام أركانه متضامنة ، لا يقام الا باقامتها جميعها ، وينهدم بهدم أي ركن منها ، وقد عزز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بالحديث الذي خرج به الامام أحمد <sup>(١)</sup> « أربع فرضهن الله في الاسلام فن جاء بثلاثة لم تفنن عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت » وقد علمت مما تقدم أن من يقيم الصلاة بالخشوع ، ويؤتي الزكاة بالاخلاص ، لا يسهه أن يترك غيرها من الفروض ، ولا يمتنع عن تقوى الله ما استطاع ، ولذلك اختصرنا عليهما اذ يوشك أن تضع كل فضيلة بضياعهما ، وعدم المبالاة بهما فاتقوا الله يا معشر المسلمين ، واعلموا أنكم لستم بمأجورين ، حتى تحذوا حذو سلفكم الصالحين ، فتكونوا بالصلاة والزكاة أمرين مؤثرين وعلى يد التاركين لهما ضارين ، ( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ) تتعاونون على نشره ، وتتكافون في احياء شعائره ، فتعملون كلمته ، وتجنون ثمرته

هذه نصيحتي أقدمها اليكم ، عسى أن تكون وسيلة لديكم ، فطلبوا الحق من القرآن ، ولا تستبدلوا التقليد بالبرهان  
هداني الله وإياكم

محمد علي أبو زهر

[المنازع] عنوان هذه الرسالة والكثير من عباراتها يخالف في ظاهره لمذهب أهل السنة في عدم تكفير المسلم بترك فريضة أو فعل معصية، وموافق لمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة كترك أحد أركان الإسلام أو اقتراف القتل أو الزنا أو شرب الخمر، وقد تعارضت ظواهر نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب فأطلق اسم الكفر في بعض أحاديث صحيح مسلم على ترك الصلاة وعلى الطعن في النسب والنبا على الميت وفي حديث الصحيحين «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (وفيها) إذا التقي المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول في النار» وقال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسماهما مؤمنين. وقال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجمع أهل السنة بين هذه النصوص وأشباهاها بأن لفظ الكفر — ومثله الفسق والظلم — ورد في الكتاب والسنة بالمعنى اللغوي فأطلق على كفر النعمة وعلى الشرك وما في معناه من منافيات الإيمان بالله ورسوله وتصديق ما جاء به الرسول (ص) عن الله تعالى. وكذلك الفسق والظلم — قال تعالى (إن الشرك الظلم عظيم) والكافرون هم الظالمون \* كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) فهذا الفسق دون ما قبله. وكذلك لفظا الشرك وهو أقبحها أطلق على ما دون اتخاذ إله مع الله فسمي الرباء شركا وجملة القول إن أهل السنة لا يكفرون أحدا من المسلمين بمعصية يرتكبها فعلا كانت أو تركا وإن كانت من الكبائر، إلا أن بعض أئمة أهل السنة من الصحابة والتابعين قالوا يكفر تارك الصلاة كأنقدم في تعليقنا على حديث مسلم في أول هذه الرسالة، وأطلق جمهورهم كلمة «المرتدين» على مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول (ص) كما أطلقوه على من رجعوا عن الإسلام إلى الشرك أو الإيمان بنبوة الكذابين مسيلمة والاسود العنسي، ولكن قال علماء السنة إن الذين منعوا الزكاة تأولا بأن أخذها خاص بالنبي (ص) لم يسما مرتدين إلا بالتبع لغيرهم أو بمعنى الارتداد اللغوي. وإن الإجماع انقصد في عهد الصحابة بأن من منع الزكاة متأولا — ومثله من جحد ما في معناها وحكمها — تقام عليهم الحجة أولا فإن اعترفوا بوجودها ولم يؤدوها لا يحكم بكفرهم بل يقتلون قتال البغاة لا الكفار، كما قاتل الصحابة الخوارج ولم يكفروهم ولا عاملوهم معاملة الكفار في القتال

هذا — وان وراء هذه المسألة بحثاً آخر وهو : انه لا يقبل أن يكون المرء مؤمناً بالله تعالى وبرسوله وباليوم الآخر على الوجه الحق الذي دعا اليه القرآن ، ومسلماً مدعياً في ظاهره وباطنه لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يترك الصلاة التي هي عماد الاسلام وركنه الاعظم للعبادات الشخصية ، والزكاة وهي ركنه الاعظم الذي تقوم عليه حياته الاجتماعية ، غير مبالي بنصوص الكتاب والسنة التي قرئتها بالايمان ، وعدتهما أعظم أركان الاسلام ، وقد عد السلف العمل بما أمر الله ورسوله داخلًا في مفهوم الايمان ، والاذعان شرط لصحة الايمان بالاتفاق . وكيف يكون مدعياً من لا سلطان للامر والنهي على قلبه ، ولا يظهر لها أثر في عمله ؟

لقد أحسن من عبر عن المسألة بقوله « لا تكفر أحداً من أهل القبلة » أي من ثبت إسلامه بأذعانه لما جاء به نبينا ، بأن كان يصلي معنا الى قبيلته ، ويلتزم أحكامنا وشعائره ، فانا لا نحكم بكفره لذنب يقتضيه بحاله كثورة غضب ، أو فزوة شهوة ، أو فريضة يتركها بشغل عارض ، أو برد قارس ، ثم يتوب من قريب ، إذعانا لمقتضى الوعد والوعيد (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون ) لا إيمان لمن لا اذعان له ، ولا اذعان لمن لا اسلام له ، ولا اسلام لمن لا عمل له ، وأعمال الاسلام قسمان أو كان كأركان البيت يتوقف عليها وجوده ، وواجبات ومندوبات يتوقف عليها كاله ، فهذا هو الاسلام الديني وهناك اسلام آخر هو عبارة عن جنسية سياسية أو اجتماعية تنال بالوراثة أو بالانتماء الى قوم يسمون مسلمين ، وهذا الاسلام لا يشترط فيه العلم بعقائد الاسلام الديني ولا القيام بأركانه وشعائره الظاهرة ، ولا ترك محرماته المجمع عليها ولا استقباحها ولا ينافيها إنكار شيء من القرآن ولا استقباح شيء من شرعه كتحريم تبرج النساء والحر والقمار ، وإنما يعرف بالاسم وبمشاركة المسلمين في بعض احتفالات أعيادهم ومواسمهم المشروعة والابتدعة ، وبعد التزام شعائر دين آخر . وانا نرى بعض الملاحدة من هذا الجنس يريدون هدم الاسلام الديني بالاسلام الاصطلاحي الجنسي ، حتى أنهم يبيحون جحد المجمع عليه المعلوم منه بالضرورة وأولئك هم المرتدون المنافقون

## مَلِكُ الْمَلِكِيَّةِ دَارُ الْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١١

### أنواع أمراض الاحياء الطفيلية الميكروبية

هذه الامراض نوعان : منها ما عرف ميكروبه باليقين ، ومنها ما لم يعرف الى الآن. ومن أسباب ذلك أن جميع المجاهر أو النظارات المكبرة (الميكروسكوبات) الحالية لا تكشف الا ما يبلغ طول قطره ١٦ و ٠ من الميكرومليتر أو أكثر. أما ما قل عن ذلك فلا يمكن رؤيته الى الآن مطلقا ويسمى [بما وراء المجهر] (Ultra-microscopic) وهذه الميكروبات تمر خلال أحكم النواضح (المرشحات) مثل ميكروب الكلب وجذري البقر

أما الميكرومليتر المذكور هنا - ويسمى أيضا [الميكرون] - فهو جزء من الف من المليمتره ويرمز اليه بهذه العلامة (μ) في الافرنجية وبحرفي (مك) في العربية والميكروبات المعروفة اما نباتية أو حيوانية - كاسبق -

### الامراض التي تنشأ من الميكروبات النباتية

الحُمى التيفودية Typhoid Fever

لفظ التيفود يوناني معناه [شبه التيفوس] ومعنى كلمة [تيفوس] الصاعقة،

سميت بذلك الحُمى المعروفة لأنها تصعق المريض

هذه الحصى من الحميات الشهيرة المعدية وتمكث عادة نحو ثلاثة أسابيع ، وقد يُنكس فيها المريض مرة أو أكثر . وأهم مميزاتها طفح قرنفلي واسهال مع التهاب وتقرح في بقع ( بايير ) وفي الغدد المنعزلة للأمعاء . ولاصابة الأمعاء فيها بالتقرح تسمى أيضا بالحصى المعوية

الاسباب — هذه الحصى لا تميز الا قليلا بين الذكر والانثى ، ولكن للعمر تأثيرا كبيرا فيها فهي تكثر في سن الشباب الى ٣٠ سنة وبعد ذلك تقل كثيرا غير انها قليلا تصيب الاطفال والشيخوخة ، واذا أصابت الاطفال كانت الاصابة خفيفة ومدتها قصيرة ، واضرارها بالأمعاء أقل مما في الشباب

تكثر هذه الحصى بين شهري أغسطس ونوفمبر ، أو في فصل الحر والجفاف . واذا أصيب بها المرء مرة وقته من الاصابة بها مرة أخرى . وميكروبا من الشكل الباسيلي ، كثير الحركة باهدابه ، طوله ميكرونان أو ثلاثة ، ويتكاثر بالانقسام ، ولا حبيبات له . ويوجد بكثرة في البراز وفي البول<sup>(١)</sup> وفي اللعاب أيضا (في المضاعفات الرئوية) وفي العرق ، ويوجد كذلك في قيح الخراجات التي تنشأ من هذه الحصى . وقد ينتقل من الام الى جنينها

فاذا وصل هذا الميكروب الى أي شيء مما يأكله الانسان أو يشربه انتشر المرض بين الناس . والذي اكتشفه هو [ ايبيرت Eberth ] سنة ١٨٨٠ وهذا الميكروب يعيش حتى في الثلج ولا يقتله عصير المعدة الحامض ويقاوم درجة ٤٤ الى ٥٤ ستيجراد مدة طويلة جدا ، ولذلك قد يصل الى الانسان من مثل القشدة المثلوجة وغيرها ، ويدخل هذا الميكروب كثيرا في الاسماك الصدفية أي المحار ( كأمل الطلول ) التي تؤكل عادة بلا طبخ ويعيش فيها الميكروب وهي حية لغاية ١٨ يوما بدون أن يظهر عليها عرض ما . واذا جف الطين وصار بحيث تثبته الرياح عاش الميكروب فيه ٢٥ يوما فينتقل بذلك الى طعام الانسان وشربه . وكذلك الذباب ينقله أيضا . وقد يعلق هذا الميكروب بالخضروات كالفجل والجرجير ونحوهما مما يؤكل (١) وجوده في البول كثير خصوصا في الاسبوع الثالث وفي طور النقاهة بل بعدها

غضا، فكل هذى الاشياء هي مما ينقل المرض من شخص الى آخر . وكثيرا ما تلوث الآبار أو الانهار أو أنابيب المياه من المراحيض التي يلقي فيها إفراز المرضى . وقد ثبت انه يعيش في قدارة المراحيض من ٣ الى ٥ أيام ولكن يوجد في هذه المواد القدرة من الميكروبات ما يقتله بعد ذلك

واذا عرض هذا الميكروب لنور الشمس مات بعد ٤ ساعات وقد يبقى الى ٨ ساعات ، واذا وجد في الارض محتبئا عاش شهرين كاملين

ومن الناس من يحمل هذا الميكروب في جسمه عدة أشهر بل عدة سنوات بعد الشفاء من الحمى ويكون سببا في عدوى الكثيرين ببوله وبرازه <sup>(١)</sup> ومن المحقق ان المراءة هي غالبا مسكن الميكروب في هؤلاء الحملة ( خصوصا من النساء ) وفيها يتكاثر بعد الشفاء ( راجع صفحة ١٦ و ١٧ من هذا الجزء )

والطريق الوحيد العدوى بهذا المرض هو الجهاز الهضمي فاذا وصل الى أي جزء منه — كالفم مثلا — اذا ذرته الرياح فدخل غباره في جوف الانسان فمن الجائز أن يصاب بهذا المرض ، وان كان الغالب في العدوى ان يزدرد في الطعام أو الشراب الاعراض — مدة التفرخ تكون في أكثر الاحوال نحو أسبوعين وقد تكون ٥

أيام فقط أو ٢٣ يوما . ويتبدئ المرض بإحساس المريض تدريجيا بضعف وتكسر في الجسم ويسأم العمل ويشعر بصداع وآلام في الاطراف والظهر وبالإلقاء ( فقد شهوة الطعام ) وقد يحصل له غثيان أو قيء . وفي أغلب الاحوال لا يمكن للمريض أن يمين بالضبط مبدأ لهذه الاعراض — بخلاف بعض الحميات الاخرى التي تبدئ فجأة — ويكون الصداع شديدا ( وأكثر شكوى المريض منه ) وفي كثير من الاحوال يحصل له إسهال . وقد يحاول المريض في أول الامر أن لا يقطع عن عمله الا أنه في أواخر الاسبوع الاول يضطر الى ذلك ويلجأ الى الفراش . وكذلك تبدئ الحرارة بالتدرج حتى تصبح بعد أيام قلائل نحو ٤٠° ويسرع النبض وتزداد مرات التنفس . وفي نحو اليوم السابع أو العاشر يكون عند المريض

(١) خروج الميكروب مع البراز ليس متتابعا بل متقطعا فاذا وقف زمنا ما فقد يعود ثانية ، ولذلك فمن المتعذر القطع بطهارة الحامل منه وعدم عدواه لغيره

ذهول وضعف شديد ويحترق خذاه ويجف اللسان ولا يزال يشتكي من الصداع. ويحصل له أحيانا عرق غزير أو رعاف . ومن اليوم السادس الى اليوم الثاني عشر يظهر الطفح القرنفلي الخصوص وهو نقط أو بقع صغيرة وردية مستديرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد تزول بالضغط عليها ولا يحصل فيها نزف كما في التيفوس ، وتشاهد هذه النقط على البطن والصدر وقد ترى أيضا على الجنبين والظهر أو المضدين والفخذين ، ويتراوح عددها بين ٦ الى ٢٠ أو ٣٠ وقد تزيد على ذلك بكثير . وفي بعض الاحوال لا يكون لهذا الطفح وجود — خصوصا في مصر — وهو لا يظهر دفعة واحدة بل تدريجيا ، وتمكث كل نقطة ٣ أو ٤ أيام ثم تزول ويخلفها غيرها حتى نهاية الاسبوع الثالث أو بعده . وبعد الموت تزول هذه النقط

وفي الاسبوع الثاني يكون البطن منتفخا وبه آلام ، وبالضغط على الحفرة الحرقفية اليمنى يشعر المريض بالآلم القليل ، وقد يحس الطبيب بقرقر مخصوصة. ويشد الإسهال ، ولكن في بعض الاحوال — خصوصا في مصر — يكون البطن معتقلا من أول المرض الى آخره ، وللمبراز في هذا المرض رائحة كريهة مخصوصة ولون أصفر يشبه حساء ( شوربا ) العدس المصري . وقد يحصل نزف من البطن يكون سببا في الموت أحيانا . ويكبر الطحال ويقل البول

أما الصداع فانه لا يكثر عادة بعد اليوم العاشر وقد يصاب المريض بالعمى الوقي . وفي أواخر الاسبوع الثاني تنبثق الحرارة في النزول تدريجيا حتى تعبير طبيعية . هذا في الاحوال الحسنة

أما في الاحوال السيئة فيشتد الهذيان والنعاس الذي تعقبه القيوة ، ويحصل الاهتزاز التوري ، وتنجس الاوساخ على الاسنان والشفتين وغيرها ويضرب القلب ويكثر السعال ويمسر الشفاء

وقد ينكس الانسان بعد الشفاء من هذا المرض ، فانه لوحظ أن نحو ١١ من ١١ مريضا في المئة ينكسون ، وقد تكون الفترة بين المرة الاولى والثانية ١١ يوما . وفي الغالب تكون مدة النكس مثل المدة الاولى في طولها ولكنها أخف منها ، وقد ينكس ثانية وثالثة ورابعة

وأهم تفسير يحصل في الجسم بهذا المرض هو التهاب بقع ( باير ) المذكورة والغدد المنعزلة. وفي اليوم العاشر أو بعده بقليل يتقرح هذه الاجزاء وقد ينقب البريتون فتعقرق الامعاء ويحصل التهاب بريتوني شديد يعقبه الموت . أما التغيرات في بقية الاعضاء فهي كما ذكر سابقا في المقدمة ، وكثيرا ما يشاهد في التيفود اذا طالت مدته تغير العضلات الذي ذكره [ زنكر Zenker ] فتستحيل اليافها الى مادة شفافة كالشمع ثم تنفقت وتصبح حبيبات صغيرة وبذلك تفسد العضلات وقد يتولد فيها خراج

المضاعفات والاشكال المختلفة — مضاعفات هذا المرض كثيرة منها العزلة الشعبية والالتهاب الرئوي أو البليوراوي أو البريتوني أو السحائي، وغير ذلك كثير ومن أنواعها مالا يحسب الا عشرة أيام ويسمى بالنوع المجهرض [ Abortive ] أو يطول الى ٦ أسابيع. ومن الناس من لا يشعر بالمرض لشدة خفته ولكنه قد ثقب أمعاه فجأة فيموت . واذا شفي المريض لا تعود اليه قواه العقلية والجسمية الا تدريجا فيحتاج في الاحوال البسيطة الى ثلاثة أشهر من مبدأ المرض الى تمام قاهته ، أما في الحالات الشديدة أو المتضاعفة أو ذات النكس فيحتاج الى ٥ أو ٦ أشهر من مبدأ المرض

الانذار<sup>(١)</sup> — عدد الوفيات بهذا المرض هو من خمس الى عشرين في المئة . ومن أشد الاشياء خطرا على الحياة ثقب الامعاء والنزف

المعالجة — هي كما سبق في باب الحيات ، انما نذكر هنا بعدة مسائل (١) أن لا يعطى المريض مسهلا الا في أول المرض ، وأفضل المسهلات عندئذ زيت الخروع ، ولا يجوز بحال من الاحوال اعطاء مسهل شديد البتة (٢) يجب التزام الراحة التامة على الظهر حتى يبرز المريض في اناء منقطع منعاً لكل حركة ويجب بقاء المريض على الغذاء السائل مدة ١٠ أيام على الاقل بعد نهاية المرض . والغرض من ذلك كله منع الانتقاب والنزف (٣) من الاطباء من يعطي أدوية مطهرة للامعاء

(١) لفظ اصطلاحي يراد به الانباء بمصير المرض ، وذلك مبني على ما ذكر في الكتب الطبية — تحت هذا العنوان — من الاحصائيات والمشاهدات ونحوها



(كالساول) والزئبق الحلو بمقادير صغيرة ، ولكن نفع هذه الاشياء قليل ، وغاية الامر انها قد تقلل الاسهال والرائحة الكريهة للبراز (٤) اذا زاد الاسهال عن أربع مرات يوميا وجب العلاج والا فلا (٥) لأبأس من شرب الماء بكثرة فانه منمّش ويفسل سموم الجسم في العرق والبول . وماء الجير نافع جدا اذا مزج باللبن فانه يسهل هضمه ويمنع القيئ والتقيء ويمسك البطن ويقوي خلايا الجسم ، فان الجير لازم لحياة جميع الخلايا (٦) يعالج الصداع بوضع الماء المثلوج على الرأس أو بتعاطي الفيناستين ( يقدر ٥ — ١٠ قمحات ) أو غيره

الوقاية — (١) تطهر جميع مواد البراز والبول وغيرها بوضع مثل الفينيك عليها بنسبة ٥ في المئة لمدة ساعتين على الأقل قبل القائها في المراحيض  
(٢) يغلى كل ما يستعمله المريض من ملابس وفرش وأواني وغيرها مدة نصف ساعة على الأقل

(٣) يجتنب إلقاء أي شيء مما يخرج من المريض أو يمسه في مجاري ماء الشرب أو تركه مكشوقاً بحيث ينقله الذباب أو الريح ، بل يجب تغطية أواني البراز أو البول بخرقة مغمسة بمحلول الفينيك — بنسبة ٥ في المئة أيضا — منعا لانتقال الميكروب بواسطة الذباب الى أهل المنزل

(٤) يجب غسل يدي كل من خالط هذا المريض بالماء والصابون ثم بمحلول السلجاني ١ في ١٠٠٠ أو بمحلول الفينيك أو بالخل (الكحول) النقي بوضعها فيه خمس دقائق قبل أن يمس أي شيء من طعامه

(٥) في وقت انتشار هذا الوباء يجب غلي كل طعام وشراب . وأحسن طريقة لتطهير الحنظل ونحوه امراره في لهب الكحول أو وضعه على الفحم الملتهب ، وينبغي أيضا الامتناع عن أكل الخُصَر كالقنجل والجرجير والفاكهة الا اذا غسلت جيدا بالماء الغالي وأزيلت قشورها وكذلك يجب اجتناب أكل الحيوانات البحرية المذكورة سابقا واللبن المثلوج

(٦) يلقح السليم بالحقن تحت الجلد بميكروب الحى التيفودية بعد قتله ، وذلك بأن يربي ميكروب التيفود لمدة ٤٢ ساعة ثم يوضع في محلول ملح الطعام ١ في ١٠٠

و يقتل بعد ذلك بجمرة درجتها ٥٣ ستيجراد لمدة ساعة وليحترس من رفع الحرارة أكثر من ذلك لأنها تفسد مادة التطعيم، ويحقن المريض مرتين بينهما فترة عشرة أيام. وعدد الميكروبات التي يجب أن تحقن في المرة الأولى نحو ٥٠٠ مليون وفي الثانية نحو ١٠٠٠ مليون، ويوصي بعضهم بحقنة ثالثة من ٢٠٠٠ مليون. وللحقن في زمن انتشار الوباء عيب وهو أن القابلية للمرض تزداد بعد الحقن لمدة قصيرة فيكون الإنسان فيها عرضة للإصابة. وأحسن الاوقات للحقن ما كان قبل قيام المسافر ونحوه الى مكان الوباء بوضعة أيام

(٧) تظهر الاواني اذا تمسر غليها بمحلول حامض الكبريتيك — بنسبة ٢ في المئة — ومزيتة أن الآثار التي تبقى منه لاتضر صحة الإنسان مطلقا بل أن طعمه الحضي مما يحرض شهوة الطعام ويعين على الهضم

(٨) لا يجوز للتاقين التبول أو التغوط في الطرقات، ولذا يجب تقصير الثياب وخلع المرء نعليه عند دخوله حجرات منزله. ولا ينبغي أن من آداب الاسلام تقصير الثياب فان في اطالتها اسرافا وخيلاء وضرا محبا عظيما

(٩) تتقى مخالطة التاقين مدة ثلاثة أشهر على الأقل أو الى أن يظهر البحث البكتيريولوجي مهارتهم من الميكروبات تماما بعد عمله عدة مرات متباعدة والا وجب منعهم عن مس أي طعام أو شراب وتطهير أيديهم وملابسهم وفرشهم أو مفرزاتهم دائما وغلي كل طعام أو شراب مسوه قبل تناوله

طريقة فيدال لتشخيص الحيات

Widal's Test

هذه الطريقة مبنية على أن مصل دم المرضى بالتيفود يبطل حركة ميكروباته في بضع دقائق ثم يتراكم بعضها على بعض فيتكون منها أكوام وذلك ما يسمى بالافرجمية [Agglutination] وهي كلمة لاتينية معناها الحرفي (التفريجة) لأن الميكروبات في اجتماعها تكون كأنها غريت بعضها ببعض بعد أن بطلت حركتها، والاحسن أن نسمي ذلك (بالارتكام) والميكروبات في هذه الحالة لاتتمكّن

مئة كما يقوم بعض الناس . وملخص هذه الطريقة عملا أن يؤخذ جزء من دم المريض في أنبوبة دقيقة مطهرة ، ثم تخرج نقطة من مصله بجزء أكبر من السائل الذي ربي فيه الميكروب بنسب مخصوصة أفضلها ما كان ( من ١ الى ٣٠ ) وينظر اليه بالميكروسكوب بطريقة ( النشطة المعلقة ) فبعد نصف ساعة أو ساعة لا يشاهد غالبا ميكروب واحد منفردا ، وقد فسر العلماء ذلك بعدة تفاسير لا حاجة لذكرها لان الحقيقة مجهولة ، وهذه الطريقة لا تنجح الا بعد مضي بضعة أيام من المرض ، والاحسن أن يؤخذ الدم بعد الاسبوع الاول ، وفي بعض الاحوال لا تنجح مطلقا وتكون الحى حينئذ شديدة ومميتة ، وفي البعض الآخر يستمر نجاحها لعدة أشهر بعد انتهاء المرض . وهي تستعمل في الحيات الاخرى التي عرف ميكروبها باليقين كالخى المالطية ، ويؤخذ الدم من شحمة الاذن أو الاصبع بالوخز بآبرة أو نحوها ولا يضمن استعمال المصل في طريقة فيدال هذه ، بل يجوز أن تعمل بدم متجدد فيذاب بقليل من الماء المقطر ويستعمل كامصلا ، ويجوز أيضا استعمال الميكروب الميت فانه ينرا كم أيضا وكذلك الميكروبات غير المتحركة

### الحى الباراني فودية Para-typhoid

كلمة [بارا] يونانية معناها « قريبة » لان هذه الحى تقرب جدا من التيفودية في أعراضها وسيرها بل في جميع مميزاتا تقريبا غير أنها تكون عادة أخف وطأة وأقصر مدة ، والبطن يكون — في النوع الاول منها — غالبا معتقلا ، وهي غير مميتة إلا نادرا . وتنتشر أحيانا بشكل وبائي ، وقد تحصل في جميع بقاع الارض . وأهم الاسباب في انتشارها الماء الملوث وميكروبها كيميروب الحى التيفودية الا في بعض أشياء قليلة من الوجهة البكتريولوجية . أما في الشكل والحركة فمما سيان . وهذا الميكروب لا يترام بمصل دم الحى التيفودية . وهو نوعان: النوع الاول يسمى (أ) والثاني (ب) أما (أ) فانه أشد شبا بميكروب التيفود ، وأما (ب) فانه أضر . وإذا مات الشخص بسبب هذه الحى كان غالبا مصابا بميكروب (ب) وقد تفرق أمعاء المصاب بسبب تفرح الغائث ولكن تكون تقع باير سليمة وفي بعض

الحالات لا يوجد شي في الامعاء ، وفي اصابة واحدة شوهدت ضخامة غدود المساريقا ، وفي كثير من الاصابات يكبر الطحال أما المعالجة والوقاية فهي كالتيقودية سواء بسواء . وهذه الحى تقي من أصيب بها من مثلها ولا تقي من التيفود

### الحى المالطية Malta Fever

تسمى هذه الحى أيضا بحى البحر الأبيض المتوسط لانها كثيرة الحصول في شواطئه وفي جزائره ولكنها توجد أيضا في جنوب أفريقية والهند والصين وغير ذلك

الاعراض — طور التفرخ يتراوح بين بضعة أيام و ٣ أو ٤ أسابيع . وتبندئ الاعراض تدريجيا كما في الحى التيفودية ولكن لا يظهر فيها طفح ويكون البطن ممسكاه ولا تنقرح فيه بقع (باير) ولا تضخم . والوفيات فيها قليلة (نحو ٢ في المئة) ولكنها تطول جدا فقد تمتد الى ٩ أشهر ، ويشفى منها المريض بالتدريج ويصير ضعيفا أصفر اللون وقد تلتهب مفاصله أو خصيتاه

أسبابها — هذه الحى ميكروب من النوع البرزى وهو لا حركة له ولا أهداب (وان ادعى بعض الباحثين أن له أهدابا) أما ما يشاهد فيه من الحركة فهي حركة برون [ Brown ] وهو اسم امرئ نباتي يسمى ( ربريت برون ) شاهدها في قطرات الندى ولكنها ظاهرة طبيعية يمكن مشاهدتها في كل سائل فيه ذرات دقيقة فتتهز هذه اللرات مع حركة رحيوية قليلة حول نقطة معينة ، وسببها اختلاف درجة الحرارة في السائل بالتبخر القليل الذي يحصل من سطحه

وأعظم ما ينقل ميكروب هذه الحى الى الانسان هو لبن الممرء فان الممرء تصاب كثيرا بهذا الميكروب في جزائر البحر الأبيض وفي جنوب أفريقية وغيرها بدون أن يظهر فيها عرض مّا لهذا المرض ( إلا ضعفا في بعضها أو التهابا في ضروعها ) ولكنها تفرز في لبنها كثيرا من هذا الميكروب

والوقاية منه يجب اجتناب أكل أو شرب هذا اللبن أو ما يصنع منه كالزبدة أو

الجبن الحالوم الا اذا كان اللبن غلي قبل صنع الجبن منه. ويجوز أن يدخل الميكروب من جرح بالجلد اذا مسه هذا اللبن أو ينتقل بواسطة الحشرات الماصة للدم كالبعوض مثلاً فان الميكروب يعيش في جسمه أربعة أيام أو خمسة وهذه الحى تصيب الذكر والأنثى على السواء تقريباً وهي أكثر حدوثاً في سن الشباب منها في السكبر ويكثر حصولها في أيام الحر

### الدفتيريا Diphtheria

الدفتيريا كلمة يونانية معناها الغشاء ، وهي عبارة عن مرض معدٍ ، أهم مميزات أنه يصيب الأغشية المخاطية للفم أو الحلق أو الأنف أو الحنجرة أو غير ذلك فيتكون غشاء أبيض فوق هذه الأجزاء الملتبته ، وقد يصيب هذا الغشاء أيضاً سمحات الجلد أو جروحه

وإذا أصاب الملتحمة ( غشاء العين ) أتلها في ٢٤ ساعة

الأسباب — هذا المرض يصيب الاطفال خصوصاً بين السنة الثانية والعاشره أو الثانية عشرة و يندر حصوله لغيرهم . وهو ينتشر بالهواء لمسافات قصيرة . وينجرح الميكروب في افرازات المصاب أثناء عطاسه أو سعاله مثلاً ، أما نفسه الهادئ فلا يضر . ويعيش ميكروب الدفتيريا مدة طويلة اذا سكن في طيات الثياب وهي مما ينقله الى مسافات أبعد من مسافة انتقاله في الهواء . ويؤدي هذا المرض حتى في مبدئه قبل أن تظهر جميع أعراضه . ورطوبة المنازل والأهوية الفاسدة مهيئات له ، وكذلك أمراض الحلق كالتهاب اللوزتين . وقد ينتقل الميكروب بالطعام أيضاً الى مسافات بعيدة . وقصاب بعض الحيوانات به خصوصاً القطط والبقر فيعدي لبنها حينئذ إذا لم يقل ؛ ويصاب الحمام والدجاج والخيول والغنم بمرض يشبهه . واقول الراجح عند العلماء الآن ان مرض هذه الحيوانات المذكورة أخيراً لاعلاقة له بمرض الانسان ولا ينتقل اليه ، ولكن لاختلاف بينهم في اصابة القطط والبقر به فتظهر بشور وقروح دفتيرية في ضرعوها . والفيضان لا تصاب به ، أما تلك الحيوانات الداجنة التي لا تصاب به فقد تلوث بميكروب دفتيريا الانسان وتكون كحامل الامراض فتقله من مكان الى آخر ومن انسان الى انسان

ويرى بعض العلماء أن ميكروبها يعيش مدة طويلة في الطين، والهواء المحتبس في جوف الأرض يخرج منها إذا ارتفعت مياهها — كما سبق — ويكثر هذا المرض في فصلي الخريف والشتاء وهو الزمن الذي تكثر فيه القرمزية والتهاب الحلق أو الخنجرية أو اللوزتين

ومجوز أن يعود المرض للمرء بعد شفائه . وميكروب هذا المرض يوجد في الطبقات العليا للأغشية المذكورة، وإذا طال المرض وجد في الرئة والطحال والكليتين بل ربما وجد في الدم أيضا . وهو من الشكل الباسيلي اكتشفه كل من [ كلبز Klebs ] سنة ١٨٨٣ [ ولفلر Loeffler ] سنة ١٨٨٤ وهما عالمان من علماء الألمان . وطول هذا الميكروب يختلف من ٣ إلى ٤ ميكرون، وهو غير متحرك ولا حبيبات له بل يتكاثر بالانقسام، ويعيش في الهواء ولكنه يمكنه أن يعيش في غير الهواء حتى في الفراغ، ويبقى في السوائل الغذائية وغيرها من المزروعات مدة شهر وإذا خفف عاش ٣ أو ٤ أسابيع ويقف نموه إذا زادت الحرارة عن ٤٠° أو نقصت عن ٢٠° ستجrad وإذا شفي المصاب وجد الميكروب في حلقه في نصف عدد الناقهين لمدة ٣ أيام وفي أحوال قليلة يبقى ٣ أسابيع وقد يستمر إلى ٥ أشهر بل ١٥ شهرا . ومن ذلك يعلم خطر الاسراع في خلط المصاب بغيره من الاطفال قبل مضي مدة طويلة . والأفضل أن يفحص حلق الطفل أو أي موضع آخر للاصابة مرتين أو ثلاثا فحفا بكتير يولوجيا بأخذ جزء من افرازاته فإذا لم يوجد الميكروب بعد الفحص مرتين أو ثلاث مرات متفرقة يؤذن للطفل بأن يختلط بغيره

ومن يختلط بالمصاب أناس ( ٨ - ٣٠ ٪ ) أصحاء يحملون الميكروب في حلقهم وأفواههم <sup>(١)</sup> لغيرهم وبقون أصحاء ولكن بعد زمن يصبح ميكروبهم غير خطر غالبا على غيرهم لفقده قواه السامة، ويسمي الأطباء مثل هؤلاء الناس بالحملة الاصحاء . ويرى بعض العلماء أن باسيل هوفمان [ Hofmann ] الكاذب الذي يوجد أحيانا في حلق الاصحاء وأنوفهم قد ينقلب فيصير صادقا أي محدثا للدفتيريا الحقيقية

(١) خصوصا في أسنانهم لاسيا إذا كانت مصابة بداء ريج ( راجع ص ٦٨ من الجزء الاول ) وهو الذي يحدث سيلان قيح من اللسان ( الحفرة التي فيها السن )

الاعراض — مدة التفريخ تختلف من يومين الى ستة أيام، وقد تكون يوماً أو ثمانية، وينتدى المرض بالإقياء وبسامة وصداع أو بفتيان وفي ورعدة ثم لا يلبث المريض أن يشتكي من ألم في الحلق. فاذا نظر الى حلقه في هذا الوقت شوهد احمرار فيه وفي اهتاء وانتفاخ، أو احمرار والتهاب في اللوزتين. وبعد وقت قصير يرى الغشاء يتكون على سطح الاغشية الملتبته وقد يظهر في وقت واحد على اللوزتين معاً، وقد يبدأ بوحدة منهما قبل الأخرى، ومن الجائز أن يظهر على غيرها من أجزاء الحلق. وبسبب هذا الالتهاب تلتب بعض الغدد اللعابية التي في العنق<sup>(١)</sup> وقد يحدث من ذلك خراج فيها أو تموت الغدد وتسقط

وحارة الدقيريا لا تنظم لها قد تزيد عن ٤٠° ولكن الأغلب أنها تكون أقل من ذلك، وهذا الارتفاع تصحبه الأعراض الأخرى للحمي. وفي كثير من الاصابات يشتمل البول على زلال في وقت اشتداد المرض. أما اذا أصابت الاثف فيعسر التنفس منه وينفخ غشاؤه المخاطي ويسيل منه مخاط وقيح أو دم وصدبد فيتقرح بذلك جانبا الانف وما جاورها من الشفة. وخطر الالتهاب الأنفي الغشائي نادر جداً ولا عواقب له، ويندر أن يمضي الآخرين ولو أن الميكروبات تكون فيه كثيرة كغيره

واذا أصابت الدقيريا الحنجرة (وهذا ما يسمى بالحنائق) كثر السعال وصار له صوت مخصوص وعسر التنفس وبج الصوت وكثيراً ما يشتد الضيق حتى يمضيق المريض وفي الاحوال الحنجرية يكون هذا الضيق غالباً هو السبب في الموت. واذا عمل المريض فتح في القصبة الهوائية فقد يموت بسبب المضاعفات الرئوية أو الضعف العام مع شلل القلب

أما في الاحوال الحلقية فالموت فيها يكون بشلل القلب وهو يحصل بسرعة عجيبة المضاعفات — كثيرة منها التهابات الرئة والبلديورا والالتهاب الكلوي والشلل

(١) اذا أصابت الحنجرة أو الحلق أو اللوزتين أو الحفر الالهية التهب لها الغدد العنقية العليا الفائرة، واذا أصابت لثة الاسنان السفلى مثلاً أو مقدم اللسان (وذلك نادر) التهب الغدد التي تحت الفك

الدفتيري، وأهم أعراضه شلل في سقف الحلق الرخو فيرجع الماء وغيره من السوائل من الأنف ويصاب المريض بالحنّة أو الغثّة — وهي خروج صوته من أنفه — وتضعف رجلاه فلا يقوى على المشي طويلا ولا القيام ويصاب بالحوك لشلل بعض عضلات العين الى غير ذلك من الاعراض التي تصيبه بسبب تأثير سم المرض في الاعصاب . وهذه الاعراض تبتدىء بعد الشفاء الظاهري بأيام أو أسابيع

المعالجة — يعزل المريض وتعطى له السوائل المغذية والمنعشات المنبهة للقلب فانه عرضة لان تحصل فيه استحالّة شععية . ونجب المبادرة الى حقن المريض بمصل الدفتيريا وذلك من اختصاص الطبيب الذي يقدر الكمية المناسبة لحالة المريض ويجري عمل الحقن طبق الاصول الطبية

والمبادرة الى حقن المريض من أوجب الواجبات لان التأخير يفسد خلايا الأعضاء وخصوصا القلب حتى اذا عمل للمريض الحقن بعد ذلك لا ينفعه شيئا . والمصل يبقى نافعا مدة سنة على الاقل اذا لم تمتح زجاجاته وحفظ في مكان مظلم بارد ويظهر الحلق بطرق كثيرة ، ومن أحسنها استعمال أقراص (الفرمانت) [Formamint] لسهولة تعاطيها عند الاطفال واذا احتيج الى تطهير أقوى ونزع تلك الاغشية من الحلق فالاولى أن يبخدر الطفل بالكلورفورم لينظف حلقه تنظيفا تاما بغير اجهاد له

أما الشلل الذي يعقب المرض فانه يزول من نفسه في شهرين أو أربعة أشهر، وما يعمل في شفاؤه الراحة والمتويات والكهرباء والاعذية الجيدة والهواء النقي

الوقاية — تعرف من الكلام على أسباب هذا المرض ، واذا حقن الطفل الذي اختلط بمريض وقته الحنّة لمدة ٣ أسابيع تقريباً . والكمية اللازمة للوقاية هي ٥٠٠ الى ١٠٠٠ وحدة . أما الوحدة وتسمى وحدة [ ايرليخ <sup>(١)</sup> Ehrlich ] — وهو عالم ألماني يهودي — فهي الكمية التي اذا مزجت بمائة ضعف للكمية الكافية لقتل خنزير الهند البالغ وزنه ٢٥٠ جراما في ٤ أيام وقته من الموت اذا حقنت تحت جلده



سوء استعمال الحقن الواقي من الدفتيريا وغيرها

سبق قولنا انه اذا أصيب طفل بهذا المرض بقي الميكروب في حلقه مدة مختلفة بعد شفائه قد تمتد الى عدة شهور، فقد روى العلامة هيولت الانكليزي [Hewlett] حادثة وجود الميكروب في أحد المصابين بعد شفائه بخمسة عشر شهراً فالواجب اذا عزل المصاب عن غيره عزلاً تاماً وتطهير كل ملامسه أو خرج منه تطهيراً تاماً وعدم السماح له بالاختلاط بغيره الا بعد فحص حلقه فحصاً بكتيريولوجياً دقيقاً نحو ثلاث مرات متفرقات والتيقن من عدم وجود الميكروب أما الحقن بمصل الدفتيريا للوقاية فله عيب كبير. ذلك ان الوقاية به لا تتجاوز ثلاثة أسابيع، فاذا أصيب الطفل الذي عمل له هذا الحقن بمرض الدفتيريا بعد نهاية الثلاثة الأسابيع مثلاً وعالجناه من مرضه بالحقن فقد يصاب الطفل فوق مرضه بمرض آخر يسمى «مرض المصل» [Serum disease] أو «زيادة التأثير بالحقن» [Supersensitiveness] وهذا المرض كثيراً ما يكون خطراً ولعله أحد أسباب كثرة المتوفين من الاطفال حتى بعد الحقن بمصل الدفتيريا

وأعراضه هي: غثيان وقيء، وضعف في النبض مع سرعته وإحساس بالضجر والاختناق وسرعة في التنفس مع ضيقه وهمود (هبوط) وتشنجات بل وغيبوبة. وهذه الاعراض تزول عادة بعد ساعة أو ساعتين ولكنها قد تمتد الشخص خصوصاً بالاختناق لا قبض الشعب الرئوية الصغيرة. هذا ولو كان الشخص المحقون مرتين سلباً فما بالاك اذا كان مصاباً مع هذه الاعراض بالدفتيريا فان الوفاة تكاد تكون محققة

والمراد بهذا المرض المذكور هنا هو غير ما يحدث من الحقن (لنحو ٧٪) في نهاية الاسبوع الاول أو بعده مثل ظهور طفح متنوع الشكل ولم في المفاصل مع تورم فيها وحي خفيفة فان هذه الاعراض لاهمية لها وتزول في نحو ثلاثة أيام ولا خطر منها عادة أما المرض الذي نحن بصددده فيحدث اذا حقن شخص مرة للوقاية مثلاً من الدفتيريا ثم مضت مدة بعد حقنه نحو ١٢ يوماً أو أكثر ثم عدنا الى الحقن مرة

ثانية. وقد يحدث هذا المرض حتى اذا كانت الفترة بين الحقن أربع سنوات أو أكثر وهذا المرض لا يشأ عن سم في المصل بل عن نفس المصل بحيث اذا حقن مصل أي حيوان سليم مرتين متفرقتين بتلك الفترة فقد يحدث هذا المرض . لذلك ولنيره لا يجوز معالجة النزف بالحقن بالمصل أو بالسم كما سبق في صفحة ٤٩ من الجزء الأول

ومن طرائق اتقاء المرض المذكور أن يحقن نوعان مختلفان من المصل أعني أن يحقن للوقاية مصل مستخرج من الثور مثلاً وللعلاج مصل آخر مستخرج من الحصان كما هو المعتاد . وكذلك استعمال لبنات الكالسيوم قبيل الحقن أو في أيام استعماله فإن هذا الملح كثيراً ما يمنع هذه الاعراض الخطيرة أو يخفف من وطأها بل قد يمنع الاعراض الاخرى المذكورة كالطفح وآلم المفاصل وغيرها أيضاً . ومقدار هذا الملح كل جرعة من ١٠ الى ٣٠ قحمة أي يختلف باختلاف السن وهو يذوب في الماء ويسهل امتصاصه في البنية واذا تسرع اعطاؤه من طريق الفم كما في الدفثيريا أذيب في الماء وحقن في الشرج أو أعطي مع اللبن فإن المريض لا يشعر به

ومن الطرق أيضاً لاهاء تلك الاعراض التخدير العام بالاثير مثلاً وقت الحقن الثاني، ولكنها طريقة رديئة جداً وغير ميسورة في أكثر اصابات الاطفال خصوصاً اذا أصابت الدفثيريا حناجرهم

ويقال ان الحقن بالمصل الذي أزيل منه بعض المواد الزلالية الأولية [Proteins] يقلل التعرض للاصابة بتلك الاعراض. واعلم أن المصل الرقيق الذي لم يتكاثف بالتبخر أسهل امتصاصاً من الغليظ . هذا ولا يتوهم القارئ أني أنهر الناس من الحقن في الدفثيريا لعلاجها كلاً ! ثم كلا ! بل الواجب المبادرة الى الحقن بالمصل المشتعل على وحدات كثيرة بحسب ما يراه الطبيب في الحالة<sup>(١)</sup> وإنما كلامي السابق هو لبيان مضار الحقن للوقاية لا للعلاج

(١) في أحوال الدفثيريا الشديدة أو التي تأخر علاجها يجب البدء بحقن ١٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ وحدة (Units) ويتكرر الحقن كل ٦ أو ١٢ ساعة بحسب حالة المريض وسرعة انفصال الاغشية ، ولا يراعى في ذلك سن الطفل

وكذلك يجب حقن مَصُول أخرى كالمصل المضاد لسم البرور السلسلية اذا وجدت في الحلق بالبحث الميكروسكوبي أو عرفت بمثل الأعراض الآتية  
وهذه الميكروبات تصاحب ميكروب الدفتيريا في بعض الاحوال فتكون الحنجرة فيها شديدة ورائحة الحلق كريهة جداً . فان لم يعمل هذا الحقن أيضاً كان مصل الدفتيريا وحده غير وافي بالتعرض

### الطاعون Plague

الطاعون — وقانا الله منه — داء اشتهر كثيراً حتى بين الامم الغابرة ، وكانوا يخشونه أشد خشية لشدة فتكه بهم وسرعة انتشاره بينهم . ومن أشهر أو بئته التي حدثت في أوربة ما حدث في عصر يوستينيانوس الروماني في القرن السادس بعد الميلاد  
الاسباب — هذا المرض ينشأ من ميكروب باسيلي اكتشفه ( كيتاساتو ) ( Kitasato ) الياباني سنة ١٨٩٤ وهو يوجد أثناء حياة المريض في الدم وفي الغدد الملتهبة وفي البراز والبول وفي اللعاب اذا التهب الرئة ، وبعد الموت يوجد في جميع أعضاء الجسم تقريباً . طول هذا الميكروب من ١ الى ١,٥ ميكرون وهو لاهيئات له ولا حركة وان زعم بعضهم ان له أهداباً

ينتقل هذا الميكروب من شخص الى آخر بسرعة عظيمة ، خصوصاً اذا ساءت الاحوال الصحية بالازدحام وتقص التهوية وزيادة التلوثات في الاماكن والملابس وغيرها . وهو يصيب الناس في جميع الاعمار الى سن الحسین وبعد ذلك يقل كثيراً . والاصابة به مرة تحمي عادة من الاصابة ثانية . وشدة الحر تعوق سيره أكثر من البرد  
هذا المرض يصيب كثيراً من الحيوانات مثل القردة والقطط والجِرذان (جمع جُرَذ وهو الفأر الكبير) أما الخيل والانعام فهي لا تصاب به الا قليلاً وكذلك الطيور أهم مدخل لميكروب هذا المرض في الجسم طريقتان : وهما طريق الرئة وطريق الجلد . أما طريق المعدة أو الامعاء فهو من الندرة بمكان بحيث لا يستحق الذكر

وكيفية وصوله من طريق الرئة أن يستنشق الانسان مع الهواء الملوث به من نفثات المصاب بالطاعون الرئوي . أما طريق الجلد فهو من أعظم الطرق لتشر هذا

المرض ، ولايضاح ذلك نقول : ان الفيران كثيرا ما تصاب به فتبوت . والفيران يأكل بعضها بعضا - كما سبق - فينتشر المرض بينها لهذا السبب ولغيره . والفيران براغيث تنتقل منها الى الانسان فتلقحه بها وكذلك تلتصق الفيران الاخرى ، وقد تلتصق شخصا من شخص ولكنه نادر . واسم هذا النوع من البراغيث بالافرنجية [ Pulex Cheopis ] وهو أشهر أنواع البراغيث التي تعيش بدم الفيران في البلاد الحارة . ويتكاثر الميكروب في معدة البرغوث وأمعائه ويخرج في برازه فقط ، فاذا علق بمخروطمه ، ووخر به الانسان لقحه بالمرض ، وقد يتلوث مكان الوخر من الانسان ببراز البرغوث الذي فيه كثير من ميكروبات الطاعون . ويبقى البرغوث قادرا على التلقيح لمدة تتراوح بين سبعة أيام و ١٥ يوما . وقد ينقل البق أيضا ميكروب الطاعون . ويحتمل أيضا أن يدخل الميكروب من بعض الجروح والسحجات كما في الإقدام الخافية فان لم توقف الغدد اللعناوية الميكروبات وصلت الى الدم وأحدثت نسا عاما كما سيأتي

#### الأعراض — مدة التفريخ من يومين الى خمسة

ولهذا المرض ثلاثة أشكال شبيهة وهي : الطاعون الدملي والطاعون الدموي

#### والطاعون الرئوي

أما أعراض الشكل الاول — وهو أكثر حدوثا — فهي الاحساس بالضعف العام والكلل والصداع والدوار والرعدة التي يعقبها ارتفاع في الحرارة ، وفي بعض الاحوال يصاب المريض في هذا الطور بشيء من الذهول مع مشية كشية النشوان وارتعاش في حديثه وقد يصاب بتهيج ورعب لا يعرف سببه أو يصاب بالغثيان والقبي أو الاسهال

وتكون الحمى في هذا المرض عالية ويصاحبها باقي أعراض الحمى كجفاف اللسان واسوداده ، ثم يصير المرء في حالة تشبه المصاب بالتيفوس فيهذي كثيرا ثم تصيبه الغيبوبة وتكثر الاوساخ على الشفتين والاسنان ويضعف النبض وتبرد الاطراف ويقل البول بل قد لا يفرز مطلقا في بعض الاحوال المميتة ، وبعد يومين أو ثلاثة تعظم الغدد اللعناوية في الاربية أو الابط أو العنق

والغالب أن تصاب الغدد في جهة واحدة وهي الأربية، وحجم الورم الناشئ من ذلك يكون كحجم بيضة الدجاجة ويصعبه ألم شديد . وإذا طالت حياة المرم حصل له خراج في تلك الغدد في اليوم السابع عادة، وفي هذا الوقت قد تظهر دمامل في الجلد أو جمرات خصوصا في الاطراف السفلى أو الاليتين أو القفا . وفي الاحوال الشديدة جدا يحصل نزف تحت الجلد قبيل الموت أو يكون النزف كنقط صغيرة كلدغ البراغيث وكلاهما قد يعم الجسم كله أو يكون ظاهرا حول الغدد الملتهبة . وقد يصاب المرم أيضا بالرعاف أو النزف الرئوي أو المعدي أو المعوي

والموت يحصل عادة قبل اليوم السادس . والشفاء يقتدى من اليوم السادس الى العاشر ولكن اذا تقيحت الغدد قد تطول مدة المرض بسبب العدوى التي فيها أما أعراض الشكل الدموي فيصاب المرم فجأة بأعراض الحمى البالغة، وقد يموت في ظرف ٢٤ ساعة لتسمم دمه . وفي هذا الشكل قد ترم الغدد قليلا ولكن لا تصل الى حجم النوع الاول مطلقا . ويسمى هذا النوع بالطاعون الصاعق فان المريض يصعق به فجأة فيغيب عن الوجود وترفع حرارته فيموت سريرا

أما أعراض الشكل الثالث فتبتدى كالشكل الاول ولكن بعد يوم أو يومين تظهر الاعراض الرئوية فيسرع التنفس ويكثر السعال مع النفث الكثير المشوب بالدم ويزول النوم ويكثر الهيجان والهذيان ، ويموت المريض في ظرف ثلاثة أيام وتكون الرئة في هذا النوع مصابة بالتهابات متعددة في فصيصاتها

ولا توجد الخيرجلات ( وهي التهاب الغدد اللمفاوية ) عادة في هذا الشكل، وفيه يوجد الميكروب في القطع الملتهبة من الرئة وفي البصاق

وهناك نوع آخر لا يهمن كثيرا لقلته وفيه تكون الحمى قليلة والأعراض خفيفة بحيث يمكن للمريض أن يقدر ويروح مدة من أيام مرضه . ويسمى هذا الضرب بالطاعون الجولاني

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض كثيرا فقد تصل الى ٥٠ ٪ بل الى ٨٠ ٪ والموت بين الجنس الابيض في الظروف الصحية الجيدة أقل منه في غير ذلك

المعالجة - تعالج الاعراض كل بما يناسبه حسب الاصول الطبية . وللطاعون مصل كصل الدفتيريا<sup>(١)</sup> يحقن منه في اليوم الاول ثلاثة مقادير كل منها خمسون سنتي مترا مكعبا تحت الجلد أو في الاوردة - وهو الافضل في الاحوال الشديدة - ويتكرر بعد ذلك حقن مقادير صغيرة بضعة أيام . ومن أحسن أنواع هذا المصل مصل

[ برسن Yersin ] ولكن فائدته ليست بكبيرة

الوقاية - تكون بأشياء كثيرة أهمها ما يأتي :

(١) عزل المصاب

(٢) النظافة التامة في كل شيء

(٣) اباداة الفئران وأحسن طريقة لذلك أن تصطاد بالاشراك أو نسسم بالزئبق أو الفسفور ، أما اصطيادها بالقطط فعليه أنها هي نفسها قد تصاب بالطاعون فتكون من العوامل الناشرة للمرض بدل المقللة له

(٤) تنظيف الملابس ليتقي وجود البراغيث فيها

(٥) اباداة الحشرات الاخرى بقدر الامكان كالبق فإنه قد ينقل الميكروب

من شخص الى آخر

(٦) يحقن الاصحاء مرتين اذا حصل الوباء بلقاح الطاعون وهو ميكرو بهالمقتول بالحرارة فتحصل المناعة بسرعة حتى لا يخشى كثيرا من حصول المرض قبلها

(٧) يطهر كل ما يوجد في غرفة المريض بالنلي أو الحرق أو غبرها ، وقفل الميكروب الذي يوجد في افرازاته بالأدوية المطهرة و بالحرق

(٨) لا يمتخاط المريض بالاصحاء الا بعد شهر من شفائه ، لان الميكروب قد وجد

في دم المظعون بعد النقاهة بثلاثة أسابيع

(٩) على الممرض للمظعون بالنوع الرئوي أن يتكلم بالقطن المنفوش ليحول

دون وصول الميكروب الى رئته ثم يحرق القطن

(١٠) تسد شقوق وفروج المنازل لكيلا تأوي اليها الجرذان

(١١) وانما يختلف عنه بأنه يستخرج من الحصان بعد حقنه بالميكروب المتحول

لا اسم منه مصغنى

## الخطب الدينية

٣

﴿ خطبة من خطب القاسمي في النهي عن الحلف بالله والطلاق ﴾

الحمد لله الذي خلق الخلق على الاطلاق . فاطر السموات والارض وباسط الارزاق . فسبحانه هو العلي الرزاق . لا تغد خزائنه بكثرة الانفاق . أحده واشكره . وأتوب اليه وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الخلاق ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العالمين بالاتفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين الى يوم التلاق . وسلم تسليما . أما بعد أيها الناس عليكم بالتقوى فإنها ترضي الملك الخلاق . واحذروا من أن تجعلوا الله عرضة لآيمانكم . فإن إيمان الحنث يمحى بركة الارزاق ، واحذروا من الحلف بالطلاق . فإنه يمين الفساق ، فمن حلف بغير الله فقد عظمه ، ومن عظم غير الله صار من أهل النفاق ، وخالف الكتاب والسنة ومن خالفهما فليس له في الآخرة من خلاق . فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأتم صادقون » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكنفر عن يمينك وآت الذي هو خير » واعلموا ان من حث في يمينه فضله أداء الكفارة وهي عتق رقبة أو اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، فإن عجز فصوم ثلاثة أيام ، ولا يجب التابع في الصيام ، ويكفي في الكسوة ثوب أو سراويل أو قميص ، يوزع من كل عشرة على المساكين الذين ورد فيهم التنصيص ، ومن طلق زوجته ثلاث تعلقات شرعيات غير بدعيات فلا تحل له الا بنكاح جديد ، ومن أمسكها بعد الثلاث فقد خالف أمر الله الحميد ، وتعرض للوعيد الشديد ، ومن لعب

بالطلاق ، أو طلق امرأته من غير ما باس فقد نقض الميثاق ، فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال اتلعبن بكتاب الله وأنا بين أظهركم ، وقال صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال الى الله الطلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « ايما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما باس غرام عليها رائحة الجنة » وقال تعالى ( الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان ) وقال تعالى ( فان أطمعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ) أي بالفراق ، فاتقوا الله عباد الله في النساء وحقوق الزوجية ، وقوموا من مكارم الاخلاق مع الاهل بالسنة النبوية ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لأهلي » واشكروا نعمة الله في الازواج أيها المؤمنون ، فقد قال تعالى ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون )

### ﴿ خطبة أخرى له في آداب الكسب والمعاش ﴾

الحمد لله الذي رفع السماء لعباده سقفاً مبيناً ومهد الارض بساطاً لهم وفراشاً . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً . لينتشروا في ابتغاء فضله ويتعشوا به عن ضراعة الحاجات انعماشاً . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد وردهم عليه عطاشاً . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا (؟) في نصرة دينه تشمراً وانكماشاً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله . واعلموا ان رب الارباب ، ومسبب الاسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب . والدنيا دار التمحل والاضطراب . والتشمروا لاكتساب . وليس التشمير في الدنيا مقصوداً على المعاد دون المعاش . بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها ، والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين . والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد ، من لم يلازم في طلب المعيشة



منهج السداد ، ولم ينتهز من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ، ما لم يتأدب في طلبها بأداب الشريعة ، وقد ورد في فضل الكسب والحث عليه آيات وأخبار ، قال الله تعالى ( ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ) وقال تعالى ( فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ) وقال صلى الله عليه وسلم ، « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان » وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ويجب على التاجر أن ينصح في المعاملة ، ويجب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا يحل له ان يثني على السالعة بما ليس فيها ، ولا يكتن من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا ، ولا يكتن في وزنها ومقدارها شيئا . ومن خالف ذلك كان ظالما غاشا ، والغش حرام قال صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » وقال تعالى ( ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون \* واذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ) وقال تعالى ( وأوفوا الكيل اذا كنتم بالقسطن المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ) وعلى التاجر الرفق في التعامل والاحسان فيه ، قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » وقال صلى الله عليه وسلم « من انظر معسرا أو ترك له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله » وقال تعالى ( ان رحمة الله قريب من المحسنين )

### ﴿ خطبة له في فضل الاخوة والصحبة والالفة ﴾

الحمد لله الذي غمر صفوة عبادہ بطائف التخصيص طولا وامتنا ، والف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، ونزع الغل من صدورهم فظفوا في الدنيا أصدقاء وأخذنا ، وفي الآخرة رقاء ، وخلانا ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلًا وعدلاً واحساناً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله

واعلموا أن التحاب في الله تعالى والاخوة في دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ، وقد ورد في فضل الاخوة آيات كريمات وأخبار عاليات . قال الله تعالى ( انما المؤمنون إخوة ) وقال تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ) وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن آلفٌ مألفٌ ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف » وعنه صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه » وعنه صلى الله عليه وسلم « مازار رجل وطابت في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » واعلم أن لاختيك عليك في اخوته وصحبته حقوقا يجب الوفاء بها . فمنها حق في المال بأن تقوم بمحاجته من فضل مالك ، أو تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ، وحق في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات مع البشاشة واظهار الفرح ، وحق على اللسان في السكوت عن عيوبه وفي ترك مماراته ، وفي النطق بالحباب توددا اليه وتقدا لاحواله ، وحق في الغفوة عن الزلات والهفوات ، وحق في الدعاء له في حياته ومماته كما يدعو لنفسه ، وحق في الوفاء والاخلاص ، وذلك بالثبات على الحب وادامته الى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ، وحق في التخفيف وترك التكلف والتكليف ، فلا يكلف أخاه ما يشق عليه ، بل يروح سره من مهماته وحاجاته ، وجملة حقوق المسلم أن تسلم عليه اذا لقيته ، وتحية اذا دعاك ، ونشمته اذا عطس ؛ وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازته اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك . وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتحاسدوا ولا تبغضوا ولا تتدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله » فاتركوا الضغائن من قلوبكم والاحقاد ، وتصافحوا على المحبة وسلامة الصدر والايثار وصدق الدواد ، وليعتمد كل منكم لاختيه عما فرط منه ، ليفوز برضاء الله عنه . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » وقال صلوات الله عليه لمعاذ « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الحيانة ، وحفظ الجار ورحمة اليتيم ، ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح »

## المعرفة بالله تعالى

بين ابن القيم في باب المعرفة من الجزء الثالث من (مدارج السالكين) الفرق بين المعرفة والعلم لغة وشرعا من خمسة وجوه ، ثم بين معناها في اصطلاح الصوفية وكلام أئمتهم فيها ، ثم شرح ما قاله شيخ الاسلام ابو اسماعيل الهروي فيها ، ونحن نقل ما هو خاص بالتصوف ، أي ما بعد الفروق الخمسة وهذا انصه :

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن ان المعرفة عندهم هو العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده ، بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاتها وقواطعها ، وله حال مع الله ، فتشهد له بالمعرفة ، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصوده ونياته ، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تطهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلباته ، ثم دعا اليه على بصيرة بدينه وآياته ، ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبهها بآراء الرجال وأذواقهم ، ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة ، اذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة (١)

وقد تكلموا على المعرفة بآثارها وشواهدنا فقال بعضهم : من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة منه ، فن ازدادت معرفته ازدادت هيئته — وقال أيضا — المعرفة توجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينة . وقال لي بعض أصحابنا : ما علامة المعرفة التي يشيرون اليها ؟ فقلت له : أنس القلب بالله . قال لي : علامتها ان يحسن بقرب قلبه من الله فيجده قريبا منه . وقال الشبلي : ليس لعارف علاقة (٢) ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، ولا لخائف قرار ، ولا لاحد من الله فرار . وهذا كلام جيد ، فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها ، وتلقه

(١) في ب « فاذا سمي به غيره فعلى الدعوى والاستعارة » (٢) في ب

« علامة »

بمعروفه فلا يبقى فيه علاقة بغيره ، ولا تمر به الملائق الا وهي مجتازة ، لا تمر مرور  
استيطان . وقال أحمد بن عاصم : من كان بالله أعرف ، كان له أخوف . ويدل على  
هذا قوله تعالى ( انما يخشى الله من عباده العلماء ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم  
« أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » وقال آخر : من عرف الله تعالى ضاقت عليه  
الدنيا بسعتها . وقال غيره : من عرف الله تعالى اتسع عليه كل ضيق . ولا تنافي  
بين هذين الأمرين ، فانه يضيق عليه كل مكان لا يساعد فيه على شأنه ومطلوبه ،  
ويتسع عليه ما ضاق على غيره ، لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه ، فقلبه غير  
محبوس فيه ، والاول في بداية المعرفة ، والثاني في نهايتها التي يصل اليها العبد .  
وقال آخر : من عرف الله تعالى صفا له العيش فطابت له الحياة وهابه كل شيء  
وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله . وقال غيره : من عرف الله قرت عينه بالله  
وقرت به كل عين ، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ، ومن عرف  
الله لم يبق له رغبة في سواه ، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت  
رغبته معرفته ، ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به وخافه ورجاه ، وتوكل عليه  
وأناوب اليه ولهج بذكره ، واشتاق الى لقائه واستحميا منه ، وأجله وعظمه على قدر  
معرفته به ، وهلامة العارف أن يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي  
دعي الى الايمان به ، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها الله سبحانه والدار  
الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما قيل :

اذا سكن الغديرُ على صفاء      وجُنب أن يحركه النسيم

بدت فيه السماء بلا امتراء      كذلك الشمس تبدو والنجوم

كذلك قلوب أرباب التجلي      يرى في صفوها الله العظيم

وهذه رؤية المثل<sup>(١)</sup> الأعلى كما تقسم ، ومن علامات المعرفة أن يبدو لك  
الشاهد ، وتفتي الشواهد ، وتحل الملائق ، وتقطع العوائق ، وتجلس بين يدي  
الرب تعالى وتقوم وتضطجع على التأهب للقائه ، كما يجلس الذي شد أحواله وأزعم

(١) في ن « المثال »

السفر على التأهب له ويقوم على ذلك ويضطلع عليه ، كما ينزل المسافر في المنزل فهو قائم وجالس ومضطجع على التأهب ، وقيل للجنيـد : ان أقواما يدعون المعرفة يقولون أنهم يصلون بترك الحركات من باب البر والتقوى . فقال الجنيـد : هذا قول أقوام تكلموا بإسقاط الاعمال ، وهو عندي عظيم ؛ والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ، ان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله وإلى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بيني وبينها ومن علامات العارف انه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له على أحد حقا ، ومن علاماته انه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت ، لانه ينظر الى الاشياء بعين الفناء والزوال ، لانها في الحقيقة كالظلال والخيال . وقال الجنيـد : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض بظاها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شي ، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى ابن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين : بكاء على نفسه ، وثناؤ على ربه . وهذا من أحسن الكلام فانه يدل على معرفته بنفسه وعبوبه وآفاته ، وعلى معرفته بربه وكاله وجلاله ، فهو شديد الازراء على نفسه ، لهج بالثناء على ربه . وقال أبو يزيد : انما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له . يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله سبحانه وتعالى فتغنيهم حقوقه عن حظوظهم

وقال آخر : لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفه عين . وهذا يحتاج الى شرح ، فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن يكون اشتغاله بغير الله لله ، فذلك اشتغال به سبحانه لانه اذا اشتغل بغيره لاجله لم يشغل عنه ، قال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة أركان : الهية والحياة والانس . وقيل لذي النون : بم عرفت الله ربك ؟ قال : عرفت ربي بربي ، ولولا ربي لما عرفت ربي . وقيل لعبد الله ابن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال بانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . فأتى عبد الله باصل المعرفة التي لا يصح لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه الا به ، وهو المباشرة والعلو على العرش

ومن علامات العارف أن يعتزل الخلق بينه وبين الله حتى كأنهم أموات لا يمكنون له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً ، ويعتزل نفسه بينه وبين الخلق حتى يكون بينهم بلا نفس ، وهذا معنى قول من قال : العارف يقطع الطريق بخطوتين : خطوة عن نفسه وخطوة عن الخلق ؛ وقيل : العارف ابن وقته . وهذا من أحسن الكلام وأخصره ، فهو مشغول بوظيفة وقته عما مضى وصار في العدم وعما لم يدخل بعد في الوجود ، فهمه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية . ومن علاماته أنه مستأنس بربه مستوحش ممن يقطعه عنه ، ولهذا قيل : العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق واقتصر إلى الله فأغناه عنهم ، ونزل الله فأعزاه فيهم ، وتواضع لله فرفعه بينهم ، واستغنى بالله فأحوجهم إليه . وقيل : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول . يعني أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته ، والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره ، وقال أبو سليمان الداراني : إن الله تعالى يفتح للعارف على فراشه ما لم يفتح له وهو قائم يصلي . وقال غيره : العارف تنطق المعرفة على قلبه وحاله وهو ساكت . وقال ذو النون : لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله

وقل بعضهم : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين . وهذا كلام ظاهره منكر جداً يحتاج إلى شرح ، فالعارف لا يراي الخلق طلباً للمنزلة في قلبه ، وإنما يكون رايؤه نصيحة وإرشاداً وتعليماً ليقتدى به ، فهو يدعو إلى الله بعلمه كما يدعو إليه بقوله ، فهو ينتفع بعلمه وينفع به غيره ؛ وإخلاص المريد مقصور على نفسه ، فالعارف جمع بين الإخلاص والدعوة إلى الله ، فأخلاصه في قلبه ، وهو يظهر عمله وحاله ليقتدى به ، والعارف ينفع بسكوته والعالم إنما ينفع بكلامه \* ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق \*

وقال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وسئل الجنيد عن العارف فقال : لون الماء لون إنائه . وهذه كلمة رمز بها إلى حقيقة العبودية ، وهو أن يتلون يتلون أقسام العبودية ، فيبنا تراه مصلياً إذ رأته ذا كراً أو قارئاً أو معلماً أو متعلماً أو مجاهداً أو حاجباً أو مساعداً للضعيف أو مغنياً للملوف ، فيضرب في كل غنية من

الغنائم بسهم ، فهو مع المتسبيين متسبب ، ومع المتعلمين متعلم ، ومع الغزاة غاز ، ومع المصلين مصل ، ومع المتصدقين متصدق ؛ فهو ينتقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية . وهو مقيم على عبود واحد لا ينتقل عنه الى غيره

وقال يحيى بن معاذ : العارف كائن بائن . وهذا يفسر على وجوه ( منها ) انه كائن مع الخلق بظاهره بائن عنهم بسره وقلبه و ( منها ) انه كائن بر به بائن عن نفسه و ( منها ) انه كائن مع أبناء الآخرة بائن عن أبناء الدنيا و ( منها ) انه كائن مع الله بموافقه بائن عن الناس في مخالفته و ( منها ) انه داخل في الاشياء خارج منها ، فان من الناس من هو داخل فيها لا يقدر على الخروج منها ، ومنهم من هو خارج عنها لا يقدر على الدخول فيها ، والعارف داخل فيها خارج منها . ولعل هذا أحسن الوجوه وقال ذو النون : « علامة العارف ثلاثة : لا يطفى نور معرفته نور ورعه ، ولا

يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله » وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة وهو محتاج الى شرح ، فان كثيرا من الناس يرى أن التورع عن الاشياء من قلة المعرفة ، فان المعرفة متسعة الاكتاف واسعة الارحاء ، فالعارف واسع موسع ، والسعة تطفى نور الورع ، فالعارف لا تنقص معرفته ورعه ، ولا يخالف ورعه معرفته . كما قال بعضهم <sup>(١)</sup> العارف لا ينكر منكرا ، لا استبصاره بسر الله في القدر ، فعنده ان مشاهدة القدر والحقيقة الكونية هو غاية المعرفة ، واذا شاهد الحقيقة عذر الخلق ، لأنهم مأسورون في قبضة القدر . فن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم ، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع ، بل غلام معرفته قد أطفأ نور ايمانه

قوله : <sup>(٢)</sup> باطن العلم الذي ينقضه ظاهر الحكم — فانه يشير به الى ما عليه المنحرفون ممن ينسب الى السلوك ، فاتهم يقع لهم أذواق ومواجيد وواردات تخالف الحكم الشرعي ، وتكون تلك معلومة لهم لا يمكنهم جحدها فيعتقدونها ويتروكون

(١) كتب في هامش الاصل « قوله بعضهم أي الملاحدة القائلين بوحدة

الوجود أماذا الله من الزيف والضلال » (٢) أي ذو النون

ظاهر الحكم ، وهذا كثير جدا ، وهو الذي فناء أئمة الطريق على هؤلاء وصاحوا بهم من كل ناحية ، وبدعومهم وضلوعهم به ، قوله <sup>(١)</sup> « ولا نحملة كثرة نعم الله على هتاك محارم الله » كثرة النعم تغطي العبد ونحملة دلى أن يصرفها في وجوها وغير وجوها ، وهي تدعو الى أن يتناول العبد بها ماحل وما لا يحل ، وأكثر المنعم عليهم لا يقتصرون في صرف النعمة دلى القدر الحلال بل يتعداه <sup>(٢)</sup> الى غيره وتسول له نفسه ان معرفته بالله ترد عليه ما انتهت منه أيدي الشهوات والمخالفات ، ويقول : العارف لا تضره الذنوب كما تضر الجاهل . وربما يسول له أن ذنوبه خير من طاعات الجاهل ، وهذا من أعظم المكر . والامر بضد ذلك ، فيستحيل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف ، إذا عوقب الجاهل ضعفا عوقب العارف ضعفين ، وقد دل على هذا شرع الله وقدره ، ولهذا كانت عقوبة الحر في الحدود مثلي عقوبة العبد ، وقال تعالى في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ( يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ) فإذا كملت النعمة على العبد فقابلها بالاساءة والعصيان كانت عقوبته أعظم فدرجته أعلى وعقوبته أشد

وقال أيضا <sup>(٣)</sup> ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا ؟ يريد انه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها سواء كانوا عباداً أو من أبناء الدنيا وقال أبو سعيد : المعرفة تأتي من عين الوجود <sup>(٤)</sup> وبذل المجهود . وهذا كلام حسن يشير الى أن المعرفة ثمرة بذل المجهود في الاعمال ، وتحقيق الوجود في الأحوال ، فهي ثمرة عمل الجوارح ، وحال القلب لا ينال بمجرد العلم والبحث ، فمن ليس له عمل ولا حال فلا معرفة له ، وسئل ذو النون عن العارف فقال : كان هاهنا فذهب . فسئل الجليل عما أراد بكلامه هذا فقال : لا يمحصره حال عن حال ، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل ، فهو مع كل أهل منزل يمثل الذي هم فيه ، يجد مثل الذي يجدون ، وينطق بما لهم لينتفعوا ، وقال محمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله . وسئل أبو سعيد : هل يصل العارف الى حال يحفو عليه البكاء ؟ فقال : نعم ! أما البكاء

(١) مقتضى ما قبله ان يقول : يتعدونه — أو : يتعداه أحدهم الخ اي ذو النون

(٢) كتب في هامش الاصل « لعله الجود »



في أوقلت سيرهم الى الله فاذا نزلوا بمحاثي القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك ، وقال بعض السلف : نوم العارف يقظة ، وأنفاسه تسبيح ، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل . أما كان نوم العارف يقظة لان قلبه حي فيناه تامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وقاطرها ، جسده في القرب ؛ وقلبه حول العرش ، وإنما كان نومه أفضل من صلاة الغافل لأن بدن الغافل واقف في الصلاة وقلبه يسبح في حشوش الدنيا والاماني ، ولذلك كانت يقظته نوم لان قلبه موات ، وقيل : مجالسة العارف تدعوك من ست الى ست : من الشك الى اليقين ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الغفلة الى الذكر ، ومن الرغبة في الدنيا الى الرغبة في الآخرة ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن سوء الطوية الى النصيحة

### فصل

قال صاحب المنازل ﴿ المعرفة على ثلاث درجات ، وانطلق فيها على ثلاث فرق : الدرجة الأولى معرفة الصفات والنموت ، وقد وردت أساميها بالرسالة ، وظهرت شواهدا في الصنعة ، بتبصر<sup>(١)</sup> النور القائم في السر ، وطيب حياة العقل لزج الفكر ، وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار ، وهي معرفة العامة التي لا تعتمد شرائط اليقين الا بها ، وهي على ثلاثة أركان : اثبات الصفات باسمها من غير تشبيه ، ونفي التشبيه عنها من غير تعطيل ، والإيثار من إدراك كنهها وإبتغاء تأويلها ﴾

قلت : الفرق بين الصفة والنموت من وجوه ثلاثة ( أحدها ) ان النعم يكون بالأفعال التي تتجدد كقوله تعالى ( ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يفتي الليل النهار — وقوله — الذي جبل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون » والذي نزل من السماء ماء بقدر أن أنثرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون » والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم

(١) في المتن « يتبصر »

من الفلك والانام ماتركبون) ونظائر ذلك . والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات كقوله تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم \* هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) ونظائر ذلك

(الفرق الثاني) ان الصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النعوت كالوجه واليدان والقدم والاصابع وتسمى صفات ، وقد أطلق عليها السلف هذا الاسم، وكذلك متكلمو أهل الاثبات سموها صفات، وأنكر بعضهم هذه التسمية كابن الوفاء ابن عقيل وغيره ، وقال: لا ينبغي أن يقال نصوص الصفات . بل: آيات الاضافات ، لان الحلي لا يوصف بيسده ولا بوجهه ، فان ذلك هو الموصوف ، فكيف تسمى صفة ؟ وأيضا فالصفة معنى يتم الموصوف فلا يكون الوجه واليد صفة . والتحقيق ان هذا نزاع لفظي في تسميته ، فالقصد إطلاق هذه الاضافات عليه سبحانه ونسبتها اليه والاخبار عنه بها منزهة عن التمثيل والتعطيل ، سواء سميت صفات أو لم تسم

(الفرق الثالث) ان النعوت ما يظهر من الصفات ويشتهر ويعرفه الخاص والعام ، والصفات أعم ، فالفرق بين النعت والصفة فرق ما بين الخاص والعام ، ومنه قولهم في تحلية الشيء : نعتبه كذا وكذا . لما يظهر من صفاته ، وقيل : هما لفتان لا فرق بينهما . ولهذا يقول نخاعة البصرة « باب الصفة » ويقول نخاعة الكوفة « باب النعت » والمراد واحد والامر قريب ونحن في غير هذا

فلنرجع الى المقصود وهو انه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الايمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه ، فالايان بالصفات وتعرفها هو أساس الاسلام وقاعدة الايمان وشجرة ثمرة الاحسان ، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الاسلام والايمان وثمره شجرة الاحسان ، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان ، وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسي الظن به ، وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكائر فقال تعالى (وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون «وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم

من الخاسرين ) فأخبر سبحانه ان إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به ، وأنه هو الذي أهلهم ، وقد قال في الظانين به ظن السوء ( عليهم دائرة السوء ) وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وسائت مصيراً ) ولم يحجى مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه . وجحد صفاته وإنكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به ولما كان أحب الاشياء اليه حمده ومدحه والثناء عليه باسمائه وصفاته وأفعاله كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به وهو شر من الشرك ، فالمعطل شر من المشرك ، فانه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والظن في أوصافه هو والتشريك بينه وبين غيره في الملك ، فالمعطون أعداء الرسل بالذات ، بل كل شرك في العالم فأصله التعطيل ، فانه لولا تعطيل كاله أو بعباده وظن السوء به لما أشرك به ، كما قال امام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه ( أَلَيْسَ كَالهِدْيَةِ كَلُوكَ ) أليس كاله الذي ظنتم به حتى جعلتم معه شركاء ؟ أظنتم انه محتاج الى الشركاء والاعوان ؟ أم ظنتم انه يخفى عليه أحوال عبادته حتى يحتاج الى شركاء تعرفه بها كالمملوك ؟ أم لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاس فيحتاج الى شفعاء يستعطفونه على عبادته ؟ أم ذليل فيحتاج الى ولي يتكبر به من القلة ، ويتعزز به من الذلة ؟ أم يحتاج الى الولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه ؟ تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً . والمقصود ان التعطيل مبدأ الشرك وأساسه ، فلا تجد معطلاً الا وشركه على حسب تعطيله ، فستقل ومستكثر

## فصل

والرسل من أولهم الى خاتمهم — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — أرسلوا بالدعوة الى الله وبيان الطريق الموصل اليه وبيان حال المدعوين بعد وصولهم اليه ، فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول ففرقوا الرب المدعو اليه باسمائه وصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلاً ، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه

(١) لعل الاصل « أو ما » لأنه وجه آخر في تفسير الآية

وينظرون اليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم ، يأمر وينهى ، يورضى ويقضب ، يحب ويسخط ، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره ، ويجيب دهوة مضطرم ، وينيث ملهوفهم ويعين محتاجهم ، ويجبر كسيرهم ، وينقي قهبرهم ، ويميت ويحيي ، ويمنع ويعطي ، يؤتي الحكمة من يشاء<sup>(١)</sup> وينزع الملك من يشاء ويعز من يشاء وينزل من يشاء بيده الخبير وهو على كل شيء قدير ، كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويفك عانيا ، وينصر مظلوما ، ويقسم ظالما ، ويرحم مسكينا ، ويفيث ملهوفاء ، ويسوق الاقدار الى مواعيدها ، ويجريها على نظامها ، ويقدم ما يشاء تدمية ، ويؤخر ما يشاء تأخير ، فأزمنة الامور كلها بيده ، ومدار تدبير الممالك كلها عليه . وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة

(القاعدة الثانية) تعريفهم بالطريق الموصل اليه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله وأتباعهم ، وهو امتثال أمره واجتناب نهيه والابتنان بوعده ووعيده

(القاعدة الثالثة) تعريف الحال بعد الوصول ، وهو ما تضمنه اليوم الآخر

من الجنة والنار ، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراط  
فقدمت المعطلة والجهمية على رأس القاعدة الاولى لخالوا بين القلوب وبين معرفة ربها ، وسموا اثبات صفاته وعلوه فوق خلقه واستوائه على عرشه — تشبيها ونجسما وحشوا ، فنفروا عنه صبيان العقول ، وسموا نزوله الى سماء الدنيا ، وتكلمه بمشيئته ، ورضاه بعد غضبه وغضبه بعد رضاه وسمعه الحاضر لاصوات العباد ، ورؤيته المقارنة لافعالهم ونحو ذلك — حوادث ، وسموا وجهه الاعلى ويديه المبسوطتين وأصابه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة — جوارح وأعضاء ، مكرأ منهم كُبارا بالناس ، كمن يريد التنفير عن العسل فيمكر في العبارة ويقول : مائع أصفر يشبه المنفرة المائعة . أو ينفر عن شيء مستحسن فيسميه بأقبح الاسماء فعل الماكر المحادع ، فليس مع مخالف الرسل سوى المكر في القول والعمل

فلما تم للمعطلة مكرهم وسلك في القلوب المظلمة الجاهلة بمحاثق الايمان وما جاء

(١) لعله سقط من هنا : ويؤتي الملك من يشاء

به الرسول - ترتب عليه الأعراض عن الله وعن ذكره ومحبتة والثناء عليه باوصاف كماله ونعوت جلاله ، فانصرفت قوى حبها وشوقها وأنسها إلى سواء وجاء أهل الآراء الفاسدة ، والسياسات الباطلة ، والأذواق المنحرفة ، والعوائد المستمرة ، فقعدها على رأس هذا الصراط وحالوا بين القلوب وبين الوصول إلى نبيها وما كان عليه وأصحابه ، وعابوا من خالفهم في قومودهم عن ذلك ورغب عما اختاروه لانفسهم ، وروموه بما هم أولى به منه كما قيل : رمتني بدائنها وانسلت وجاء أصحاب الشهوات المعتنون بها الذين يمدون حصولها كيف كان الظفر في هذه الحياة والبنية فقعدها على رأس طريق المعاد والاستعداد للجنة ولقاء الله ، وقالوا : اليوم خمر ، وغدا أمر ، اليوم لك ولا تدري غدا لك أو عليك . وقالوا : لا تبسيع ذرة منقودة ، بدرة موعودة

خذ ما تراه ودع شياً سمعت به في طلعة الشمس ما يفتيك عن زحل  
وقالوا للناس : خلوا لنا الدنيا ونحن قد خلتنا لكم الآخرة ، فإن طلبتم منا ما بأيدينا أطلناكم على الآخرة

أناس<sup>(١)</sup> يُقَضُّونَ عِيشَ النِّعَمِ وَنَحْنُ نَحَالُ عَلَى الْآخِرَةِ  
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِثْلًا يَزْعُونَ فَتِلْكَ إِذَا هَكَرَ خَاسِرُهُ

فالإيمان بالصفتا ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه ، وغايته ، وهو روح السالكين ، وحاديهم إلى الوصول ، ومحرك عزائمهم إذا قروا ، ومثير همهم إذا قصرُوا ، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد ، فمن كان لاشاهد له فلا سير ولا طلب ولا سلوك له ، وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم ، وذلك هو الصَّامُ الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها « من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رآه غادياً رائحاً لم يضع لينة على لينة ، ولكن رفع له علم فشمروا إليه » ولا يزال العبد في التواني والفتور والمكسل حتى يرفع الله عز وجل له بفضلِهِ ومنه علماً يشاهده بقلبه فيشرب إليه ويعمل عليه ، فإن عطلت شواهد الصفات ووضعت أعلامها عن القلوب ، وطمست آثارها

وضربت بسياط البعد ، وأسبل دونها حجاب الطرد ، وتخلفت مع المتخلفين ، وأوحى اليها القدر أن اقمدي مع القاعدين ، فإن أوصاف المدعو اليه ونفوت كماله وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب الى محبته وطلب الوصول اليه ، لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتتحافه وترجوه وتشتاق اليه وتلتذ بقربه وتطمئن الى ذكره ، بحسب معرفتها بصفاته ، فإذا ضرب دونها حجاب معرفة الصفات والاقرار بها ، امتنع منها بعد ذلك ما هو مشروط بالمعرفة ومزوم لها ، اذ وجود المزموم بدون لازمه والمشروط بدون شرطه ممتنع

فحقيقة المحبة والالابة والتوكل ومقام الاحسان ممتنع على المعطل امتناع حصول الغل "من معطل البذر بل أعظم امتناعا . كيف تصمد القلوب الى من ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا مبائنا له ولا محايثا ، بل حظ العرش منه كحظ الآبار والوهاد والاماكن التي يرغب عن ذكرها ؟ وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها ولا يرى مكانها ولا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ ولا يقوم به فعل البتة ، ولا يتكلم ولا يكلم ولا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء ولا يقوم به رافة ولا رحمة ولا خنان ، ولله حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لاجلها ؟ فكيف يتصور التوكل على ذلك ، ومحبته والالابة اليه والشوق الى لقائه ورؤية وجهه الكريم في جنان النعيم وهو مستو على عرشه فوق جميع خلقه ؟ أم كيف تأله القلوب من لا يحب ولا يحب ولا يرضى ولا يفضب ولا يفرح ولا يضحك ؟ فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته والسرور والفرح به والشوق الى لقائه وانتظار لذة النظر الى وجهه الكريم والتمتع بخطابه في محل كرامته ودار ثوابه ! فلورآها أهلاً لذلك لمن عليها به وأكرمها به اذ ذاك أعظم كرامة يكرم بها عبده ، والله أعلم حيث يجعل كرامته ، ويضع نعمته (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله باعلم بالشاكرين ؟ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته — أمهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليستخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون ) وليس جحودهم صفاته سبحانه وحقائق أسمائه في الحقيقة تنزيهاً

وأما هو حجاب ضرب عليهم فظنوه تنزيها ، كما ضرب حجاب الشرك والبدع المضلة والشهوات المردية على قلوب أصحابها وزين لهم سوء أعمالهم فأروها حسنة

عدنا الى شرح كلامه . قوله «وقد وردت أساميها بالرسالة» الى آخره ، ذكر ان اثبات الصفات دل عليها الوحي الذي جاء من عند الله على لسان رسوله ، والحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة فاستدل بها على صفات صانعها ، والعقل الذي طابت حياته بزرع الفكر ، والقلب الذي حيي بحسن النظر بين التعظيم والاعتبار ؛ فلما الرسالة قائما جاءت بآيات الصفات اثباتا مفصلا على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء وحصل العلم اليقيني ورفع الشك والريب ، فتلججت له الصدور واطمأنت به القلوب ،

واستقر به الايمان في نصابه ، ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والافعال أعظم من تفصيل الامر والنهي ، وقررت إثباتها أكل تقرير في أبلغ لفظ وأبعد من الاجمال والاحتمال وأمنعه من قبول التأويل ، وكذلك كان تأويل آيات الصفات وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد وأخباره ، بل أبعد منه لوجه كثيرة ذكرتها في كتاب [الصواعق المرسلة ، على الجهمية والمعتزلة] بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها كتأويل آيات الامر والنهي . فلاباب كله باب واحد ومصدره واحد ومقصوده واحد ، وهو اثبات حقائقه والايمان بها ولذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم وقالوا : فعلنا فيها كفعل المتكلمين في

آيات الصفات ، بل نحن أعذر ، فان اشتمال الكتب الالهية على الصفات والاعمال وقيام الافعال أعظم من نصوص المعاد للابدان بكثير ، فاذا ساغ لكم تأويلها فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد ؟ وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الامر والنهي وقالوا : فعلنا فيها كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها وتنوعها . وآيات الاحكام لاتبلغ زيادة على خمسمائة آية — قالوا — وما يظن انه معارض من المتعلقات لنصوص الصفات فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه أو أقوى منه ، وقالوا<sup>(١)</sup> متأولو آيات الاحكام على خلاف حقائقها وظواهرها<sup>(٢)</sup> التي سوغ لنا<sup>(٣)</sup>

(١) لعل الاصل «قال» وما بسده فاعله (٢) وفي ب «فظواهرها» وهو غير ظاهر

(٣) هذا مقول المتقول ، وصوابه: الذي سوغ لنا هذا القول القواعد الخ أي هو القواعد

هذا التأويل القواعد التي اصطلمحتموها لنا وجماعتموها أصلاً نرجع اليها فلما طردناها كان طردنا ان الله ماتكم بشيء قط ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهي ولا له صفة تقوم به ولا يفعل شيئاً ، وطرد هذا الاصل لزوم تأويل آيات الامر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب

وقد ذكرنا في كتاب [الصواعق] ان تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا ودين . وزول الممالك وتسلط أعداء الاسلام عليه انما كانت بسبب التأويل ، ويعرف هذا من له اطلاع وخبرة بما جرى في العالم ، ولهذا يحرم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم لصحته ، لانه سبب لفساد العالم وتعطيل الشرائع ، ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعاً بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ، فانها وردت على وجه لا يحتمل معه <sup>(١)</sup> التأويل بوجه ، فانظر الى قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) هل يحتمل هذا التقسيم والتوزيع تأويل إتيان الرب جل جلاله بإتيان ملائكته أو آياته ؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً أنه إتيانه بنفسه ؟ وكذلك قوله (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده - الى أن قال - وكلم الله موسى تكليماً) ففرق بين الإيحاء العام والتكليم الخاص ، وجعلهما نوعين ، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الرفع لتوهم ما يقوله المخرّفون ، وكذلك قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً) فنوع تكليمه الى تكليم بواسطة وتكليم بغير واسطة ، وكذلك قوله لموسى عليه السلام (إني اصطفتيك على الناس برسالاتي وبكلامي) ففرق بين الرسالة والكلام ، والرسالة عما هي بكلامه ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « انكم ترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس منه سحاب » وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوّاً ليس دونها سحاب <sup>(٢)</sup> ومعلوم ان هذا البيان والكشف والاحتراز (١) في نوح « منه » (٢) ليس من التأويل ما قالوه في شرح الحديث من أن التشبيه فيه للرؤية لا للمرئي الذي لا يشبهه قمر ولا شمس ولا غيرهما (ليس كمثل شيء) ولا قولهم ان كسفية هذه الرؤية لا تعرف في الدنيا بل ما دونها من أمر الآخرة لا يمكن أن يعرف في الدنيا أيضاً



بما في ارادة التأويل قطعاً ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين  
 قوله « وظهرت شواهدا في الصنعة » هذا هو الطريق الثاني من طرق اثبات  
 الصفات ، وهو دلالة الصنعة عليها ، فان المخلوق يدل على وجود خالقه وعلى حياته  
 وعلى قدرته وعلى علمه ومشيتته ، فان الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا .  
 وما فيه من الاتقان والإحكام ووقوعه على أكل الوجوه ما يدل <sup>(١)</sup> على حكمة فاعله  
 وعنايته ، وما فيه من الاحسان والنفع ووصول المنافع العظيمة الى المخلوق — يدل على  
 رحمة خالقه واحسانه وجوده ، وما فيه من آثار الكمال يدل على ان خالقه أكل منه .  
 فمعطي الكمال أحق بالكمال ، وخالق الاسماع والابصار والنطق أحق بان يكون سمعا  
 بصيرا متكلما ، وخالق الحياة والعلوم والقدر والارادات أحق بان يكون هو كذلك  
 في نفسه ، فما في المخلوقات شيء <sup>(٢)</sup> من أنواع التخصيصات من أدل شيء <sup>(٣)</sup> على  
 ارادة الرب سبحانه ومشيتته وحكمته التي اقتضت التخصيص ، وحصول الاجابة عقيب  
 سؤال المطلوب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات وعلى سمعه  
 اسؤال عبيده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم ، والاحسان  
 الى المطيعين والتقرب اليهم والاكرام واعلاء درجاتهم — يدل على محبته ورضاه ،  
 وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسوله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب  
 والسخط والإيذاء والطرْد والإقصاء يدل على المقت والبخس ، فهذه الدلالات من  
 جنس واحد عند التأمل ، ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده الى الاستدلال بذلك  
 على صفاته ، فهو يثبت العلم برؤيته ووحْدانيته ، وصفات كماله بآثار صنعه المشهودة  
 والقرآن مملوء بذلك ، فيظهر شاهد اسم الخالق من نفس المخلوق ، وشاهد اسم  
 الرازق من وجود الرزق والمرزوق ، وشاهد اسم الرحيم من شعور الرحمة المبثوثة في  
 العالم ، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدرار لا ينقطع لحظة واحدة ، واسم  
 الحليم من حلمه عن العنابة والعصاة وعدم معاجلتهم ، واسم الغفور والتواب من  
 مغفرة الذنوب وقبول التوبة ، ويظهر شاهد اسمه الحكيم من العلم بما في خلقه وأمره

(١) « ما » زائدة إما هنا وإما في أول الجملة (٢) لعل كلمة شيء زائدة

(٣) لعل الاصل : أدل شيء — أو — من أدل الاشياء

من الحكم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنی له شاهد في خلقه وأمره يعرفه من عرفة ويجهله من جهله، فخالق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته، وكل سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وحذقه وتبريزه على غيره وتفرده بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم الملوحي والسفلي وهذه المخلوقات من بعض صنعه

وإذا اعتبرت المخلوقات والأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الاسماء الحسنی، وعلمت أن المعلقة من أعظم الناس عى بمكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة كما قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فالوجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير الى الاسماء الحسنی وحقايقها وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل :

تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى اليك رسائل  
وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل  
تشير بأثبات الصفات لربها فصامتها يهدي ومن هو قائل

فلمست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت كماله وحقايق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلاً وحمداً وفطرة ونظراً واعتباراً (١)

قوله «تبصير النور القائم في السر» يعني ان النور الإلهي الذي جعله الله لعبده ويلقيه اليه ويودعه في سره هو الذي يبصره بشواهد صفاته، فكما قوي هذا النور في قلب العبد كان بصره بالصفات أتم وأكمل، وكما قل نصيبه من هذا النور وطفئ مصباحه في قلبه طفى نور التصديق بالصفات واثنها في قلبه. فانه إنما يشاهدها بذلك النور، فاذا فقدته لم يشاهدها وجاءت الشبه الباطلة مع تلك الظلمة فلم يكن له نصيب منها سوى الانكار

(١) هذه الجملة من قوله «من دلالة المخلوقات» الى هنا سقطت من نوح

فقتلناها من ب

قوله « وطيب حياة العقل لزرع الفكر » أي يدرك الصفات بذلك النور القائم في سره وطيب حياة عقله التي طيها زرع الفكر الصحيح المتعلق بما دعا الله سبحانه عباده الى الفكر فيه بقوله (ويتفكرون في خلق السماوات والارض - وقوله - أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق - وقوله - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ) (١) فيتفكرون في الآيات التي بينها لهم فيستدلون بها على توحيد صفات كماله وصدق رسله والعلم بقلائه ، ويتفكرون في الدنيا وانقضائها واضمحلالها وآفاتهما ، والآخرة ودوامها وبقائها وشرفها ، وقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة يدل على اثبات صفات الكمال ونفوت الجلال ، وأما فكر مصحوب بموت القلب وعمى البصيرة فأنما يعطي صاحبه نقيها وتطيلها

قوله « وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار » يعني انه ينضاف الى نور البصيرة وطيب حياة العقل حياة القلب بحسن النظر الدائر بين تعظيم الخالق جل جلاله وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدالة عليه ، فلا بد من الاسرین فانه ان غفل بالتعظيم عن حسن الاعتبار لم يحصل له الاستدلال على الصفات ، وان حصل له الاعتبار من غير تعظيم الخالق سبحانه لم يستفد به اثبات الصفات ، فاذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه أمرا له اثبات صفات كماله ولا بد ، والاعتبار هو أن يعبر نظره من الأثر الى المؤثر ومن الصنعة الى الصانع ومن الدليل الى المدلول ، فينتقل اليه بسرعة لطف ادراك ، فينتقل ذهنه من المزم الى لازمه ، قال الله تعالى ( فاعتبروا يا أولي الابصار ) والاعتبار افعال من العبور وهو عبور القلب من المزم الى لازمه ومن النظر الى نظيره ، وهذا الاعتبار يضعف ويقوى حتى يستدل صاحبه بصفات الله تعالى وكأله على ما يفعله لحسن اعتباره وصحة نظره ، وهو اعتبار الخواص واستدلالهم ، فأنهم يستدلون بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وانه يفعل كذا ولا يفعل كذا ، فيفعل ما هو موجب حكته وعلمه وغناه وحده ، ولا يفعل

(١) كذلك حذفت هذه الآيات منها فقلت من ب

ما يناقض ذلك ؛ وقد ذكر سبحانه هذين الطريقين في كتابه فقال تعالى في الطريق الاول (سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) — ثم قال في الطريق الثانية (١) — أول يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فخلقوا لله دالة على ذاته وأسمائه وصفاته ، وأسماؤه وصفاته دالة على ما يفعله ويأمر به وما لا يفعله ولا يأمر به مثال ذلك ان اسمه الحميد — سبحانه — يدل على انه لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، واسمه الحكيم يدل على انه لا يخلق شيئا عبثا ، واسمه الغني يدل على انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، واسمه الملك يدل على ما يستلزم حقيقة ملكه من قدرته وتدبيره وعطائه ومنعه ونوابه وعقابه ، وبث رسله في اقطار مملكته ، وإعلام عبيده بمراسمه وعهوده اليهم ، واستوائه على سريره مملكته الذي هو عرشه المجيد ؛ فتنى قام بالعبد تعظيم الحق جل جلاله وحسن النظر في الشواهد والتبصر والاعتبار بها صارت الصفات والنعوت مشهودة لقلبه قبله له

قوله « وهي معرفة العامة التي لاتنقذ شرائط اليقين الا بها » لا يريد بالعامّة الجاهل الذين هم عوام الناس ، وإنما يريد ان هذه هي المعرفة التي وقف عندها الصوم ولم يتعدوها ، وأما معرفة أهل النوق والمحبة الخاصة فأخص من هذا كما سيأتي قوله « وهي على ثلاثة أركان أثبات الصفة من غير تشبيه » الى آخره — هذه ثلاثة أشياء

(أحدها) أثبات تلك الصفة فلا يعاملها بالنفي والانكار

(الثاني) انه لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سبأها الله به بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة فلا يعطى الصفة ولا يغير اسمها ويغيرها اسما آخر ، كما تسمي الجهمية والمعطلة سمعه وبصره وقدرته وحياته وكلامه أعراضا ، ويسمون وجهه ويديه وقدمه سبحانه جوارح وأعضاء ، ويسمون حكمته وغاية فعله المطاوعة عللا وأعراضا ، ويسمون أفعاله القائمة به حوادث ، ويسمون علوه على خلقه واستواءه على عرشه تمييزا ، ويتوصلون بهذا المكر الكبار الى نفي ما دل عليه الراجح والعقل والفطرة وآثار الصنعة من صفاته ، فيسقطون بهذه الاسماء التي سموها هم واباؤهم على نفي صفاته وحقائق أسمائه

(١) الطريق يذكر ويؤنث وما أرى التانيث هنا والتذكير قبله الا لمن النساخ

(الثالث) عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فان الله سبحانه ليس كمثل شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فالعارفون به المصدقون لرسله المقرون بكلامه يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل ، فذهبهم حسنة بين سبئتين ، وهدي بين ضلالتين ، ففصرطهم صراط المنعم عليهم ، وصراط غيرهم صراط المضبوط عليهم والضالين ، قال الامام أحمد رحمه الله : لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشعنين — وقال — التشبيه أن تقول : يد كيدي . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله « والإيأس من ادراكها وابتفاء تأويلها » يعني ان العقل قد يؤس من تعرفه كنه الصفوة وكيفيتها فانه لا يعلم كيف الله الا الله ، وهذا معنى قول السلف ، [ بلا كيف ] أي بلا كيف يعقله البشر ، فان من لا يعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف يعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ ولا يقدح ذلك في الايمان بها ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك ، كما انا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كفيته مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق ، فمجردنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم ، فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله والجمال كله والعلم كله والقدرة كلها والعظمة كلها والكبرياء كلها ، من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحانه السموات والارض وما فيهما وما بينهما وما وراء ذلك ، الذي يقبض سمواته بيده فتغيب كما تغيب الخردلة في كف أحدنا ، الذي نسبة علوم الخلائق كلها الى علمه أقل من نسبة نقرة عصافور من بحار العالم ، الذي لو أن البحر عمده من بعده سبعة أبحر مداد ، وأشجار الارض من حين خلقت الى قيام الساعة أقلام ، في المداد وفنيت الأقلام ولم تنفذ كلماته ، الذي لو أن الخلق من أول الدنيا الى آخرها أنسهم وجنهم وناطقهم وأعجمهم جعلوا صفا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ، الذي يضع السموات على اصبع من أصابعه والارض على اصبع الجبال على اصبع والا شجار على اصبع ثم يهزهن ثم يقول : أنا الملك . فقاتل الله الجهمية والمطلة ! أين التشبيه هاهنا وأين التمثيل ؟ لقد اضمحل هاهنا كل موجود سواه فضلا عن أن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال ويشابهه فيه .

فسيحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته وولاهما ما تولت من وقوفها مع الالفاظ التي لا حرمة لها والمعاني التي لا حقائق لها ، ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الالهية ماتفهمه من صفات الخلق فرت الى انكار حقائقها وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً ، فشبهت أولاً وعطلت ثانياً ، وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنييه وبأتباعه ، أما إساءة الظن بالرب فانها عطلت صفات كماله ونسبته الى انه أنزل كتاباً مشتملاً على ما ظاهره كفر وباطل ، وإن ظاهره وحقاته غير مرادة ، وأما إساءة ظننا بالرسول فلانه تكلم بذلك وقرره وأكده ولم يبين للامة ان الحق في خلافه وتأويله ، وأما إساءة ظننا بأتباعه فنسبتهم لهم الى التشبيه والتشليل والجهل والخشوع وهم عند أتباعه أجهل من أن يكفروهم الا من عاند الرسول وقصد نفي ما جاء به . والنوم عندهم في خفارة جهلهم قد حجبت قلوبهم عن معرفة الله وإثبات حقائق أسمائه وأوصاف كماله (له بقية)

### تقرير المطبوعات الجديدة<sup>\*</sup>

الخلق — مباحث علمية في النفس والعقل وقواها وكنهه الاخلاق والعوامل الغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها . وماهية الفضيلة وتنوع درجاتها في أدوار الحياة وأنواعها وحدودها ، والرديلة ونشأتها وأقسامها ودرتها  
تأليف حسن افندي فتوح بنظارة ( وزارة ) المعارف ، طبع بمطبعة الجاهلية بمصر سنة ١٣٣٠ طبعاً نظيفاً على ورق متوسط بحرف بنط ٢٤ صفحاته ١٤٤ بالقطع الصغير وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر  
عظة الناشئين — كتاب أخلاق وآداب واجتماع . تأليف الشيخ مصطفى الغلاطي أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية في بيروت ، طبع بمطبعة الثبات في بيروت سنة ١٣٣٠ صفحاته ٦٦ بالقطع الصغير

ومن مباحثه : الاقدام — الصبر — الاخلاص — الشجاعة ، الشرف — الهجمة واليقظة ، الثورة الادبية ، الامة والحكومة ، الغرور ، التجدد — الدين ، المدنية ، الحرية — الزعامة والرئاسة — السعادة ، القيام بالواجب ، الثقة — التعاون — التعصب ، ورتنا الارض الخ  
(\*) عهدنا بتقرير المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

كتاب الارشاد الى تربية العقل — تأليف الدكتور محمود علي السركي طبيب  
مستشفى المنيا الاميري ، طبع سنة ١٩١٣ بمطبعة (الآداب الشرقية) بالمنيا على ورق  
متوسط صفحاته ١٤٨ بالقطع الوسط وتمثله ١٢ قرشا

من مباحث هذا الكتاب : الفهم والمعرفة ، كيفية تحصيل الاعمال ، كيفية الملاحظة ،  
كيفية الحكم ، كيفية الاحساس ، كيفية العمل ، الارادة ، كيف تكون علاقة الانسان  
مع غيره ، كيف يجب أن يكون الانسان ، كيف يتجنب الضرر ، معنى الحياة

جمال الزوجة — تأليف الاستاذ الشيخ مهدي أحمد خليل . طبع بمطبعة الجالية  
بمصر سنة ١٣٣٣ صفحاته ١٥٢ بالقطع الصغير وتمثله ٣ ويطلب من مكتبة المنار بمصر  
جدير بالطلبة والشبان والشابات مطالعة هذا الكتاب فانه من أفيد ما كتب في  
هذا الموضوع ، وقد توخى كاتبه فيه استعمال المفردات العربية لحلل النساء وحليهن  
وغير ذلك وشرح هذه المفردات ، كما هو دأبه في تصانيفه التعليمية المفيدة  
فصول الكتاب : نصائح للامهات ، ما يازم للمسولود المستظر ، الاعتناء بصحة  
الأولاد ، التسنين ، غذاء الطفل ، الارضاع المختلط ، الارضاع الصناعي ، تخفيف اللبن ،  
غلي اللبن وتلقيه ، الفطام ، الاعتناء بثدي الام عند الفطام . وفي كل فصل من هذه  
بيان وايضاح وشرح لا يستغنى عنه من يعلم ما يجب عليه لا ولاده وأمته ونوعه

قبل الزواج وبعده — تأليف الدكتور ا . دنيسون لايت ، الانكليزي  
وترجمه بالعربية محمد أفندي عبد العزيز الصدر وطبع بالمطبعة الحيدية المصرية بمصر  
طبعاً نظيفاً ، صفحاته ٧٠ بالقطع الصغير وتمثله ٣

مباحث هذا الكتاب : مستقبل الطفل ، متى أنزواج ، الميل الشهواني — فوائده  
ومضاره ، التشريح الجنسي ، الولادة ، قانون الزوج ، قانون الزوجة . وفي الكتاب  
جدول لافاقات إرضاع الطفل ومقدار كل رضعة من الماء واللبن من أول عمره الى  
الشهر الثاني عشر فنحث الامهات والآباء على اقتنائه

تدبير حياة الرضيع الصحية من يوم ولادته الى يوم الفطام — تأليف الدكتور  
نجيب أفندي قناوي طبيب عيادة اللادي كرومر للاطفال بالاسكندرية . طبع بمطبعة

محمد الكازة بالاسكندرية سنة ١٣٢٩ طبعاً نظيفاً على ورق جيد ومثله ثلاثة قروش، وهو من أنفع الكتب في هذا الباب

جرجي زيدان - كتاب فيه ترجمة حياة جرجي بك زيدان صاحب الهلال ومرآتي الشعراء والكتاب وحفلات التأبين وأقوال الكتاب والمجلات والجرائد في الفقيه وآثاره ومكانته العلمية الادبية وفي الكتاب رسوم الفقيه شاباً وكهلاً طبع بمطبعة الهلال بمصر على ورق جيد سنة ١٩١٥ وصفحاته ١٤٧

تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان - الجزء الرابع - طبع بمطبعة الهلال على ورق متوسط سنة ١٩١٤ صفحاته ٣٢٨ بطبع المنار ومثله ٢٠ ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المنار بمصر

هذا الجزء هو ثمة أجزاء الكتاب، وبه تمت حياة المؤلف الملوثة جداً ونشاطاً وعمالاً

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة العربية وعلومها وتراجم العلماء والادباء والشعراء ووصف مؤلفاتهم وأماكن وجودها، من عهد دخول الفرنسيين الى مصر سنة ١٢١٣ هـ الى هذه الايام، وقد قرظ المنار أجزاء هذا الكتاب الثلاثة ونشر انتقاد الاستاذ الاسكندري له، وأنصف مؤلفه فيما كتبه عن مؤلفاته

ألقى المصنف بهذا الجزء جدولاً استغرق ٦ صفحات في تصحيح الاغلاط التي استفادها من المنتقدين على الاجزاء التي قبله، وذكر منهم الاب لويس شيخو والاب انتاس الكرملي والشيخ احمد عمر الاسكندري واحد آل كاشف الغطاء وعيسى افندي الملوغ. وهؤلاء نشرت انتقاداتهم في مجلات المشرق ولغة العرب والمنار والعرفان، وذكر من المنتقدين الذين كتبوه احمد بك تيمور. ولكنه لم يذكر الشيخ شبلي النعماني فانه كاتبه وكتب انتقاداً على تاريخ التمدن الاسلامي في المنار، غير انه كان في انتقاده شدة وغلظة ضاق بها صدر جرجي بك زيدان على سمته

وفي هذا الجدول استدرأكت استفادها المؤلف من المطالعة وفي ذيله ترجمة حياته وذكر جميع مؤلفاته وفيه فهرس للاجزاء الاربعة



كتاب أصول علم الاقتصاد -- تأليف الاستاذ ووكر الامريكي وتريب محمد حمدي بك السيد من قضاة المحاكم الاهلية يطبع بمطبعة المنار طبعا نظيفا على ورق جيد وقد صدر الجزء الاول منه في أواخر سنة ١٣٣٣ وصفحاته ٢٥٨ ومنه ٢٠ قرشا وتلاميذ المدارس العليا ١٥ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر ان الحالة المالية والاقتصادية بمصر جعلت الحاجة ماسة الى وجود كتب في علم الاقتصاد والى مدرسين يدرسونه في المدارس ولا سيما في هذه البلاد التي كثرت فيها الشركات الزراعية والتجارية والصناعية واتسعت دائرة الاعمال المالية . وان بلادا كالبلاد المصرية في حالتها المدنية وتغلغل الافرنج فيها واداراتهم للمصارف والشركات فيها لا يمكن أن يحفظ أهلها ثروتهم أو أرضهم فضلا عن أن ينموها الا اذا كثرت فيهم العارفون بهذا العلم وبنوا أعمالهم المالية كلها على أصوله التي بنى عليها غيرهم ، فوجب على المصريين خاصة والعرب عامة تناول هذا الفن لان مصر اليوم هي أرقى بلاد العرب ثروة فاذا ارتقى هذا العلم فيها يكون ذلك مقدمة لارتقائه في غيرها

يظن كثير من الناس ان الاقتصاد كل الاقتصاد أن لا تنفق كثيرا ، أو أن تدخر من كسبك شيئا لوقت حاجتك ، وهذا وهم منشأ الجهل فان تناول علم الاقتصاد أوسع من ذلك واكبر من أن ينحصر بالتقتير والتصديق على من وسع عليهم في الرزق وأقل ما يقال فيه انه علم يبحث في (إيجاد الثروة) وهذه الكلمة تتضمن معرفة طبيعة الأرض واستعدادها وكيفية توزيع محصولاتها وتكون الصناعة وارتقاؤها وتأثير العوامل الطبيعية والسياسية والادارية والمركز السياسي في ذلك . ثم هو يبحث في (انماء الثروة) وما يلزم لذلك من تأثير الصناعة واتقانها وتصرف مديري المصانع وعمل الصناع ورأس المال والقيمة الاعتبارية للتقنين أو ما يقوم مقامها والمبادلة والارباح والاقوات وقيمة الايجار والتوزيع والاشتراك ومعاملة الدول وتبادل بعضها مع بعض . ثم ما لاعتصاب العمال وتأثير القوانين الادارية والسياسية في ذلك فالاقتصاد هو ما يوجد ثروة لامة والفرد وينميها أي أن تعلم كيفية كسب

المال وكيفية اتقائه بما يعود عليك وعلى أمتك بالثراء ونعمة العيش

ولما أحسن الناس بالحاجة الى هذا العلم في السنين الاخيرة كتب فيه بعض الكتاتين مقالات في الجرائد والمجلات ، وترجم آخرون بعض المختصرات ، وكان آخر ما ارقت العناية اليه أن انبرى محمد حمدي بك السيد القاضي بالحكام الاهلية الى ترجمة (أصول علم الاقتصاد السياسي) فأفرغ جهد المستطاع في نقله الى العربية مع ما يلزم لذلك من تعريب الاصطلاحات الفنية فأنجزه ترجمة وأنتم طبع الجزء الاول منها وقد أوشك أن يتم طبع الجزء الثاني . ومن مميزات هذا الكتاب ان المؤلف قد وفى المسائل حقها ، وأعطاها من الايضاح قسطها ، وأبرزها في لغة العرب بعبارة سهلة المتناول صحيحة التعبير واضحة المعنى غير متعظم ولا متعثر

## كتاب دروس سنن الكائنات

في مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس علمية طبية اسلامية في الكيمياء والطبيعة والتشريح ووظائف الاعضاء وقانون الصحة وعلم الانسجة للدكتور محمد توفيق صدقي نشرتها مجلة المنار وطبعتها على نفقتها بمطبعها على ورق جيد وقد تم طبع الجزء الاول فبانت صفحاته ١٨٦ بقطع المنار وثمنه ٥ قروش ويطلب من مكتبة المنار وإدارته بمصر

الدكتور محمد توفيق صدقي بحأثة منقبة مؤلف محقق، عرفه قراء المنار بأثاره من أول عهده بالكتابة العلمية لانه قلما كتب شيئاً في غير المنار. ودروسه هذه مبنية على البحث والاطلاع والتحقيق والجمع بين العلم والعمل فهي كتاب علمي طبي جدير بأن يدرس في المدارس العربية ولا سيما الدينية منها، لانه يقرب هذه العلوم من ذهن التلميذ بعبارة عربية سليمة ، ألزم فيها تعريب الاصطلاحات العلمية والتوفيق بين مسائل العلم المحققة ونصوص القرآن والحديث عند الحاجة الى ذلك ، لا لأن المراد مزج العلم بالدين في التعليم كما يتوهم من يرى أن الفصل بينهما بتعليم كل منهما وحده أولى ، بل لان الغرض الاول من هذه الدروس أن يكون لرجال الدين الذين يعدون الارشاد والتعليم إمام صحيح بالعلوم التي يحتاجون اليها في الترية والارشاد من وجهين (أحدهما) تقوية الايمان بما ترشد اليه هذه العلوم من الآيات على

قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته ووجدانيته ( وثانيهما ) العلم بأن الاثماع بها مطلوب شرعاً لا ممنوع كما يتوهمه الجاهلون . مثال هذا ان توقي ميكروبات الامراض والآفات التي تصيب الانسان والحيوان والنبات لا ينافي الايمان بالله ولا اتوكل عليه ولا ماقل في كذب الدين من نفي العدوى الجاهلية ، فاذا لم يكن رجال الدين على بصيرة في ذلك لا يسهل عليهم القيام بوظيفة الارشاد الاسلامي الذي يجب أن يكون جامعاً بين حقوق الارواح والاجساد ، ومصلحتي المعاش والمعاد

الالفاظ الكتابية : لعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني — هذا الكتاب غني عن التعريف والتعريض وهو أشهر من نار على علم ، وقد طبع مرات بأشكال مختلفة ، ولعل آخر طبعة طُبعها هي هذه التي طبعها محمد امين ومحمود توفيق بمطبعة الجالية بمصر سنة ١٣٢٩ على ورق أبيض بقطع رسالة التوحيد وجعلنا منه أربعة قروش ويطلب منها ومن مكتبة المنار بمصر

أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه — رسالة مقتبسة من كتاب نيفة الدهر الشهير تأليف أبي منصور الثعالبي ، طبعه علي عطية بمطبعة الجالية بمصر على ورق ابيض صفحاته ١١٢ بقطع الاسلام والنصرانية ومنه  $\frac{1}{2}$  ويطلب من مكتبة المنار بمصر موضوع الرسالة ما قيل في شعر المتنبي انتقادا وتكريظا وهو ما كتبه الثعالبي ؛ النيفة عند الكلام على ابي الطيب وقال في آخره انه يصلح ان يكون كتابا مستقلا وهو القائل في المتنبي : إنه نادرة الفلك واسطة عقد الدهر في صناعة الشعر .

ديوان عبد الرحمن شكري — طبع الجزء الثالث من هذا الديوان في مطبعة غرزوزي بالامكندرية سنة ١٩١٥ فبلغت صفحاته ٦٤ فيها من القصائد والمقاطع ٥٥ منه  $\frac{1}{2}$  ويطلب من مكتبة المنار بمصر

شعر عبد الرحمن شكري معروف لقراء العربية فهو يطرق أبوابا لم يطرقها غيره لانه يقول الشعر للشعر لا للسعر فاذا كان الكون في نظر الشاعر قصيدة — كما يقول شكري — فان قصائده أبيات من تلك القصيدة كما يعلم من عناوين هذا الجزء ومنها : الربيع والصبا ، بين الحقيقة ، الخيال ، الشعر والطبيعة ، سحر الربيع ، الحسن مرآة الطبيعة ، وغير ذلك ومن قصائده الاخلاقية قصيدة تحت عنوان « صوت النذير » تمثل غيره وشاعريته

أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولو الألباب  
فقر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

# المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولو الألباب  
فقر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و • منارا • كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٣ — ١٥ المقرب (خ ٢) ١٢٩٤ هـ ش ٨ نوفمبر ١٩١٥

## خلاصة سورة المائدة

انفردت هذه السورة بعدة مسائل في أصول الدين وفروعه وبتفصيل عدة أحكام اجملت في غيرها اجمالاً ، وأكثرها في بيان شؤون أهل الكتاب ومحاجتهم . ونحن نذكر قارئاً تفسيرنا بختلاصتها مراعين مناسبة بعض المسائل لبعض لا ترتيب ورودها في السورة ، وجعلنا ذلك على قسمين :

### ﴿ القسم الاول ماهو من قبيل الاصول والقواعد الاعتقادية أو العملية ﴾

(١) أم الاصول التي انفردت بها السورة ، بيان إكمال الله تعالى للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم بالقرآن ، وإتمام نعمته عليهم بالاسلام . (راجع ص ١٥٤ - ١٦٧ ج ٦) (\*)

(٢) النهي عن سؤال النبي (ص) عن أشياء من شأنها أن تسوء المؤمنين اذا أبديت لهم لما فيها من زيادة التكليف مثلاً (راجع ص ١٢٥ - ٢٠٩ ج ٧) وقد علم من الآيات التي نزلت في هاتين المسألتين المتلازميتين ان كل حكم ديني من اعتقاد أو عبادة أو حلال أو حرام لم يدل عليه النص دلالة صريحة ولم تمض به السنة العملية من عهد النبي (ص) فليس من الدين الذي هو حجة الله على كل من بلغتهم دعوة الرسول بحيث يطالبون به في الدنيا ويستلون عنه في الآخرة، كما فصلنا ذلك في تفسيرهما مع بيان الفرق بين الاحكام الدينية والدنيوية. وأما ما دل عليه الكتاب أو السنة دلالة غير صريحة - ومنه أكثر ما اختلف أئمة العلم في دلالة - فهو حجة على من فهم منه الحكم لا على كل أحد كما ي بناء في تفسير آية تحريم الخمر (٣) بيان ان هذا الدين مبني على العلم اليقيني في الاعتقاد والهداية في الاخلاق والاعمال ، وان التقليد باطل لا يقبله الله تعالى ، كما هو صريح الآية ١٠٧ (راجع ص ٢٠٥ ج ٧) وتقدم مثلها في سورة البقرة

(٤) بيان ان أصول الدين الإلهي على السنة الرسل كلهم هي الايمان بالله

(\*) الإشارة بحرف ج لأجزاء التفسير المطبوع على حديثه لا لأجزاء المنار

واليوم الآخر والعمل الصالح فن اقامها كما أمرت الرسل من اية ملة — من ملل الرسل كاليهود والنصارى والصابئين — فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون (ص ٤٧٦ ج ٦) وتقدم مثل ذلك في سورة البقرة

(٥) وحدة الدين واختلاف شرائع الانبياء ومناهجهم فيه

(٦) هيمنة القرآن على الكتب الالهية (ص ٤١٠ ج ٦)

(٧) بيان عموم بعثة النبي (ص) وأمره بالتبليغ العام وكونه لا يكلف من حيث كونه رسولا الا التبليغ ، وان من حجج رسالته أنه بن لأهل الكتاب كثيرا مما كانوا يخفون من كتبهم وهو قسيمان (أحدهما) ما ضاع منه قبل بعثة النبي (ص) بناء على الاصل المبين في هذه السورة وهو أنهم نسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به بانزاله فيها (وثانيهما) ما كانوا يكتُمونه من الاحكام اتباعا لاهوائهم مع وجوده في الكتاب كحكم رجم الزاني ، وقد بينا كلا من القسمين في موضعه من هذه السورة. ولولا ان محمدا الامي مرسل من عند الله لما علم شيئا من هذا ولا ذلك

(٨) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس أن يضروه أو يقتلوه أو يقدروا على صده عن تبليغ رسالة ربه. وهذا من دلائل نبوته (ص) أيضا فكم حاولوا قتله فأعيامهم وأعجزهم (ص ٤٧٣ ج ٦)

(٩) بيان ان الله أوجب على المؤمنين اصلاح أنفسهم أفرادها وجماعتها ، وانه لا يضرهم من ضل من الناس اذا هم استقاموا على صراط الهداية ، أي لا يضرهم ضلاله في دينهم لان الله تعالى لا يجعل له سبيلا عليهم ، ولا يضرهم في أمر دينهم وآخرتهم لأن الله تعالى لم يكلفهم إكراه الناس على الهدى والحق ، ولا ان يخلقوا لهم الهداية خلقا ، وانما كلفهم ان يكونوا مهتدين في أنفسهم باقامة دين الله تعالى في الاعمال الفردية والمصالح الاجتماعية ، ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١٠) تأكيد وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما بينه الله تعالى من لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم وتعليقه ذلك بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

(١١) نفي الحرج من دين الاسلام (ص ٣٥٨ و ٣٦٩ ج ٦)

(١٢) تحريم الغلو في الدين والتشدد فيه ولو بتحريم الطيبات وترك التمتع بهما، وتحريم الطباث والاعتداء والاسراف في الطيبات (ص ٤٨٨ ج ٦ و ١٧٠ - ٣٢٢ ج ٧)  
(١٣) قاعدة إباحة الاضطرار للمحزّم لذاته فيما يضطر اليه كالطعام، ومنه أخذ الفقهاء قولهم: الضرورات تبيح المحظورات (راجع ص ١٦٧ ج ٦)

(١٤) قاعدة التفاوت بين الخبيث والطيب وكونهما لا يستويان في الحكم كما انهما لا يستويان في أنفسهما وفيما يترتب عليهما. وهذا أصل عظيم من أصول التحليل والتحريم في الطعام وغيره يدل على تعليل الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح، وعلى عدم استواء جزاء الخبيث والطيب من الناس عند الله عز وجل (ص ١٢٢ ج ٧)  
وما كان تعليل الاحكام وبيان حكمتها وفائدتها الا لاجل توخيها - كاحكام الطهارة وتحريم الخمر والميسر وبعض الطعام واحكام الوصية والشهادة وإقسام الشهداء البين - وانك لتجد الذين يجهلون ذلك لاعراضهم عن حكم القرآن وأسرار السنة قد جعلوا أمر الوضوء والغسل تعديدا محضاً لا يستلزم النظافة فعلاً ولا قصداً، وزعموا ان تحريم الخمر تعديدي لا يدل على تحريم كل مسكر بناء على رأيهم ان الخمر ما كان من عصير العنب خاصة، فإ القول في فهمهم لساائر الاحكام

(١٥) تحريم الاعتداء على قوم بسبب بغضهم وعداوتهم، لانه يجب على المؤمنين أن يلتزموا الحق والعدل ولا يكونوا كأهل السياسة المدنية (ص ١٢٨ و ٢٧٤ ج ٦)

(١٦) وجوب الشهادة بالقسط والحكم بالعدل والمساواة بين غير المسلمين كالمسلمين ولو للاعتداء على الاصدقاء وتأكيده وجوب العدل فيها وفي سائر الاحكام والاعمال (ص ٢٧٦ و ٢٧٣ و ٣٩٤ و ٤١٢ و ٤٢٠ ج ٦)

(١٧) الامر المطلق العام في أول السورة بالوفاء بالعقود التي يتعاقد الناس عليها في جميع معاملاتهم الدنيوية من شخصية ومدنية، وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة الإسلامية، وهي ان الله تعالى وكل أمر المقود التي يتعاملون بها الى عرفهم ومواضعاتهم لانها من مصالحهم التي تختلف باختلاف الاحوال، فلم يقيدهم في احكامها وشروطها بقيود دائمة الا ما أوجبه الشرع مما لا يختلف باختلاف

الاحوال والعرف كتحرير أكل أموال الناس بالباطل كالربا والقمار ، فكل عقد يتعاقد عليه الناس لم يحل حراما ولم يحرم حلالا مما ثبت بالنص فهو حلال

(١٨) إيجاب التعاون على البر والتقوى ومنه تأليف الجماعات الخيرية والعلمية

وتحريم التعاون على الإثم والعدوان

(١٩) بيان أن الله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس في أمر دينهم

ودنيائهم، فهو جعل تكويني باعتبار شرعي باعتبار آخر، وهو يدل على علمه الواسع،

المحيط بالاشياء والحكم والمصالح والمنافع

(٢٠) مسألة موالاة المؤمنين للكافرين وبيان أن من آيات النفاق ومرض

القلب المسارعة في موالاتهم من دون المؤمنين خوفا أن تدور الدائرة على المؤمنين

فتكون لهم يد عند أعدائهم يستفيدون بها منهم (ص ٤٢٣ ج ٦)

(٢١) تفصيل أحكام الوضوء والغسل والتيمم مع بيان أن الله تعالى يريد أن

يطهر الناس ويزكيهم بما شرعه لهم من أحكام الطهارة وغيرها ، وشمول الطهارة في

آية الوضوء لطهارة الظاهر والباطن . وهذا يدل على أن أحكام الطهارة كلها مفعولة

المعنى كما أشرنا إليه في المسألة الرابعة عشرة ، فيجب أن يتحرى بأداء ما ورد به

الشرع ما يتحقق به الحكمة منه ، ويدل على أن الوسوسة في الطهارة مذمومة

مخالفة لنص الشرع ومقصده

(٢٢) تفصيل أحكام حلال الطعام وحرامه وما حرم منه لكونه خيثا في ذاته

كالكلب وما في معناها والخنزير وما حرم لسبب ديني كالذي يذبح للاصنام

(٢٣) تحريم الخمر وهو كل مسكر والميسر وهو القمار ومنه ما يسمى في عرف

الناس اليوم بالمضاربات

(٢٤) أحكام محرمات الاحرام

(٢٥) تفصيل أحكام الصيد للحل والحريم في أوائل السورة وأواخرها

(٢٦) حدود المحاربين الذين يفسدون في الارض ، ويخرجون على أئمة العدل ،

وحد السرقة ، وما يتعلق بالحد كسقوطه بالتوبة بشرطه

(٢٧) أحكام الايمان وكفاريتها وایمان الامناء والشهود



(٢٨) تأكيد أمر الوصية قبل الموت وأحكام الشهادة على الوصية وفي قضاياها وشهادة غير المسلم على المسلم ، والفرق بين الشهادة والاشهاد . وإتنا بعد الاطالة في تفسير الآيات في الوصية والشهادة فيها لخصنا مسائلها في ١٥ مسألة

(٢٩) الامر بالتقوى في عدة آيات من هذه السورة تدخل في جمع الكثرة ، لان صلاح أمور الدنيا والدين يتوقف على التزامها ، وأما يرجى بشكر الامر بها في كل سياق بحسبه

(٣٠) بيان تفويض أمر الجزاء في الآخرة الى الله تعالى وحده كما حكاه سبحانه من قول المسيح في ذلك اليوم مقرونا بتعليله ودليله ، وكون النافع في ذلك اليوم هو الصدق في الظاهر والباطن ، جعلنا الله من أهله

### ﴿ القسم الثاني ما ورد من الاخبار والحجج والاحكام ﴾

( في شان أهل الكتاب )

من الآيات في هذا القسم ما نزل في شأن أهل الكتاب عامة ، ومنه ما هو في أحد الفريقين خاصة . فن المشترك وصفهم بالغلو في دينهم المستلزم للتعصب الضار ، وباتباعهم أهواء من ضل قبلهم من الوثنيين وغيرهم ، وبالفرور في دينهم وزعمهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، وبأنهم مع ذلك تقضوا ميثاق ربهم ، ونسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به على أسنة أنبيائهم ، ولم يقيموا التوراة والانجيل كما أوجب الله عليهم ، وقد فسد دعواهم أنهم أبناءه وأحباؤه بما يأتي ذكره قريبا . وبين الله لهم حقيقة الامر وهي أنهم بشر من خلق الله ، لازمة لهم على سائر البشر في انفسهم وذواتهم ، لان البشر انما يمتاز بعضهم على بعض بالعلوم الصحيحة والاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة ، لا بالنسب والانتماء الى الانبياء والصالحين وان كانوا مخافين لهم في هدايتهم وذكر من جزائهم على سوء أعمالهم في الدنيا لقاء العداوة والبغضاء بينهم ، وأنه يعذبهم في الدنيا بذنوبهم الشخصية والقومية كفيرهم ، وان ذلك يدحض دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ودعاهم كافة الى الاسلام ، والايمان بخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، الذي بين لهم حقيقة دينهم الذي كان عليه سلفهم ، ودحض ما زادوا فيه

بالبرهان، وبين بعض ما كانوا يخفون أو يجهلون منه أحسن بيان  
وصف التوراة والانجيل أحسن وصف، وذكر من أخبار التوراة قصة ابني  
آدم بالحق، ومن أحكامها عقوبات القتل واتلاف الاعضاء والجروح، ومن أخبار  
الانجيل والمسيح ما هو حجة على الفريقين، وبين ان الكتابين أنزلا نورا وهدى  
للناس، وانهم لو كانوا أقاموها لكانوا في أحسن حال، وإسارعوا الى الايمان بما  
أنزله الله على خاتم رسله مصدقا لأصلها، وميننا لما طرأ عليها، ومكلا لدين  
الانبياء جميعا، على سنة الله في النشوء والارتقاء، التي هي أظهر في البشر منها في  
سائر الاشياء، ولكنهم اتخذوا الاسلام هزوا ولعبا في جملة وفي صلاته، ووالوا عليه  
للمناصبين له من أعدائه، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم لذلك

ومما جاء في اليهود خاصة نيا عليهم وبيانا لسوء حالهم — انهم نقضوا ميثاق الله  
الذي أخذهم عليهم في كتابهم ونسوا حظا عظيما مما ذكروا به، وحرفوا الكلم عن  
مواضعه، وتركوا الحكم بالتوراة وأخفوا بعض أحكامها، وحكوا الرسول ولم يرضوا  
بحكمه الموافق لها، وان من صفاتهم الغالبة عليهم قساوة القلب، والخيانة والمكر،  
والكذب وقول الأثم، والمبالغة في سماع الكذب وأكل السحت، والسعي بالفساد في  
الارض، وفي إيقاد نار القتل والحرب، وانهم كانوا يقتلون الانبياء والرسل بغير حق،  
وتعمدوا على موسى اذ أمرهم بدخول الارض المقدسة وقتال الجبارين فعاقبهم الله  
بالتيه في الارض، وانهم كانوا أشد الناس عداوة للمؤمنين، حتى انهم يوالون عليهم  
المشركين، بسبب ما ورثوه من تلك الصفات عن الغابرين. وذكر انه عاقبهم على  
ذلك كله باللعن على ألسنة الرسل، وبالغضب والمسخ، وهذه الصفات التي غلبت  
عليهم في زمن البعثة وقبله تثبتها تواريخهم وتواريخ غيرهم، ومن المعلوم انها لم تكن  
عاملة فيهم ولا شاملة لجميع أفرادهم، فقد أنصفهم الحكم العدل في هذه السورة وغيرها  
بالحكم على الكثير منهم أو أكثرهم، ومنه قوله في هذه السورة (منهم أمة مقصدية  
وكثير منهم ساء ما يعملون) وبيننا في الموضوع ما كان بعد النبي (ص) من مساعدة  
اليهود للمسلمين في الشام والاندلس

ومما جاء في النصارى خاصة انهم نسوا — كاليهود — حظا مما ذكروا به،

وأهم قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ، ورد عليهم هذه العقيدة بالادلة العقلية ، وبرائة المسيح منها ومن منتحلها يوم القيامة ، وبين لهم حقيقة المسيح وانه عبد الله ورسوله وروح منه ، وما أيده به من الآيات ، وحال حوار به وتلاميذه في الايمان . وبين أنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين ، ( ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ) فليراجع تفسير ذلك في أول الجزء السابع

وجملة الآيات الواردة في أهل الكتاب تشهد لنفسها أنها من عند الله تعالى لا من عند محمد بن عبد الله العربي الامي الذي لم يقرأ شيئا من تلك الكتب ، على ان تلك الآيات ليست موافقة لها ولهم موافقة الناقل للمنقول عنه ، وانما هي فوق ذلك تحكم لهم وعليهم وفيهم وفي كتبهم حكم المهيمن السميع العليم

#### أحكام السورة الخاصة بأهل الكتاب

لو كان هذا القرآن من وضع البشر لشرع معاملة أهل الكتاب الموصوفين بما ذكر — ولا سيما الذين ناصبوا الاسلام العداء عند ظهوره — بأشد الاحكام وأقساها . ولكنه تنزيل من حكيم حميد ، أمر في هذه السورة بمعاملتهم بالعدل ، والحكم بينهم بالتسوية وحكم بحل مؤاكلتهم ، وتزوج نسائهم ، وقبول شهادتهم ، والمغو والصفح عنهم ، وهذه الاحكام التي شرعت هذه المعاملة الفضلى لهم نزلت بعد إظهار اليهود النبي ( ص ) والمؤمنين متحبي العداء والغدر ، وبعد أن ناصبوه مع المشركين الحرب ، وهي تتضمن تأليف قلوبهم ، واكتساب مودتهم ، ( راجع ص ١٩٥ ج ٦ ) وقد ختم الله تعالى السورة بذكر الجزاء في الآخرة بما يناسب أحكامها كلها ، كما بيناه في تفسير آخر آية منها .

روى أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي في سننه وبعض رواة التفسير عن جابر بن نفير قال : سمعته فدخلت على عائشة فقالت لي يا جابر اقرأ المائدة ؟ فقلت نعم . فقالت أما انها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه ، وروى احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمرو قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة

والفتح . وقد تقدم في آخر تفسير سورة النساء بعض ما ورد في آخر ما نزل من القرآن من السور برمتها ومن الآيات ، وكان كل يزوي ما وصل اليه علمه ، والله أعلم

### ﴿ تم تفسير سورة المائدة ﴾

﴿ يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير قد وفقني الله تعالى لاتمام تفسير هذه السورة في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ وكنت بدأت بتفسيرها في مثل هذا الشهر من سنة ١٣٣١ وسبب هذا البطء انني أكتب التفسير لينشر في مجلة المنار فتارة أفسر في الجزء منه بضع آيات ، وتارة أفسر آية واحدة في عدة أجزاء . وقد يمر شهر أو أكثر ولا أكتب في التفسير شيئاً ، وأسأل الله تعالى ان يوفقني لاتمام هذا التفسير بمنح العوائق والمباركة في الوقت وان يؤيدني فيه بروح من عنده ﴾

## مكان الاسباب من الدين

﴿ فصل من مدارج السالكين في رد ما قاله صاحب المنازل في باب التليس ﴾

قد عرفت ان هذا الباب مبناه على محو الاسباب وعدم الالتفات اليها والوقوف معها ، ولهذا سعى المصنف نصبها تلبساً ، ونحن نقول : ان الدين هو إثبات الاسباب والوقوف معها والنظر اليها والالتفات اليها ، وانه لا دين الا بذلك كما لا حقيقة الا به ، فالحقيقة والشرعية مبناها على اثباتها لاعلى محوها ، ولانكر الوقوف معها فان الوقوف معها فرض على كل مسلم لا يتم اسلامه وابمانه الا بذلك ، والله تعالى أمرنا بالوقوف معها بمعنى انا ثبت الحكم اذا وجدت ونفيه اذا عدمت ، ونستدل بها على حكمه الكوني ، فوقوفنا معها بهذا الاعتبار هو مقتضى الحقيقة والشرعية ، وهل يمكن حيوانا ان يعيش في هذه الدنيا الا بوقوفه مع الاسباب ؟ فيتجمع مساقط غيها وموقع قطرها ، ويرعى في خصبها دون جديها ، ويسالمها ولا يحاربها ، فكيف وتغذيه في الهواء بها وتحركه بها وسمعه وبصره بها وغذاؤه بها ودواؤه بها وهدها بها وسعادته وفلاحه بها ، وضلاله وشقاؤه بالاعراض عنها وإغائها ، فأساعد الناس في

الدارين أقومهم بالاسباب الموصلة الى مصالحهما ، وأشقاهم في الدارين أشدهم تعطيلاً  
 لاسبابهما ، فالاسباب محل الامر والهي والثواب والعقاب والنجاح والخسران ،  
 وبالاسباب عرف الله ، وبها عبد الله ، وبها اطيع الله ، وبها تقرب اليه المتقربون ،  
 وبها نال أولياؤه رضا وجواره في جنته ، وبها نصرُوا حزه ودينه ، وأقاموا دعوته ،  
 وبها أرسل رسله وشرع شرائعه ، وبها انقسم الناس الى سعيد وشقي ، ومهند وغوي ،  
 فالوقوف معها والالتفات اليها والنظر اليها هو الواجب شرعاً كما هو الواقع قدراً ،  
 ولا تكن من غلط حجابها وكشف طبعه فيقول : لا شئ معها وقوف من يعتقد انها  
 مستقلة بالاحداث والتأثير وانها أرباب من دون الله . فان وجدت أحدا يزعم ذلك  
 أوظن انها أرباب وإله مع الله مستقلة بالايحاده ، أو انها عون الله يحتاج في فعله اليها ،  
 أو انها شركاء له فشأنك به ، ففرق أديمه وتقرب الى الله بعداوته ما استطعت ،  
 والا فما هذا النفي لما أثبتته الله ! والالغاء لما اعتبره ! والاهدار لما حققه ! والخط  
 والوضع لما نصبه ! والحو لما كتبه ! والعزل لما ولاه ! ! فان زعمت انك تعزها عن رتبة  
 الإلهية فسبحان الله ! من ولاها هذه الرتبة حتى تجعل سعيك في عزها عنها  
 وبالله ما أجهل كثيراً من أهل الكلام والتصوف حيث لم يكن عندهم تحقيق  
 التوحيد إلا إلغاءها ومحوها وإهدارها بالكليّة ، وانه لم يجعل الله في المخلوقات قوى  
 ولا طبائع ولا غرائز لها تأثير موجبة ما ، ولا في النار حرارة ولا احراق ، ولا في  
 الدواء قوة مذهبة للداء ، ولا في الخبز قوة مشبعة ، ولا في الماء قوة مروية ، ولا في  
 العين قوة باصرة ، ولا في الانف قوة شامة ، ولا في السم قوة قاتلة ، ولا في الحديد قوة  
 قاطعة ؟ وان الله لم يفعل شيئاً بشي ، ولا فعل شيئاً لاجل شي ، فهذا غاية توحيدهم  
 الذي يحومون حوله ويبالغون في تقريره ، فلعمري الله لقد أضحكوا عليهم العقلاء ،  
 وأشمتوا بهم الاعداء ، ونهجوا لأعداء الرسل طريق إساءة الظن بهم ، وجنوا على  
 الاسلام والقرآن أعظم جناية ، وقالوا نحن أنصار الله ورسوله الموكنون بكسر أعداء  
 الاسلام وأعداء الرسل ، ولعمري الله لقد كسروا الدين وسلطوا عليه المبطلين . وقد  
 قيل « إياك ومصاحبة الجاهل فانه يريد ان ينفعل فيفسرك » قف مع الاسباب  
 حيث أمرت بالوقوف معها ، وفارقها حيث أمرت بمفارقتها ، كما فارقها الخليل وهو في  
 (النار: ج ١٠) (٩٤) (المجلد الثامن عشر)

تلك السفرة من المتجنيق (الى النار) حيث عرض له جبريل أقوى الاسباب، فقال: أألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. ودُر معها حيث دارت ناظرا الى من أزمتهما يديه، والتفت اليها التفات العبد المأمور الى تنفيذ ما أمر به والتحديق نحوه، وارعاها حق رعايتها، ولا تغيب عنها ولا تفن عنها، بل انظر اليها وهي في رتبها التي أنزلها الله إياها، واعلم ان غيبتك بمسبها عنها تقص في عبوديتك، بل الكمال ان تشهد المعبود وتشهد قيامك بعبوديته وتشهد ان قيامك به لا بك ومنه لا منك وبجوله وقوته لا بجواك وقوتك، ومتى خرجت عن ذلك وقعت في الانحرافين لا بد لك من أحدهما: إما أن تغيب بها عن المقصود لذاته لضعف نظرك وغفلتك وقصور علمك ومعرفتك، وإما أن تغيب بالمقصود عنها بحيث لا تلتفت اليها، والكمال أن يسلمك الله من الانحرافين فتبقى عبدا ملاحظا للعبودية ناظرا الى المعبود والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة الا بالله

## حرب أهم المدنية لا الملل الدينية

تسمى الجرائد العربية والأوربية هذه الحرب المشتعلة في أوربة حرب الامم، ولا نرى لها مخالفا في محجة هذه التسمية، فقد أجمع الناس على ان جميع الامم الاوربية المتحاربة موافقة لدولها على الاستمرار على هذه الحرب الى أن يفتى آخر رجل يقدر على استعمال السلاح فيها، وينفق آخر دينار في صناديقها، أو تقهر عدوها قهرا يخضع به لحكمها، ويدعن صاغرا لشروط الصلح التي تضعها حكومتها، ويتقنون لنا ان النساء موافقات للرجال في هذا الامر، وان القسيسين والرهبان والاشتراكيين أيضا متفقون فيه مع رجال الحرب، الا ما تنقله الجرائد آنا بعد أن عن بعض النساء والاشتراكيين في ألمانيا من الرغبة في عقد الصلح كراهة للحرب وأطيما من أوزارها، وأنينا من أهوالها وسوء آثارها، ولعل هذا من قبيل ما كانت تنقله في أول الحرب من كراهة الشعب الألماني كله لها ورغبته عنها، وكون عاهله هو الذي ساقه اليها سوفا، بل دَعَّ اليها دعا، وكنا أول من خالفهم في ذلك على أن المعقول الذي لا يعقل غيره هو أنه يوجد في كل أمة محاربة كثير حتى

من أهل الرأي يكرهون الحرب لذاتها ويتمنون الصلح على علاته، والمعقول أن يكون أكثر هؤلاء الناس من أفراد الحكماء الراسخين ، ومن النساء والاشتراكيين ، ومن المثديين الذين يفهمون ان الديانة المسيحية ديانة سلم وتواضع وزهد في المال والجاه والرياسة والملك — وما أكثر المتعدين اليها على هذا الفهم — فحيث يكثر هؤلاء يكثر الميل الى الصلح ، والجنوح الى السلم ، وان لم تكن الجرائد بنقل أخبار هؤلاء في بلادها وبلاد أحلافها ، لئلا يغتر أعداؤها ويظنون أن أمهم غير متفكة على تأييد حكوماتها ، وهي انما تنقل عن شعوب أعدائها الميل الى الصلح في سياق ذمها بالعجز والضعف ، لا في سياق مدحها بكرهة القسوة والوحشية والافساد في الارض ، واستقباح الطمع المفضي الى اهلاك الحرث والنسل ، ولذلك كانت تقول في أول الحرب ان الشعوب الجرمانية كارهة له مكرهة عليه ، ويوشك أن نخرج على حكومتها وتثور عليها ، ثم رجعوا عن ذلك ووصفوها بضده ، فالجرائد السياسية لا تكتب الا ما يمليه عليها الهوى ، فهي تابعة لمهابة أهوائه تميل معها كيما أمالتها

الا أنها صادقة في قولها ان السواد الاعظم من الامم الأوروبية مؤيد لدولها بما لها ورجاها واجماعها على الاستمرار في الحرب ، الى أن تنال ما ترجون النصر ، وتكون كامتها هي العليا ، وكلمة أعدائها هي السفلى ، فان من يوجد في كل منها من محبي السلم يباعث الدين أو حب الانسانية والميل الى التواضع والقناعة مغلوبون على أمرهم ، ووجودهم لا ينافي ما أجمع عليه الكتاب من أن هذه الحرب هي حرب الامم لا الدول ، فان العبرة بالغالب والنادر لا حكم له ، وقد جرت عادة الناس أن يطلقوا على جملة الامم مافشا فيها وثبت لاكثرها من الاعمال ، أو اتصفت به من الصفات والاخلاق ، ولن تستطيع دولة من دول أوربة الاستمرار على الحرب اذا كان الرأي الغالب في الامم لا يؤيدها ، الآن تكون الدولة الروسية التي ليس لأمتها رأي غالب ومن أعجب ما نقل الينا عن الحكومة الانكليزية — ويحسن عده في هذا المقام من فضائلها التي يجري فيها على عرق — أنها حكمت أخيرا بوجوب التجديد الاجباري على المرأب الا من يرى ذلك مخالفا لوجدانه واعتقاده ، وقد سبق لسلفها مثل ذلك في قانون وجوب التلقيح للوقاية من الجدري ، وهذه الفضيلة مما امتاز به الانكليز

على غيرهم، وهم موافقون فيه لقاعدة من قواعد الاسلام تركها احكام المسلمين منذ قرون ان ما أجمع عليه الناس من تسمية هذه الحرب حرب الامم قد استثنوا منه الامة العثمانية بالنقل ، كما استثنينا منه بعض الافراد من كل أمة بحكم العقل ، فقد قلت الينا بلاغات دول الحلفاء الرسمية، والبرقيات العامة والجزائرية والشرقية، أن الشعب العثماني كاره لهذه الحرب ، بل قالوا مرارا ان السلطان وولي عهده وسائر أهل بيته واكثرو رجال دولته كانوا معارضين فيها ، وما زالوا كارهين لها ، بل قالوا أيضا ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا كذلك ، وان السبب المباشر لا يذنبان دول الاحلاف الدولة بالحرب — وهو اعتداء البارجتين الالمانيتين (غوبن وبرسلو) على ثغور روسية — لم يكن باذن من السلطان ولا الصدر الاعظم ، بل لم يعلما به الا بعد وقوعه ، وقد وعدا سفراء دول الاحلاف بعدم العود الى مثله ، وان أنور باشا ناظر الحرية هو الذي اتفق مع ألمانية على ضم الدولة اليها في هذه الحرب ، فغلب نفوذه على نفوذ غيره من زعماء جمعية بمساعدة الالمان، الذين كان قد وُكل اليهم أمر اصلاح الجيش العثماني بعد حرب البلقان . ولا تزال الجرائد تتحولنا بأخبار كراهة العثمانيين لهذه الحرب في عاصمة الدولة وولاياتها ، وما ياتهمون به لاسقاط الحكومة الاتحادية وانشاء حكومة جديدة تصالح الاحلاف وتتفق معهم ، وبسعي صباح الدين أفندي ابن أخت السلطان الى ذلك واتفاق حزبه أخيرا مع حزب المشير شريف باشا وبعض رجال حزب الحرية والائتلاف على ذلك أنا لم أصدق كل ما نشرته الجرائد في هذا الموضوع وان كان بعضه رسميا، ولا أكذبه كله وان كان سنده ضعيفا وأهيا ، واعتقد ان أهل الحل والعقد من زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا متفقين مع الالمان، وان السواد الاعظم من العثمانيين كاره لهذه الحرب في كل مكان، فهي حرب الدولة التي يتولى ادارتها الاتحاديون، لا حرب الامة العثمانية وان أقرها المبعوثون، فان المبعوثين في هذا العهد لا يمثلون الشعوب العثمانية ولا يمعرون عن رأيها ، بل أكثرهم أئسنة للجمعية الاتحاد والترقي ومظهر لارادتها اذا تمهد هذا فاعلم أيها القارئ أنني لم أقصد به المدح أو الذم للامم المتفقة على الحرب أو المختلفة فيها، ولا التخطيط أو التصويب لموقدي نارها ، وإنما أريد ان أثبت



إنها حرب المدنية الاوربية الحديثة ، لا حرب دينية ولا مذهبية ، وهذه المدنية مادية لا روحية ، دنيوية لا دينية ، وغاية اصحابها ومقصدهم منها هو التمتع بالشهوات البدنية ، والعلو والعظمة في الارض ، والتكاثُر في الاموال وضروب الزينة ، فهي لا تتفق مع شرعة المسيح ( عليه السلام ) في ورد ولا صدر ، ولا تسير في منهاجه في مبدأ ولا غاية ، ولو كان روح المسيحية الحق له سلطان غالب في أوربة لما وقعت هذه الحرب البتة ، كلا ان روح المسيحية مغلوب على أمره لسلطان المدنية المادية ، فوقدوا نار الحرب إما من خلس الماديين ، وإما من متبعي أهوائهم في فهم الدين ، ولكن أهوال الحرب قد أيقظت في جمهور كل أمة منهم شعور الدين ، وكثرفهم من يصلون ويدعون الله ان ينصرهم على أعدائهم ، كما هو شأن البشر في حال الكروب والخطوب ( فاذا غشيتهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر ذاهم يشركون . فاذا أمس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره ، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ) فهل يعتبر بهذه الحرب أولئك الحادعون المدعوون الذين كانوا يعيرون الاديان ، بزعمهم أنها مثار البغي والدوان ، ومسرير نيران الحرب بين الانسان وأخيه الانسان ، وانه لولاها لآخت المدنية بين الناس ، وجمعت بين ما تفرق من الاجناس ؟ كلا إن الحياة المدنية هي التي تولد في النفوس المطامع التي لا حد لها ، وتقرن التنافس بالتحاسد ، وتسوق الحسد الى البغي والتقاتل ، وان الدين ينهي عن ذلك كله ، ولكن الناس كثيرا ما يخطئون في فهمه ، وكثيرا ما يعتمدون تحريف كلمه عن مواضعه ، فهم يسيئون استعماله كما يسيئون استعمال الحواس والعقل وغير ذلك من نعم الله تعالى ، فمن مقاصد الدين إزالة الخلاف من بين الناس فاتخذوه سببا من أسباب الخلاف (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) فالحرب سنة من سنن الاجتماع قد يخفف الدين شرورها بقدر ارتقائه واستمسك أهله به كما نبناه في مقالة نشرناها في الجزء الثالث عنوانها ( حرب المدنية الاوربية ، والمقارنة بينها وبين المدنية الاسلامية والقنوحات العربية )

وليس المدنية المادية مثل هذا التأثير في نفسها ، فان وجد في أمم المدنية من

يقبح الحرب أو يقيح ارتكاب القسوة فيها غيرة على العمران ومحافظة على حقوق البشر غير مهتد في ذلك بترية الدين ولا متأثر بفضائله فهو لا يكون الا كالتاجر الخوأن لا يحجم عن صفقة الا خوفا من الخسارة، فتى غلب على ظنه انه يرجح فيها لا ليالي ما يفعل . اللهم الا الافراد من الحكماء ، الذين رجح العتل والفضيلة في نفوسهم على الاهواء ، كالفيلسوف هررت سبنسر الانكليزي الذي اهدى اليه عاهل الألمان وساما علميا فلم يقبله منه لانه قيصر حرب وهو عدو للحرب ، وإياك ان تظن في هذا الحكيم الكبير انه كان يبغض الالماني بفضاسياسيا لمناظرتهم لقومه فلبس عليهم وعلى الناس بما ادعاه من سبب رفض الوسام ، فكان ذلك من الرياء الفرسى الذي يغمر به الانكليز منتقدوهم كما صرحوا به في هذه الايام<sup>(١)</sup> ، فان هذا الحكيم الكبير قد نصح لليابانيين بأن لا يولوا قومه الانكليز شيئا من شؤون بلادهم ، لان ذلك يكون ذريعة لعبتهم باستقلالهم ، فأني استقلال في الرأي وإخلاص في النصيح أدل على الحكمة والفضيلة من هذا ؟

على ان هذا الفيلسوف لم يكن ماديا بل كان يشكو من انتصار المطامع المادية في البلاد الاوربية — حتى في بلاده — على الفضيلة كما حدثنا عنه شيخنا الاستاذ الامام . وانا نذكر في هذا المقام بعض ما دار بين حكيمي الشرق والغرب في زيارة الاول لثاني بداره في ١٠ اغسطس سنة ١٩٠٣ : بدأ المزور الزائر بسؤاله عما رأى من تغير الافكار في انكلترة وعما دخل الشرق من الافكار الاوربية ، وشكا اليه من سرمان الافكار المادية الى قومه وما يخشى من إضعافها للفضيلة، ثم دار بينهما ما يأتي قال الفيلسوف : الحق عند أوربة للقوة . قال الاستاذ الامام : هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هي التي حملت الشرقيين على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منابها . قال الفيلسوف : محي الحق بالمرّة من عقول أهل أوربة وسترى الامم يحتبط بعضها ببعض ليتبين من هو الاقوى فيكون سلطان العالم .

(١) من الشواهد على هذا ما في مقالة (آراء الاميركيين في الحرب) المنشورة في جزء يناير سنة ١٩١٥ من المقتطف ، وأوضح منه مقالة لكاتب قصصي انكليزي كتبها لصديق له فرنسي ونشرت في المقطم

قال الاستاذ : عندي أمل ان هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادئ الحق يحول دون ذلك . فقال الفيلسوف كلاما يدل على يأسه من ذلك . وقد كتب الاستاذ في مذكرته بعد الإشارة الى هذه المذاكرة مانصه :

« ماذا حركت مني كلمة الفيلسوف « الحق للقوة » الخ ؟ جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل فأثارت حرارة وهاجت فكرا ، لوجعات من ثرثار غيره كانت تأتي متوتلة ببرد التقليد فكانت ( تكون ) جيفة تعافها النفس فلا تحرك الا شهيقا وغيثانا » هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد في راحة الانسان وتوفير راحته وتغزير نعمته ( أعجزهم ) ان يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود اليها ، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد اللامع المضيء ، افلا يقيس لهم ان يجلوا ذلك الصدا الذي غشي الفطرة الانسانية و يصبغوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحاني ؟ حار الفيلسوف في حال أوربا وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء ؟ الرجوع الى الدين الخ الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها الى أربابها في كل زمان لكنهم يعدون فيجهلونها ، اه الظاهر ان الاستاذ كان يريد ان يتوسع في هذا الموضوع كما يشير الى ذلك قوله في مذكرته « الخ » ولعله كان ينتظر فرصة مناسبة للمقام سواء كانت عملية كذه الحرب أو قولية كمال ينشر في الصحف في تفضيل المدنية المادية على المدنية الدينية فيكتب مقالاتا يبين فيه الحق ويزيل فيه الالتباس مؤيدا بالحكمة الصحيحة وشواهد التاريخ ، وقد بينا شيئا من المقابلة بينها وبين المدنية الاسلامية في المقالة التي أشرنا اليها آنفا ان أصحاب النظر والاستقلال من هؤلاء المشاق للمدنية المادية — وقليل ما هم — كانوا يفرقون في حسن الظن بالمدنية المادية وبأهلها إغراقا بعشهم على الجزم بأن فكرة الحرب قد قضي عليها في أوربة قضاء مبرما فلن توقد لها هنالك نار ، وكانوا يقولون : ان وجد من الملوك والرؤساء من يسعى لها سعيها ، ويحاول ان يقدح لها زندها ، فان شعبه هو الذي يضرب على يده ، ويقت في عضده ، وقد كنا نخالف هؤلاء في الرأي ، ومنهم من هو أعلم منا بحال القوم ، ولكن رأيهم في ذلك خالف رأي من هو أعلم منا ومنهم بحال أوربة وفلسفتها . الا وهو شيخ فلاسفتها الاكبر ، هربرت سبنسر

كان أولئك المحسنون للظن ، من ذوي الاستقلال في الرأي ، لا ينكرون كالمقلدين سيئات هذه المدنية المادية ، ولكنهم يقولون إنها إذا قيسَت بسيئات المدنية الدينية كانت أقل منها وأخف ضرراً ، ونحن نخالفهم في هذا أيضاً ، ونقول ما كل سيئات المدنية القديمة صادرة عن الدين والفلسفة الروحية ، وما كل حسنات المدنية الحديثة صادرة عن الاتحاد والفلسفة المادية . ولا تضاد بين العلوم والأعمال المادية ، وبين العقائد والأعمال الدينية ، وإنما نعني بالمدينة المادية المذمومة ما كان مبنيّاً على جهود حياة بعد هذه الحياة الدنياء وحصر ثمرات أعمال البشر في التمتع بالذات الدنيوية من طعام وشراب وفراش وزينة ورياسة — ونعني بالمدينة الدينية ما كان مبنيّاً على أن للإنسان حياتين يجب عليه أن يأخذ حظه من أولاهما الدنيا بالمعروف ويستعد فيها للآخرى بالعمل الصالح ، على حد قوله تعالى ( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين ) فان أصول الدين التي دعا اليها الرسل هي الثلاثة المنصوصة في قوله تعالى ( ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهم أجروهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) من البديهي ان من لم يكن له حظ من وجوده الا التمتع بالذات الدنيا وزينتها لا يكون اهم من حياته الا تحصيل المال والجاه الموصل اليها بحق أو بغير حق ، وان الحق يكون عنده تابعا للقوة دون العكس ، فان وجد في أهل هذه المدنية المادية من يعترف بحق لضعيف قائما يعترف به لمنفعة براعيها ، أو لمفسدة يتقيها ، ولو تنازع أقوياء هؤلاء على الضعفاء لما سلم ضعيف من الايذاء ، وقد كان من المصالح جعل بعض الدول الصغيرة في أوربة حاجزا بين الكبيرة المتعادية منها ، وتعاهدوا على ان تكون حرماً آمناً لا يجنى عليها ، ولكنهم لم يرعوا هذه العهود ولا غيرها عند حاجتهم الى تقضها في هذه الحرب ، والدين لا يبيح ذلك . قال تعالى في العهود بين المسلمين والمشركين ( الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم يتقواكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ) وقال في المؤمنين الذين لم يهاجروا الى النبي ( ص ) ( وان استنصروكم في الدين فعلميكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير )

## الألقاب

بحث لغوي تاريخي في الألقاب الرسمية وغير الرسمية

مفتول من الفصل الثاني من الباب الاول من المقالة الثالثة من الجزء الخامس من كتاب صبح الاعشى وللإكلام فيه طرفان - قال :

الطرف الاول في أصول الألقاب وفيه جملتان

( الجملة الاولى في معنى اللقب والنعت ، وما يجوز منه ويمنع )

أما اللقب فأصله في اللغة التبرز - بفتح الباء ، قال ابن حبيب النعمان في « ذخيرة الكتاب » : والتبرز ما يخاطب به الرجل الرجل من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب إليه من كشفه ، وليس من باب الشتم والقذف

\*\*\*

وأما النعت فأصله في اللغة الصفة . يقال : نعته ينعته نعتاً اذ وصفه . قال في « ذخيرة الكتاب » : وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويؤثوره ويزيد في اجلاله ونباهته ، بخلاف اللقب . قال : لكن العامة استعملت اللقب في موضع النعت الحسن ، وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم اياه ، حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله في التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة في النباهة والتكرمة

قلت : والتحقيق في ذلك أن اللقب والنعت يستعملان في المدح والذم جميعاً فمن الألقاب والنعوت ما هو صفة مدح ومنها ما هو صفة ذم . وقد عرفت النجاة اللقب بأنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالمدح الى المدح كأمير المؤمنين ، وزين العابدين ، والمدح الى الذم كآف الناقة وسعيد كرز وما أشبه ذلك ؛ والنعت تارة يكون صفة مدح ، وتارة يكون صفة ذم ، ولا شك أن المراد هنا من اللقب والنعت ما أدى الى المدح دون الذم . وقد اصطلاح الكتاب على أن سمو صفات المدح التي يوردونها في صدور المكاتب ونحوها بصيغة الافراد كالامير والاميري

والاجل والالجي والكبير والكبير. ونحو ذلك ألقابا . وصفات المدح التي يوردونها على صورة التركيب ، كسيف أمير المؤمنين وظهر الملوك والسلطين ، ونحو ذلك نعوتها . ولا معنى لتخصيص كل واحد منها بالاسم الذي سموه به الا مجرد الاصطلاح ، ولا نزاع في اطلاق اللقب والنعت عليها باعتبارين : فمن حيث انها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليها اسم اللقب ، ومن حيث انها صفات لذوات قائمة بها يطلق عليها اسم النعت

\*\*\*

وأما ما يجوز من ذلك ويمتنع ، فلجائز منه ما أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره ، بل وبما استحب ، كما صرح به النووي في «الاذكار» للإطباقي على استعماله قديما وحديثا . والممتنع منه ما أدى الى الذم والقبضة مما يكرهه الإنسان ولا يجب نسبته اليه ، قال النووي : وهو حرام بالاتفاق ، سواء كان صفة له ، كالاعمش ، والالجل ، والاعمى ، والاحول ، والابرص ، والاشج ، والاصفر ، والاحدب ، والاصم ، والازرق ، والاشتر ، والاثرم ، والاقطع ، والزمن ، والمقعده ، والاشل ، وما أشبه ذلك ؛ أو كان صفة لأبيه : كابن الاعمى ، أو لأمه : كابن الصوراء ونحو ذلك مما يكرهه قال تعالى (ولا تبارزوا بالألقاب بئس الاسمُ الفسوقُ بعد الايمان) قال : وافتقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه الا بذلك ، ودلائل ذكره كثيرة مشهورة ، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها النية

### الجملة الثانية في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية الى المدح

واعلم أن القاب المدح ونعوتها لم تزل واقعة على أشرف الناس وجلة الخلق في القديم والحديث ، فقد ثبت تلقيب ابراهيم عليه السلام بـ«الخليل» وتلقيب موسى عليه السلام بـ«الكليم» وتلقيب عيسى عليه السلام بـ«المسيح» وتلقيب يونس عليه السلام بـ«ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ«الامين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية : كذي يزن ، وذو المنارة ، وذو نواس ، وذو رعين ، وذو جبن ، وغيرهم مما هو مشهور شائع .

وكذلك وقعت ألقاب المدح على كثير من عظماء الاسلام واشرافه كالصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم ؛ فكان لقب أبي بكر « عتيقا » ثم لقب بـ « الصديق » بعد ذلك ، ولقب عمر « الفاروق » ولقب عثمان « ذا النورين » ولقب علي « حيدرة » ولقب حمزة بن عبد المطلب « أسد الله » ولقب خالد بن الوليد « سيف الله » ولقب عمرو<sup>(١)</sup> بن عمرو « ذا الدين » ولقب مالك بن النسيان الانصاري « ذا السيفين » ولقب خزيمعة بن ثابت الانصاري « ذا الشهادتين » ولقب جعفر بن أبي طالب بعد اسنشاده « ذا الجناحين »

وأما الخلفاء ، فخلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم ، فلما صارت الخلافة الى بني العباس وأخذت البيعة لابراهيم بن محمد لقب بـ « الامام » ثم تلقب من بعده من خلفائهم : فتلقب محمد بن علي بـ « السفاح » لكثرة ماسفح من دماء بني أمية. واختلف في لقبه بالخلافة ، فقبل « القائم » وقيل « المهدي » وقيل « المرتضى » وألقاب الخلفاء بعده والى زماننا معروفة مشهورة على ما ذكره في المقالة الثانية. وعلى ذلك كانت القاب لخلفاء بني أمية بالاندلس الى حين اقرضهم على ما هو مذكور في مكاتبة صاحب الاندلس ، على ما سيأتي في المكاتبات في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى ثم تعدت ألقاب الخلافة الى كثير من ملوك الغرب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء في الاقطاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك ، فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بـ « وزير آل محمد » ولقب المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان « الاخ في الله » ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره « ذا الكفائتين » ولقب أخاه الحسن بن سهل « ذا الرياستين » ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد ابن مخلد « ذا الوزارتين » اشارة الى وزارة المعتمد والموفق ، وكان لقب اسماعيل ابن بلبل الشكور « الناصر لدين الله » كألقاب الخلفاء

وكذلك وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش ، فتلقب أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة بـ « أمير آل محمد » ، وقيل « سيف آل محمد » وتلقب أبو الطيب طاهر بن الحسين بـ « ذي اليمينين » ولقب المعتمد بالله حيدر (١) في كتب اللغة والحديث ان اسمه الخرباق فلعل فيه خلافا

ابن كاوس بـ «الافشين» لانه أشروسني ، والافشين لقب على الملك بأشروسنة .  
 ولقب اسحاق بن كيداح أيام المعتضد بـ «ذي السيفين» ولقب مؤنس في أيام  
 المعتذر بـ «المظفر» ولقب سلامة أخو نوح أيام القاهر بـ «المؤمن» ولقب أبو بكر  
 ابن محمد بن طنجج<sup>(١)</sup> الرازي بالله بـ «الاشيد» والاشيد لقب على الملك بفرغانة  
 ثم وقع التلقب بالاضافة الى الدولة في أيام المكتفي بالله ، فلقب المكتفي  
 أبا الحسين<sup>(٢)</sup> بن القاسم بن عبيد الله « ولي الدولة » وهو أول من لقب بالاضافة  
 الى الدولة ، ولقب المعتذر بالله علي بن أبي الحسين<sup>(٣)</sup> المتقدم ذكره « عميد الدولة »  
 ووافقت الدولة البويهية أيام المطيع لله والامر جاز على التلقب بالاضافة للدولة  
 فافتتحت ألقاب الملوك بالاضافة الى الدولة ، فكان أول من لقب بذلك من الملوك  
 بنو بويه الثلاثة : فلقب أبو الحسن علي بن بويه بـ «عماد الدولة» ولقب أخوه  
 أبو علي الحسن بـ «ركن الدولة» وأخوها أبو الحسين بـ «معز الدولة» ثم وافى  
 [عضد الدولة] من بعدهم فاقترح أن يلقب بـ «تاج الدولة» فلم يجب اليه وعدل  
 به الى «عضد الدولة» فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك ، اختاره أبو اسحق  
 الصابي صاحب ديوان الانشاء « تاج الملة » مضافا الى عضد الدولة ، فكان يقال  
 « عضد الدولة وتاج الملة » ولقب أبو محمد الحسن بن حمدان أيام المتقي لله  
 « ناصر الدولة » ولقب أخوه أبو الحسن علي بن حمدان « سيف الدولة »

وبقي الامر على التلقب بالاضافة الى الدولة الى أيام القادر بالله فافتتحت التلقب  
 بالاضافة الى الدين . وكان أول من لقب بالاضافة اليه أبو نصر بهاء الدولة بن  
 عضد الدولة بن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة « نظام الدين » فكان يقال  
 « بهاء الدولة ونظام الدين » قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقب به وأفرطه ،  
 حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكرد ، وسائر من طلب وأراد ،  
 وكره (?) حتى صار لقباً على الاصل . ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد حتى  
 تعاطاه أهل الاسواق ومن في معانهم ، ولم تصر به ميزة لكبير على صغير ، حتى قال قائلهم

(١) معنى طنجج عبيد الرحمن كما في ابن خلكان (٢) لم يذكر في الضوء لفظ  
 الادب في الحلين



طلع الدين مستغيثا الى الله وقال : العباد قد ظلموني :

ينسبون بي ، وحقت لا أعرف منهم شخصا ولا يعرفوني !

أما الديار المصرية فكان جريهم في الألقاب على ما ينتهي اليهم خبره من ألقاب الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو القاب خلفاء بني العباس ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله » وعلى ذلك الى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية

وتلقب وزرائهم وكتابهم بالإضافة الى الدولة ، ومن لقب بذلك في دولتهم [ ولي الدولة ] بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضا [ ولي الدولة ] بن خيران كاتب الانشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » . ثم تلقب الوزراء بعده بنحو [ الافضل ] و [ المأمون ] . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ، كـ « الملك الافضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ماسأني بيانه ان شاء الله تعالى وكان الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية الى أثناء الدولة الايوبية يلقبون بـ « الفاضل والشيد والعماد » وما أشبه ذلك . ثم دخلوا في عموم التلقب بالإضافة الى الدين ، واختص التلقب بالإضافة الى الدولة كولي الدولة بكتاب النصارى ، والامر على ذلك الى الآن

الطرف الثاني في بيان معاني الألقاب وفيه تسع مجل

الجملة الاولى في الألقاب الخاصة بآرباب الوظائف المتعبرة التي بها انتظام أمور المملكة وقوامها ، وهي قسمان ( القسم الاول ) الألقاب الاسلامية وهي نوعان : ( النوع الاول ) الألقاب القديمة المتداولة الحكم الى زماننا ، وهي صنفان :

الصنف الاول ألقاب آرباب السيوف ، وهي سبعة ألقاب

الاول — الخليفة . وهو لقب على الزعيم الاعظم القائم بأمر الأمة ، وقد اختلف في معناه ، فقيل : انه فعل بمعنى مفعول ، كجرح بمعنى مجروح ، وقيل بمعنى مقتول ويكون المعنى انه يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى ( اني جاعل في الارض

خليفة) على قول من قال: ان آدم عليه السلام أول من عمر الأرض وخلفه بنوه من بعده. وقيل: فصيل بمعنى فاعل، ويكون المراد أن يخلف من بعده<sup>(١)</sup> وعليه حمل الآية من قال انه كان قبله في الأرض الجن وانه خلفهم فيها، واختاره النحاس في [مناعة الكتاب] وعابه اقتصر البغوي في [شرح السنة] والماوردي في «الاحكام الساطانية» قال النحاس: وعليه خطوب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله وقد أجازوا أن يقال في الخليفة: خليفة رسول الله، لانه خلفه في أمته. واختلفوا هل يجوز أن يقال فيه خليفة الله؟ يجوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلفه محتجين بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت والله تعالى باق موجود الى الابد لا يغيب ولا يموت، ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روي أنه قيل لابي بكر رضي الله عنه: يا خليفة الله. فقال: لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله. وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله -- فقال: ويلك! لقد تناولت متاولا بعيدا! ان أمي سمعتي عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت، ثم كبرت فكشيت أبا حفص، فلو دعوتني به قبلت، ثم وليتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين، فلو دعوتني به كفأك. وخص البغوي جواز اطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام، محتجا بقوله تعالى في حق آدم (انني جعلك في الأرض خليفة) وقوله في حق داود (ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض) ثم قال: ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما. قال في [شرح السنة] ويسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل اطلاق اسم الخليفة على بعد خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره، محتجين بحديث «الخلافة بعدي ثلاثون» يعني ثلاثين سنة، وكان تقضاء الثلاثين بانقضاء خلافة الحسن. ولما انقضت الخلافة صارت ملكا. قال المعافى بن اسماعيل في تفسيره: وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان عن الترقى بين الخليفة والملك -- فقال طلحة والزبير: لا ندرهم. فقال

(١) شيئا في القصة أيضا ولي العهد الآخر. وأما ظهر من قبله

سلمان : الخليفة الذي يعدل في الرعية ، ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ، ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت أحسب أن في هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله أعلم سلمان حكما وعلمًا

واختلف في الهاء في آخره : فقيل أدخلت فيه للمبالغة كما أدخلت في رجل داهية وراوية وعلامة ونسابة وهو قول الفراء ، واستحسنه النحاس ناقلا له عن أكثر النحويين ، وخطأه علي بن سلمان محتجا بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقيا . وقيل : الهاء فيه لتأنيث الصيغة . قال النحاس : وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا « فلان خليف فلان » ينعون خليفته

ثم الأصل فيه التذكير نظرا لأنه منى لأن المراد بالخليفة رجل وهو مذكر ، فيقال أمر الخليفة بكذا على التذكير . وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة فيقال أمرت الخليفة بكذا ، وأشد الفراء : « أبوك خليفة ولده أخرى »

ومنه البصريون محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز [قالت طلحة] في رجل اسمه طلحة وهو متمتع . فإن ظهر اسم الخليفة تميز التذكير باتفاق فتقول قال أبو جعفر الخليفة أو : قال الراضي الخليفة ونحو ذلك . ويجمع على خلفاء ككريم وكرماء وعليه ورد قوله تعالى ( واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ) وعلى خلاف كصحيفة وصحائف ، وعليه جاء قوله تعالى ( وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ) والنسبة إليه خلفي كما ينسب إلى حنيفة حنفي . وقول العامة درهم خليقي ونحوه خطأ ، إذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب إليه الياء وهاء التأنيث على ما هو مقرر في علم النحو . ومنهم في ذلك المقر الشامي بن فضل الله رحمه الله في كتابه [التعريف] حيث قال : وأول ما نبدأ بالمسكوبة إلى الأبواب الشريفة الخليفة ، ولله سبق قلم منه ، والا فالله أعلم من أن يجعلها أو تخفى عليه

الثاني - الملك . وهو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة ، وقد نطق القرآن بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى ( إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ) وقال الملك اثنتي به ( إلى غير ذلك من الآيات . ويقال فيه ملك بكسر اللام

وملك باسكانها ومليك بزياة ياء ، ومنه قوله تعالى ( عند ملك مقتدر ) قول الجوهري : والملك مقصور من مالك أو مليك ، ويجمع على ملوك وأملاك . ويقال لموضع الملك المملكة

الثالث - السلطان . وهو اسم خاص في العرف العام بالملوك . ويقال : ان أول من لقب به [ خالد بن برمك ] وزير الرشيد ، لقبه به الرشيد تعظيما له ، ثم اقتطع اللقب به الى أيام بني بويه فلقب به ملوكهم فن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم وهلم جرا الى زماننا

وأصله في اللغة الحجة قال تعالى ( وما كان له عليهم من سلطان ) يعني من حجة . وسمي السلطان بذلك لانه حجة على الرعية يجب عليهم الاتقياد اليه

واختلف في اشتقاقه : فقيل انه مشتق من السلاطة وهي القهر والغلبة ، لقهره الرعية واتقيادهم له ، وقيل مشتق من السليط ، وهو الشرج في لغة أهل اليمن لانه يستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسان سليط أي حاد ماض لمضي أمره ونفذه . وقال محمد بن يزيد البصري : السلطان جمع واحد سليط كقفيز وقفران ، وبعر وبران

وحكى صاحب [ ذخيرة الكتاب ] أنه يكون واحدا ويكون جمعا ، ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجة . وحكى الكسائي واغراء على التأنيث عن بعض العرب : قضت به عليك السلطان . قال العسكري في كتابه [ الفروق ] في اللغة : والفرق بينه وبين الملك أن الملك يختص بالزعيم الاعظم ، والسلطان يطلق عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عرف الفقهاء في كتبهم ، اذ يطلقونه على الحاكم من حيث هو حتى على القضاة فيقولون فيمن ليس لها ولي خاص يزوجه السلطان ونحو ذلك . ومن حيث أن السلطان أعم من الملك يقدم عليه في قولهم السلطان الملك الفلاني ، ليقع السلطان أولا على الملك وعلى غيره ثم يخرج غير الملك بعد ذلك بذكر الملك

الرابع - الوزير . وهو المتحدث للملك في أمر مملكته . واختلف في اشتقاقه : فقيل مشتق من الوزر بفتح الواو والزازي وهو الملجأ ومنه قوله تعالى ( كلا لا وزر )

سمي بذلك لان الرعية يلجئون اليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الاوزار وهي الامتعة ، ومنه قوله تعالى ( ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم ) سمي بذلك لانه متقلد بخزائن الملك وأمتعته ، وقيل مشتق من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو القتل ، ومنه قوله تعالى ( حتى تضع الحرب أوزارها ) سمي بذلك لانه يتحمل أفعال الملك ، وقيل مشتق من الازر : وهو الظهر ، سمي بذلك لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر . وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وقد أوضحت القول في ذلك في [ النفحات النثرية في الوزارة البدرية ] قال القاضي في [ عيون المعارف في أخبار الخلفاء ] وأول من لقب بالوزارة في الاسلام أبو سلمة حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح . قال : وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب . ثم هو إما وزير تفويض : وهو الذي يفوض الامام اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من اذن وزارة بدر الجمالي والى حين انقراضها ، واما وزير تنفيذ : وهو الذي يكون وسيطا بين الامام والرعابا معتمدا على رأي الامام وتديره . وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة . أما الوزارة في زماننا فقد تقاصرت عن ذلك كله حتى لم يبق منها الا الاسم دون الرسم . ولم تزل الوزارة في الدول تتردد بين أرباب السيوف والاقلام تارة وتارة الا أنها في زماننا في أرباب الاقلام

الخامس — الامير . وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يوليه الامام وأصله في اللغة ذو الامر وهو فاعيل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى آمر ، سمي بذلك لامثال قومه أمره . يقال : أمر فلان . اذا صار أميرا ، والمصدر الامر والامارة بالكسر فيها ، والتأثير تولية الامير ، وهي وظيفة قديمة

السادس — الحاجب . وهو في أصل الوضع عبارة عن يبلغ الاخبار من الرعية الى الامام يأخذ لهم الاذن منه ، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت لا تبدأ الخلافة فقد ذكر القاضي في [ عيون المعارف ] لكل خليفة حاجبا من ابتداء الامر والى زمانه : فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضي الله عنه « شديدا »

( النار: ج ١٠ ) ( ٩٦ ) ( المجلد الثامن عشر )

مولاه ، وحاجب عمر « يرفاً » مولاه ، وحاجب عثمان « حوران » مولاه ، وحاجب علي « قنبرا » مولاه ، وعلى ذلك في كل خليفة ، ماعدا الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا ، وسمي الحاجب بذلك لأنه يحبب الخليفة أو الملك ممن يدخل اليه بغير إذن . قال زياد لحاجبه « وليتك حاجبي وعزيتك عن أربع : هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح فلا تعوجه عني ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل فلا تصعبه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء في تلك الساعة ، ورسول الثغر فإنه ان أبطأ ساعة أفسد على سنة ، فأدخله عليّ وإن كنت في لحافي ، وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد »

ثم تصرف الناس في هذا اللقب ووضعوه في غير موضعه ، حتى كان في أعقاب خلافة بني أمية بالاندلس ربما أطلق على من قام مقام الخليفة في الامر ، وكانوا في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يعبرون عنه بصاحب الباب كما سبق بيانه في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب دولتهم . أما في زماننا فإنه عبارة عن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواعيد ، ليلغ ضرورات الرعية اليه ، ويركب أمامه بعضا في يده ، ويتصدى لفصل المظالم بين المتداهين خصوصا فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الامور الديوانية ونحوها . وله ببلاد المغرب والاندلس أوضاع تخصه في القديم والحديث ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكاتباتهم في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

السابع — صاحب الشرطة . بضم الشين المعجمة واسكان الراء : وهو المعبّر عنه في زماننا بالوالي ، وتجمع الشرطة على شرط بضم الشين المعجمة وفتح الراء . وفي اشتقاقه قولان : أحدهما انه مشتق من الشرط بفتح الشين والراء وهي العلامة لانهم يجمعون لانفسهم علامات يعرفون بها ، ومنه أشرط الساعة يعني علاماتها ، وقيل من الشرط بالفتح أيضا : وهو رُذال المال ، لانهم يتحدثون في أرادل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص ونحوهم .

## دَارُ الدُّعْوَةِ وَالْإِسْتِشَارَةِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٢

### الهيضة - أو الكوليرا Cholera

داء وبيل ، سريع الانتشار ، وأوبته تفنك بالأم فتكا ذريعا  
وكلمة كوليرا من كلمة يونانية معناها المِرَّة ( وهي إفراز الكبد المعروف الآن  
بالصفراء ) لأن القيء والبراز يشتملان في أول الأمر على الصفراء ، ويسمى هذا  
المرض باللغة العربية [ الهيضة ] ويسميه المتأخرون من العرب [ الهواة الأصغر ]  
لأنهم توهوا أنه ينشأ من تغير في الجو أو الهواء  
ومنع هذا الداء بلاد الهند بأسية ولذلك يسمى بالهيضة الآسيوية ومنها انتشر  
في أقطار المسكونة ، وقد دخل مصر عدة مرات

الأسباب — لهذا المرض ميكروب خاص يشبه الضمة اكتشفه ( كوخ ) سنة  
١٨٨٣ وهو لا يصيب عادة غير الإنسان . طول هذا الميكروب [ ميكرون ] واحد أو  
اثنان . وقد يجتمع منه اثنان فأكثر فيتألف منها حلزون ، وهو متحرك وله هذب  
واحد غالبا في أحد طرفيه ولا حبيبات له وإنما يتوالد بالانقسام

يوجد هذا الميكروب في براز المصابين وقد يوجد أحيانا في القيء أيضا ولا  
يوجد في الدم ولا في الأعضاء ولا الانسجة وقد يستمر خروجه مع البراز حتى بعد  
الشفاء بمدة ، وهو يسكن في الأمعاء وأغشيتها المخاطية . وبعد الوفاة قد يوجد في جميع  
أجزاء الجسم لأنه يتغذى من الأمعاء إليها

يعيش هذا الميكروب في الهواء ، وفي غيره ، والجفاف التام يقتله . وقد يعيش في الطين الرطب الى ٦٨ يوما ، وفي ماء الشرب عدة أشهر ، وفي البراز عدة أسابيع وحامض العصير الممدى يقتله ، ولكن هذا العصير لا يفرز إلا مع وجود الطعام فاذا شرب الانسان ماءً على الجوع خيف عليه العدوى لعدم وجود هذا الحامض حينئذ فيصل الميكروب الى الامعاء . وأمراض الجهاز الهضمي أو اضطراباته تهيئ المرو لقبول العدوى به

ولا يميز هذا الداء بين الذكر والأنثى ويصيب الناس في جميع الأعمار . والفاقة والضعف والادمان على الخمر مما يهيئ له وكذلك الافراط في الطعام الكثير . ويكثر انتشاره في فصلي الخريف والصيف ، ولكن البرد يوقف سيره والاصابة به مرة تحمى غالبا من الاصابة به ثانية

ولا يصل هذا الداء الى الانسان الا بطريق القناة الهضمية فهو في ذلك كالحمى التيفودية سواءً بسواء . ومما ينقله الى الطعام أو الشراب الذباب والنمل وغيرها الاعراض — مدة التفريخ هي يومان عادة أو ثلاثة أيام ، وقد تكون أكثر من ذلك أو أقل

وقد يسبق جميع الاعراض إسهال أو يصاب المرء ببحول وصداع ودوار وطنين وغير ذلك ، وتستمر هذه الحالة يوما أو اثنين أو ثلاثة ثم يشتد الاسهال دفعة واحدة وتزول الصفراء من البراز فيصير لونه كحساء الارز (أي مرق الارز المنقلى) وتسمع في بطن المصاب قراقرق كثيرة قلما يكون معها ألم . وبعد الاسهال بساعة أو أكثر يتبدى القيء فلا يبقى في المعدة شيء ، ويصبر لونه كالون البراز أي كحساء الارز أيضا ، ويشتد العطش ويحف اللسان ويبيض ويتألم المريض من جس معدته ويصاب بتقلص مؤلم جدا في عضلات الساقين والقدمين أو الايدي والجزع (أي باقي الجسم) ثم يصاب المرء بالهمود (الهبوط) فيبرد الجسم ويزرق ، وتنفور العينان ، ويبرد النفس وتخفض الحرارة ويسرع النبض ويضعف جدا ولا يقدر المريض على الكلام ويوزل الاسهال غالبا ولكن القيء يستمر ، ويقل افراز البول أو ينقطع مطلقا لشدة ضعف الدورة الدموية ولتقص مائية الجسم بالقيء والاسهال . وكثيرا ما يموت المصاب في هذا الطور



فاذا جاوزه ترتفع الحرارة تدريجيا ويعود لون الجلد الى أصله وترتفع العينان بعد النفور ويتحسن النبض ويفرز البول ويزول الخطر شيئا فشيئا حتى يشفى المريض المضاعفات والمواقب كثيرة — منها: الالتهاب الرئوي أو اليلوراي وموت بعض الاجزاء (غفرينا) وسقوطها كالصفن والقضيب أو الأنف، وظلمة القرنية وتقرحها الانذار — تختلف الوفيات من ٤٠ — ٦٠ في المئة. والمرض شديد الخطر على الصغار والشيوخ ومن كان ضعيف البنية أو سكريا المعالجة — عند ظهور أعراض المرض الأولى تعطى الادوية الفابضة وأحسنها الأفيون

فاذا اشتد الاسهال والقيء وألم الساقين حقن المريض بالمورفين<sup>(١)</sup> تحت الجلد وأعطى قطعا صغيرة من الثلج لمصها أما في طور المهبوط فيعطى المنعشات المنبهة وما يملأ العروق مما سبق ذكره في باب النزف (صفحة ٥٥ من الجزء الاول) إما حقنا تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة وإما شرابا، ويدفأ تدفئة جيدة بزجاجات الماء الساخن والاعطية الثقيلة وبالدلك للاطراف

وقد وجد الماجور [ليونارد روجس Leonard Rogers] أن الحقن بمحلول ملحي في الاوردة واعطاء البرمنجنات من الفم قد قلل الوفيات الى ٢٣ في المئة. وفائدة هذا الحقن أن يزيل الهمود ويقوى القلب ويعوض الجسم ما فقده من الاملاح. وأما البرمنجنات فيظن أنها تؤكسد سموم ميكروب الكوليرا وبذلك تبطل عملها. وتركيب هذا المحلول الملحي هو ١٢٠ قنحة من ملح الطعام و ٦ قنحات من كلوريد البوتاسيوم و ٦ قنحات من كلوريد الكلسيوم، تذاب كلها في نصف لتر من الماء العقيم ثم يحقن منها نحو لترين في أجد أوردة الذراع (أعني عرق الباسليق الاوسط وهو الاكل بالعرية) وتكفي عادة حقنة واحدة. فاذا عاد الهمود عدنا باخرى، ولكن اذا كان الهمود قليلا فالاولى الحقن تحت الجلد. وتكون حرارة الحقنة

(١) هو أهم الاصول الفعالة في الأفيون، سمي بذلك من كلمة يونانية معناها «إله الاحلام» لانه يحدث نوما مريحا، وأحلاما لذيدة

أعلى بقليل جدا من حرارة الجسم الطبيعية  
أما طريقة إعطاء البرمنجات فهي أن يشرب المريض مقادير قليلة من محلول  
برمنجات الكلسيوم بنسبة نصف قحمة في كل ٥٠٠ جرام ماء وتزاد هذه النسبة  
تدرجيا الى ٤ أو ٦ قححات

الوقاية — خير من العلاج ، وتكون بأمور :

(١) عزل المرضى وتطهير مواد قيئهم وبرازهم وسائر ما يستعملونه من ملابس  
وأية وفراش الخ ، وإلقاء تلك المواد حيث نأمن تلويثها لأي شيء آخر  
(٢) غسل الأيدي قبل مس أي طعام وتطهير جميع ما يأكله الأصحاء أو  
يشربونه أو يستعملونه في ذلك كله من أواني وغيرها بالغلي وخصوصا ماء الشرب  
فيجب غليه دائما ، ويجب تجنب التخمر وكل ما يفسد الهضم  
(٣) إبادة الذباب والنمل ومنعهما من الوصول الى مغرقات المرضى ثم الى  
طعام الأصحاء وشرايهم

(٤) عدم أكل شيء غير مطبوخ في زمن الوباء

(٥) عدم الإذن للناقلين بالاختلاط بغيرهم الا بعد خلوة مغرقاتهم من  
الميكروب بأن يعلم ذلك بالبحث البكتيريولوجي الدقيق ، وبعد ذلك يستحمون  
وتغلى ملابسهم ويلبسون غيرها جديدا . وكذلك يبحث عن [ الحاملة للأصحاء ]  
وهم الذين خالطوا بعض المرضى فوصل الميكروب الى أمعائهم ولم يصابوا بالمرض ،  
فهؤلاء يعزلون وتطهر مغرقاتهم حتى تخلو من الميكروب

(٦) أن تدفن الموتى بعيدا جدا عن الأماكن المسكونة بشرط أن لا يتلوث بمجثهم  
ماء الشرب أو غيره ، ويفتسل [ المفضل ] ويظهر يديه بالمحاليل المطهرة ، وكذلك  
تطهر ملابسه بالغلي

هذا ويرى بعض أئمة الدين وجوب الغسل بعد تغسيل الميت لما روي عن  
النبي (ص) أنه قال « من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ » ولعل المراد بالوضوء  
هنا غسل اليدين كما في قوله (ص) « الوضوء قبل الطعام حسنة وبعد الطعام حسنتان »  
وهذا كله مما يوافق قواعد الصحة كل الموافقة . ومثل [ المفضل ] كل من قام بدفن

الميت أو تمر يرضه قبل الوفاة فيجب عليه غسل يديه خصوصاً قبل أكله  
(٧) يعمل التلقيح الواقي لمن شاء بميكروبات الكوليرا حسب طريقة هافكين  
[Haffkine] فيحقن أولاً سنتيمتر مكعب وبعد أربعة أيام أو خمسة يحقن غيره  
أقوى منه . ويصاب الانسان بعد الحقن بصداع وحمى وأحطاط مدة ثلاثة أيام  
أو أربعة عقب كل حقنة منهما . وما قيل في عيب الحقن الواقي من التيفود يقال  
مثله هنا أيضاً

### الكزاز — التيتانوس Tetanus

التيتانوس كلمة يونانية معناها التشنج أو التقلص وهو اسم داء يسمى بالعربية  
[الكزاز]

ينشأ هذا الداء من باسيل مخصوص يوجد في الطين وغيره كأوساخ الحدائق  
والاسطبلات ، طوله ٤ الى ٥ ميكرونات وفخذه ٤ و ٥ . من الميكرون وله أهداب ،  
غير أنه قليل الحركة . ولا ينمي في جو فيه أثر من الأكسجين الخالص . ويتكون  
في داخله حبيبات عند أحد طرفيه وهي كروية الشكل وأغظ منه حتى شبه العلماء  
هذا الميكروب عند تكون الحبيبة بمطرقة الطبل

الاسباب — يصيب هذا المرض الانسان في جميع الاعمار حتى الاطفال الرضع  
عقب ولادتهم بقليل . وهو كثير الحصول في البلاد الحارة . والجنس الأسود أو  
الأسمر أكثر عرضة له من غيرها . وأهم سبب لدخول الميكروب في الجسم إنما  
هو الجرح أو السحج صغيراً كان أو كبيراً حتى ولو كان كوخز الابرّة  
أما إصابة الاطفال الرضع به فسيبها الغالب قذارة ما يقطع به الحبل السري ،  
أو تعرض السرة لشيء قذر

وقد يصيب بعض الناس بدون أن تشاهد في أجسامهم إصابة ، ولعل السبب  
في ذلك دخول الميكروب من سحج بسيط جداً لم يلتفت إليه أحد أو دخوله من  
بعض الأغشية المخاطية فقد شاهد بعض الباحثين حبيباته في رجيع الانسان وفي رجيع  
الانعام ولحليل وغيرها . والانسان ولحليل أكثر الحيوانات إصابة به

وإذا دخل الميكروب من الجرح عاش حيث دخل مدة قصيرة ومات بعد بضعة أيام. وهو لا ينتشر في البنية البتة ، وغاية ما يمكنه الوصول اليه هو بعض الغدد المفاوية القريبة من الجرح . وجميع الاعراض إنما تنشأ من امتصاص سمومه. وحييات هذا الميكروب تعيش عدة سنين ولو جفت وتقاوم درجة ٨٠° ستجrad مدة ساعة ولكن درجة الغليان تقتلها بعد خمس دقائق وحامض الفنيك بنسبة ١/١٠ يهلك هذه الحبيبات في أقل من ١٥ ساعة ولذلك يجب تطهير الآلات الجراحية بالغلي مدة طويلة حتى يؤمن شربه ، فقد شوهد كثرة الاصابة بهذا الداء بعد عمل الخزام أو عقب الحقن تحت الجلد أو في العضلات خصوصا بمادة الكيتين لتأثير هذه المادة في كريات الدم البيضاء واعاقها عن قتل هذا الميكروب فيجد بيئة صالحة لنموه لا سيما وان الاكسجين الخالص غير موجود في تلك البيئة

وسكان جزائر سليمان في المحيط الاعظم في الشمال الشرقي من استراليا قد عرفوا شيئا من هذه الحقائق ، فلذلك يصنعون سهاما ويغمسون طرفها في مادة لزجة ثم يلوثونها بقذارة المستنقعات ويجففونها فتوجد فيها بذور هذا الميكروب اللعين فاذا أصابت شخصا كانت السبب في موته غالبا

الاعراض — بعد دخول هذا الميكروب في الجرح يبضعة أيام يشعر المريض بيبس في قفاه وفي فكيه بحيث يتعسر عليه المضغ أو أن يفتح فاه وقد تستمر هذه الحال يوما أو يومين ، وقد ينتقل الى الطور الثاني بأسرع من ذلك ، فتيبس عضلات الجذع ييبسا شديدا وتيبس عضلات الاطراف ييبسا قليلا ثم يشتد تيبس الظهر وانقباض عضلاته حتى يتقوس ويكون تعبيره الى الخلف ، وتيبس كذلك عضلات البطن والصدر — حتى يتعسر التنفس — وعضلات الاطراف السفلى ، وأما الاطراف العليا فيكون تيبسها حول الكتفين والمرفقين وتبقى حركة الاصابع ميسورة. وفي هذا الوقت يشتد تقلص الفكين حتى لا يمكن فتحها الا بشق الانف ، ومع ذلك لا يمكن الفصل بينها بأكثر من ١/٤ بوصة . وتقلص كذلك عضلات الوجه حتى ينشأ من تقلصها ما يشبه الضحك ، ويسمى هذا الضحك المؤلم عند الاطباء [ ضحك سردينية ] وهي تلك الجزيرة المشهورة في البحر الابيض المتوسط لوجود

عشب سام فيها يذهب العقل ويحدث تشنجا في عضلات الفم يشبه الضحك فإذا وصل المرض الى هذا الحد صار المريض عرضة لاشتداد تقلص العضلات كلما سه أي شيء ولو أطراف الاصابع أو كلما هز سريره . ومدة اشتداد هذا التقلص لحظات يتعسر عدها بالثواني وفيها يخشى عليه من الاختناق . والفترات بين هذه التوب تكون من نصف ساعة الى ساعة أو أكثر وكلما طال المرض نقصت وازدادت شدة التقلصات . ويكون المريض في تلك الفترات متألما جدا من انقباض عضلاته ، ويكون تنفسه عسيرا ، وصوته ضعيفا ، وبضيه صغيرا سريريا ، ولكن حرارته تكون عادة طبيعية غير انها قد ترتفع ارتفاعا فاحشا قبيل الوفاة ، وتستمر في الارتفاع حتى بعد الوفاة فتصل الى أكثر من ٤٣ درجة ويحتبس البول أيضا . ويكون احساس المريض طول مدة المرض على أمه وكذلك عقله الا قبيل الوفاة فقد يعتريه الهذيان وأكثير اصابات الكزاز (التيتانوس) تنتهي بالوفاة بعد يوم أو ١٢ يوما . وسبب الموت اما نهاكة قوى المريض أو اختناقه لتشنج عضلات التنفس أو الحنجرة أو طرؤه بعض المضاعفات عليه كالاتهاب الرئوي أو الشعبي . وقد تطول الحياة الى ٣ أو ٤ أسابيع ، وقد يشفى المريض

الانذار — عدد الوفيات في الاحوال ذوات الجرح نحو من ٩٠ ٪ . وفي الاحوال التي لم يشاهد فيها جرح نحو من ٥٠ ٪ . والكزاز من الامراض القتالة جدا خصوصا عقب الاجهاض أو الوضع . وكلما كان الجرح شديدا أو منسعا كان الامل في الحياة ضعيفا جدا

المعالجة — يوضع المريض في الفراش في مكان مظلم لاحتكاك فيه ولا صوت ، ويغذى بالسوائل وإن اضطررنا الى تغذيته بأنبوبة من أنفه أو بالحقن الشرجية ، والاحسن أن تدخل الانبوبة من بين أسنانه اذا كان بعضها مفقودا . ومن الاطباء من يقلع بعضها من أجل ذلك ولكنه عمل غير محمود

ومن الواجب تنظيف الجرح قبل كل شيء وتطهيره طهارة تامة لكي تقتل أو نزيل بقدر الامكان تلك الميكروبات منه ؛ ولكن مما يوجب الاسف أن ظهور الاعراض دليل كاف على أن السم قد وصل الى المراكز العصبية واتحد بها

وتعطى المسكنات بمقادير كبيرة ومن أحسنها بروميد اليوتاسيوم والافيون أو المورفين . ومن الأطباء من ينشق المريض الكلوروفورم مرة أو مرتين في اليوم لتخديره حتى ترتخي عضلات الفكين وحينئذ يمكن تغذيته

وللكزاز مصل يستخرج بطريقة استخراج مصل الدفتيريا . وتجب المبادرة بحقنه بمقادير كبيرة جدا فيحقن منه ١٠ آلاف الى ٢٠ ألف وحنة في الاوردة أو ١٠ آلاف الى ٥٠ ألف تحت الجلد . ويتكرر الحقن يوميا حتى تتحسن الحالة . ومن الناس من يحقن هذا المصل في النخاع أو في المخ بإحداث ثقب في عظام الجمجمة يسمى عند الجراحين بالترينة [ Trephining ] ولكنه عمل عسير مشكوك في نفعه والسبب في عسر شفاء هذا المرض أن سم الميكروب يسرى في الاعصاب الحركية ويلتصق بالمراكز العصبية التصاقا شديدا بحيث يتعذر ازالته منها بعد تمككه ، زد على هذا ان بعضه يدور في الدم ويصل معه الى المراكز العصبية أيضا

الوقاية — عقب إصابة أي شخص بأي جرح يجب تنظيفه جيدا ثم تطهيره بكل الوسائل الممكنة واذا ظن أن الجرح تلوث بشيء قدر مما يحتمل وجود الميكروب فيه وجبت المبادرة الى الحقن قبل أن تبدئ الاعراض فيحقن ١٥٠٠ وحدة تحت الجلد ، ولذلك بادرت الحكومة الانكليزية باتباع هذه القاعدة مع جنودها ، قترى الاطباء الانكليز يحقنون كل جريح اشبه في جرحه في أقرب وقت ممكن في ميدان القتال

وتطهير الجرح بالكي بالنار عقب حدوثه مباشرة كما تفعل العرب عمل محمود

### الحمرة

اسم لداء يسمى باللغات الافرنجية [ Erysipelas ] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي (الجلد الاحمر) ويسمى الانكليز هذا المرض أيضا بنار القديس أنطونيوس [ Anthony ] لوهو عامتهم أنه قادر على شفاؤها . وهو من الامراض المعدية الشديدة ، وينشأ من ميكروب من الشكل المسمى « البزور السلسلية » [ Streptococcus erysipelatis ]

الاسباب — أعظم الاسباب المهيئة لهذا المرض وجود أي جرح بالجسم يخل

منه هذا الميكروب الخبيث مها صغر الجرح . وفي أحوال قليلة جدا يحدث هذا المرض بدون جرح ظاهر ، ولكن إذا دقق في البحث فلا بد من وجود أي منفذ إلى الجسم ولو سحج بسيط جدا أو دمل صغير أو خدش كخدش الدبوس . والعدوى لا تنتقل إلا إلى المسافات القصيرة

وهو يصيب الأطفال الرضع والكبار فوق الأربعين أكثر من غيرهم ولكنه لا يميز بين الذكر والأنثى

وما يجعل الشخص أكثر تعرضا له من غيره إدمان الخمر وأمراض الكبد والكلى المزمنة والضعف أو الفاقة وكذلك البرد والرطوبة وكثرة الازدحام خصوصا إذا كان المكان ردي الهواء أو قذرا . ومن الأسباب أيضا استعداد مخصوص في الشخص يجعل حقيقته فإن هذا المرض كثيرا ما يعاود شخصا عدة مرات ، فالوقاية منه لا تطول مدتها

أما ميكروبه هذا البزري فهو عديم الحركة ، وقطر كل بزة نحو ميكرون واحد . ويحصل الانقسام فيه في جهة واحدة فقط ولذلك تتكون منه السلاسل المذكورة . وهو يموت إذا بلغت الحرارة ٥٣° إلى ٥٥° ستعمراد وعرض لها ١٠ دقائق

الأعراض — في الأحوال التي يتعسر فيها مشاهدة الجرح أو السحج نرى أن هذا المرض يصيب الوجه على الأكثر ولذلك كان وصفنا الآتي قاصرا على وصف هذا العضو إذا أصيب به

ومدة التفرخ أيام معدودة فهي في أكثر الأحوال من ٣ إلى ٦ وإن كانت تطول في بعضها . ويتبدى المرض عدة بشعريرة أو رعدة وصداع وغثيان ويبيض اللسان ويحس المريض بالآلام عامة في جسمه وبعد بضع ساعات تظهر على الوجه بقعة حمراء مؤلمة خصوصا حيث ينتهي الجلد بالغشاء المخاطي كفتحة الأنف أو الأذن أو الأنف . ثم تكبر هذه البقعة وترم ويشتد احمرارها وألمها وإذا ضغط عليها انبعجت ، ثم يمتد الورم بسرعة متفاوتة فترى أن السطح العالي الأحمر كأنه يسير في باقي الجلد . وفي بضعة أيام قد يغطي الوجه كله فترام متفخما جدا وكذلك الجفون حتى تتدلى . وترم الأذنان والشوأة ( فروة الرأس ) وتكون غالبا فقاعات أو ففاحات ممتلئة بسائل

مصلي صديدي على الخدين أو الجفون ، وقد تنفجر قنزيد المصاب تشويها حتى تتمعذر معرفته . وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة من المكان المتهب وتكون مؤلمة ، ويقال انها تتهب حتى قبل ظهور التهاب الجلد

وتكون الحمة عالية جدا حتى تزيد عن الاربعين في اليوم الثالث والرابع . وفي السادس تميل للانخفاض فجأة ما لم يستمر التهاب الجلد أو يظهر التهاب جديد ، فهي تابعة لحالة الالتهاب . وتكون الحمة مصحوبة بباقي أعراضها المعروفة

وهذا الالتهاب يمتد أيضا الى الأغشية المخاطية كغشية الحلق أو اللوزتين وأحيانا الى أغشية الحنجرة حتى يتعسر التنفس والازدراء . ويعتري المريض الهذيان ، وقد تطرأ عليه الغيوبة . وبينما نرى الالتهاب يمتد في جهة قد نشاهده يشفى حيث ابتدأ وسبب الموت نهاكة القوى مع الهذيان والغيوبة خصوصا في الشيوخ ومدمني الخمر وغيرهم من ذكرنا من قبل

وإذا شفى المريض تقشرت البشرة مكان الالتهاب ويستمر التقشر بضعة أيام ، وكثيرا ما نشاهد سقوط شعر الشواة

المضاعفات والعواقب — منها : انفراجات وموت الجلد وسقوطه وضخامة الغدد اللمفاوية أو تقيحها — في النادر — والاختناق من تورم الحنجرة والالتهاب الرئوي أو الپليوراوي في بعض الاحوال وكذلك الالتهاب السحائي ويقال إن امتداد هذا المرض في الجلد تابع لسير الاوعية اللمفاوية ، ويقف الالتهاب في الغالب حيث يلتصق الجلد التصاقا شديدا بالانسجة التي تحته كما يحصل في الاربية عند رباط [ پو پارت Poupart ]

وانذار هذا المرض في أكثر الاحوال جيد ، ولكن يختلف خطره باختلاف امتداد الالتهاب . وهو قاتل غالبا للشيوخ والسكيرين وغيرهم من ذكرنا

المعالجة — المبدأ العام في معالجة هذا المرض هو استعمال المنعشات والتقويات للمريض ، فيعطى كثيرا من اللبن والمرق وغيرهما من السوائل المفيدة ، وبعض المنعشات كالخمر — اذا لم يوجد ما ينفي المسلم عنها — والنوشادر والاثير والاستركنين وغيره . وصبغة فوق كلوريد الحديد نافعة جدا في هذا المرض حتى كانوا يعدونها شفاء



قطبنا له ، فيعطى منها من ٣٠-٤٠ نقطة للشبان والكول كل ٣ أو ٤ ساعات . وقد  
وصل بعضهم أيضا باستعمال الكينين . وظهرت نتائج حسنة من استعمال المصل المضاد  
لبروز هذا المرض [ Anti - streptococcus Serum ] فيحقن منه تحت  
الجلد مرة أو مرتين يوميا ١٥ أو ٢٠ سنتيمترا مكعبا . وهذا المصل يستخرج من  
الحصان بطريقة تشبه استخراج مصل الدفتيريا ، غير أنها تختلف عنها في أنه في مصل  
الدفتيريا يحقن الحصان بسم الميكروب ولكن هنا يحقن الحصان بنفس الميكروب حيا ،  
لأن ميكروب الدفتيريا يفرز سماً في السائل الذي يربى فيه وأما ميكروب هذا المرض  
فسمّه كامن في جسمه فاذا حقن السائل الذي يربى فيه لا يفيد . وطريقة ذلك أن  
يقوى ميكروب الحمرة بمحقنه في عدة أرناب فيكون ما حقن في الاخير أقوى مما حقن  
في الاول ويزرع من كل منها جزء من الميكروب فتكون قوته متفاوتة ثم يحقن الحصان  
بأضعف هذه الميكروبات سما ، وتترقى منه تدريجاً الى أقواه . وفي نهاية سنة الحقن يؤخذ  
مصل هذا الحصان فيكون فيه سم قاتل لميكروب الحمرة ، فاذا حقن المريض به أفاده  
فائدة عظيمة

واذا اشتدت الحمى كان استعمال الماء البارد أو الفاتر نافعا فيها أيضا  
وعلاج مكان الحمرة نفسه قليل الجدوى ، وغاية ما يعمل له أنه يدهن بيمض  
المراهم أو نحوها كمرهم البوريك وإذا اشتد تورم الجلد جاز تشريطه قليلا

### النزلة الوافدة — الانفلونزا Influenza

الانفلونزا اسم ايطالي أولاتيني لمرض كانوا يظنون أنه من تأثير الكواكب .  
في الانسان ، فلذا سموه بهذا الاسم الذي معناه ( التأثير ) ويسمي الاطباء المحدثون  
من العرب هذا المرض بالنزلة الوافدة

الاسباب — هذا المرض كثيرا ما ينتشر في البلاد بشكل وبائي سريع  
خصوصا اذا كانت القرى مزدحمة فيصاب به في وقت واحد مئات من الناس  
وميكروب هذا المرض من النوع الباسيلي (المستطيل) اكتشفه [ Pfeiffer ]  
في سنة ١٨٩٢م وهو يوجد في بصاق المصابين وأنوفهم وقل أن يوجد في دمهم ، وهو

## ٧٧٤ أعراض النزلة الوفدة وإنذارها وعلاجها. ميكروب الزكام [المنار: ج ١٠ ص ١٨]

من أدق الميكروبات وأصغرها حجما فإن طولها ٠٠٥ إلى ١٠٥ ميكرون وهو ساكن لا حركة له ولا حبيبات ، ولا يعيش الا في الأكسجين . وكثيرا ما يصاحبه ميكروبات أخرى في هذا المرض . وإذا شفي المريض زالت منه الميكروبات بسرعة فلا يعدي بعد النقاهة كالدفترى مثلا ، وهو ينتقل من شخص الى آخر اذا اقترب منه بحيث يصل اليه بعض افرازات الانف أو الفم . والاستعداد لهذا المرض يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يعاوده مرارا ومنهم من لا يمسهم مرة واحدة في حياتهم وكثير من الناس يطلقون اسم ( انفلونزا ) على كل النزلات التي تعقب البرد كالزكام أو السعال ، ولكنه خطأ

الاعراض — مدة التفريح ساعات معدودة . ويتبدى هذا المرض فجأة بألم شديد في الجبهة ومؤخر العينين وألم في عضلات القطن والفخذين وغيرها ، وقل أن تحدث فيه رعدة . والحرارة ترتفع في ساعات قليلة الى ٣٩° أو ٤٠° وتكون مصحوبة بآقي اعراض الحمى ، ويلتهب الحلق واللوزتان وتضيق الشعبات كهيئة ، وقد يكثر العرق ولكن الغالب أن يكون الجلد جافا ، وتضعف قوى المريض ويشد به الارق والتألم . وقد يقتصر المرض على هذه الاعراض وتزول الحرارة فجأة بعد يوم أو يومين غير أن الآلام الاطراف تستمر بعدها مدة وكذلك الضعف . وقد تطول مدة الحمى بضعة أيام ، أو ينكس المريض . ومن الناس من يصابون فوق ذلك بالنزلات الشعبية أو الرئوية ، ومنهم — وهم الأقل — من يصابون باضطراب في الجهاز الهضمي فيعثر بهم مفس وقى ، واسهال وأحيانا اليرقان ، ومنهم أيضا من يصابون في جهازهم العصبي فيعثر بهم النعاس في أول الامر والهديان ثم يزول عنهم النوم ويحل محله الارق ، وتشتد عندهم الآلام العصبية والعضلية

وقد يحصل في هذا المرض طفح في الجلد

وانذار هذا المرض في الغالب حميد

والعلاج كعلاج باقي الحيات سواء بسواء

أما الزكام والسعال العاديان فينشآن غالبا من ميكروب آخر من الشكل البزري يسمى « البزور الصغيرة النزلية » [ *Micrococcus catarrhalis* ] وهو يوجد

كثيرا في الانف والحلق في أصابات البرد وفي البصاق بعد السعال الناشئ من  
الغزلات الشعبية وقد يوجد في الاشخاص الاصحاء ويوجد أيضا في الاطفال اذا  
أصيبوا بالغزلات الشعبية الرئوية

### الحمى المخية الشوكية أو التهاب السحائي الوبائي

هذا المرض عرف أولا في [ جنيف Geneva ] سنة ١٨٠٥ ومنذ سنة ١٨٦٠  
صار منتشرا في الولايات المتحدة وألمانيا وغيرها . وهو كثيرا ما يشاهد أيضا في مصر  
خصوصا في الاماكن التي يكثُر فيها الازدحام كالسجون والمعاهد العلمية  
ينشأ هذا المرض من [ بزور مزدوجة Diplococcus ] تسمى البزور السحائية  
[ Meningococci ] تشاهد في الكريات البيضاء التي توجد في السائل المستخرج  
من النخاع في هذا المرض ، وقد توجد هذه البزور أيضا خارج الكريات في السائل  
نفسه، وأحيانا في دم المصاب وفي مفاصله اذا التهابت وكذلك في الرئتين اذا التهابتا  
وفي الانف والحلقوم والاذن الوسطى. وهذا الميكروب اكتشف سنة ١٨٨٧ وهو يشبه  
ميكروب السيلان ولا ينمو الا بوجود الأكسجين ولا في حرارة أقل من ٢٥° سنترجrad  
الاسباب — يدخل هذا الميكروب من الحلقوم سواء أوصل اليه من الفم أم من الانف .  
ويوجد في حلقوم المرضى والناقلين كذلك وفي حلقوم بعض الاصحاء المحاطين للمريض .  
وهو يصيب الصغار اكثر من غيرهم حتى ان ٨٠ ٪ من المصابين منهم تجد أن عمرهم أقل  
من ١٦ سنة ٥٠ ٪ فقط فوق ٢٥ سنة، ولا يميز بين الذكور والاناث. وهذا المرض كثير  
الحصول في أزمدة البرد، لان الناس في تلك الازمنة يضطرون الى السكنى في أماكن  
محتبسة الهواء فيفسد وترتفع حرارته وتكثر رطوبته وبذلك يصير بيئة صالحة لنمو هذا  
الميكروب الخبيث وان كان البرد الشديد يقتله، ولذلك لم يعرف هذا المرض بين سكان  
المنطقة القطبية. ولهذا الهواء الفاسد تأثير سيء في بنية المستنشقين له وهو يجذب بسخوته  
الدم من الاحشاء الى ظاهر الجلد وذلك أيضا مما يضعف البنية ويعوق الاعضاء عن  
تمام وظائفها، فكأن الهواء الفاسد السخن سبب العدوى من وجهتين (١) كونه بيئة  
صالحة لنمو الميكروب و(٢) كونه مضعفا للبنية عن مقاومته ، مفسدا للصحة . ولولا

ذلك لما كثر انتشار هذا المرض في أزمدة الشتاء. ومن المشاهدات العجيبة في العدوى بهذا المرض أن الأشخاص الذين يكونون في جهة معينة من المريض يصابون به بينما غيرهم في الجهة الأخرى لا يصابون، وما ذلك إلا لكون الهواء يهب على المريض من تلك الجهة التي فيها السليمون فيمر عليهم أولاً ثم على المريض ويحمل ذرات فيها الميكروب من نفسه أثناء الكلام أو السعال ونحوها إلى الذين في الجهة الأخرى. وقد وجد أن نحواً من ٤٠ ٪ من مخالطون المريض قد يصيرون من (الحملة الأصحاء) الاعراض — في أحوال قليلة يتقدم المرض أعراض بسيطة كالصداع والغثيان، ولكن في أكثر الأحوال يبتدئ هذا المرض فجأة بألم شديد في الدماغ ورعدة أحياناً فيضطر المريض في الحال للملازمة الفراش وترتفع الحرارة بسرعة حتى تصل إلى ٤٠° و يشتد الصداع خصوصاً في مؤخر الرأس وتيبس عضلات القفا حتى يتعسر على المريض الانحناء إلى الامام، ويبقى شاخصاً يبصره إلى السماء، وكذلك يقنعنسس المصاب أي يتقوس الظهر ويكون تغيره إلى الخلف، وتشنج الأيدي والارجل وتكثر الآلام في الظهر والاطراف ويكون الجلد حساساً وقد يرتخي الجفنان أو أحدهما للشال فيها وربما يشعر المريض بألم في أذنه وطين أو صمم ويقل شمه ويعتريه النفاس فلهذا يان فالفيو بة، وقد يصاب بنوبات تشبه الصرع فيتخطب كما يتخطب المصروع وفي كثير من الاحوال يظهر على وجهه ما يسمى بالثمة [ Herpes ] وهي فقاعات صغيرة ممتلئة بسائل. وتلتهب المفاصل أحياناً وقد نتقيح. ويتقرع البطن حتى يصير كالأزرق، ويعظم الطحال ويكثر البول، وقد يوجد فيه زلال قليل أو أثر من السكر. وإذا رفع فخذ المريض — وهو ملقى على ظهره — بحيث يكون مع جسمه زاوية قائمة تعذر مد الساق حتى تكون مع الفخذ على خط مستقيم. وهذه العلامة — وتسمى علامة [ كرنج Kernig ] — من أهم ما يعرف به التهاب السحايا، وإذا مرت بأصبعك على جسم المريض ظهر خط أحمر حيث مرت الأصبع ويستمر نحو خمس دقائق أو أكثر ويسمى هذا الخط بالفرنسية [ Tache Cérébrale ] ومعناه [ البقعة الحية ] وهي من أهم علامات التهاب السحايا أيضاً، وتنشأ من شال في أوعية الدم وهذا المرض خطر جداً على الحياة، وكثيراً ما يموت به المصابون بل منهم من

يموت في بضع ساعات أو بضعة أيام . وعدد الوفيات يختلف من ٣٠ إلى ٧٠ ٪ .  
ويوجد نوع آخر منه يصيب الأطفال الرضع فيقتلهم غالبا  
وإذا شفي المريض منه قام غالبا بصمم أو عمى أو انسقاء في الدماغ مع صداع  
وتشنجات وضعف شديد في العقل أو الجسم أو شال بعض الاعضاء . وإذا أصاب  
الصمم الاذنين قبل أن يتعلم الطفل الكلام بقي طول حياته أبكم أصم  
وقليل من الناس من يشفي منه ولا يصيبه شي

الصفة التشريحية — إذا شرحت الجنة بعد الوفاة من هذا المرض يُشاهد  
التهاب حاد في الأم الحنون للمخ والنخاع الشوكي قترى الصديد والمواد المفاوية  
متراكمة على سطح المخ في شقوقه ( أي ما بين التلافيف ) ويكون السطح الخلفي  
للنخاع ملتهبا أكثر من السطح الامامي وخصوصا القسم القطني منه . وفي بطينات  
المخ يشاهد مصل عكر أو صديد، وفي القشرة السنجابية تقط نزفية أو ثور

وترى الرئتين والكبد والطحال والكليتين جميعا محقنة مع استحالة شحمية في  
خلايا الكلية واستحالة حبيبية في ألياف العضلات الاختيارية . وقد نرى أيضا  
نقطا نزفية في الشغاف والبليورا وأحيانا نقيحا في المفاصل

وكل هذه التغيرات المرضية التي تشاهد في الاحشاء ما عدا المخ والنخاع هي  
تابعة لالتهاب السحايا وليست من أصل المرض وإنما تنشأ من سموم الميكروب ومن  
شدة ارتفاع الحرارة ونحو ذلك

المعالجة — أحسن علاج لهذا الداء استعمال المصل الخاص به فيصنعي جزء  
من السائل الذي في النخاع بالبرز القطني ويستعاض عنه بمحتن ٣٠ سنتيمترا مكعبا كل  
يوم أو كل يومين بحسب شدة المرض

والبرز القطني وحده نافع في هذا المرض لتخفيف الضغط على المراكز العصبية  
بسحب بعض المواد الاتهائية ولازالة بعض سموم المرض

وبقي علاج هذا المرض كعلاج سائر الحميات ، ومن النافع فيه أيضا استعمال  
مركبات الزئبق ويودور اليودات يوم في بعض الاحوال

انواقية — عزل المريض كما تقدم في الحميات وتطهير كل افرازاته واتقاء القرب منه

والسكنى في الاماكن النقية الهواء ذات النوافذ الكثيرة من أحسن ما يتقى به هذا الداء. فلذا يجب تهوية الاماكن المسكونة ليلا ونهارا صيفا وشتاء . ولا يتوهم أحد أن الهواء المطلق الذي نرغب فيه هو مما يسمونه « بتيارالهواء » ويقولون إنه يجب اتقاؤه بل التيار الضاري يكون بتعريض جزء من الجسم لهواء يغير باقي الهواء المحيط بالجسم في سرعته وفي درجة حرارته ، كالجلوس امام إحدى النوافذ من بيت دافئ مع تعريض جزء من البدن لهواء النافذة البارد . وأما خروج الانسان الى الاماكن الطلقة الهواء كالغلات والبحار والمكث فيها زمنا مّا فإنه لا يضر الصحيح البنية خصوصا اذا كان جسمه مدفأ جيدا بالملابس الكثيرة الجافة، ولكن اذا ابتلت هذه الملابس بالعرق أو بالماء خيف على المرء من ضرر البرد بالمكث في الهواء البارد .

### الجذام Leprosy

مرض شهير منذ العصور العالمة سمي بذلك في العربية لانه ييتر بعض الاعضاء، وهو من الأمراض العزمنة المتعذرة الشفاء، ينشأ من ميكروب من الشكل الباسيلي اكتشفه [هانسن Hansen] سنة ١٨٧٩ م يشبه ميكروب الدرن من عدة وجوه. وحقق هذا الميكروب في الحيوانات لم ينجح في احدث المرض فيها ما عدا القردة فانها تصاب باصابة موضعية وقتية ، ويوجد الميكروب في دم المجذوم وفي الجلد والاعشية المخاطية والاعصاب والغدد اللعابية والحنجرة والكبد والطحال والخصيتين والكليتين ، ونادرا في الرئتين ، ولا يوجد في العظام ولا المفاصل ولا العضلات

الاسباب — هذا المرض قليل الوجود في أوربة ماعدا بلاد التروج و يوجد في كثير من البلدان الافريقية والآسيوية والامريكية وكثير من جزائر المحيط الهادئ ، وهو يصيب الذكور أكثر من الاناث ، والصغار قبل سن الثلاثين أكثر من غيرهم ، ومن النادر جدا أن يصيب الاطفال . وللوراثة بعض التأثير في احدثائه

يدخل ميكروب هذا الداء الى الجسم من منفذ أو أكثر من المنافذ الآتية :  
الأنف أو أعلى الجهاز التنفسي أو الفم أو اللوزتين أو سحجات الجلد أو الجهاز التناسلي  
ومن العلماء من يرى أن بعض الحشرات تنقل هذا المرض من شخص الى

آخر، وقد وجد ميكروبه في البعوض (الناموس) والبق. ولم يشاهد ميكروبه في الأرض ولا في الهواء<sup>(١)</sup> ولا في الطعام ولا في الشراب

ويرى بعض العلماء ان الافراط في أكل السمك خصوصا الفاسد مما يهيج الجسم لقبول هذا الميكروب الخبيث

ويسكن هذا الميكروب في جميع أجزاء جسم المصاب حيث توجد أنسجة مريضة به ويخرج من جسم المجدوم في مخاطه ودموعه ولعابه ولبنه ومنيه وافرازات الاحليل والمهبل. وفي البراز يل يخرج أيضا مع خلايا البشرة التي تنفصل بالتدريج من الجلد. هذا فضلا عن خروجه بالضرورة مع ما ينسكب من قروح المريض ولكن أهم الأشياء التي يوجد فيها الميكروب هو افراز الانف فانه يوجد فيه بكثرة عند أقل بحث فيه

الاعراض — يبدأ هذا المرض بتوعك عام مع حمى خفيفة وتكسر في الجسم ثم تظهر بقع جعراء في الجلد قطرها يبلغ من نصف بوصة الى ثلاث أو أربع بوصات منتفخة قليلا ومستديرة أو غير منتظمة، وقد يتكون من هذه البقع الجعراء حلقات وذلك بشفاء الجلد الذي في وسطها، وتزول هذه البقع الجعراء أيضا اذا زالت الحمى، وكثيرا ما تترك خلفها آثارا ملونة أو بيضاء. وقد تعود الحمى وتظهر هذه البقع آنا بعد آن. وبعد ذلك تنقسم أعراض المرض الى قسمين فيصاب المريض اما بالجدام الدرني أو بالجدام الحنطري، وقد يجتمع فيه النوعان

أما في الجدام الدرني فتظهر في الجلد درنات مرتفعة حجمها قدر حبة الخرص أو البندق أو أكبر — تظهر أثناء ظهور البقع الجعراء أو بعدها بقليل. وهذه الدرنات قد تمكث زمنا طويلا وقد تزول تاركة خلفها بقعا ملونة، وكثيرا ما تتأكل فيتكون منها قروح يسيل منها صديد (أي سائل رقيق) قليل وهذه الدرنات تظهر على الأكثر في الوجه وفي ظهر اليدين والقدمين وغير ذلك، قدشوه الوجه، وتغلظ الحواجب والانف والمخدود والآذن ويكون شكل الوجه كوجه الاسد. ولذلك يسمى هذا

(١) اللهم إلا ما كان حول المريض مباشرة فقد توجد فيه ذرات من مخاطه حاملة لهذا الميكروب

المرض عند المصريين بالأسد أيضا

وكثيرا ما تتقرح الجفون حتى يصل المرض الى طبقات العين وان كان العصب البصري والشبكية والزجاجية والبلورية كلها تنجو منه عادة . وتصيب الدرنات أيضا الاغشية المحاطية للغم والخلق والحنجرة والانف فيغلب الصوت أو يضعف . وهذه القروح قد يزداد تأكلها حتى تصيب الاوتار فقطعها والعظام فتتخرها والمفاصل فتفتتها وبذلك تبتر بعض الاجزاء

أما الجذام الحذري فتكون اصابة الاعصاب فيه أكثر ، وفي أول الداء يحصل احساس في بقع كثيرة من الجسم يشبه الاحساس بمشي النمل ووخز الابر يعقبه خدر ويكون الجلد في البقع المصابة اما أكد ( باهتا ) أو مولونا ويضعف الشعر ويزول لونه ويكون سطح الجلد ناعما برأقا ، وتضخم الاعصاب حتى يمكن الاحساس ببعضها بغاية السهولة وذلك لالتهاها بسبب المرض . ويسبب مرض الاعصاب تضرر العضلات خصوصا ما بين مشط اليدين والقدمين ، وتورخي الايدي والاقدام ويكون شكل اليد كبرثن الاسد<sup>(١)</sup> وقد يحصل في هذا النوع من الجذام قروح فوق المفاصل أيضا فتبتر الاعضاء خصوصا أطراف الايدي والاقدام وينجو من هذا البتر السلاميات الاولى للاصابع غالبا . وكثيرا ما تشفى هذه القروح فتبقى اليد بالسلاميات الاولى فقط

وسير هذا الداء موجب اليأس ويجعل الشخص المجذوم مكروها عند الناس مخفيا لهم بمنظره — وبعد زمن قد يمتد الى ١٥ سنة أو أكثر — يموت المصاب غالبا بمضاعفات المرض أو بطروء السل الرئوي أو التهاب الكلى أو بالدوسنطاريا وغير ذلك الانذار — هذا المرض لم يعرف أن احدا أصيب به وشفي منه ، غاية الامر انه قد تتلطف الاعراض ويقف الداء مدة ما

المعالجة — تعالج الاعراض بالطرق الطبية المعروفة عند الاطباء ، وتعطى للمريض الاغذية الجيدة السهلة الهضم ، ويوضع في مكان يقي الهواء بمزج عن الناس . وما ينفع فيه بعض النفع زيت كبد الحوت وزيت [حب الشلموغرا Chaulmoogra]

(١) البرائن للصباع بمنزلة الاصابع للناس



وجرعته في اليوم تبدئ من ٢٠ نقطة الى درهمين ويجب تعاطيه لمدة سنتين على الأقل . وهناك علاجات أخرى كالحقن بالقاح ونحو ذلك ولكنها غير محقق نفعها ويجب مدة المرض استعمال المطهرات للقروح وتضميدها جميعا

الوقاية — لما كانت كيفية العدوى بهذا الداء غير معروفة بالضبط وجب عزل المرضى والاحتراز من كل من يلامسهم أو يوجد معهم ، وهذا غاية ما يمكن أن يقال الآن في أسباب الوقاية من هذا الداء . وفي الحديث الصحيح « فر من المجذوم فرارك من الاسد » \*

(\*) المناظر : رواه البخاري من حديث أبي هريرة معلقا — او موصولا على طريقة ابن الصلاح — ووصله آخرون وأخرج ابن خزيمة له شاهدا من حديث عائشة . ويؤيد ما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الشريد عن أبيه قال : كان في وفد ثقيف مجذوم فأرسل اليه رسول الله (ص) « إنا قد بايعناك فارجع » واختلف العلماء في الجمع والترجيح بين هذه الأحاديث وما في معناها كحديث أبي هريرة في الصحيحين « لا يوردن مرضى على مصح » (المرض بصيغة اسم الفاعل صاحب الابل المريضة بالتجرب مثلا والمصح صاحب الابل الصحيحة) وحديث النبي عن دخول ارض فيها الطاعون . وبين حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيره « لا عدوى » وحديث جابر ان النبي اخذ بيد مجذوم فوضعهما في القمصة وقال « كل » رواه الترمذي . فبعضهم يرجح العدوى ويؤول ما يعارضها وبعضهم يمسك وبما قاله هؤلاء ان ابا هريرة رجح عن حديث « لا عدوى » وانكره كما في البخاري . وبان الترمذي ذكر الاختلاف في حديث جابر على راويه ورجح وقفه على عمر . واقرب ما قالوه الى الطب والعقل قول البيهقي وغيره ان العدوى المنفية ما كانت تعتقده الجاهلية لا العدوى التي تحصل بالاسباب بقدر الله تعالى . وقول ابن قتيبة ومن واقفه : ان الامر بالقرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لامر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بطريق الملاسة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع في كثير من الامراض في العادة انتقال الداء من المريض الى الصحيح بكثرة المخالطة . حكاهما الحافظ ابن حجر في شرح البخاري . وذكر أن جمهور الفقهاء اثبتوا الخيار لكل من الزوجين في فسخ النكاح اذا وجد الجذام في الآخر

## المعرفة بالله تعالى

## ٢

## فصل

قال «الدرجة الثانية معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات،

وهي تثبت بعلم الجمع، وتصفو في ميدان الفناء، وتستكمل بعلم البقاء، وتشارف عين الجمع» نشرح كلامه ومراده أولاً ثم نبين ماله وعليه فيه، فكانت هذه الدرجة عنده أرفع مما قبلها، لأن التي قبلها نظر في الصفات وهذه متعلقة بالذات الجامعة للصفات، وإن كانت الذات لا تخلو عن الصفات فهي قائمة بها، ولا نقول: إن صفاتها عنها ولا غيرها، لما في لفظ الغير من الاجمال والاشتباه، فإن الغيرين قد يراد بهما ما جاز اقتراقهما ذاتاً أو زماناً أو مكاناً، وعلى هذا فليست الصفات مغايرة للذات، ويراد بالغيرين ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر فيفترقان في الوجود الذهني لافي الوجود الخارجي، فالصفات غير الذات بهذا الاعتبار لانه قد يقع الشعور بالذات حال ما يغفل عن صفاتها فتتجرد عن صفاتها في شعور العبد لافي نفس الامر. وقوله «مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات» التفريق بين الصفات والذات في الوجود مستحيل، وهو ممكن في الشهود بأن يشهد الصفة ويذهل عن شهود الموصوف، أو يشهد الموصوف ويذهل عن شهود الصفة، فتجريد الذات أو الصفات إنما يمكن في الذهن، فالمعرفة في هذه الدرجة تعلقت بالذات والصفات جميعاً فلم يفرق العلم والشهود بينهما، ولا ريب أن ذلك أكل من شهود مجرد الصفة أو مجرد الذات. ولا يريد الشيخ أنك تسقط التفريق بين الذات والصفات في الخارج والعلم بحيث تكون الصفات هي نفس الذات <sup>(١)</sup> فهذا لا يقوله الشيخ وإن كان كثير من أرباب الكلام يقولون إن الصفات هي الذات. فليس مرادهم أن الذات نفسها

(١) في ب «بحيث تكون الذات هي نفس الصفات»

صفة ، فهذا لا يقوله عاقل ، وإنما مرادهم ان صفاتها ليست شيئاً غيرها . فان أراد هؤلاء ان مفهوم الصفة هو مفهوم الذات فهذا مكابرة ، وان أرا: وان انه ليس هاهنا أشياء غير الذات انضمت اليها وقامت بها ، فهذا حق

والتحقيق ان صفات الرب جل جلاله داخله في مسمى اسمه ، فليس اسمه الله والرب والإله أسماء لذات مجردة لا صفة لها البتة ، فان هذه الذات وجودها مستحيل ، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها ، واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال ، كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والكلام والسمع والبصر والبقاء والقدم وسائر الكمال الذي يستحقه لذاته ، فصفاته داخله في مسمى اسمه ، فتجريد الصفات عن الذات والذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لاحقيقة له ، وهي أمر اعتباري لا فائدة فيه ولا يترتب عليه معرفة ولا إيمان ولا هو علم في نفسه ، وبهذا أجاب السلف الجهمية لما استدلوا على خلق القرآن بقوله الله ( الله خالق كل شيء ) فاجابهم السلف بان القرآن كلامه وكلامه صفاته وصفاته داخله في مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويديه ، فليس « الله » اسماً للذات لانعت لها ولا صفة ولا فعل ولا وجه ولا يدين ، ذلك إله ممدوم مفروض في الأذهان لا وجود له في الاعيان كإله الجهمية ، الذي فرضوه غير خارج عن العالم ولا داخل فيه ولا متصل فيه ولا منفصل عنه ولا محايث له ولا مبين ، وكإله الفلاسفة الذي فرضوه وجوداً مطلقاً لا يتخصص بصفة ولا نعت ولا له مشيئة ولا قدرة ولا إرادة ولا كلام ، وكإله الاتحادية الذي فرضوه وجوداً سارياً في الموجودات ظاهراً فيها هو عين وجودها ، وكإله النصاري الذي فرضوه قد اتخذ صاجبة وولداً وتدرع بناسوت ولده واتخذ منه حججاً ، فكل هذه الآلهة ماعلمته أيدي أفكارها . وإله العالمين الحق هو الذي دعت اليه الرسل وعرفوه باسمائه وصفاته وأفعاله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، موصوف بكل كمال ، منزّه عن كل نقص ، لا مثال له ولا شريك ولا ظهير ، ولا يشفع عنده أحد الا بآذنه ، هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، غني بذاته عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بذاته

قوله « وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصفو في ميدان الفناء » يعني ان هذه المعرفة الخاصة تثبت بعلم الجمع ، ولم يقل « بحال الجمع ولا بعينه ولا مقامه » فان علمه أولاً هو سبب ثبوتها ، فان هذه المعرفة لا تنال الا بالعلم فهو شرط فيها ، وسيأتي الكلام — ان شاء الله تعالى — في الجمع عن قريب . فاذا علم العبد انفراد الرب سبحانه بالازل والبقاء والفعل وعجز من سواه عن القدرة على ايجاد ذرة أو جزء من ذرة ، وانه لا وجود له من نفسه فوجوده ليس له ولا به ولا منه ، وتوحي هذا العلم عن القلب لا يستقط ذكر غيره سبحانه عن البال والذكر ، كما سقط غناه ورؤيته ومملكته وقدرته ، فصار الرب سبحانه وحده هو المعبود والمشهود المذكور ، كما كان وحده هو الخالق المالك الغني الموجود بنفسه أزلاً وأبداً ، وأما ما سواه فوجوده وتوابع وجوده عارية ليست له ، وكذا في العبد عن ذكر غيره وشهوده صفت هذه المعرفة في قلبه ، فلماذا قال « وتصفو في ميدان الفناء » واستعار الشيخ للفناء ميداناً وأخافه اليه لاتساع مجاله لأن صاحبه قد انقطع التفاته الى ضيق الاغيار ، انجذبت روحه وقلبه الى الواحد القهار ، فهي تجول في ميدان أوسع من السماوات والأرض ، بعد ان كانت مسجونة في سجون المخلوقات . فاذا استمر له عكوف قلبه على الحق سبحانه ونظر قلبه اليه كأنه يراه ، ورؤية تفرد بالطلق والامر والنفع والنصر والعطاء والمنع — كلت في هذه الدرجة معرفته ، واستكملت بهذا البقاء الذي أوصله اليه الفناء وشارفت عين الجمع بعد علمه ، فذاب العارف عن معرفته بمعرفة وعن ذكره بمذكوره وعن محبته وارادته بمحبهه فاذلك قل :

« ويستكمل بلم البناء ويشارف عين<sup>(١)</sup> الجمع » ولهذا المعرفة ثلاثة أركان<sup>(٢)</sup>

أشار اليها الشيخ بقوله « ارسال الصنات على الشواهد ، وارسال الوسائط على المدارج ، وارسال العبارات على المعالم » شواهد الصفات هي التي يشهد بها ويدل عليها من الكتاب والسنة وشهادة العقل والنظرة وآثار الصنعة فاذا تمكن العبد في التوحيد علم ان الحق سبحانه هو الذي دأبه صنات نفسه بنفسه ، لم يعرفها العبد من ذاته ولا بفكر تعريف الحق له بما أجراه له سبحانه على قلبه من معرفة تلك الشواهد

(١) في المتن « بعين الجمع » (٢) في المتن « وهي ثلاثة أركان : ارسال - شرح

والانتقال منها الى شهود<sup>(١)</sup> المدلول عليه ، فهو سبحانه الذي شهد لنفسه في الحقيقة ، اذ تلك الشواهد مصدرها منه فشهد لنفسه بنفسه بما قاله وفعله وجعله شاهداً لمعرفته . فهو الاول والاخر ، والعبد آلة محضة ومنفعل ومحمل لجريان الشواهد وآثارها وأحكامها عليه ليس له من الامر شيء ، فهذا معنى ارسال الصفات على الشواهد ، فاذا أرسلها عليها تبين له ان الحكم للصفات دون الشواهد بل الشواهد هي آثار الصفات ، فهذا وجه

وجه ثان أيضاً وهو أن الشواهد بوارق وتجليات تبدو للشاهد ، فاذا أرسل الصفات على تلك الشواهد توارى حكم تلك البوارق والتجليات في الصفات وكان الحكم للصفات فحينئذ يترقى العبد الى شهود الذات شهوداً علمياً عرفانياً كما تقدم قوله « وارسال الوسائط على المدارج » الوسائط هي الاسباب المتوسطة بين الرب والعبد التي بها تظهر المعرفة وتوابعها ، والمدارج هي المنازل وال مقامات التي يترقى العبد فيها الى المقصود ، وقد تكون المدارج الطرق التي يسلكها اليه ويدرج فيها ، فالرسال الوسائط التي من الرب على المدارج التي هي منازل السير وطرقه توجب كون الحكم لها دون المدارج فيغيب عن شهود المدارج بالوسائط وقد غاب عن شهود الوسائط بالصفات فيترقى حينئذ الى شهود الذات ، وحقيقة الامر أن يعلم أن الرب سبحانه ما أطلعته على معرفته الا بشواهد منه سبحانه ووسائط ليست من العبد ، فهو قادر على قبض تلك الشواهد والوسائط وعلى اجرائها على غيره فان الامر كله له وتلك الوسائط لا توجب بنفسها شيئاً قال الله تعالى لرسوله ( ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لانجد لك به مليناً وكلاً ) الا رحمة من ربك - وقال للامة على لسانه - قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وخنم على قلوبكم من أكله غير الله يأتيكم به - وقال تعالى - قل لو شاء الله ماتلوت عليكم ولا أدراكم به ) ويعلم العبد ان ما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله من شواهد معرفته والايمان به هي معالم يهتدي بها عباده اليه ويعرفون بها كاله وجلاله وعظمته ، فاذا يتقنوا صدقه ولم يشكوا فيه وقطنوا لآثار أسمائه وصفاته في أنفسهم وفي سواهم انضم شاهد

(١) في ب « المشهود »

العقل والفترة الى شاهد الوحي والشرع ، فانتقلوا حينئذ من الخبر الى الميان ،  
فالعبارات معالم على الحقائق . المطلوبة ، والمعالم هي الأمارات التي يعلم بها المطلوب ؛  
فاذا أوصل العارف كل معنى مما تقدم ذكره على مقصوده وصرف همه الى مجريه  
وناصبه ومصدره اجتمع همه عليه ويمكن في معرفة الذات التي لها صفات الكمال  
ونعوت الجلال . ومقصوده أن يبين في هذه الاركان الثلاثة حال صاحب معرفة  
الذات وكيف ترتب الاشياء في نظره ويترقى فيها الى المقصود .

مثال ذلك ان الشواهد أرسلته الى الصفات بأرسالها عليها فانتقل من مشاهدتها  
الى مشاهدة الصفات والوسائط التي كان يراها آية على المداير انقل فانتقل منها  
الى المداير ولم يلقها وانما تعلق بما هي آية له . والعبارات التي كانت عنده ألفاظا  
خارجة عن المعبر عنه صارت أمارات توصله الى الحقيقة المعبر عنها . فهذه الاركان  
الثلاثة يصير من أهل معرفة الذات عنده

قوله ﴿ وهذه <sup>(١)</sup> معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة ﴾ أي تدرك ونحس  
من ناحية الحقيقة ، والاياناس الادراك والاحساس قال الله تعالى ( فان آستم منهم  
رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ) وقال موسى ( اني آنت من جانب الطور نارا )  
والمقصود ان العارف اذا علق همه بافق الحقيقة وأعرض عن الاسباب والوسائط —  
لايعرض لجهود وانكار بل يعرض اشتغال ونظر الى عين المقصود — أوصله  
ذلك الى معرفة الذات الجامعة لصفات الكمال والله سبحانه وتعالى أعلم

## فصل

قال ﴿ الدرجة الثالثة معرفة مستغرقة في محض التعريف ، لا يوصل اليها  
الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، ولا نستحقها وسيلة ، وهي على ثلاثة أركان :  
مشاهدة القرب <sup>(٢)</sup> والصمود عن العلم ، ومطالعة الجمع ، وهي معرفة خاصة الخاصة ﴿  
انما كانت هذه المعرفة عنده أرفع مما قبلا لان ما قبلها متعلقة بالوسائط والشواهد  
متصلة الى المطلوب ، وهذه متعلقة بعين المقصود فقط ، طهية للوسائط والشواهد ،

(١) في المتن « وهي معرفة » الخ (٢) في المتن « القلوب » واملأ غلط

الوسائل صاعدة عنها اليه وهي غاية على حال المعارف وشهوده وقد استغرقت ادراكه لما هو فيه بحيث غاب عن معرفته بمعرفة وعن ذكره بذكوره وعن وجوده بموجوده فتقوله « مستغرقة في محض التعريف » المعرفة صفة العبد وفعله ، والتعريف فعل الرب ونوحيته ، فاستغرقت صفة العبد في فعل الرب وتعرفه نفسه لعبد . وقوله « لا يوصل اليها بالاستدلال » يريد ان هذه المعرفة في الدرجة الثالثة لا يوصل اليها بسبب فان الأسباب قد انطوت فيها ، والوسائل قد انقطعت دونها ، فلا يدل عليها شاهد غيرها ، بل هي شاهد نفسها ، فشاهد وجودها ودليها نفسها . ولا تجعل بانكار هذا فالامور الوجدانية كذلك ودليها نفسها وشاهد حقيقتها ، فتصير هذه المعرفة للمعارف كالامور الوجدانية . كاللذة والفرح والحب والخوف وغيرها من الامور التي لا يطلب من قامت به شاهدها عليها من سوى أنفسها

ولعلم الله ان هذه درجة من المعرفة منيفة ورتبة شريفة تقطع دونها اعتناق مطايا السائرين ، فاذلك لا يوصل اليها بالاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة ، والاعمال والاحوال وال مقامات كلها وسائل وهي لا تستحق هذه الدرجة من المعرفة وانما هي فضل من الفضل كله بيده وهو ذو الفضل العظيم ؛ وكون الوسائل المذكورة لا تستحقها لانتماع من القيام بها على أتم الوجوه وبذل الجهد فيها ، ومع ذلك فلا تستحقها الوسائل

قوله « وهي على ثلاثة أركان : متاهدة القرب والصمود عن العلم ومطالعة الجمع » انما كانت هذه الثلاثة أركانها لان صاحب هذه المعرفة قد وصل من القرب الى مقام يليق به بحسب معرفته فكما كانت معرفته أتم كان قربه أتم ، فان شهود الوسائل والوسائل حجاب عن عين القرب ، وإنفاؤها وجعلها حجاب عن أصل الايمان . وأما صعوده عن العلم فليس المراد به صعوده عن أحكامه فان ذلك سقوط وزول الى الخفيض الأدنى ، لأصعود الى المطلب الأعلى ، وانما المراد انه يصعد باحكام العلم عن الوقوف معه وتوسيطه بينه وبين المطلوب فان الوسائل قد طوي بساطها في هذا الشهود والمعرفان ، أعني بساط الوقوف معها واستغفار اليها فيدرش مشهوده ومعرفة به سبحانه لا بالعلم والمظهر بل بالمشاهدة والبهان ، وان كان لم يصل الى

ذلك الا بالعلم والخبر لكنه قد صعد من العلم والخبر الى المعلوم المخبر عنه .  
 وأما مطالعة الجمع فهي الغاية عند هذه الطائفة ، ونحن لانذكر ذلك لكن : أي  
 جمع هو ؟ هل هو جمع الوجود كما يقوله الاتحادى ؟ أم جمع الشهود كما يقوله صاحب  
 الفناء في توحيد الربوبية ؟ أم هو جمع الارادة كلها في مراد الرب تعالى الديني الامرى ؟  
 فالشأن في هذا الجمع الذي مطالعته من أعلى أنواع المعرفة . نعم هاهنا جمع آخر مطالعته  
 هي كل المعرفة وهو جمع الافعال في الصفات وجمع الصفات في الذات وجمع الاسماء  
 في الذات والصفات والافعال ، فطالمة هذا الجمع هي غاية المعرفة وأعلى أنواعها ،  
 وهي لعمر الله معرفة خاصة بالخاصة ، والله المستعان وبه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله إهـ

## [المنازل]

ان أكثر الناس يرون هذا الكلام غربياً لا يكاد يفهم ، ويعدون هذه المعرفة  
 خيالية لا تكاد تمقل ، ومثل هؤلاء العارفين في نظر جمهور أهل العلوم النظرية والفنون  
 العملية ، ككل خواص الادباء الذين يتمتعون بجمال المعاني الدقيقة ، متجلبية في العبارات  
 الرشيقة ، في نظر عوام أهل البلادة . ذوي العمى والفهاة ، — أو كمثل بعض أهل  
 الذوق السليم ، العاشقين لجمال هذا الكون العظيم ، يؤمنون روضة غناء ، أو غابة غيباء ،  
 يسابقون اليها أشعة الشمس ، ليمتعوا بجمالها الحس والنفس ، — في نظر مجرم فظ ،  
 غليظ الطبع ، لا يرى حظاً من تلك الروضة الا أن يبحث أزهارها ، ويقطع أشجارها ،  
 ليتخذ الاولى علفاً لحماره ، والثانية وقوداً لثاره ، أو كمثل المزمين بالآلات الطرب ،  
 وسامع الاطمان في العشق والادب ، في نظر العابد المتبذل ، أو العجوز الثاقل ،

على أن جميع الذات المعنوية ما أشرنا اليها منها وما لم نذكر اليه هي مبادئ  
 ووسائل لتلك الالذة الروحية العليا التي يجدها العارفون بالله تعالى ، فكل ما في الكون  
 من الجمال والكمال فهو بعض جماله وكمال عز وجل ، اذ هو صنع الله الذي أتقن  
 كل شيء . وكل طائفة من طوائف البشر المارتقية تتمتع بنوع من أنواع جمال  
 الكون والعارفون بالله هم الذين يتمتعون بكل نوع من تلك الانواع تتمتع ارق واعلى  
 من تتمتع المفردين بالارتقاء فيه ، ويتمتعون بما هو أعلى من ذلك وأجل واكمل ،  
 وقد ضمرنا لذلك المثل ، والله اعلى واجل ،



## باب الشعر والادب

شرف العلم وشماثل العلماء

نبدأ هذا الباب بقصيدة القاضي عبد العزيز الجرجاني الشهيرة في شرف العلم وأخلاق العلماء وشماثلهم قال: —

يقولون لي فيك اتقباض وانما  
أرى الناس من دانا هم هان عندهم  
ولم أقض حق العلم ان كان كلما  
وما زلت منجازاً بعرضي جانياً  
اذا قيل هذا منبهل قلت قد أرى  
أثرها عن بعض ما لا يشينها  
فأصبح عن عيب اللثيم مسلماً  
واني اذا ما فاتني الامر لم أبت  
ولكنه ان جاء عفواً قبلته  
وأفيض خطوي عن حظوظ كثيرة  
وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً  
وكم طالب رقي بنعماء لم يصل  
وكم نعمة كانت على الحر نعمة  
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي  
أشقى به غرساً وأجنيه ذلة

وأوارجلاً عن موقف الذل أحجماً  
ومن أكرمه عزة النفس أكرما  
بدا طمع صيرته لي سلماً  
من الذل أعذ الصيانة منما  
ولكن نفس الحر تحتمل الظما  
مخافة أقوال العدا فيم أولما  
وقد رحت في نفس الكريم معظما  
أقبل فكري إثره متندما  
وان مال لم أتبعه هلاً ولتأما  
اذا لم ألتها وافر العرض مكرما  
وان ألتقى بالمدح مذمماً  
اليه وان كان الرئيس المعظما  
وكم مغنم يعتدُّه الحر مغرماً  
لأخدم من لا قيت لكن لأخدماً  
اداً فاتباع الجهل قد كان أحزماً

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم      ولو عظموه في النفوس لعظما  
ولكن أهانوه فهان ودنسوا      محياه بالأطاع حتى تجها  
وما كل برق لاح لي يستغزني      ولا كل من في الأرض أرضاه منما  
ولكن إذا اضطرني الضر لم أبت      أقلب فكري منجدا ثم متها  
إلى أن أرى ما لا أغص بذكره      إذا نلت قد أسدى إلي وأنا

ومما يروى عن الامام الشافعي في معنى هذا الشعر قوله :

العلم من شرطه لمن خدمه      أن يجعل الناس كلهم خدمه  
وواجب صونه عليه كما      يصون في الناس عرضه ودمه  
فن حوى العلم ثم أودعه      يجهله غير أهله ظلمه  
وكان كالبنتي البناء إذا      تم له ما أرادته هدمه

المراد من البيت الأول : ان من خدم العلم حق الخدمة ساد الناس وكان اماما  
وقدوة لهم . وبذلك يجعلهم خدما له باختيارهم . وانما يكون هذا في الامم الحية التي  
تعرف قدر العلم وأهله . وكذلك كان المسلمون في عصر الامام الشافعي ، وهو ما نرى  
مثاله في امم الافرنج اليوم على كثرة علمائهم المبرزين . وقد نعى أحد ملوكهم ولده  
ان يخاطبه بنمت « الجلالة » في حضرة شاعر الفرنسي المنلق [ فيكتور هيفو ]

والمراد من صون العلم في البيت الثاني المفسر في البيت الثالث ان إبداعه غير  
أهله هو ان تصان العلوم الكالية التي هي فروض كفاية عن السفهاء فاسدي  
الأخلاق ، فلا يلحق هؤلاء الا ما يجب عليهم شرعا لاداء عباداتهم وتصحيح  
معاملاتهم . ثم يصرفون الى الاعمال اللائقة بهم لانهم اذا اقتنوا العلوم العالية  
يتخذونها ذرائع لمفسدهم ، ويضلون الناس بجهلهم وسوء سيرتهم ، كما نرى مثاله في  
رعاع الناس الذين يتعلمون ولا يتهدبون ثم يصيرون حكاما او معلمين

وللامام شعر آخر في هذا المعنى رواه السبكي في طبقات الشافعية بسنده الى  
ابي عمر العثماني قال : لما دخل الشافعي الى مصر كاه أصحاب مالك فأشأ يقول :

أأنشدراً بين راعية الغنم وأشر منظوما لراعية النعم  
 أن كنت قد ضيقت في شربلدة فليست مضيقا بينهم غرر الكلم  
 فإن فرج الله الكريم بلطفه وأدركت أهلا للعلوم وللحكم  
 بثت مفيداً واستفدت ودادهم والا فحزون لدي ومكتم  
 ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وروي السبكي بسند آخر يبين عن الشافعي ذكر لها سببا يدل على قدم التصيب  
 لهؤلاء الأئمة ، فقد نقل عن الحافظ ابن منده ان الربيع قال رأيت أشهب بن عبد  
 عبد العزيز ساجدا وهو يقول في سجوده : اللهم أمت الشافعي والا يذهب علم  
 مالك . فبلغ الشافعي ذلك فتبسّم وأنشأ يقول :

تمنى رجال أن أموت فإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد  
 فقل للذي يبني خلاف الذي مضى تهباً لاخرى غيرها فكان قد

وبما روي عنه من الشعر ، عند إرادة الهجرة الى مصر ، قوله : —

لقد أصبحت نفسي تنوق الى مصر ومن دونها ارض المهامه والقفّر  
 فوالله ما أدري للفوز والغنى أساق اليها أم أساق الى قبري

ومن شعره الذي يذكر فيه السفر ولوازمه ما روي عن صاحبه المزني قال : قدم  
 الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه وإذا هو قد نزل منزلا وإلى  
 جانبه رجل جالس وفي حجره عود ، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له : يا أبا  
 عبد الله أنت في مثل هذا المكان ؟ فأثنأ يقول : —

وأتراني طول النوى دار غربة يجاورني من ليس مثلي يشاكله  
 فخامقته حتى يقال سحابة ولو كان ذا عقل لكت أعاقله

وروي أحامقه مكان فخامقته . ومعنى حامقته ساعدته على حقه كما قال  
 الجوهري وابن منظور ، وأما عاقله فمعناه غالبه في العقل ، فيضهم من البيت ان الامام

كان يجاري رفيقه المود في هوسه بضرب العود ولا يأتي هذا الا اذا كان يرى اباخته

أكثر شعر الامام الشافعي في الحكم والاخلاق ، وروي عن أبي يعقوب البويطي أنه قال له : قلت للشافعي : قد قلت في الزهد فهل لك في الغزل شي ؟ فأشدني يا كاخل العين بعد النوم بالسهر ما كان كحلك بالمنعوت للبصر لو أن عيني اليك الدهر ناظرة جاءت وفاتي ولم أشمع من النظر سقياً لدهر مضى ما كان أطيبه لولا التفرق والتفصيص بالسهر ان الرسول الذي يأتي بلا عدة مثل السحاب الذي يأتي بلا مطر ومن كلامه في الشكوى من الاعنياء الاغنياء الغلاء

وأنطقت الدراهم بعد صمت أناساً بعد ان كانوا سكوتاً فعاظفوا على أحد بفضل ولا عرفوا لمكرمة بيوتاً وجدير بهذا القول من عبر عن حاله بعد اتفاق جميع ماله بهذين البيتين يا لهف نفسي على مال أجود به على المقلين من أهل المروءات ان اعتذاري لمن قد جاء يسألني ما ليس عندي لمن احدى المصيبات وقال في الصدقة

صديق ليس ينفع يوم بأس قريب من عدو في القياس وما يعني الصديق بكل عصر ولا الاخوان الا للتأسي صمرت الدهر مائتسجاً بمجهدي أخا ثقة فأكداه التماسي تنكرت البلاد علي حتى كأن أناسها ليسو بناس

وقال في مثل ذلك

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة واننا لا نرى ممن نرى أحدا ان الكلاب لنهدا في مراتبها والناس ليس بهاد شرهم أبدا فأنتج نفسك واستأنس بوحدها تلقى سعيدا اذا ما كنت منفردا

## باب امر اسلة والمناظرة

حال المسلمين اليوم وجماعة الدعوة والارشاد

حضرة السيد الامام العالم البصير والمصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد طرق سمعي ما وصلت اليه حال جمعية الدعوة والارشاد ومدرتها من الضعف بسبب نفاذ المال القليل الذي جمع لها وبخل المسلمين . فأثر ذلك في قلبي تأثرا محزنا لعودنا عن العمل في الوقت الذي نهضت فيه أم العالم قاطبة . وحيث إن حبل رجائي مع ذلك لم ينقطع من ترك المسلمين لهذه الغلة وهذا الجلود اللذين أخرجا مركزهم أشد الحرج في الهيئة الاجتماعية — رأيت أن أبث اليكم بهذه الكلمة راجيا نشرها في مجلتكم النيرة قياما بالصيغة الواجبة على كل مسلم وتذكرة للمستعدين ( وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) :

أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه أعزاء ترفرف فوقهم أجنحة الامن والسعادة ، وكانوا خيرا على أنفسهم وعلى البشر بما وضوا من النظام القويم ، والقوانين العادلة ، وبما كانوا يقومون به من الاعمال النافعة لأنفسهم وللتناس . ولا عجب فقد كانوا في ذلك متبعين أوامر دينهم الحنيف . فلما انحرفوا عنها كما هو حالهم الآن شقوا وصاروا شرا وبلاء على أنفسهم وعلى البشر ، وأصبحوا عالة على الامم الاخرى في جميع مقومات الحياة وعبرة لمن يعتبر .

على ان أعظم ما تركه المسلمون من هداية دينهم وكان له الاثر السيئ في عامة شؤونهم هو فرضنا « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « الدعوة الى الدين » . فقد ادّى اغفال الفرض الاول الى انتشار المنكرات والفجور بالتدريج بين المسلمين كافة ، وفشو الجهل فيهم بأقبح أشكاله ، وأن صار الدين غريبا عن كل أعمالهم . وهذه الاعمال أثرت فيهم أعظم تأثير بالمواظبة عليها ، وعدم وجود من يقاومها أو

يتكرها ، فألفها نفوسهم واستأنست بها فكانت ملكات وتقاليد وعادات . ولم يقف الشر عند هذا الحد بل بالغ المسلمون في الامر فأنس بعضهم نصرا من الشرع يستبيحون بها ما أحذروا في الدين فلما أعيام ذلك تأولوا كتاب الله وسنة رسوله بغير ما يؤيدان اليه وطبقوا بعض محدثاتهم عليهم ما وهمين أنفسهم والناس انما من الدين وما هي من الدين ، وان هم الا يكذبون .

وكان من عاقبة اهمالهم الفرض الثاني انتشار الكاذب عن الدين الاسلامي ونشوبه أعدائه لسمعته ، وقلوبهم خفيته ، حتى خفيت هذه الحقيقة عن مردييه أو المستعدين لقبوله . وقد فطنت لفوائد الدعوة الى الدين الامم المسيحية العظيمة الحية فتألمت عندهم الجمعيات ذات رؤوس الاموال الضخمة التي أوفدت رجال الدين الى مشارق الارض ومغاربها وزودتهم بالمال الوفير وعضدتهم بفوزها فنجحت أعمالهم في نشر الدين المسيحي حتى بين المسلمين .

ألا إن البلاء الذي نزل بالمسلمين لعظيم . وما ينتظرم منه ان لم يفيقوا من غفلتهم أعظم . وقد صاروا الآن امام أحد أمرين : إما العمل العاجل السريع ، وإما الهلاك الاكيد والسقوط المريع . ولا مخرج من هذا البلاء إلا بالافلاخ عن هذه الخطة الذميمة الضارة ، والعمل بقواعد الدين الاسلامي الذي نفتقد ان فيه فلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة . وان أعظم ما ينبغي البدء به منها انما هو قيامنا بهذين الفرضين العظيمين « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » « الدعوة الى ديننا القويم » . ولكن لذلك وسائل لا بد من إعدادها وتوفيرها في الامة . اذ انه لا يستطيع القيام بذلك الواجب إلا اناسي يتخصصون له من أفراد المسلمين يكونون واسعي الاطلاع بعلوم الدين واقفين على حقائقه ملمين بطرف من العلوم الاجتماعية والعصرية على قدر حاجتهم منها كي يمكنهم تقريب ما يريدون من اذهان مخاطبيهم على اختلاف درجاتهم في العلم والاستعداد وتباينهم في الاخلاق والعادات . ولما كان أمثال هؤلاء لا وجود لهم الآن في الامة الاسلامية أو ما يوجد منهم ليس بالعدد الكافي - قضت الضرورة بإعداد هؤلاء الهداة اعدادا وانشائهم انشاءً . وهذا ما فكر فيه استاذنا زاده الله توفيقا فاقترح تأسيس جمعية [جماعة الدعوة والارشاد

ومدرستها الجليلة وبذلك وصف الدواء لاداء الامة الدفين الذي كاد يودي بحياتها .  
ان مهمة تعليم فئة من المسلمين ذلك التعليم الخاص وتربيتهم تلك التربية الدينية  
المحضة بين زواجر الفساد التي اكدست البلاد لمن الاعمال التي تتطلب كفاءة  
عظيمة واستعدادا خاصا - ولكن الاستاذ الذي لا ينثني له عزم أخذ على عاتقه  
القيام بانقاذ المشروع وحق للمسلمين ان يفرحوا ويتהלوا وقد جاءهم الطيب الماهر .  
ولكن ماذا حصل ؟

نشر المقترح دعوته بين المسلمين في انحاء المعمورة كافة قلبتها طائفة كل على  
قدر استعدادة وقبوله للمشروع فكان المال الذي جمع كان قلاما جدا لا يعني بجزء  
عما يلزم لهذا العمل العظيم واقبضت أيدي سائر المسلمين  
وأما الاستاذ فقد بسط يده للعمل على قلة وسائله فولد المشروع وقرت برؤيته  
عيون المخلصين . ولكن ذلك المولود ككل مولود حي يحتاج الى عناية وغذاء كي  
ينمو ويشهد ، غير أن ضمن المسلمين بالمال كان سببا في سرعان الضعف اليه حتى  
أشرف على الاضمحلال والعياذ بالله تعالى .

ولا يفوتني في هذا المقام ملاحظة التفاوت العظيم في إقبال الشعوب الاسلامية  
على المشروع . فمع ان المكان الذي اختبر ليكون مقرا للجمعية ومدرستها هو مصر  
فان قومي المصريين لقلة ما ساعدوا كانوا كأنهم غير متصودين بالدعوة حتى انه  
ليصح أن يقال مع انحلال العظيم ان الجمعية أسست والمدرسة أنشأت من أموال  
غيرهم .

فأتم يا مسلمي مصر بوجه خاص أهنئكم بالمقال . انه غير خليق بكم أن تقفوا  
ساكنين امام أعظم مشروع اسلامي وهو قد انشئ بينكم واحتفى بجواركم ولكم  
ثمارة وشرفه قبل غيركم . ان اضمحلال هذا العمل لا قدر الله ان بسبب سمعة  
المصريين كثيرا كما ان نجاحه يشرفهم ويرفع قدرهم . ففي هذه الازمة الكبرى التي  
يجتازها العالم أجمع وتدوس فيها الامم الكبيرة باقدامها ظهور الامم الصغيرة أو الضعيفة  
ينبغي للشعب المصري الكريم الذي آناه الله من الاستطاعة على خدمة دينه ما لم  
يؤت غيره ان يقوم بالعمل الذي ينتظره منه العالم الاسلامي الذي يعده في مقام الامام

المرشد وهو تعظيم هذا المشروع الذي اذا قوي وعاش سيكون باذن الله تعالى ينبوع حياة الاسلام والمسلمين واساساً لسعادتهم المستقبلية .

ان المصريين يستطيعون ان يحرزوا هذا الفخر الخالد بالتبرع بشيء من مالهم لا يضرهم انفاقه ولا يفتنيهم امساكه ، ان المشروع ضروري حيوي ونجاحه يدل على حياة كامنة في جسم الامة الاسلامية طالما أنكرها عليها محقرها وحاسدوها كما ان مرتبه لا قدر الله يشمت فينا أعداءنا ويحجلنا عرضة لهزء العالم أجمع وسخريته تقوم الامم الحية كل يوم بالاعمال العظام والمشروعات الكبرى لاغراض ثانوية أو كالية ونجد الاموال تندفق على القائمين بها من جيوب أهل الغيرة من أهلها فلا يفتني وقت قصير حتى نوضع لها أسس وطيدة ودعائم ثابتة ويجني القريب والبعيد من أفراد الامة ثمارها ، وهذا مشروع واحد أساسي لحفظ حياتنا الدينية والمدنية ، وسلاح لدرء الخطر الذي يهدد كيان الملة الاسلامية ، ونور لمحو الظلمة التي خيمت على العقول والقلوب ، ورحمة لمنع ماحل بنا من الشقاء والخطوب . فهل يموت رضيعا وفي جيبنا درهم ؟ وهل نستطيع بعده ان ندعي المروءة والشم ؟ « انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم »

اي قوم ، ان المشروع كبير ولا يقوم به الا أعظم الرجال استعدادا وأبعدهم همة . ومثل هؤلاء قليل ظهورهم في الامة . وان الاستاذ صاحب الاقتراح بما هو عليه من التقوى والصلاح وما امتاز به من العلوم الشرعية وما كسبه من المعلومات الثمينة والاختيار العظيم بسياحاته العديدة في بلاد المسلمين وما وهبه الله من الاستعداد الفطري النادر المثال لا ريب انه أقدر الناس على تنفيذه على الوجه الاكمل ووضع أسسه الكفيلة ببقائه حتى يستطيع من يخلفه فيه ان يتبع خطواته بغير عناء .

ان الرجل ثالث ثلاثة نوابغ لم يوجد لهم نظير من عدة قرون وقد شهد الاستاذ الامام بكفاءته وجمله موضع رجائه . فلي المسلمين كافة والمصريين خاصة أن يستدركوا ما فاتهم من الانتفاع بمواهب سلفيه « جمال الدين » « محمد عبده » بأن لا يضيعوا الفرصة السانحة الآن . انكم ان أضعتموها يخش أن لا تعود قبل عدة قرون . أقول وقولي هو الحق ، انه لو علم المسلمون حق العلم بقدر رجلهم الذي ضحى



أمواله وحياته ونفسه في سبيل مصلحتهم ففدوه بالأولاد قبل الأموال ، وبالنفس قبل الأولاد . لا مراة في أن الأمة الإسلامية أشد الام تأخرا في مضمار الحياتين الدينية والمدنية وهي لذلك أشدهم افتقارا للعمل . فإن كنتم أيها المسلمون لا تعملون الآن فتمي تعملون ، وإن لم يعجبكم مشروع امامكم الرشيد فماذا أنتم من وسائل الحياة والعمل النافع تعدون . وإن كنتم مقتنعين بصلاحيه المشروع فمن ذا الذي يقدر على تنفيذه كما ينبغي من بعده أفلا تذكرون ؟

أيها المسلمون ان الله غني عني وعنكم وعن العالمين . ولا يتوقف نصر حق على مساعدتنا . فله يختار لنصرة دينه من يشاء . فان لم تكن من الوافين ، فيوشك ان يخرج الامر من أيدينا ويوكل الله به قوما آخرين . والله غيور على دينه وحافظ له من الزوال . ولا بد ان يتم نوره ولو كره الكافرون . فظهر الدين محقق فان لم يكن على أيدينا فسيكون على أيدي غيرنا « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنحكم من يبخل ومن يبخل فاما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » وما ذلك على الله بعزيز .

فمن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعف له القرض ؟ ومن يسارع الى جنة هرصها السوات والارض ؟ هذا أوان العمل فاعملوا أيها المسلمون ، وهاكم طريق الفلاح فاسلكوه لعلكم تهتدون .

يا قوم : أنذرتكم ونصحت لكم وأنا منكم ، واقع في التقصير مثلكم ، وأنا أدعوك وأدعو نفسي قبلكم ، بالتبرع بما تقدر عليه من مالي ومالكم ، لا يستقل مقل حطاة وإن قل ، ولا يستكثر مكثرما يستطيع ان يبذل . وما أنا ذا اخطو الخطوة الاولى في هذه الزكرة الثانية فادفع على قلة ثروتي خمسة عشر جنينها مصريا بعد ان دفعت في الزكرة الاولى عشرين جنينها مصريا . انضبا ذخرا عند من خلقتي ولم أكن شيئا ، فأقبلوا على تجارة لن تبور ، وعلموا الى التبرع بالقليل والكثير . وانظروا الى ما نحن فيه من المحنة ، وادروا السيئة بالحسنة ، وأحرزوا بالقيام بتنفيذ المشروع شرفا تحفظه لكم الاجيال المقبلة فلا بضيع ، ويكون لكم عند الله خير

شفيح ، يوم يقوم الناس وتحشر الجوع .

هذا وانصافاً لمجلة المنار الاسلامية ؛ وتقديراً لخدمتها في سبيل الغرض المقصود  
للجمعية ، اذ دفع اشتراك خمس سنين سلفاً ، وأتبرع باشتراك سنة لمن يبرز في انشاء  
أحسن مقالة في أحسن فكرة اصلاحية لخدمة الاسلام والمسلمين . فسدّد الله بهم  
أعمالنا ، وأزّل لنا سبيلنا ، آمين

م . ن .

### [ المسكا ]

نشكر للكاتب غيرته على دينه وملكته ، وشعبه المصري وسائر أمته ، كما نشكر له  
حسن ظنه فينا ، ونسأل الله ألا يجعل اطراءه فتنة لنا ، ولا مبدعة الى ترجيح ظنه  
فينا على ما نعلمه من ضعفنا وعجزنا ، ونرجو ان يعذرنا اذا نحن لم تقبل منه  
الاشتراك عن خمس سنين سلفاً فحسبه من الوفاء للمنار ما جرى عليه من دفع اشتراك  
كل سنة سلفاً ، فهو من السابقين بالخير اشتراكاً وأداءً

هذا — وإن الكاتب قد كان كتب مقالاً قبل هذا في مضاه أ كثر ما فيه المبالغة  
والاغراق في المدح والثناء على صاحب المنار فكان استحيائنا من نشره بل من  
قراءته أقوى وأشد من استحيائنا من رده ، مع يقيننا باخلاص الكاتب واعتقاده أنه  
كتب بعض الحقيقة بلا غلو ولا مبالغة ، وقد قلنا له إننا لانظن ان نشره يأتي بالفائدة  
التي نرعى اليها ، وإن كنت أحسن منا ظناً ولا بد أن تكتب في هذه الدعوى شيئاً  
قلجعل الكلام في موضوع العمل دون مدح العامل ، — فجاءنا بهذا المقال ، فلم نر  
بداً من نشره ، لأن ذلك من حق كاتبه علينا إذ لا نعرف أحداً من الناس أشد  
غيرة ، وإخلاصاً منه لربه ودينه وأمته ، وأي دليل أدل على النيرة والاخلاص من  
بذل المال في سبيل الله ؟ وقد علمنا علم اليقين اننا لو قلنا أن نأخذ منه جميع ما يبيده  
لإتقاه في مشروع الدعوة والارشاد لبذله مرتاحاً ، بل طالما عرض علينا بذل ماله  
ووقته فيما نراه من خدمة الدين وإقامة السنة ولكننا نعلم ان عياله أحوج الى ذلك  
من مشروع لا يتوقف نجاحه على هذا المال القليل ولا يسقط بفقده ، وقد كان ما  
بذله كتابة بهذه المقالة أكثر مما أثبتناه فيها فاستأذناه بتصحيحه فسكت بعد  
مناقشة ومراجعة

واننا نستحسن ان نعيد بعض ما سبق لنا من الكلام في أسباب نشر بعض الرسائل والاسئلة المشتملة على الثناء وألقاب المدح لنا بنصها على خجلنا مما في بعضها من المبالغة وانتقاد كثير من الناس لنشره، وأم تلك الاسباب الامانة وبيان آراء الكاتبين في الاصلاح الاسلامي والقائمين به لاهل عصرهم ولبن بعدهم وموافقة سلفنا الذين كانوا ينشرون مثل ذلك بنصه كما تراه في كتب الفتاوى . وكان كثير من هذه الفتاوى ينسخ في هصور العلماء الذين كتبوها وينشر في الاقطار إن يان ما ذكر من الاسباب لنشر ما اشتمل على المدح باب من أعظم أبواب التاريخ وأعما فائدة ، وليس هو من قبيل تدوين المدائح الشعرية في شيء ، واننا نكره المدائح الشعرية المحضة ، ويقابل هذا الباب في تاريخ الاصلاح باب الانتقاد وقد التزمنا نشر ما يجيئنا من الانتقاد على أقوالنا وأعمالنا حتى أننا ندعو الناس الى ذلك في منار كل عام ولم ندع أحدا قط الى المدح والتعجيل وان كان من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي يقصده صاحب هذه الرسالة

كتب الكاتب هذه الرسالة معبرا بهاعن بعض ما في نفسه من وجدان واعتقاده راجيا ان يشعر بشعوره ويمتد اعتقاده كثير من المسلمين فينهضوا بمشروع الدعوة والارشاد ، ويجود كل له بما يستطيع على قدر ما آتاه الله من السعة والثروة ، ولولا ذلك لما كتب حرفا . وقد نشرنا له ما كتب احتراماً لشعوره واعتقاده ولما فيه من التعاون على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف الذي نصدتنا له ، ولكننا لانظن أن دعوته تهاب ولا أن أمنيته تصدق وان كنا من القائلين بتأثير الكلام في الجملة ، وانما يكون التأثير بقدر استعداد من يقرأ الكلام ويسمعه ، ولا يزال استعداد الامة الاسلامية للقيام بالاعمال الاجتماعية ضعيفا جدا ، وهو في البلاد التي لها حكام من أهلها ، أضعف منه في غيرها ، وان كان هؤلاء الحكام صوريون لا استقلال لهم في سياسة ولا ادارة ، فأرق مسلمي الهند وبنسبها هم أهل الولايات التي يتولى حكمها الانكليز بأنفسهم ، وابدم عن الترقى والاجتراح من لهم حكام من أنفسهم ، وسنبين رأينا في أغنياء بلادنا وأمتنا وأصناف الناس في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

## خاتمة السنة الثامنة عشرة للمنار

وحاله في السنة الجديدة

بحمد الله نحتّم السنة الثامنة عشرة للمنار كما افتتحناها بحمده وهو هو الذي يحد في السراء والضراء وحين البأس ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن عودا على بدء ، فقد لطف بنا في هذه العسرة العامة ، ورحمنا في هذه الفتنة الطامة ، التي لم تصب الذين ظلموا منا خاصة ، وغاية ما أصاب إدارة المنار ومطبعها من تأثير هذه الحرب ان قل دخلها وفقدت أكثر أصناف الورق بضعة أشهر لقلّة الوارد من أوربة ومضاعفة ثمنه أضعافا ، حتى ان هذا الجزء من المنار بدئ بطبعه في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٤ وطبع بضعة في ربيع الآخر والكراسان الاخيران منه في شهر رجب سنة ١٣٣٤ ونحن قد كنا نتمنا في أول سنة ١٣٣٣ ورقا يزيد عن حاجة المنار فيها بعد أن أمرنا المطبعة بأن تنقص ألف نسخة مما كان يطبع منه في مقابلة اقطاعه عن الممالك العثمانية وبعض البلاد التي تعذر ايصاله اليها ، ثم علمنا في أواخر السنة ان الورق قد نفد ، لأن الأمر باقتصاص المطبوع ما نفد ، وما ذاك الا ذهول ونيان ، وما قدر كان ، ففهدنا الى من يجلب لنا الورق من أوربة بطلب طائفة منه فلم يصل اليها بعض ما طلبنا الا بعد بضعة أشهر ، وهو لا يكفي لاصدار عشرة أجزاء من المنار وان نقصنا من المطبوع ألف عدد أو أكثر

فحين مضطرون لقلّة الورق وخشية اقطاع وروده كما يتوقع تجار الجلب ان نجعل كل جزء منه ثمانية كراريس (ملازم) فاذا يسر الله لنا ورقا تم السنة اثني عشر شهرا فيكون المجلد التاسع عشر كالثامن عشر ، والا جعلناها عشرة أشهر فقط ، على ان ورقها أغلى ثمننا من ورق المجلدات الكاملة

هذا وان قراء المنار في مصر يعلمون أن دخله قد انقطع من عدة ممالك تعذر ارساله اليها في زمن الحرب ، فلم يبق له مورد يعتد به الا منهم ، ويعلمون أيضا ان التفتات قد زادت ، وان كل شيء صار يشتري بالنقد ، فرجوا من مروءتهم العالية ان يفضّلوا بأداء ما عليهم من قيمة الاشتراك فيكون جل الفضل لهم باستمرار هذه الخدمة للإسلام والانسان ، وقد دفعنا هذه الحاجة الى تذكير من لم يدفعوا للمنار شيئا مما عليهم منذ عشر سنين أو أقل أو أكثر ، فمنهم من بادر الى أداء جميع ما عليه ، ومنهم من جعله أقساطا ، ومنهم من مظل ولوى ، ومن أعرض بجانبه ونأى ، وسنبين أحوال هؤلاء الناس في المقالة التي وعدنا بها في تعليقنا على الرسالة المنشورة قبل هذه الخاتمة

ولم يرد علينا في هذه السنة نقد على المنار ولا نزال نطالب القراء بان يعاودونا بالنصيحة ، والحمد لله أولا وآخرا